

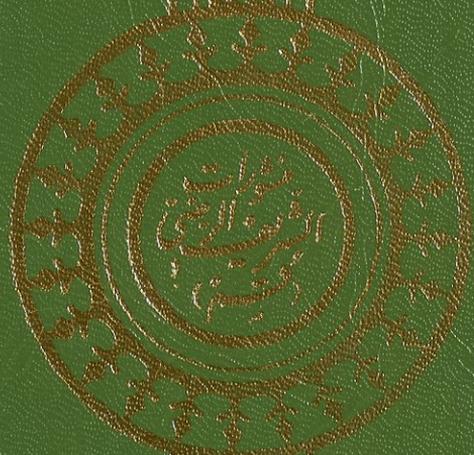
قصص العرب

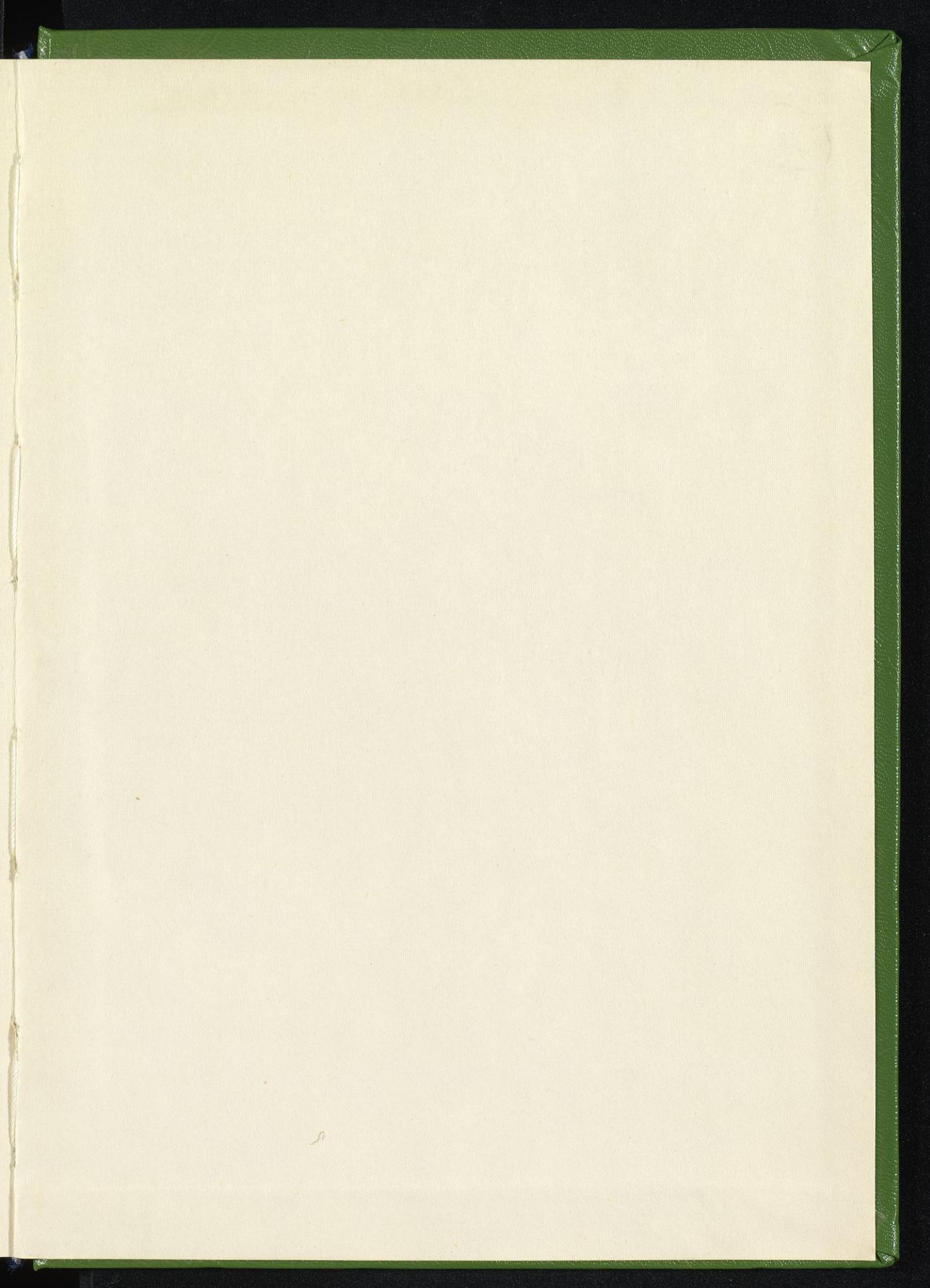
تأليف
علي بن عبد الوهاب

مؤسسة محمد بن عبد الوهاب

مركز البحوث والدراسات الإسلامية

الطبعة الأولى





31

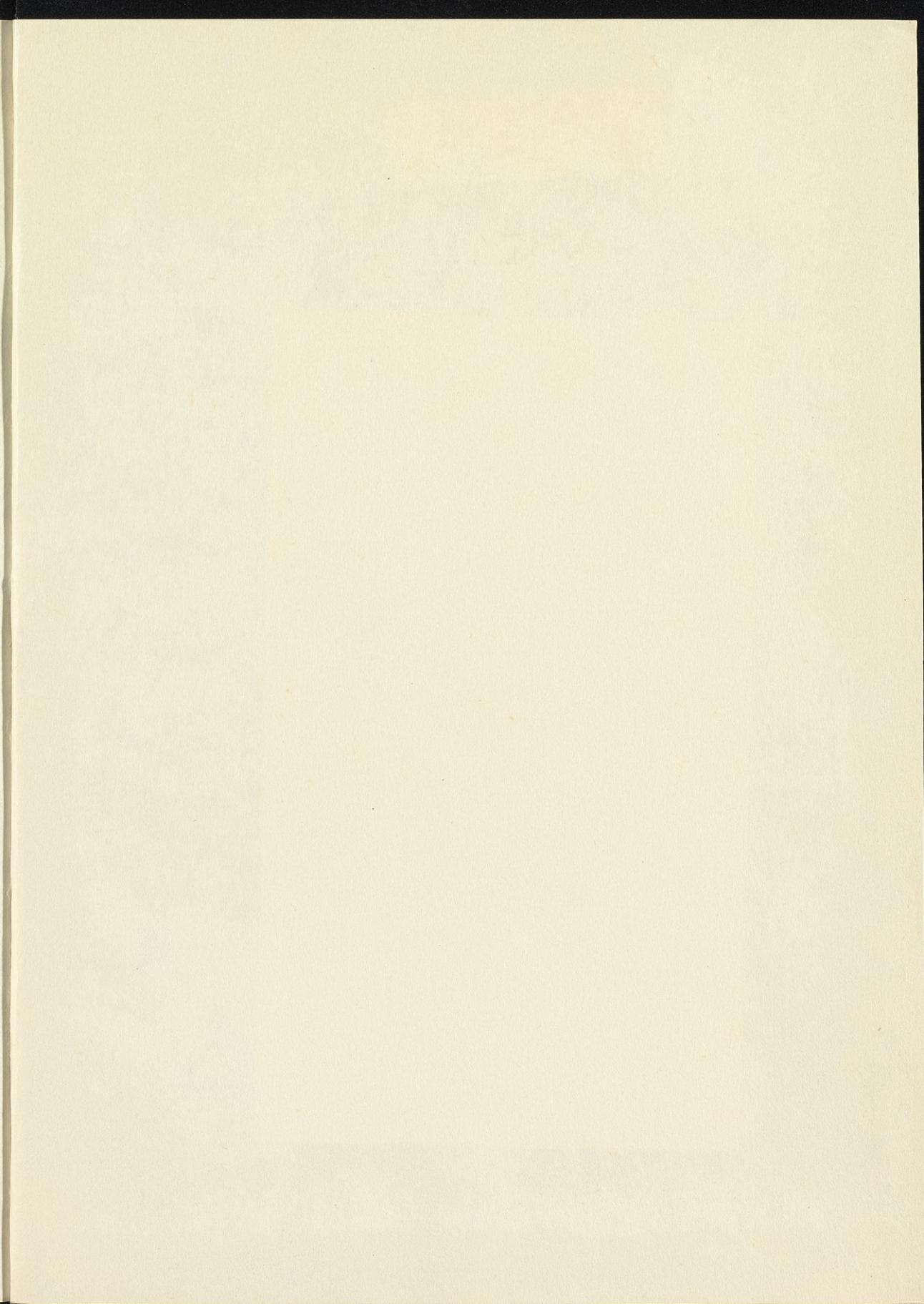
PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR

32101 017418698

IR-AR-Y8-931147

V.3

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY	
<i>This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.</i>	



Qisas - Hawla

قصة العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى على محمد الجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الثالث

الطبعة الرابعة

[فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق]

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

دار الخيانة الكعبة العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

(Arab)

PJ7601

Q57

al-juz' 3

الكتاب	قصص العرب
المؤلف	محمد أحمد علي أحمد محمد أبو الفضل إبراهيم
الناشر	منشورات الرضى - قم
القطع	وزيرى
المطبعة	مطبعة أمير - قم
المطبوع	١٠٠٠ نسخة
الطبعة	الخامسة
سنة الطبع	١٣٦٤ هـ - ش
عدد الأجزاء	أربعة
عدد الصفحات	١٨٦٧ صفحة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

تعدّ القصةُ أقدَر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خَلَجَات النفوس ؛ كما أنها - إذا شَرُفَ غرضُها ، ونُبِلَ مقصدُها ، وكرمت غايتها - تُهذِّبُ الطباع ، وترقِّقُ القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان والواجب ، والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصةُ - ولا تزال - ذات الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها ؛ فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُّ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ، ومخلفات الرومان ، وآثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثر عنها فيض من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضموم حَقِّهم في ذلك الباب ، ووصموم بالخيال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن المنصفين منهم قد هالَهُمْ هذا الجحود ، ولم يرقَهُمْ ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والهنود ، وتزيّدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدّثوا للناس عن قصص عنقرة وذات الهمة ، وجلّوا عليهم ألف ليلة وأخبار ابن ذي يزن .

وهذه القصص ، وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير العصور التي وضعت

فيها ، وَرَسَمَتْ نَنَا الْبَيْئَةَ الَّتِي نَبَتَتْ مِنْهَا ، كَثِيرٌ مِنْهَا تَأْفَهُ الْغُرُضُ ، مُبْتَهَمٌ الْقَصْدُ ،
رَدِيٌّ الْلُغَةُ وَالْأَسْلُوبُ . وَفِي قَصْرِ قِصَصِ الْعَرَبِ عَلَيْهَا جُحْدٌ لِلْآدَابِ الْعَرَبِيَّةِ فَضْلُهَا ،
وإِنكَارٌ عَلَيْهَا مَفَاخِرُهَا وَإِلَّا فَيُنْهَكَ قِصَصًا زَخَرَتْ بِهَا مَجَالِسُ الْخُلَفَاءِ
وَسَوَاطِرُ الْأَمْرَاءِ ، وَمَلَأَتْ الْكُتُبَ الَّتِي انْحَدَرَتْ إِلَيْنَا عَنِ الْمُؤَلِّفِينَ الْقَدَمَاءِ ؛ وَمَا
مَنْعَ النَّاسَ أَنْ يَرِدُوا شَرِيعَتَهَا ، أَوْ يَجْنُوا أَطْيَابَهَا إِلَّا مَا مَنَعَتْ بِهِ هَذِهِ الْكُتُبُ مِنْ
اضْطِرَابِ التَّرْتِيبِ ، وَرَدِيٍّ الطَّبْعِ ، وَتَحْرِيفِ النَّاسِخِينَ

وَكِتَابِنَا هَذَا جَمَعْنَا فِيهِ هَذِهِ الْقِصَصَ : مَا انْتَبَذَ مِنْهَا وَمَا شَرَدَ ، وَأَلْفَنَّا مَا تَنَافَرَ
وَافْتَرَقَ ، وَجَعَلْنَاهُ أَهْسَامًا ، وَقَسَمْنَاهُ أَبْوَابًا ؛ جَمَعْنَا كُلَّ قِصَّةٍ إِلَى مِثْلِهَا ، وَضَمَمْنَا كُلَّ
طُرُقَةٍ إِلَى شَبِيحَتِهَا ؛ لِيَجْتَمَعَ إِلَى غُرُضِ الْقِصَّةِ - مِنْ تَهْذِيبِ الطَّبَاعِ وَتَرْقِيقِ النُّفُوسِ -
عَرَضٌ شَامِلٌ لِحَيَاةِ الْعَرَبِ : مَدِينَتُهُمْ وَحَضَارَتُهُمْ ، وَعُلُومُهُمْ وَمَعَارِفُهُمْ ، وَأَدْبَانُهُمْ
وَعَقَائِدُهُمْ ، وَذِكْرٌ لِعَوَائِدِهِمْ وَشِمَائِلِهِمْ ، وَمَا طُبِعُوا عَلَيْهِ مِنْ كَرِيمِ الْفَرَائِزِ ، وَحُدُودِ
الذِّكَاةِ ، ثُمَّ مَا كَانَ لِلرَّأَةِ عِنْدَهُمْ مِنْ سَامِيِ الْمَسْكَانَةِ وَعَظِيمِ الْمَنْزِلَةِ ، وَمَا أَثَرَ عَنْهُمْ مِنْ
أَخْبَارِ صُورُوا بِهَا حُبَّهُمُ الْعَفِيفِ وَغَزَلَهُمُ الرِّقِيقُ وَعَشَقَهُمُ الشَّرِيفُ ، وَلَمْ يَحُلْ
كِتَابِنَا مِمَّا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَحَاوِرَاتٍ وَمَسَاجِلَاتٍ وَمَطَايِبَاتٍ وَمُنَاقَلَاتٍ ، وَمَا نَقَلَهُ الرِّوَاةُ
مِنْ أَحْوَالِ الْعَامَةِ وَالْمُلُوكِ وَطُرُقِ الْقِضَاةِ وَالْوَالَاةِ ، وَأَخْبَارِ الْأَيَّامِ وَالْحُرُوبِ ، وَغَيْرِ
هَذَا مِمَّا سَيَعْرِضُ مَفْصَلًا فِي أَبْوَابِ الْكِتَابِ .

وَلَمْ نَقِفْ فِي اخْتِيَارِ الْقِصَّةِ عَلَى تَعْرِيفِ خَاصٍ ، أَوْ حُدِّ مَرْسُومٍ ، فَفِيَا اخْتِرْنَا
مَا ذَكَرُوهُ مِنْ طَرِيفِ الْأَخْبَارِ وَشَائِقِ الْأَحْدَاثِ ، وَمَا وَضَعُوهُ مَصُورِينَ بِهِ الْمَجَالِسِ
وَالْأَشْخَاصِ ، وَمَا صَنَعُوهُ عَلَى أَسْنَةِ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَ ، وَمَا تَحْيَلُوهُ مِنْ أَخْبَارِ الشَّيَاطِينِ
وَالْجَانِّ ؛ إِذْ كَانَ الْغُرُضُ تَتَّقِيْفُ الْأَذْهَانَ بِذِكْرِ الطَّرَائِفِ ، وَانْشِرَاحُ الصُّدُورِ بِعَرَضِ

اللطائف مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .

ولعلّ القارىء يروقه ماتدسّس فيها من شريف الخصال فيحتذيه ، أو تعجبه
كرائم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قويمة لمن يريد أن ينشئ
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .

وكان من همتنا أن نحصر على اختيار القصص كما وضعوها ، إلا ما كان من
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تغيير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف
عبارات لا غناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعاني ، وتراجم
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ومنهله عذبا ،
وورده سائفاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به على ما صدقنا في النية ورجونا ما

المؤلفون

ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ هـ
مايو سنة ١٩٣٩ م

مقدمة الطبعة الرابعة

هذا كتابنا « قصص العرب » نقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالا على اقتنائه وتقديره له . وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن نذل الطريق إلى قراءة الكتاب ؛ فنكثر من ضبط الكلمات ، ونزيد من شرح المفردات ، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجو أن يكون ذلك كفاء لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

ربيع الأول سنة ١٣٨٢
سبتمبر سنة ١٩٦٢

البَابُ الْأَوَّلُ

في القصص التي تعرب عما كان يقع بين العامة
والملوك، والقواد والرؤساء والقضاة ومن إليهم، من كل
ذی صلة بالحكم والحكام، مما يتناول حيلهم في
المنازعات والمحصومات، ويوضح طرائقهم في رفع
الظلمات، ورجع الحقوق، وما يجري هذا المجرى.

١ — متى تعبدتم الناس؟*

قال أنس: بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب^(١) قاعد إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين؛ هذا مقام العائذ بك. فقال عمر: لقد عدت بمجيب؛ فما شأنك؟ قال: سأقتل على فرسي ابناً لعمر بن العاص - وهو يومئذ أميراً على مصر - فجعل يُقنِّعني^(٢) بسوطه ويقول: أنا ابن الأكرمين! فبلغ ذلك عمر أباه، فحشي أن آتيتك، فحبسني في السجن، فانفلت منه، وأتيتك.

فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان، وقال للمصري: أقم حتى يأتيتك. فقدم عمرو، فشهد الحاج. فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، قام المصري، فرمى إليه عمر بالدرة^(٣).

قال أنس: ولقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه، فلم ينزع^(٤) حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضرب به، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين! ثم قال المصري: قد استوفيت واشتفيت. قال عمر: ضعها على صلعة^(٥) عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين؛ قد ضربت الذي ضربني. فقال عمر: أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع. ثم قال: يا عمرو؛ متى تعبدتم الناس وقد ولد لهم أمهاتهم أحراراً!

* العقد الفريد للملك السعيد : ٥٩

(١) ثاني الخلفاء الراشدين، المضروب بعذله المنى، أسلم قبل هجرة بخمس سنين، وبويع بالخلافة سنة إحدى عشرة، قتله أبو لؤلؤة الخجومي سنة ٢٣ هـ (٢) قنعه بالسوط: غشاه به (٣) الدرة: السوط. (٤) يكف ويتبهي (٥) يريد موضع الصلغ من الرأس

٢ - أَحَبُّ الْوَلَاةِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ *

قال الربيع بن زياد الحارثي : كنتُ عاملاً لأبي موسى الأشعري على البحرَين ، فكتب إليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يأمره بالقدوم عليه هو وُعمَّالُه ، وأن يَسْتَخْلِفُوا^(١) جميعاً .

فلما قَدِمْنَا أَيْتُ يَرَفَا^(٢) ؛ قُلتُ : يَا يَرَفَا ؛ مُسْتَرَشِدٌ وَابْنُ سَبِيلٍ ؛ أَيْ الْهَيْئَاتِ أَحَبُّ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَرَى فِيهَا عُمَّالَهُ ؟ فَأَوْمَأَ إِلَيَّ بِالْخَشْوَةِ . فَاتَّخَذْتُ خُفَيْنِ مُطَارَقَيْنِ^(٣) ، وَلَبِسْتُ جُبَّةً صَوْفَ ، وَوَلَّيْتُ^(٤) عِمَامَتِي عَلَى رَأْسِي .

فدخلنا على عمر فصفا بين يديه ، فصعدنا فينا وصوب ، فلم تأخذ عينه أحداً غيري ؛ فدعاني فقال : مَنْ أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثي ، فقال : ماتتولي ؟ قلتُ : البحرين . قال : كم ترتزق ؟ قلت : ألفاً . قال : كثير ! فما تصنعُ به ؟ قلت : أتقوتُ منه شيئاً ، وأعودُ به على أقارب لي ؟ فما فَضَّلَ عنهم فعلى فقراء المسلمين . قال : فلا بأس ! ارجع إلى موضعك .

فرجعتُ إلى موضعي من الصف ؛ فصعدنا فينا وصوب ، فلم تقع عينه إلا على ؛ فدعاني وقال : كم سنك ؟ قلت : خمسٌ وأربعون سنة . قال : الآن حين استحكمت ! ثم دعا بالطعام وأصحابي حديث عهدُهم بلبن العيش ، وقد تجوَّعت له ، فَأَنِي بِجُبَيْرٍ وَأَكْسَارٍ^(٥) بيمير ، فجعل أصحابي يعاقون ذلك ، وجعت آكل

* الكامل للمبرد : ١ - ٨٩

(١) يجعلوا بدلهم خلفاء عنهم . (٢) مولى عمر بن الخطاب . (٣) طارق نطين : أطبق

نملا على نمل نغرزهما . (٤) لثها على رأسي : أدت بعضها على بعض على غير استواء .

(٥) أكسار بيمير : الكسر : العظم ينفصل بما عليه من اللحم .

فأجيد ، ثم جعلتُ أنظر إليه يلحظني من بينهم ، ثم سبقتُ مني كلمةً تمنيتُ أني
سُخِّتُ في الأرض ؛ إذ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن الناسَ يحتاجون إلى صلاحِكَ ،
فلو عمدتَ إلى طعامِ ألينَ من هذا ! فزجرني .

ثم قال : كيف قلت ؟ قلت : أقول يا أمير المؤمنين : تنظر إلى قوتِكَ من الطحين
فيخبز لك قبل إرادتك إياه بيومٍ ، ويطبخ لك اللحم كذلك ، فتؤتني بالخبز ليناً
واللحم غريضاً^(١) ، فسكن من غربه^(٢) ، وقال : أهنا غرت^(٣) ! قلت : نعم !
فقال : ياربيع ؛ إننا لو نشاء ملاًنا هذه الرِّحَابَ من صلاحِ^(٤) وسبائك^(٥)
وصناب^(٦) ، ولكني رأيت الله عزَّ وجلَّ نعى على قوم شهواتهم ، فقال : ﴿ أَذْهَبْتُمْ
طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ .

ثم أمر أبا موسى الأشعري بإقرارى وأن يُستبدل بأصحابي .

(١) الغريض : الطرى . (٢) سكن من غربه : أى هدأ من غضبه . (٣) أهنا غرت :
أى ذهبت . (٤) صلاح : ما عمل بالنار طبخاً وشياً . (٥) سبائك : يريد ما يسبك من
الديق فيؤخذ خالصه ، وكانت العرب تسمى الرقاق السبائك . (٦) الصناب : الخردل المعول
بالزبيب ويؤتدم به .

٣ - عمر يتفقد رعيته*

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ليلة ، يطوف ويتفقد أحوال المسلمين ، فرأى بيتاً من الشعر مَضروباً ، لم يكن قد رآه بالأمس . فدنا منه ؛ فسمع فيه أنين امرأة ، ورأى رجلاً قاعداً ، فدنا منه وقال له : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فقال : رجلٌ من البادية ، قدمتُ إلى أمير المؤمنين ، لأُصِيبَ من فضله ، قال : فما هذا الأنين ؟ قال : امرأةٌ مَخَّضَتْ^(١) ! قال : فهل عندها أحدٌ ؟ قال : لا .

فانطلق عمر فجاء إلى منزله ، فقال لامرأته - أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : هل لك في أجرٍ قد ساقه الله إليك ؟ قالت : وما هو ! قال : امرأةٌ مَخَّضَتْ . ليس عندها أحد ! قالت : إن شئت ! قال : فَخُذِيْ معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدُّهْنِ ، واثْنَيْ بَقْدَرٍ وشَحْمٍ وحبوب . فجاءته به ، فحمل القدر ، ومشت خلفه ، حتى أتى البيت ، فقال لها : ادخُليْ إلى المرأة .

ثم قال للرجل : أَوْ قَدْ لِي نَارٌ ، ففعل ، فوضع القدر بما فيها ، وجعل عمرُ ينفخُ النارَ ويضرمُها ، والدخانُ يخرج من خِلالِ لحيته ، حتى أَنْضَجَهَا ، وولدتِ المرأةُ ، فقالت أم كلثوم : بَشِّرْ صاحِبَكَ يا أمير المؤمنين بسلام . فلما سمعها الرجلُ تقول : يا أمير المؤمنين ارتاع وخجل ، وقال : يا خَجَلْتاه منك يا أمير المؤمنين ! أهكذا

* المستطرف : ٢ - ٩٣

(١) مَخَّضَتْ : أتاناها الخناس ، وهو ما تشعر به المرأة قبيل الوضع .

تفعلُ بنفسك ! قال : يا أخا العرب ، من وُلِّي شيئاً من أمور المسلمين ينبغي له أن يطلع على صغير أمورهم وكبيرها ، فإنه عنها مسئول ، ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة .

ثم قام عمر ، وأخذ القدر ، وحملها إلى باب البيت ، وأخذتها أم كلثوم ، وأطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم ، فقال عمر رضى الله عنه للرجل : قم إلى بيتك واكل ما بقي في البرمة^(١) ، وفي غداً انت إلينا . فلما أصبح جاءه فجهزه بما أغناه به .

(١) البرمة : القدر .

٤ — عُمر بن الخطاب يحاسب نفسه*

قال الأحنف بن قيس : قدمنا على عُمر بن الخطاب بفتح عظيم نبشّره به ،
فقال : أين نزلتم ؟ قلنا : في مكان كذا !

فقام معنا حتى اتّهينا إلى مُناخ^(١) رِكابنا ، وقد أضعفها الكلال ، وجهدها^(٢)
السير ؛ فقال : هلا اتّقيتم الله في رِكابكم هذه ! أما علمتم أنّ لها عليكم حقاً ؟
هلاً أرحتُموها فأكلت من نبات الأرض !

فقلنا : يا أمير المؤمنين ؛ إنا قدّمنا بفتح عظيم ، فأحببنا التسرع إليك وإلى
للسلين بما يسرّهم . فانصرف راجعاً ، ونحن معه .

فأتى رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إن فلاناً ظلمني فأعدني عليه^(٣) . فرفع في
السماء درّته^(٤) ، وضرب بها رأسه ، وقال : تدعون عمر ، حتى إذا شغل في أمور
المسلمين أتيتموه وقتلتم : أعدني أعدني ! فانصرف الرجل يتذمّر ، فقال عمر : على
بالرجل ! فجيء به فأتى إليه المخففة^(٥) ، فقال : اقتص . قال : بل أدع الله ولك .
قال : ليس كذلك ، بل تدعه إما لله وإرادة ما عنده ، وإما تدعه لي ! قال : أدع
الله . قال : انصرف .

ثم جاء حتى دخل منزله ، ونحن معه ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم جلس ،
فقال لنفسه : يابن الخطاب ، كنت وضيعاً فرمك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ،
وكنت ذليلاً فأعزّك الله ، ثم حملك على رقاب الناس ، فجاء رجل يستعديك

* ابن أبي الحديد : ٣ - ١٧

(١) المناخ منا : مبرك الإبل ، والركاب : الإبل . (٢) جهد دابته : أجهدها . (٣) أعدى
فلاناً عليه : نصره وأعانه وقواه . (٤) الدرة : السوط . (٥) المخففة : الدرة أو سوط من خشب .

على مَنْ ظَلَمَهُ فضرَبته ؛ ماذا تقول لربك غداً ؟ فجعل يعاتبُ نفسه معاتبَةً ، فظننت
أنه من خير أهل الأرض !

٥ — جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَزْهَدِ النَّاسِ *

استعمل عمرُ رضی اللهُ عنه على حِصصِ رجلا يقال له عُمَيْرُ بنُ سَعْدٍ (١) ؛ فلما
مضتِ السَّنَةُ كُتِبَ إليه : أن أقدِّمَ علينا ؛ فلم يشعرَ عُمَرُ إلا وقد قَدِمَ عُمَيْرُ ماشياً
حافياً ، عُرَّكَزَتُهُ (٢) بيده ، وإِدَاوَتُهُ (٣) ومِرْوَدُهُ وقصَعَتُهُ على ظهره . فلما نظر
إليه عمر قال له : يا عميرُ ؛ أَجَبْتَنَا أم البلادُ بلادُ سوء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛
أما نهنك اللهُ أن تجهر بالسوء وتتناهى عن سوء الظن ؛ وقد جِئْتُ إليك بالدينيا أجرها
بقرابها ! فقال له : وما معك من الدنيا ؟

قال : عُرَّكَازَةٌ أتَوَكَّأُ عليها ، وأدفعُ بها عدوًّا إن لقيته ؛ ومِرْوَدٌ أحملُ فيه
طعامي ، وإِدَاوَةٌ أحملُ فيها ماءً لشربي وطهُورِي ، وقَصَّعَةٌ أتوضأُ فيها ، وأغسلُ فيها
رأسي ، وآكلُ فيها طعامي ؛ فوالله يا أمير المؤمنين ؛ ما الدنيا بعدُ إلا تَبَعٌ
لما معي .

فقام عمر رضی اللهُ عنه إلى قبر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم وأبى بكر
رضی اللهُ عنه ؛ فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : اللهم ألحِقْني بصاحبي ؛ غيرَ
مُفْتَضَحٍ ولا مُبَدَّلٍ .

* المستطرف : ١ - ١١٠

(١) شهد فتوح الشام ، واستعمله عمر على حمص ، وكان عمر يقول فيه : وودت لو أن لي رجلاً
مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال المسلمين . (٢) العكازة : عصاً في أسفلها زج يتوكأ
عليها الرجل . والإداوة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

ثم عاد إلى مجلسه ، فقال : ما صنعت في عمك يا عمير ؟ فقال : أخذت الإبل من أهل الإبل ، والجزية من أهل الذمة عن يد^(١) وهم صاغرون ، ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ؛ فوالله يا أمير المؤمنين لو بقى عندي منها شيء لأنتيتك به .

فقال عمر : عد إلى عمك يا عمير ، فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني إلى أهلي . فأذن له فأتى أهله .

فبعث عمر رجلاً ، يقال له حبيب ، بمائة دينار ، وقال : اختبر لي عميراً ، وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله : هل هو في سعة أو ضيق ؟ فإن كان في ضيق فادفع إليه الدنانير .

فأتاه حبيب ، فنزل به ثلاثاً ، فلم ير له عيشاً إلا الشعير والزيت ؛ فلما مضت ثلاثة أيام ، قال عمير : يا حبيب ؛ إن رأيت أن تتحول إلى جيراننا فلعلهم يكونون أوسع عيشاً منا ؛ فإننا والله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به .

فدفع إليه الدنانير ، وقال : قد بعث بها أمير المؤمنين إليك ، فدعا بقره وخلق لامراته ؛ فجعل يصر منها الخمسة الدنانير والستة والسبعة ، ويبعث بها إلى إخوانه من الفقراء إلى أن أنفدها .

فقدم حبيب على عمر وقال : جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهدي الناس ، وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير . فأمر له عمر بوسقين^(٢) من طعام وثوبين . فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الثوبان فأقبلهما ، وأما الوسقان فلا حاجة لي بهما ؛ عند أهلي صاع من برّ هو كافهم حتى أرجع إليهم .

(١) عن يد : عن قهر وذل ، وعن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم . (٢) الوسق : ستون صاعاً ، أو حمل البعير .

٦ - تأديبُ عمر بن الخطاب لماله *

كان عمرُ بن الخطاب جالسا في المسجد فمرَّ به رجل فقال : ويل لك يا عمر من النار ! فقال : قرَّبوه إليّ . فدنا منه ، فقال : لِمَ قلتَ ما قلت ؟ قال : تستعملُ عمَّالَكَ وتشرط عليهم ، ثم لا تنظر : هل وفوا لك بشرطٍ أم لا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : عاملك على مصر اشترطت عليه فترك ما أمرته به ، وارتكب ما نهيته عنه ؛ ثم شرح له كثيرا من أمره .

فأرسل عمر رجلين من الأنصار ، فقال لهما : اتبيا إليهِ فأسألا عنه ، فإن كان كذب عليه فأعلماني ، وإن رأيتما ما يسوءكما فلا تملكاه من أمره شيئا ، حتى تأتيَا به .

فذهبا فسألا عنه ، فوجداه قد صدق ؛ فجاأا إلى بابه ، فاستأذنا عليه ، فقال صاحبه : إنه ليس عليه اليوم إذن . قالا : ليخرجنَّ إلينا أو لنحرقنَّ عليه بابه ، وجاء أحدهما بشعلةٍ من نار .

فدخل الأذنُ فأخبره ؛ فخرج إليهما ، فقالا : إنا رسولا عمر إليك لتأتيه ، قال : إن لي حاجة ، تمهلاني إلى أن أتزود . قالا : إنه عزم علينا ألا نُمهلك .

فاحتملاه وأتيا به عمر ، فلما أتاه سلم عليه فلم يعرفه ، وقال له : من أنت ؟ وكان رجلا أسمر ، فلما أصاب من ريف^(١) مصر ابيضَّ وسمن - فقال : أنا عاملك على

* ابن أبي الحديد : ٣ - ٩٨

(١) الريف هنا : أرض فيها زرع وخصب .

مصر ، أنا فلان . قال : وَنَحَكَ ا رَكِبْتَ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ ، وَتَرَكْتَ مَا أَمَرْتَ بِهِ ،
رَأَى اللَّهُ لِأَعْقَابِكَ عَقُوبَةً أُبْلِغُ إِلَيْكَ فِيهَا .

أَتُونِي بِكِسَاءٍ مِنْ صُوفٍ وَعَصَا وَثَلَاثِينَ شَاةً مِنْ غَنَمِ الصَّدَقَةِ ؛ ثُمَّ قَالَ لَهُ : الْبَسْ
هَذِهِ الدِّرَاعَةَ^(١) ؛ فَقَدْ رَأَيْتُ أَبَاكَ ، وَهَذِهِ خَيْرٌ مِنْ دُرَاعَتِهِ ، وَخُذْ هَذِهِ الْعَصَا فَهِيَ
خَيْرٌ مِنْ عَصَا أَبِيكَ ، وَارْجِعْ بِهَذِهِ الشِّيَءَ فَارْجِعْ فِي مَكَانِ كَذَا - وَذَلِكَ فِي يَوْمِ
صَائِفٍ^(٢) - وَلَا تَمْنَعْ السَّابِلَةَ^(٣) مِنْ أَلْبَانِهَا شَيْئًا إِلَّا آَلَ عَمْرٌ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا
مِنْ آَلَ عَمْرٍ أَصَابَ مِنْ أَلْبَانِ غَنَمِ الصَّدَقَةِ وَلَحْمِهَا شَيْئًا .

فَلَمَّا ذَهَبَ رَدَّهُ ، وَقَالَ : أَفْهَمْتَ مَا قُلْتُ ؟ فَضَرَبَ بِنَفْسِهِ الْأَرْضَ ، وَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَا اسْتَطِيعَ هَذَا ، فَإِنْ شِئْتَ فَاصْرُبْ عُنُقِي . قَالَ : فَإِنْ رَدَدْتُكَ فَأَيُّ
رَجُلٍ تَكُونُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يَبْلُغُكَ بَعْدَهَا إِلَّا مَا تَحِبُّ . فَرَدَّهُ فَكَانَ نَعَمَ الرَّجُلِ !

(١) الدراعة : جبة مشقوقة من المقدم . (٢) يوم صائف : شديد الحر . (٣) السابلة :
أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم .

(٢ . قصص العرب - ٣)

٧ - أَخْطَاتُ فِي ثَلَاثَ *

خرج عمر بن الخطاب في ليلة مظلمة، يَمْسُءُ^(١) بنفسه؛ فرأى في بعض البيوت ضوء سراج، وسمع حديثاً؛ فوقف على الباب يتجسس؛ فرأى عبداً أسود قد أمه إناء فيه مِرْزُ^(٢) وهو يشرب، ومعه جماعة؛ فهم بالدخول من الباب فلم يقدر من تحصين البيت؛ ففسور السطح، وزل إليهم، ومعه الدرّة^(٣).

فلما رأوه قاموا وفتحوا الباب، واهزموا؛ فأمسك بالأسود؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، قد أخطأتُ وإني تائب؛ فأقبلتُ توبتي. فقال: أريد أن أضربك على خطيئتك! فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن كنتُ قد أخطأتُ في واحدة، فأنت أخطأتَ في ثلاث، فإن الله تعالى يقول: «ولا تجسسوا»، وأنت تجسست، ويقولون: «وأنتوا البيوت من أبوابها»، وأنت أتيت من السطح، ويقولون: «لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا»^(٤) وتسلموا على أهلها»، وأنت دخلت وما سلمت أفهب هذه لتلك؛ وأنا تائب إلى الله تعالى، على ألا أعود! فاستتابه^(٥) واستحسن كلامه.

* المستطرف: ٢ - ٩٤

(١) يمس: يطوف بالليل . (٢) الزر: ضرب من الأشربة . (٣) السوط الذي يضرب به . (٤) تستأذنوا . (٥) استتابه: سأله أن يتوب .

٨ - تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةِ*

رَوَى أَنَّ جَبَلَةَ^(١) بِنَ الْأَيْهَمِ بِنِ أَبِي شَمِيرِ النَّسَّانِي لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَلَّمَ ، كَتَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ الشَّامِ يُعَلِّمُهُ بِذَلِكَ وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَسَرَّ بِذَلِكَ عَمْرَ وَالْمَسْلُومُونَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنْ أَقْدِمْ وَلَكَ مَالُنَا وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْنَا . .

فَخَرَجَ جَبَلَةُ فِي خَمْسِمِائَةِ فَارِسٍ مِنْ عَكٍّ وَجَفْنَةٍ ؛ فَمَادَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ الْبَسْهَمِ ثِيَابَ الْوَشِيِّ الْمَسْجُوجِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَبَسَ يَوْمَئِذٍ جَبَلَةُ تَاجَهُ وَفِيهِ قِرْطُ مَارِيَّةٍ - وَهِيَ جَدَّتُهُ - وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فَلَمْ يَبْقَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا خَرَجَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ حَتَّى النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانَ ؛ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى عَمْرِ رَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَى مَجْلِسَهُ ! ثُمَّ أَرَادَ الْحَجَّ ، فَخَرَجَ مَعَهُ جَبَلَةُ .

فَبَيْنَمَا هُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ إِذْ وَطِئُ عَلَى إِزَارِهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ فَخَلَّهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ جَبَلَةُ مُغْضَبًا ، فَلَطَمَهُ فِيهِشَمَ أَنْفَهُ ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ الْفَزَارِيُّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ : مَا دَعَاكَ يَا جَبَلَةُ إِلَى أَنْ لَطَمْتَ أَخَاكَ هَذَا الْفَزَارِيَّ فَهِشَمْتَ أَنْفَهُ ! فَقَالَ : إِنَّهُ وَطِئُ إِزَارِي فَخَلَّهُ ؛ وَلَوْلَا حُرْمَةُ الْبَيْتِ لَضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ^(٢) . فَقَالَ لَهُ عَمْرُ : أَمَا أَنْتَ فَقَدْ أَقْرَرْتَ ؛ فِيمَا أَنْ تَرْضِيهِ ، وَإِلَّا أَقْدَمْتُهُ مِنْكَ . قَالَ . أَتُقَيِّدُهُ مِنِّي وَأَنَا مَلِكٌ وَهُوَ سُوقَةٌ ! !

* الخزانة : ٤ - ٢٩٨ ، الأغانى : ١٤ - ٤ ، المقدم : ٢ - ٥٦ ، طبعة لجنة التأليف .
(١) جبلة بن الأيهم آخر ملوك الفساسنة في بادية الشام ، عاش زمنًا في العصر الجاهلي ، ولما ظهر الإسلام أسلم في أيام عمر ، ثم ارتد وحاد إلى الشام ومنها إلى القسطنطينية حيث أقام عند هرقل إلى أن توفي سنة ٢٠ هـ . (٢) يريد رأسه .

قال عمر : يا جبلة ! إنه قد جمعك وإياه الإسلام ، فما تفضله بشيء إلا بالتقوى
والعافية ، قال جبلة : والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .
قال عمر : دَعُ عنك هذا ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أقدته منك ، قال جبلة : إذن
أنتصر . قال : إن تنصرت ضربت عنقك . واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت
تكون فتنة . فقال جبلة : أخرني إلى غدٍ يا أمير المؤمنين . قال : ذلك لك .

ولما كان جُنح الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة ، وسار حتى دخل القسطنطينية
على هرقل فتعصر ، وأقام عنده ؛ وأعظم هرقلُ قدومَ جبلة ، وسرَّ بذلك ، وأقطعه
الأموال والأرضين والرباع ^(١) ، وجعله من محدثيه وسمَّاه .

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا ^(٢) إلى هرقل يدعوهُ إلى الإسلام ، وأجابه إلى
المصالحة على غير الإسلام ، أراد أن يكتبَ جوابَ عمر ، وقال للرسول : أقيمت
ابن عمك هذا الذي يبeldنا - يعني جبلة - الذي أتانا راغباً في ديننا ؟ قال : مالقيته ،
قال : ألمه ، ثم اتنتى أعطك جواب كتابك .

وذهب الرسول إلى باب جبلة ، فإذا عليه من القهارة والحجاب والبهجة وكثرة
الجمع مثل ما على باب هرقل . قال الرسول : فلم أزل أتلف في الإذن حتى أُذن
لي ، فدخلت عليه ، فرأيت رجلاً أذهب ^(٣) اللحية ذا سبال ^(٤) ، وكان عهدي به
أسمر أسود اللحية والرأس ، فنظرت إليه فأنكرته ، فإذا هو قد أتى بسُحالة ^(٥)
الذهب ، فذرها في لحيته حتى عاد أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير ^(٦) ،
قوائمه أربعة أسود من ذهب .

(١) الرباع جمع ربيع : الدار . (٢) هو جثامة بن مساحق السكناني . (٣) الصهبة : حمرة
يعلوها سواد . (٤) السبال : جمع سبلة وهي ما على الشارب من الشعر . (٥) السحالة :
ما سقط من الذهب والفضة ونحوها إذا بردا . (٦) القوارير : شجر تعمل منه الرجال والموائد
والقوارير من الزجاج أيضاً .

فلما عرفني رفعني معه في السرير ، ورحب بي ، ولامني ، على تركي النزول عنده ، ثم جعل يسألني عن المسلمين ، فذكرتُ خيراً وقلت : قد أضعفوا^(١) أضعافاً على ما تعرف ؛ فقال : كيف تركتَ عمر بن الخطاب ؟ قلت : بخير ، فرأيت النعم قد تبين فيه ، لما ذكرتُ له من سلامة عمر . ثم انحدرتُ عن السرير ، فقَالَ : لِمَ تأتي الكرامة التي أكرمناك بها ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا . قال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقِّ قلبك من الدَّس ولا تبالِ علام تعدت . فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم ظمعتُ فيه ، فقلت له : ويحك ! يا جبلة ، ألا أسلم وقد عرفتَ الإسلام وفضله . قال : أبعد ما كان مني ؟ قلت : نعم : قد فعل رجلٌ من قزارة أكثر مما فعلت : ارتدَّ عن الإسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع إلى الإسلام ، وقبِل ذلك منه ، وخلفته بالمدينة مسلماً . قال : دزني من هذا ، إن كنتَ تضمن لي أن يزوجهني عمر ابنته ، ويوليَّني الإمرة بعده رجعتُ إلى الإسلام . قال : ضمنت لك التزويج ، ولم أضمن لك الإمرة . قال : لا .

فأوماً إلى خادم بين يديه ، فذهب مسرعاً ، فإذا خدَم قد جاءوا يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضيت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة ، وقال لي : كُلْ قبضت يدي ، وقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل في آنية الذهب والفضة ، فقال : نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقِّ قلبك وكُلْ فيما أحبت . وأكل في الذهب والفضة ، وأكلت في الخليج^(٢) .

(١) أضعف الشيء : زيد على أصله فيجعل مثليين أو أكثر . (٢) الخليج : الحفنة .

فلما رُفِعَ الطعامُ جِيءَ بِطِيسَاسٍ^(١) الفضة وأباريق الذهب ، وأومأ إلى خادم بين يديه ، فرمّ مسرعاً ، فسمعت حسّاً ، فالتفتُ . فإذا خدَمٌ معهن الكراسي مرصعة بالجواهر ، فوُضِعَت عشرة عن يمينه ، وعشرة عن يساره ، ثم سمعت حسّاً ، فإذا عشر جوار قد أقبلن مَطْمُومَاتٍ^(٢) الشعر متكسراتٍ في الخلى ، عليهن ثياب الدِّياج ، فلم أرَ وجوهاً قط أحسنَ منهن ، فأقعدهن على الكراسي عن يمينه ، ثم سمعت حسّاً فإذا عشر جوارٍ أخرى فأجلسهن على الكراسي عن يساره ، ثم سمعت حسّاً ، فإذا جاريةٌ كأنها الشمس حسناً وعلى رأسها تاجٌ ، وعلى ذلك التاج طائر لم أرَ أحسنَ منه ، وفي يدها اليمنى جامةٌ^(٣) فيها مسك وعنبر ، وفي يدها اليسرى جامةٌ فيها ماء ورد ، فأومأت إلى الطائر ، فوقع في جامةِ ماء الورد فاضطرب فيه ، ثم أومأت إليه فطار حتى نزل على صليب في تاج جبلة ، فلم يزل يُرْفرف حتى نفذ مافي ريشة عليه؛ وضحك جبلة من شدة السرور ، حتى بدت أنيابه ، ثم التفت إلى الجوارى التي عن يمينه ، فقال : بالله أطرُ بنى . فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن^(٤) :

للهِ درُ عِصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ يوماً بجلقٍ^(٥) في الزمانِ الأوَّلِ
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ^(٦)
أَوْلَادُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يُفَشُونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابَهُمْ^(٧) لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ

(١) الطيساس : جمع الطيس ، وهو الطلست . (٢) طمت شعرها : عقصته وهو مطموم ، والعص : أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ، ثم تمقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها . (٣) إناء من فضة . (٤) الشعر لحسان بن ثابت . (٥) جلق : شق . (٦) البريص : نهر بدمشق . ويردى : نهر بدمشق أيضاً . وتصفيق الشراب : مزجه ، الرحيق : الحمر . سلسل : لين (٧) تهر كلابهم : هزير الكلب : صوته دون النباح .

بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهمُ شمُّ الأنوفِ مِنَ الطرازِ الأوَّلِ
فضحك حتى بدت نواجذهمُ ، ثم قال : أتدرى من قائل هذا ؟ قلت : لا ،
قال : قاله حسانُ بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم التفت إلى
الجوارى اللاتي عن يساره ، فقال : بالله أبكيننا . فاندفعن يتغنين ، وهن يحققن
بعيدانهن .

فبكى حتى جعلت الدموعُ تسيل على خديه ، ثم قال : أتدرى من قائل هذا
الذي تغنين به ؟ قلت : لا أدري ، قال : حسان بن ثابت ، ثم أنشأ يقول :

تنصرتِ الأشرافُ من عارٍ لطمَةٍ وما كان : فيها - لو صبرتُ لها صررَ
تكنفني منها لجأجٌ ونحوَةٌ ويغتُ لها العينَ الصحيحةَ بالعوزَ
فيأليت أمي لم تلدني وليتني رجعتُ إلى الأمرِ الذي قال لي عمرُ
ويأليتني أرغى المخاضُ ^(١) بقفرةٍ وكنتُ أسيراً في ربيعة أو مضرَ
ويأليت لي بالشامِ أدنى معيشةٍ أجالسُ قومي ذاهبَ السمعِ والبصرَ

ثم سألتني عن حسان : أحي هو ؟ قلت : نعم ، تركته حياً . فأمر لي بكسوة
ومال ، ونوق مؤقرة بُرا ، ثم قال لي : إن وجدته حياً فادفع إليه الهدية ، وأقرنه
سلامي ، وإن وجدته ميتاً فادفعها إلى أهله ، وانحر الجمالَ على قبره .

فلما قدمتُ على عمر وأخبرته خبر جيلة ، وما دعوته إليه من الإسلام ،
والشرط الذي شرطه ، وأنى ضمنت له التزويج ، ولم أضمن له الإمرة قال :
هلاً ضمنت له الإمرة ؟ فإذا أفاء الله به إلى الإسلام قضى عليه بحكمه عز وجل !
ثم ذكرتُ له الهدية التي أهداها إلى حسان بن ثابت . فبعث إلي ، وقد كُفَّ

(١) المخاض ، نوق مخاض : حوامل .

بصره فأُتي به ، وقائدٌ يقوده . فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ؛ إني لأجد رباح
آل جَفْنَةَ عندك . قال : نعم ؛ هذا رجل أقبل من عند جبلة ، قال : هات يابن أخي ؛
إنه كريم من كرام مدحتهم في الجاهلية ، خلف أن لا يلتقى أحدا يعرفني إلا أهدى
إليّ معه شيئاً : فدفعْتُ إليه الهدية : المال ، والثياب ، وأخبرته بما كان أمر به في
الإبل إن وُجد ميتاً . فقال : وددت أني كنت ميتاً فنُجرت على قبري ؛ وانصرف
يقول :

إن ابن جَفْنَةَ من بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ لم يَفْذُهمْ آباؤهم باللومِ
لم يَنْسَى بالشامِ إذ هوربهُ مَلِكاً ولا مُتَنَصِّراً يارثوهم
يُعْطِي الجيزيلَ ولا يراه عنده إلا كبعضِ عَطِيَّةِ المذمومِ

فقال له رجل كان في مجاس عمر : أنذركُ ملوكاً كفّرة أبادهم الله وأنفام ؟
قال : ممن الرجل ؟ قال : مُرَتِي . قال . والله لولا سوابقُ قومك مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم لطوّقتُكَ طَووقَ الحمامة .

قال : ثم جهزني عُمر إلى قيصر ، وأمرني أن أضمن لجبلة ما اشترط به ، فلما
قدّمت القسطنطينية وجدتُ الناس منصرفين من جنازته ، فعلت أن الشقاء غلب
عليه في أمّ الكتاب .

٩ — بصيرة العباس *

كان بين العباس (١) بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب مباحدة ، فلقى ابن عباس علياً ، فقال : إن كان لك في النظر إلى عمك حاجة فأتني ، وما أراك تلقاه بعدها لها . فقال علي : تقدمني واستأذن . فتقدم ابن عباس واستأذن لعلي ، فأذن له ودخل ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، وأقبل علي على يد العباس ورجله يقبلهما ، ويقول : يا عم ؛ أرض عني — رضى الله عنك — قال : قد رضيت عنك . ثم قال : يا ابن أخي ؛ قد أشرت عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل ، ورأيت في عاقبتها ما كرهت ، وهأنذا أسيبرُ عليك برأي رابع ، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان قبله . قال : وما ذاك يا عم ؟ قال : أشرت عليك في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسأله . فإن كان الأمرُ فينا أعطانا ، وإن كان في غيرنا أوصى بنا ، فقلت : أخشى إن مَنَعناه لا يعطيناه أحد ، فضت تلك !

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى أن نبأيمك ، وقلت : ابسط يديك أبايعك وبيأيمك هذا الشيخ ، فإننا إن بايعناك لم يختلف عليك أحدٌ من بني عبد مناف ، وإذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك قُرشي ، وإذا بايعتك قريش لم يختلف عليك أحدٌ من العرب . فقلت : لنا بجهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلٌ ، وهذا الأمر

* ابن أبي الحديد : ١ - ١٣١

(١) كان من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام ، كان سديد الرأي ، واسع العقل ، أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه ، ثم هاجر إلى المدينة وشهد موقعة حنين وفتح مكة ، توفي سنة ٣٢ هـ .

لا يُخشى عليه ، فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة^(١) ، فقلت ياعم : ما هذا ؟ قلتُ : ما دَعَوْنَاكَ إِلَيْهِ ! فَأَبَيْتَ وَقَلْتَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَوْ يَكُونُ هَذَا ؟ قلتُ : نعم ، قلتُ : أَفَلَا يُرَدُّ ؟ قلتُ لك : وهل رُدَّ مثل هذا قط .

ثم أشرتُ عليك حين طُعِنَ عمر ، فقلتُ : لا تُدْخِلْ نَفْسَكَ فِي الشُّورَى ؛ فَإِنَّكَ إِنْ اعْتَزَلْتَهُمْ قَدَّمُوكَ ، وَإِنْ سَاوَيْتَهُمْ تَقَدَّمُوكَ ، فَدَخَلْتَ مَعَهُمْ ، فَكَانَ مَا رَأَيْتَ .

ثم أنا الآن أُشيرُ عليك برأى رابع ، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان قبله : إني أرى أن هذا الرجل - يعني عثمان - قد أخذ في أمورِ الله ؛ وكأني بالعرب قد سارت إليه حتى يُنحَرَ في بيته كما يُنحَرَ الجمل ، والله إن كان ذلك وأنت بالمدينة لزمك الناسُ به ، فإذا كان ذلك لم تفل من الأمر شيئاً إلا من بعد شرٍّ لا خير معه .

قال ابن عباس : فلما كان يوم الجمل عرضتُ لعلِيّ ، وقد قُتِلَ طَلْحَةَ ؛ وقد أ كثر أهلُ الكوفة في سبِّهِ وَعَمَصِهِ^(٢) . فقال عليّ : أما والله لئن قالوا ذلك لقد كان كما قال :

فَإِذَا كَانَ يَدُنِيهِ النَّعْنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ
ثم قال : لكَأَنَّ عَمِي يَنْظُرُ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ رَقِيقٍ ، وَاللَّهِ مَا نَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ شَيْئاً إِلَّا بَعْدَ شَرٍّ لَا خَيْرَ مَعَهُ !

(١) السقيفة : هي المكان المظلل ، واسمها الصفة ، وسقيفة بني ساعدة هي التي يبيع فيها لأبي بكر بسد حوار طويل بين المهاجرين والأنصار . (٢) غمصه : احتقره ، وما به ، وتهاون بحقه .

١٠ - أثرُ المعروف *

وفد أهل الكوفة على معاوية في دمشق حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده ،
وفي أهل الكوفة هاني بن عروة المرادي^(١) ، وكان سيداً في قومه ، فقال يوماً في
مسجد دمشق ، والناس حوله : العجب لمعاوية يريد أن يقسِرنا^(٢) على بيعة
يزيد ، وحاله حاله ، وما ذاك والله بكائن .

وكان يجلس في القوم غلامٌ من قريش ، فتحمل^(٣) الكلمة إلى معاوية ،
فقال معاوية : أنت سمعت هانثاً يقولها ؟ قال : نعم ! قال : فأخرج فأب حلقته ،
فإذا خف الناسُ عنه ، فقل له : أيها الشيخ ، قد وصلت كلمتك إلى معاوية ، ولست
في زمن أبي بكر وعمر ، ولا أحبُّ أن تتكلم بهذا الكلام ، فإنهم بنو أمية ،
وقد عرفت جزأتهم وإقدامهم ، ولم يدعني إلى هذا القول لك إلا النصيحة
والإشفاق عليك . ثم انظر ما يقول ، فأنتني به .

فأقبل الفتى إلى مجلس هاني ، فلما خف من عنده دنا منه ، فقص عليه
الكلام ، وأخرجه مُخرَج النصيحة له ، فقال هاني : والله يا ابن أخي ما بلغت
نصيحتك كل ما أسمع ، وإن الكلام للكلام معاوية أعرفه . فقال الفتى : وما
أنا ومعاوية ؟ والله ما يعرفني . قال : فما عليك ! إذا لقيته فقل له : يقول لك هاني :
والله ما إلى ذلك من سبيل ، انهض يا ابن أخي راشداً .

* ابن أبي الحديد : ٤ - ٣٢٧

(١) هاني بن عروة المرادي : أحد سادات قريش وأشرفهم ، قتله عبد الله بن زياد سنة ٥٦٠ هـ .

(٢) يكرهنا عليها (٣) تحمل : بمعنى حمل

فقام الفتى فدخل على معاوية ، فأعلمه ، فقال : نستعين بالله عليه .
ثم قال معاوية بعد أيام للوفد : ارفعوا حوائجكم ، وهاني فيهم ، فعرض عليه
كتابه فيه ذكر حوائجه . فقال : يا هاني ؛ ما أراك صنعت شيئاً ؛ زد . فقام هاني
فلم يدع حاجة عرضت له إلا ذكرها . ثم عرض الكتاب عليه ، فقال : أراك
قصرت فيما طلبت . زد ، فقام هاني ، فلم يدع حاجة لقومه ، ولا لأهل مصره إلا
ذكرها ، ثم عرض عليه الكتاب ، فقال : ما صنعت شيئاً ، زد ! فقال : يا أمير
المؤمنين ؛ حاجة بقيت ! قال : ما هي ؟ قال : أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير
المؤمنين بالعراق ! قال : افعل ، فما زلت لمثل ذلك أهلاً .
فلما قدم هاني العراق قام بأمر البيعة ليزيد بمعونة من المغيرة بن شعبة وهو
والي العراق يومئذ .

١١ — في البيعة ليزيد بن معاوية *

كتب معاوية إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه ؛ فوفد من كل مِصر قوم ،
ثم جلس في أصحابه وأذن للوفود فدخلوا ، وقد تقدم إلى أصحابه أن يقولوا
في يزيد ^(١)

فكان أول من تكلم الضحك بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لا بد
للناس من والٍ بعدك ، والأنفس يُغدى عليها ويُرَاح ، وإن الله قال : « كل يوم
هو في شأنٍ » ، ولا تدرى ما يختلف به العُصران ^(٢) ، ويزيدُ ابن أمير المؤمنين ،
في حُسن مَعَدِنه ، وقصد سيرته ^(٣) من أفضلنا حِلماً ، وأحكماً علماً ، فولّه عهدك ،
واجعله لنا علماً بعدك ؛ فإننا قد بلّونا الجماعة والألفة فوجدناها أحقن للدماء ، وآمن
للشبل ، وخيراً في العاقبة والآجلة .

ثم تكلم عمرو بن سعيد . فقال : أيها الناس ؛ إن يزيد أملٌ تأملونه ، وأجلٌ
تأمّنونه ^(٤) ، طويلُ الباع ، رَحْبُ الدَّرَاع ، إذا صيرتم إلى عدله وسِعكم ، وإن
طلبتم رِفْدَه أغناكم ، جَذَع ^(٥) قارح ؛ سُبوق فسبِق ، ومُوجدَ فمَجِد ، وقورع

* ذيل الأمل : ١٧٥ ، العقد الفريد ٤ : - ٣٦٩ طبعة لجنة التأليف .

(١) هو يزيد بن معاوية ، وكنيته أبو خالد ، كان أحور العينين ، بوجه آثار جدي ، حسن
الهيئة خفيفها ، ول الحلافة بعد موت أبيه سنة ٦٠ ، ومات سنة ٦٤ هـ (٢) العُصران : الليل والنهار .
(٣) استقامتها (٤) يشير إلى ما ينتظر من طول مدة ولايته ، فقد ولي حدثاً (٥) قال في
اللسان : قال ابن الأعرابي : إذا استتم الفرس سنتين ودخل في الثالثة فهو جذع . وقرح الفرس
يقرح إذا انتهت أسنانه ، والمراد أن يزيد فتى قوى .

قَرَعَ، خَلَفَ مِنْ أمير المؤمنين ولا خَلَفَ منه . فقال : اجلس أبا أمية ؛ فلقد
أوسعت وأحسن .

ثم قام يزيد بن المقفع فقال : أمير المؤمنين هذا - وأشار إلى معاوية - فإن
هلك فهذا - وأشار إلى يزيد - فمن أبي فهذا - وأشار إلى سيفه - فقال معاوية :
اجلس ؛ فإنك سيد الخطباء .

ثم تكلم الأحنف بن قيس ^(١) ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنت أعلم بيزيد في
ليله ونهاره ، وسره وعلايته ، ومدخله ومخرجه ؛ فإن كنت تعلمه لله رضا ولهذه
الأمّة فلا تشاور الناس ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت
تذهب إلى الآخرة . ثم بايع الناس ليزيد .

ولما استقام الأمر لمعاوية بالشام والعراق ببيعة يزيد كتب إلى مروان بن الحكم
عامله على المدينة : أن ادع أهل المدينة إلى بيعة يزيد ؛ فإن أهل الشام والعراق قد
بايعوا . فقرأ كتابه وقال : « إن أمير المؤمنين قد كبرت سنّه ، ودقّ عظمه ، وقد
خاف أن يأتيه أمر الله تعالى ، فيدع الناس كالغنم لا راعي لها ، فأحب أن يُعلم
علماً ، ويقم إماماً » . فقالوا : وفق الله أمير المؤمنين وسدّ به ، ليفعل .

فكتب بذلك إلى معاوية ، فكتب إليه : أن سمّ يزيد . فقرأ الكتاب
عليهم وسمّى يزيد ، وقال : سنّة أبي بكر الهادية المهديّة ؛ فقال له عبد الرحمن بن
أبي بكر : كذبت ! إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ، وبايع لرجل من بني عدى
رضى دينه وأمانته ، واختاره لأمّة محمد صلى الله عليه وسلم ، كذبت والله يامروان ،
وكذب معاوية معك ! لا يكون ذلك . لا تُحدّثوا علينا سنّة الرّوم ، كلمات
هرقل قام مكانه هرقل .

(١) لقيه الضحاك ، والأحنف اسمه .

فقال مروان : أيها الناس ؛ إن هذا التكلم هو الذي أنزل الله فيه : « والذى
قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ ! أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي » .
فقال عبد الرحمن : يا بن الزرقاء ؛ أفينا تتأول القرآن !

وتكلم الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر، وأنكروا بيعة
يزيد ، وتفرق الناس . فكتب مروان إلى معاوية بذلك .

ولما علم معاويةُ خرج إلى المدينة في ألف ، وحينما قَرَّبَ مِنْهَا تلقاه الناس ،
فلما نظر إلى الحسين قال : مرحباً بسيد شباب المسلمين ، قَرَّبُوا دَابَّةَ لأبي عبد الله .
وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر : مرحباً بشيخ قريش وسيدّها وابن الصديق . وقال
لابن عمر : مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق ، وقال لابن الزبير : مرحباً
بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، ودعا لهم بدواب فحملهم
عليها ، وخرج حتى أتى مكة ، فقضى حجّه .

ونما أراد الشُّخُوصُ أمر بأثقاله^(١) فقدّمت ، وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة ،
وأرسل إلى الحسين وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير . فاجتمعوا ، وقالوا
لابن الزبير : أكفينا كلامه ، فقال : على ألا تخالفوني ؟ قالوا : لك ذلك .

ثم أتوا معاوية ، فرحّب بهم وقال لهم : قد علمتم نظري لكم ، ونعطفني
عليكم ، وصليتي أرحامكم ، ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وإنما أردتُ أن أقدمه
باسم الخلافة ، وتكونوا أتم تأمرؤن وتنهون ؛ فسكتوا .

وتكلم ابن الزبير فقال : نخبيرك بين إحدى ثلاث : أيها أخذت فهي لك

(١) الثقل : المتاع ، جمعه أثقال .

رغبة ، وفيها خيار : إن شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قبضه الله ولم يستخلف ، فدع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم . وإن شئت فاصنع أبو بكر ، عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الأذنين من كان لها أهلا . وإن شئت فاصنع عمر ، صيرها إلى سبعة نفر من قريش ، يختارون رجلاً منهم ، وترك ولده وأهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها أهلا .

قال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا . ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا : نحن على ما قال ابن الزبير ! فقال معاوية : إني أتقدم إليكم وقد أعذر من أنذر ! إني قاتل مقاتلة ، فأقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في مقامى هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه ! وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلان بسيفهما ، فإن تكلم بكلمة يرُدُّ بها عليه قوله قتلاه .

وخرج وأخرجهم معه حتى رقى المنبر ، وحفَّ به أهل الشام ، واجتمع الناس ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا وجدنا أحادبث الناس ذات عوار^(١) ، قالوا : إن حسيناً وابن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير لم يبايعوا ليزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم ، لا نُبرم أمراً دونهم ، ولا نقضى إلا على مشورتهم ، وإني دعوتهم فوجدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا وأطاعوا .

فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء ؟ ائذن لنا فنضرب أعناقهم ، لا نرضى حتى يبايعوا علانية . فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش بالشر وأحلى دماءهم ! أنصتوا ، فلا أسمع هذه المقالة من أحد . ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا . ثم قرَّبَت رواحله ، فركب .

(١) العوار هنا : العيب .

فقال الناس للحسين وأصحابه : قلتُم لا نبايع ، فلما دُعيتُم وأرضيتُم ببايعتُم .
قالوا : لم نفعل . قالوا : بلى ، فعلتُم وبايعتُم ، أفلا أنكرتُم ! قالوا : خفنا القتل ،
وكاد بنا وكاد بكم .

١٣ - ذر الوجهين لا يكونُ عند الله وجهياً*

لما نصب معاوية يزيد لولاية العهد أقعدَه في قُبَّة حمراء ، فجعل الناسُ يسلمون
على معاوية ، ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجلٌ ففعل ذلك ، ثم رجع إلى معاوية
فقال : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنك لو لم تُولِّ هَذَا أمور المسلمين لأضعتَهَا !
والأحنف^(١) جالس .

فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بَحر؟ فقال : أخاف الله إن كذبتُ ،
وأخافكم إن صدقتُ ؛ فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً ! وأمر له بألوف !
فلما خرج الأحنف لقيه الرجلُ بالباب ، فقال : يا أبا بَحر ؛ إني لأعلم أن شرَّ
مَنْ خلق اللهُ هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال ؛
فلسنا نطمعُ في استخراجها إلا بما سمعت !

فقال له الأحنف : يا هذا ؛ أمسِك ، فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكون عند
الله وجهياً .

* الكامل للبرد : ١ - ٣٠

(١) اسمه الصحاك بن قيس ، والأحنف لقبه ، سيد تميم وأحد الظلاء الدهاة الفصحاء الشجعان
الفاحين ، يضرب به المثل في الحلم ، وله في هذا الباب نوادر مشهورة ، توفي سنة ٦٧ هـ .
(٣ - قصص - ٣)

١٣ — الحجاج وأهل العراق *

لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق ، جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده ، وقال : أيها الناس ، إن العراق كدُر ماؤها ، وكثُر غَوَاؤها ، واملولح عذبها ، وعظُم نخطبها ، وظهر ضرامها^(١) وعسر إخماد نيرانها ؛ فهل من مُمهدٍ لهم بسيفٍ قاطع ، وذهنٍ جامع ، وقلب ذكي ، وأنفٍ حمي ، فيخمد نيرانها ، ويردع غيلانها ، وينصف مظلومها ، ويداوي الجرح حتى يتدمل ، فتصفو البلاد ، ويأمن العباد ؟

فسكت القوم ، ولم يتكلم أحد . فقام الحجاج^(٢) ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أنا للعراق . قال : ومن أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا الحجاج بن يوسف . قال : ومن أين ؟ قال : من ثقيف . قال : اجلس ، لا أم لك ! فلست هناك !

ثم قال : مالي أرى الرهوسَ مُطرقةً ، والألسُنَ معتقلة ! فلم يجبه أحد . فقام إليه الحجاج ، وقال : أنا مُجدل^(٣) الفساق ، مطفي نارِ النفاق ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا قاضم^(٤) الظلمة ، الحجاج بن يوسف ، معدنُ العفو والعقوبة ، وآفةُ الكفر والريبة . قال : إليك عني وذاك ! فاسبتَ هناك !

ثم قال : من للعراق ؟ فسكت القوم ، وقام الحجاج ، وقال : أنا للعراق . فقال : إذن أظنك صاحبها والظافرِ بغنائمها ؛ وإن لكل شيء - يابن يوسف - آيةٌ وعلامة .

* المستطرف : ١ - ٥١ ، الكامل : ١ - ٢٢٣ ، رغبة الأمل : ٤ - ٧٥

(١) ضمرت النار : اشتعلت (٢) الحجاج بن يوسف الثقفي ، نشأ بالطائف واتصل بعبد الملك ابن مروان ولم يزل يرقى إلى أن ولي العراق والمشرق ، وطار ذكره وعظم سلطانه ، وهلك بواسطة سنة ٩٥ هـ (٣) جدله : صرعه (٤) الفضم : الأكل بأطراف الأسنان .

فَمَا آيَتُكَ؟ وما علامتك؟ قال: العقوبة والنفوس والافتقار والبسط والازورار^(١)، والإدناء والإبعاد، والجفاء والبر، والتأهب والحزم، وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب، فمن جاد لنى قطعة، ومن ناز عنى قصمته، ومن خالفنى نزعته، ومن دنانى أكرمته، ومن طالب الأمان أعطيته، ومن سارع إلى الطاعة بجلته، فهذه آيتى وعلامتى؛ وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلىنى، فإن كنت للأعناق قطعاً، وللأموال جماعاً، وللأرواح نزاعاً، ولك فى الأشياء نقاعاً، وإلا فليستبدل بى أمير المؤمنين، فإن الناس كثير، ولكن من يقوم بهذا الأمر قليل.

فقال عبد الملك: أنت لها، فما الذى تحتاج إليه؟ قال: قليل من الجند والمال.

فدعا عبد الملك صاحب جنده، وقال له: هيى له من الجند شهوته، وألزمهم طاعته، وتحذرم مخالفته. ثم دعا الخازن، فأمره بمثل ذلك.

فخرج الحجاج قاصدا العراق، فبينما الناس فى المسجد الجامع بالكوفة، إذ أتاهم آت، فقال: هذا الحجاج؛ قدم أميراً على العراق، فتطاولت الأعناق نحوه، وهو يمشى، وعليه عمامة قد غطى بها أكثر وجهه، متقلداً أسيفه، متنكباً^(٢) قوساً، حتى صعد المنبر، فلم يتكلم كلمة واحدة، ولا نطق بحرف، حتى غص^(٣) المسجد بأهله، وأهل الكوفة يومئذ ذو حال حسنة، وهيتة جميلة؛ فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه، عليهم الخبز والديباج.

(١) ازور عن الشىء: عدل منه وانحرف.

(٢) تنكب القوس: ألقاه على منكبيه.

(٣) غص بأهله: ضاق.

فقال الناسُ بعضهم لبعض : قَبِحَ اللهُ بنى أمية حيثُ تستعمل مثل هذا على العراق ! حتى قال عمير بنى ضابيُّ البزْجِي . أَلَا أَحْصِيَهُ^(١) لكم ؟ فقالوا : أمِهلْ حتى نَنْظُرُ ، فلما رأى عيونَ الناسِ شاخِصَةً إليه ، حَسَرَ اللَّثَامَ عن فيه ، ونهَضَ فقال :

أنا ابنُ جَلَا^(٢) وطلّاعُ الشَّنَايَا^(٣) متى أُضِعَ العِمامَةَ^(٤) تَعْرِفُونِي
ثم قال : يَاهِلَ الكُوفَةِ ؛ إني لأرى رُءُوساً قد أَيْنَعَتْ^(٥) ، وَحَانَ قِطَافُهَا ،
وإني لصاحبها ، وكأني أنظرُ إلى الدماءِ بين العائمِ واللحي ؛ ثم قال :

هذا أوانُ الحربِ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ^(٦) قد لَقَّهَا الليلُ بِسِوَاكِ حُطَمٍ^(٧)
لستُ براعيَ إبِلٍ ولا غَنَمٍ ولا بِجَزَارٍ على ظَهْرِ وَصَمٍ^(٨)
إني والله يَاهِلَ العراقِ ، ما يُقَعِّعُ لي بالشَّنَانِ^(٩) ، ولا يُغَمِّزُ جانبي كَتَغَازِ التَّيْنِ ،
ولقد فُرِرتُ عن ذِكَاءٍ^(١٠) ، وَفُنِّشْتُ عن تَجْرِبَةٍ ، وإن أميرَ المؤمنين - أطال اللهُ
بِقَاءَهُ - نثرَ كِنَانَتَهُ بين يديه ، فَعَجِمَ^(١١) عِيدَانَهَا ، فوجدني أمرَّها عوداً ، وأصلبها
مَكْسِيراً ، فرما كم بي ؛ لأنكم طالما أَوْصَعْتُمْ^(١٢) في القِتَنِ ، واضطَجَعْتُمْ في مِرَاقِدِ

(١) حصبه : رماه بالحصى . (٢) أى أنا الظاهر الذى لا يخفى وكل أحد يعرفني ، وجلا اسم رجل سمى بالفعل الماضى ، وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل .
(٣) الشنايا : جمع ثنية ، والثنية : الطريق في الجبل ، وقد أراد أنه جلد . (٤) العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم . (٥) أينعت : أدركت ونضجت . (٦) زيم : اسم ناقة أو فرس وهو يخاطبها بأمرها بالعدو ، وحرف النداء محذوف . (٧) هو العنيف برعاية الإبل في السوق والإيراد والإصدار ويلقى بعضها على بعض ، ضربه مثلا لوالى السوء . (٨) الوصم : كل ما قطع عليه اللحم . (٩) الشنان : واحدها شن . وهو الجلد اليابس ، فإذا قمع به نقرت الإبل منه ، فضرب ذلك مثلا لنفسه . (١٠) ذكاء : تمام السن ، والذكاء على ضربين : أحدهما تمام السن ، والآخر حدة القلب (١١) اختبرها لينظر أيها أصلب . (١٢) الإيضاع : ضرب من السير .

الضلال، والله لأخزى منكم حزم السَّلَمَةِ^(١)، ولأضر بكم ضرب غرائب^(٢) الإبل؛ فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وإني والله ما أقول إلا وقيت ، ولا أمم إلا أمضيت ، ولا أخلق^(٣) إلا قرئت^(٤)، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ، وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه إلا ضربت عنقه .

يا غلام ؛ اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين . سلام عليكم . فلم يقل أحد منهم شيئاً ، فقال الحجاج : اكف يا غلام ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً ! هذا أدب ابن نهية^(٥) ! أما والله لا وددت بكم غير هذا الأدب ، أولتستقيمين !

اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين . فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام .

ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم ، فجعلوا يأخذون ، حتى أتاه شيخ يرعش كبراً ؛ فقال : أيها الأمير ، إني من الضعف على ما ترى ، ولي ابن هو أقوى على الأسفار ، فتقبله بدلا مني ؟ فقال له الحجاج : نفعل أيها الشيخ .

(١) السَّلَمَةُ : شجرة شاذة ، يمسر خرط ورقها ، فيشد بعضها إلى بعض ، ثم يضربها الحابط فينثر ورقها . (٢) ضرب غرائب الإبل : هو مثل ضربه يهدد به رعيته ، وذلك أن الإبل إذا دخلت بينها غريبة وهي ترد الماء ضربها راعيها ضرباً مؤلماً حتى تخرج . (٣) أخلق : أقدر . (٤) فراءه : شقه ضالماً أو فاسداً . (٥) ابن نهية : رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج .

فلما ولى قال له قائل^(١) : أتدرى من هذا أيها الأمير؟ قال : لا ، قال : هذا
عمير بن ضابيُّ البُرجمي الذي يقول أبوه :

هَمَمْتُ ولم أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَكَلَيْتَنِي تَرَ كْتُ عَلَى عَمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ
وَدَخَلَ هَذَا الشَّيْخُ عَلَى عَمَانَ مَقْتُولًا فَوَطِءَ بَطْنَهُ ، فَكَسَرَ ضِلْعَيْنِ مِنْ
أَضْلَاعِهِ ! فَقَالَ : رَدَّوهُ . فَلَمَّا رُدَّ قَالَ لَهُ الْحِجَابُ : أَيُّهَا الشَّيْخُ هَلَّا بَعَثْتَ إِلَى أَمِيرِ !
الْمُؤْمِنِينَ عَمَانَ بَدَلًا يَوْمَ الدَّارِ^(٢) ؟ إِنْ فِي قَتْلِكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ لَصَلَاحًا لِلْمُسْلِمِينَ
يَا حَرَسِي^(٣) اضْرِبْ عُنُقَهُ .

(١) هو عنيسة بن العاص الأموي (٢) هو اليوم الذي قتل فيه عثمان .
(٣) الحرسي : واحد من حرس السلطان .

١٤ — نصيحة*

رَحَلَ الحجاج إلى عبدِ الملك بن مروان ومعه إبراهيمُ بن محمد بن طلحة ،
فلما قدم على عبدِ الملك سلّم عليه بالخلافة ، وقال : قدمتُ عليك يا أمير المؤمنين
برجلِ الحجاز في الشرف والأبوّة ، وكمال المروءة والأدب ، وحسن المذهب والطاعة ،
والنصيحة مع القرابة ، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة ، فافعلْ به يا أمير المؤمنين
ما يستحقُّه مثله في أبوّته وشرفه .

فقال عبد الملك : يا أبا محمد ؛ قد أذكركم تفاقماً واجيباً ، انذروا لإبراهيم !
فلما دخل وسلّم بالخلافة أمره بالجلوس في صدرِ المجلس ، وقال له : إن أبا محمد
ذكرنا ما لم نزلْ نعرفه منك من الأبوّة والشرف ، فلا تدع حاجةً في خاصّة أمرك
وعامته إلا سألتها .

فقال إبراهيم : أما الحوائجُ التي نبتغي بها الزلفى ، ونرجو بها الثواب ، فما كان
خالصاً لله ولنبيّه .

ولكنْ لك يا أمير المؤمنين عندي نصيحةٌ ، لا أجدُ بدءاً من ذكرى إياها !
قال : أمي دون أبي محمد ؟ قال : نعم ، قال : قم يا حجاج .
فنهض الحجاجُ خجلاً لا يُبصر أين يضع رِجله .

ثم قال له عبد الملك : قل يا ابنَ طلحة . قال : تالله يا أمير المؤمنين ، إنك
تمتدّت إلى الحجاج ، في ظلّمه وتعدّيه على الحق ، وإصغائه إلى الباطل ، فولّيته

الْحَرَمِينَ، وفيهما مَنْ فِيهِمَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،
يَسُومُهُمْ^(١) الْخُسْفَ، وَيَطْوُهُمْ بِطَنَامٍ^(٢) أَهْلَ الشَّامِ، وَمَنْ لَا رَأْيَ لَهُ فِي إِقَامَةِ
الْحَقِّ، وَلَا إِزَاحَةِ الْبَاطِلِ.

فَأُطْرُقَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: كَذَبْتَ يَا طَلْحَةَ، ظَنَّ فَيْكَ
الْحِجَابُ غَيْرَ مَا هُوَ فَيْكَ! قُمْ فَرَبِّمَا ظَنَّ الْخَيْرُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ!
قَالَ ابْنُ طَلْحَةَ: قَعَمْتُ وَأَنَا مَا أَبْصِرُ طَرِيقًا، وَأَتَّبِعُنِي حَرَسِيًّا^(٣)، وَقَالَ لَهُ:
أَشَدُّ يَدِكَ بِهِ. فَمَا زِلْتُ جَالِسًا حَتَّى دَعَا الْحِجَابُ.

فَمَا زَالَ يَتَنَاجِيَانِ طَوِيلًا، حَتَّى سَاءَ ظَنِّي، وَلَا أَشْكُ أَنَّهُ فِي أَمْرِي، ثُمَّ
دَعَا بِي، فَلَقَيْتَنِي الْحِجَابُ فِي الصَّحْنِ^(٤) خَارِجًا، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْ، وَقَالَ: أَحْسَنَ اللَّهُ
جَزَاءَكَ! فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّهُ يَهْزَأُ بِي. وَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَجْلَسَنِي بِمَجْلِسِ
الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بَنَ طَلْحَةَ، هَلْ أَطْلَعْتَ عَلَى نَصِيحَتِكَ أَحَدًا؟ فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَرَدْتُ إِلَّا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ ذَلِكَ.
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: قَدْ عَزَلْتُ الْحِجَابُ عَنِ الْحَرَمِينَ، لِمَا كَرِهْتَهُ فِيهِ، وَأَعْلَمْتُهُ
أَنَّكَ اسْتَقَلْتَنِي ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَسَأَلْتَنِي لَهُ وَلايَةَ كَبِيرَةً، وَقَدْ وَلِيْتَهُ الْعِرَاقِينَ، وَقَرَّرْتُهُ
لَهُ أَنْ ذَلِكَ بِسُؤَالِكَ، لِيَلِزِمَهُ مِنْ حَقِّكَ مَا لَا بَدَّ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِهِ، فَاخْرُجْ مَعَهُ غَيْرَ
ذَامٍ لِمُحِبَّتِهِ.

(١) يسومهم: يوليهم إياه ويريدهم عليه (٢) الطنم: أوغاد الناس (٣) الحرسي: واحد
حرس السلطان (٤) صحن الدار: وسطها.

١٥ — من حِيلِ الحجاج *

دخل عمرُ بن عبد العزيز قبل أن يُستخلف على الوليد بن عبد الملك ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إن عندي نصيحةً ، فإذا خلا لك عقلك ، واجتمع فهمك فسُني
عنها ؛ قال : ما يمنعك منها الآن ؟ قال : أنت أعلم أنه إذا اجتمع لك ما أقول فإنك
أحق أن تفهم .

فكث أياماً ثم قال : يا غلامُ ؛ مَنْ بالباب ؟ فقال له : ناسٌ وفيهم عمرُ بن
عبد العزيز ، فقال : أَدْخِلْهُ ، فدخل عليه فقال : نصيحتك يا أبا حفص ، فقال
عمر : إنه ليس بعد الشرك إنمَّ أعظمُ عند الله من الدم وإن عمَّالك يقتلون ،
ويكتبون : إن ذنبَ المقتول كذا وكذا ، وأنت المسئول عنه والمأخوذُ به ،
فاكتب إليهم : ألا يقتل أحدٌ منهم أحداً حتى يكتب إليك بذيبي ، ثم يُشهد
عليه ، ثم تأمر بأمرِك على أمرٍ قد وضح لك . قال : بارك الله فيك يا أبا حفص :
فكتب إلى الأمصار فلم يخرَجْ^(١) من ذلك إلا الحجاج ، فإنه أمضه^(٢) ،
وشقَّ عليه وألقه ، وظن أنه لم يكتب به إلى أحدٍ غيره ، فبحث عن ذلك فقال :
من أين دُهِينا ؟ ومن أشار على أمير المؤمنين بهذا ؟ فأخبر أن عمر بن عبد العزيز
هو الذي فعل ذلك ، فقال : هيهات ! إن كان عمر فلا نقضَ لأمره .

ثم إن الحجاج أرسل إلى أعرابي حروري^(٣) جافٍ من بكر بن وائل ، ثم قال
له : ماتقول في معاوية ؟ فقال منه . قال له : ماتقول في يزيد ؟ فسبته . قال :

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٣٩ .

(١) حرج : ضاق (٢) أمضه : آله وأوجهه (٣) الحرورية : فرقة من الخوارج ؛

ينسبون إلى حروراء ، موضع بظاهر الكوفة ، كان به أول اجتماعهم .

فما تقول في عبد الملك؟ فظلمه^(١). قال: فما تقول في الوليد؟ فقال: أجورهم حين
ولأك، وهو يعلم عداءك^(٢) وظلمك. فسكت عنه الحجاج، واقتصرها^(٣) منه.
ثم بعث إلى الوليد وكتب إليه: أنا أحوط لديني وأرعى لما استرعىمتني،
وأحفظ له من أن أقبل أحداً لم يستوجب ذلك، وقد بعثت إليك ببعض من كنت
أقبل على هذا الرأي، فشأنك وإياه.

فدخل الحروري على الوليد، وعنده أشرف أهل الشام وعمرو فيهم، فقال له
الوليد: ماتقول في؟ قال: ظالم جائر جبار! قال: ماتقول في عبد الملك؟ قال:
جبار عات، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: ظالم.

قال الوليد لابن الريان: اضرب عنقه، فاضرب عنقه، ثم قام فدخل منزله،
وخرج الناس من عنده، فقال: يا غلام: اردد على عمر، فردّه عليه فقال:
يا أبا حفص: ماتقول في هذا؟ أصبنا فيه أم أخطأنا؟ فقال عمر: ما أصبت بقتله،
ولفئير ذلك كان أرشد وأضوب، كنت تسجنه حتى يراجع الله عز وجل، أوتدركم
مبنته. فقال: شتيمني وشم عبد الملك، وهو حروري؛ أفستحل ذلك؟ قال:
لعمرى ما أستحلّه؛ لو كنت سجنته - إن بدا لك - أو عفوت عنه كان أرشد! فقام
الوليد مضطرباً، فقال ابن الريان لعمر: يفرّ الله لك يا أبا حفص، لقد رادت
أمير المؤمنين حتى طنت أنه سيأمرني بضرب عنقك! فقال عمر: ولو أمرت كنت
تفعل؟ قال: إي لعمرى!

(١) ظلمه: نسب إليه الظلم (٢) العداء: تجاوز الحد في الظلم (٣) اقتصرها: اتهمها.

١٦ — لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهُ *

أتى الحجاجُ بقومٍ ممن خرجوا عليه ، فأمر بهم فضربت أعناقهم ، وأقيمت صلاة المغرب وقد بقي من القوم واحد ، فقال لقتيبة بن مسلم : انصرف به معك حتى تغدو به على .

قال قتيبة : فخرجتُ والرجلُ معي ، فلما كنّا بيمض الطريق قال لي : هل لك في خير ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إني والله ما خرجتُ على المسلمين ، ولا استحللت قتالهم ؛ ولكن ابتليتُ بما ترى ، وعندى ودائع وأموال ، فهل لك أن تخلّي سبيلي ، وتأذن لي حتى آتي أهلي ، وأرُدّ على كل ذي حقٍ حقه ، وأوصي ؛ ولك عليّ أن أرجع حتى أضع يدي في يدك ؟ فعجبتُ له ، وتضاحكتُ لقوله ، ومضينا هنيئة ، ثم أعادَ عليّ القول ، وقال : إني أعاهدك الله ، لك عليّ أن أعودَ إليك . فما ملكتُ نفسي حتى قلت له : اذهب !

فلما توارى شخصه أسقط في يدي ، فقلت : ماذا صنعتُ بنفسي ؟ وأتيتُ أهلي مهموماً مغموماً ؛ فسألوني عن شأني فأخبرتهم ، فقالوا : لقد اجترأتَ على الحجاج .

فبتنا بأطول ليلة ، فلما كان عند أذان الفجر إذا الباب يُطرق ، فخرجتُ فإذا أنا بالرجل ، فقلت : أرجفتُ ؟ قال : سبحان الله ! جعلتُ لك عهدَ الله عليّ ،

أفأخونك ولا أرجع ! فقلت : أما والله إن استطعتُ لأُفعلنك . وانطلقتُ به حتى
أجلستُهُ على باب الحجاج ، ودخلت !

فلما رأني قال : يا قتيبة ؛ أين أسيرك ؟ قلت : أصلح الله الأمير - بالباب ،
وقد اتفق لي معه قصةٌ عجيبية ، قال : ماهي ؟ فحدثته الحديث ، فأذن له فدخل ،
ثم قال : يا قتيبة ، أتحبُّ أن أهبه لك ؟ قلت : نعم ! قال : هولك ! فانصرف به
معك .

فلما خرجتُ به قلت له : خذ أيَّ طريقٍ شئتَ ، فرفع طرفه إلى السماء وقال :
لك الحمدُ يارب ، وما كلفني بكلمة ، ولا قال لي أحسنتَ ولا أسأتَ ! فقلت في
نفسى : مجنون والله ! فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءني ، وقال لي : جزاك الله خيراً ،
أما والله ما ذهبَ عنى ما ضمنت ، ولكن كرهتُ أن أُشركَ مع حمد الله حمدَ أحدا

١٧ - لا أسألكم عليه أجرًا*

قال عثمان بن عطاء الخراساني : انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد الملك ، فلما قرُبنا إذا بشيخ على حمارٍ أسود عليه قميص دَنَس ، وجبة دَنَس ، وقلنسوة لاطئة^(١) دَنَس ، وركابه من خشب ؛ فضحكت منه ، وقلت لأبي : من هذا الأعرابي ! قال : اسكت ! فهذا سيدُ فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح^(٢) .

فلما قرب منا نزل أبي عن بقلته ، ونزل هو عن حمارة ، فاعتنقا وتساءلا ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام ؛ فما استقرَّ بهما الجلوس حتى أذن لهما .

فلما خرج أبي قلت له : حدثني ما كان منكما . قال : لما قيل لهشام : إن عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له ؛ فوالله ما دخلتُ إلا بسببه .

فلما رآه هشام قال : مرحباً مرحباً ! ههنا ، ههنا ، ولا زال يقول له : ههنا ههنا ، حتى أجلسه معه على سريره ، ومسَّ بركبته ركبته - وعنده أشرافُ الناس يتحدثون فسكتوا . فقال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهل الحرمين أهلُ الله وجيرانُ رسوله تُقسَم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم . قال : يا غلام : اكتب لأهل مكة والمدينة بمطاباهم وأرزاقهم لسنة .

* غرر الحقائق : ١١٧

(١) لاطئة : لازقة . (٢) تابعي من أجلاء الفقهاء ، ولد باليمن ونشأ بمكة ، فكان مفتي أهلها ، ومحدثهم ، وتوفي فيها سنة ١١٥ هـ .

ثم قال : هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ! قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، أهلُ
الحجاز وأهلُ نجد هم أصلُ العرب ، وقادةُ الإسلام ، تردُّ فيهم فضولُ صدقاتهم .
قال : نعم ! يا غلام اكتب بأن تردَّ فيهم فضولُ صدقاتهم . هل من حاجة غيرها
يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهلُ الثغور يرُدُّون من ورائكم ، ويقاتلون
عدوكم ، تُجْرِي لهم أرزاقاً تدرّها عليهم ؛ فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور . قال :
نعم ، يا غلام ؛ اكتب بحمل أرزاقهم إليهم . هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال :
نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أهل ذمتكم لا يُكفُّون مالا يطيقون ؛ فإن ما تجبونه منهم
معونةٌ لكم على عدوكم . قال : نعم ، يا غلام ؛ اكتب لأهل الذمة بالألا يكفُّوا
مالا يطيقون ! هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم ، اتق الله في نفسك ؛
فإنك خلقتَ وحدك ، وتموت وحدك ، وتُحشَر وحدك ، وتحاسبُ وحدك ، ولا
والله ما معك ممن ترى أحدًا !

فأكبَّ هشامٌ يَنْكُتُ^(١) في الأرض ، وهو يبكي ؛ فقام عطاء .

فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه ؛ فقال : إن
أمير المؤمنين أمر لك بهذا . فقال : لا أسألكم عليه أجرًا إن أجرى إلا على
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فوالله ما شرب عنده قطرة ماء .

(١) النكت : قرعك الأرض بعود أو ياصع ، وهو فعل الفكر المهموم .

١٨ — خليفة بين يدي قاض*

قال العُتبي : إني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك إذ أقبل إبراهيم بن محمد بن طلحة ، وصاحب حرس هشام^(١) ، حتى قعدا بين يديه ؛ فقال الحرسي^(٢) :
إن أمير المؤمنين جَرّاني في خصومة بينه وبين إبراهيم !
فقال القاضي : شاهدك على الجراية^(٣) !

قال : أتراني قلت على أمير المؤمنين ما لم يقل ! وليس بيني وبينه إلا هذه السترة^(٤) !

قال : لا ، ولكنه لا يثبت الحق لك ، ولا عليك ، إلا بيئنة .

فقام الحرسي فدخل إلى هشام فأخبره ؛ فلم نلبث أن قَعَمَت الأبواب ،
وخرج الحرسي ، فقال : هذا أمير المؤمنين !

فقام القاضي فأشار إليه هشام فقعد ، وبسط له مُصلى ، فقعد عايه هو وإبراهيم ،
وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ، ويخفي علينا بعضه !

فتكلما ، وأحضرا البيئنة ، فقضى القاضي على هشام ؛ فتكلم إبراهيم بكلمة فيها
بعض الخرق^(٥) ؛ فقال : الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك !

* العقد : ٤ - ٤٤٧ ، (طبعة لجنة التأليف) .

(١) هشام بن عبد الملك من ملوك الدولة الأموية ، ولد في دمشق وبويع له فيها وتوفي سنة ١٢٥ .

(٢) الحرسي : واحد حرس السلطان . (٣) الجراية : الوكالة . (٤) السترة : ما يستر به .

(٥) الخرق : الحق .

فقال هشام : لقد همتُ أن أضرب عنقك ضربةً ينتثر منها لحمك عن عَظْمِكَ . قال : أما والله لئن فعلتَ لفعلته بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق !

فقال هشام : استرها علي يا إبراهيم ! قال : لا ستر الله علي ذنبي يوم القيامة إن سترتها !

قال : فإني مُعْظِيكَ عليها مائة ألف ! قال إبراهيم : فسترها عليه طول حياته ثمناً لما أخذتُ منه ، وأذعتها بعد مماته ، تزييناً له !

١٩ — العهد لعمر بن عبدالعزيز*

كان لسليمان بن عبد الملك ابن يقال له أيوب بن سليمان ، فقد له ولاية العهد من بعده ؛ ثم إن أيوب توفى قبل سليمان ، ولم يبق لسليمان إلا ولدٌ صغير .
فلما حضرته الوفاة أراد أن يستخلف ، فحضره عمر بن عبد العزيز ورجاء ابن حيوة ، فقال لرجاء : اعرض على ولدي في القمص والأردية ، فعرضهم عليه ، فإذا هم صفار لا يحملون ما لبسوا من القمص والأردية ، يسحبونها سحباً . فنظر إليهم وقال : يارجاء ؛

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صِفَارٌ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارٌ

فقال له عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ؛ يقول الله تبارك وتعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَى ^(١) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » .

ثم قال : يارجاء ، اعرض على بني في السيوف ، فقلدوهم السيوف ، ثم عرضهم عليه ، فإذا هم صفار لا يحملونها ، يجرؤونها جرّاً ؛ فنظر إليهم وقال :

إِنَّ بَنِي صَبِيَّةٍ صَيْفِيُونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُونَ ^(٢)

فقال له عمر بن عبد العزيز : يقول الله تبارك وتعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى » .

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٢٩

(١) تزكى : تطهر من الشرك والمعاصي . (٢) يقال : أصاف الرجل ، إذا ولد له على كبر سنه وولده صيفيون . وأربع الرجل : إذا ولد له في فتاه سنه ، وولده ربعيون .

(٤ - قصص العرب - ٣)

فلما لم يرَ في ولده ما يريدُ حدثَ نفسه بولايةِ عمر بن عبد العزيز^(١)؛ لما كان يعرف من حاله؛ فشاوَر رجاءَ فيمن يعقد له، فأشار عليه بعمر، وسدّ له رأيه فيه، فوافق ذلك سليمان، وقال: لأعقدنَّ عقداً لا يكون للشيطان فيه نصيب.

فلما اشتدَّ به وجعُ عَهْدِ عَهْداً لم يُطِيعْ عليه أحداً إلا رجاء بن حيوةَ الكنديّ، استخلف فيه عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر.

فدخل سعيدُ بن خالد مع عُمر بن عبد العزيز وبعضِ أهل بيته يهودون سليمان؛ فرأوا به الموت، فمشى عمر وسعيد بن خالد ورجاء بن حيوة، ثم تخلف عمر كأنه يعالج نملِيه، حتى أدركه رجاء، فقال له: يارجاء، إني أرى أمير المؤمنين في الموت، ولا أحسبه إلا سيَّعهد، وأنا أناشدك الله إن ذكرني بشيء من ذلك إلا صدّته عني، وإن لم يذكرني إلاّ تذكرني له في شيء من ذلك. فقال رجاء لعمر: لقد ذهب ظنُّك مذهباً ما كنتُ أحسبك تذهب، أنظنُّ بني عبد الملك يدخلونك في أمورهم! وقد كان سليمان فرغ من ذلك ولكنه أراد إخفاءه عن عمر!

فلما احتضِر^(٢) سليمان، واشتدَّ ما به أمر بالبيعة لمن كان في كتابه ممن عهد إليه، فبايع الناس ولا يعلمون من في كتابه.

ثم قضى الله على سليمان بالموت، فلما مات كتم موته رجاء بن حيوة، ثم خرج إلى الناس فقال: إن أمير المؤمنين يأمرُكم بتجديد البيعة لمن كان عهداً إليه، وقد أصبح بحمد الله صالحاً. فقالوا: أوصلنا إلى أمير المؤمنين لننظر إليه، وننفذ أمره؛ فدخل وأمر به فأسند بالوسائد وأقام عنده خادماً، وأمر بالناس فأدخلوا عليه،

(١) هو الخليفة الصالح العادل، ولد بالمدينة ونشأ بها، وبويع له بالخلافة سنة ٩٩ هـ وأخباره في هدله وحسن سياسته كثيرة توفى سنة ١٠١ هـ (٢) احتضِر: حضره الموت.

فيفتقون عند الباب فيسلمون من بعيد ، وهم يرون شخصه ، فيرد الخادم عنه ردّ المريض وهم ينظرون إليه .

ثم قال : يأمرُكم أميرُ المؤمنين أن تُبأيعوا لمن عهد إليّ ، وتسمعوا له وتطيعوا ، فخرجوا إلى المسجد والناسُ مجتمعون : وجوهُ بني مروان وبني أمية ، وأشرفُ الناس ، فبأيعوا ، حتى إذا رضى رجاء من ذلك نظر فإذا هو لا يرى عمر ؛ فخرج يلتمسهُ في المسجد حتى رآه قاصياً ، فوقف عليه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ! قم إلى المنبر ، فقال : أنشدك الله يارجاء ، فقال رجاء : أناشدك الله أن يضطربَ بالناس حنبل ، فقد لقي سليمانُ ربّه ، وقضى الله عليه بالموت .

فقام عمر حتى جلس على المنبر ، فنعى للناس سليمان ، وفتح الكتاب ، فإذا فيه استخلاف عمر ويزيد بن عبد الملك من بعد عمر .

فلما قرأ ذكرَ عمر جثاً هشام بن عبد الملك على ركبتيه وقال : هاه (١) ! فسأل رجلٌ من أهل الشام سيفه ، وقال : تقول لأمرٍ قد قضاه أمير المؤمنين هاه ؟ فلما قرأ : « ثم يزيد بن عبد الملك من بعد عمر » قال هشام : سمعنا وأطعنا . فسمع الناس وأطاعوا ، وقاموا فبأيعوا لعمر .

(١) هاه : وعيد .

٢٠ — عمر بن عبد العزيز يحمل الناس على الحق*

لما دُفِنَ سليمان ، وقام عمر بن عبد العزيز قرَّبَتْ إليها لراكب ، فقال :
ما هذه ؟ فقالوا : مراكب لم تُرْكَب قط يركبها الخليفة أول ما يلي . فتركها وخرج
يلتمس بُعْلَتَهُ ، وقال : يا مُزاحِم ؛ ضُمَّ هذه إلى بيتِ مالِ المسلمين .
ونُصِبَتْ له سُرَادِقَاتٌ وَحُجَرٌ لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تُضْرِبُ للخليفة
أول ما يلي ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : سُرَادِقَاتٌ وَحُجَرٌ لم يجلس فيها أحد قط ،
يجلس فيها الخليفة أول ما يلي . قال : يا مُزاحِم ، ضُمَّ هذه إلى أموال المسلمين . ثم
ركب بُعْلَتَهُ ، وانصرف إلى الفُرُشِ والوطَاءِ^(١) الذي لم يجلس عليه أحد قط والذي
يفرش للخليفة أول ما يكون ، فجعل يَدْفَعُ ذلك برجله حتى يُفْضَى إلى الحَصِيرِ .
ثم قال : يا مُزاحِم ، ضُمَّ هذا لأموال المسلمين .

وبات عيال سليمان يُفْرِغُونَ الأدهان والطيب ، من هذه القارورة إلى تلك
القارورة ، ويلبسون ما لم يُلبَسَ من الثياب حتى تتكسَّرَ - وكان الخليفة إذا مات
فما لبس من الثياب ، أو مسَّ من الطيب كان لولده ، وما لم يُلبَسَ من الثياب وما لم
يُمسَّ من الطيب فهو للخليفة بعده .

فلما أصبح عمر قال له أهلُ سليمان : هذا لك وهذا لنا . قال . وما هذا ؟ وما
هذا ؟ قالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومسَّ من الطيب وهو لولده ، وما لم
يُمسَّ ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لك .

(*) سيرة عمر بن عبد العزيز : ٣٥ .

(١) الوطاء : ضد النطاء .

قال عمر : ما هذا لي ، ولا لسليمان ، ولا لكم ، ولكن يامزاحم ؛ ضمّ هذا كله إلى بيت مال المسلمين .

فتأسر الوزراء فيما بينهم ، فقالوا : أما المراكب والسرادات والحجر والشوار^(١) والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ماقد علمتم ، وبقيت خصلة وهي الجوارى ، نعرضهن فعمسى أن يكون ما تريدون فيهن ؛ فإن كان وإلا فلا طمع لكم عنده . فأتى بالجوارى فعرضن عليه كأمثال الدثمي ؛ فلما نظر إليهن جعل يسألهن واحدة واحدة : من أنت ؟ ولمن كنت ؟ ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ، ولمن كانت ، وكيف أخذت ، فيأمر بردهن إلى أهلن ويحملن إلى بلادهن ، حتى فرغ منهن . فلما رأوا ذلك أيسوا منه ، وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق .

واحتجب عن الناس ثلاثا ، لا يدخل عليه أحد ، ووجهه بنى مروان وبنى أمية ، وأشرف الجنود والعرب ، والقواد بيابه ، ينظرون ما يخرج عليهم به . فجلس للناس بعد ثلاث ، وحملهم على شريعة من الحق فعرفوها ؛ فرد المظالم ، وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، وزهد فيها ، وتجرّد لإحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبض^(٢) .

(١) الشوار : اللباس والزينة ومتاع البيت . (٢) مات .

٢١ — لا تَلُومُوا إِلَّا أَنْفُسَكُمْ*

اجتمعت بنو أمية، فكلموا رجلاً أن يكلم عمر بن عبد العزيز في صلة أرحامهم
والعطف عليهم، وكان قد أمر لهم بعشرة آلاف دينار فلم تقَعْ منهم .
فدخل عليه الرجل، فكلمه وأعلمه بمقاتلتهم، فقـ : أجل ! الله لقد قسمتها
فيهم، وقد ندمتُ عليها أآء كون منقتهم إياها، وقسمتها فكانت تكفي أربعة
آلاف بيت من المسلمين .

تـج إليهم الرجل وأعلمهم بمقاتته، وقال : لا تلوّموا إلا أنفسكم يامعشر بني
أمية ؛ عمدتم إلى صاحبكم فزوجتموه بنت ابن عُمر^(١)، فجاءتكم بمرّ ملفوفاً في
ثيابه، فلا تلوّموا إلا أنفسكم .

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ٥٠ .

(١) عمر بن الخطاب .

٢٢ - ذَكَرْتَنِي الطَّعْنَ وَكُنْتُ نَاسِيًا *

لَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ رَدَّ الْمَظَالِمَ وَالْقَطَاعَ. وَكَانَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ أَمَرَ لَعْنَبَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَدَارَتْ فِي الدَّوَابِ حَتَّى اتَّهَتْ إِلَى دِيْوَانِ الْخِطْمِ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَبْضُهَا ، فَتَوَقَّى سَلِيمَانَ قَبْلَ أَنْ يَقْبِضَهَا .

وَكَانَ عَنبَسَةُ صَدِيقًا لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ فَغَدَا يَرِيدُ كَلَامَ عُمَرَ فِيمَا أَمَرَ لَهُ بِهِ سَلِيمَانُ ؛ فَوَجَدَ بَنِي أُمِيَّةَ حَاضِرًا بِبَابِ عُمَرَ ، يَرِيدُونَ الْإِذْنَ مِنْهُ لِيَكَلِّمُوهُ فِي أُمُورِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَوْا عَنبَسَةَ قَالُوا : نَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ بِهِ قَبْلَ أَنْ نَكَلِّمَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : أَعْلِمِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَكَانَنَا ، وَأَعْلِمْنَا مَا يَصْنَعُ بِكَ فِي أُمُورِكَ .

فَدَخَلَ عَنبَسَةُ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَلِيمَانَ قَدْ كَانَ أَمْرًا لِي بِعَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، حَتَّى اتَّهَتْ إِلَى دِيْوَانِ الْخِطْمِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَبْضُهَا ، فَتَوَقَّى عَلَى ذَلِكَ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِاسْتِثْمَانِ الصَّنِيعَةِ عِنْدِي ، وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَلِيمَانَ .

قَالَ لَهُ عُمَرُ : كَمْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ عُمَرُ : عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ تُغْنِي أَرْبَعَةَ آلَافِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَدْفَعُهَا إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ! وَاللَّهِ مَا لِي إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ .

قَالَ عَنبَسَةُ : فَرَمَيْتُ بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ الصَّكُّ . فَقَالَ لِي عُمَرُ : لِأَعْلِيكَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيكَ مَنْ هُوَ أَجْرًا عَلَى هَذَا الْمَالِ مِنْهُ فَيَأْمُرُكَ بِهَا .

قَالَ عَنبَسَةُ : فَأَخَذْتَهُ تَبْرًا كَأَبْرَأِيهِ . وَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَمَا بِالْجَبَلِ

الورس؟ - وكان جبل الورس قطعةً لعمر بن عبد العزيز - فقال عمر : ذكركَ نبي الطَّعَنَ وكنت ناسيا ! يا غلام : هاتِ ذلكَ البَقَصَ ، فأُتِيَ بَقِصَ من جريد فيه قَطَّاعُ بني عبد العزيز ، فقال : يا غلام ؛ اقرأَ عليّ ، فكلما قرأَ قطعة قال : شُقِّها ، حتى لم يبقَ في القِصصِ شيءٌ إلا شُقِّه .

قال عَنبَسَة : فخرجتُ إلى بني أمية ، وهم وقوفٌ بالبَّابِ ، فأعلمتهم ما كان من ذلك ، فقالوا : ليس بعد هذا شيء ، ارجع إليه فاسأله أن يأذنَ لنا أن نلحق بالبُلْدَانِ .

فرجعتُ إليه فقلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن قومك بالبَّابِ يسألونك أن تُجْزِيَ عليهم ما كان من قَبْلِكَ يُجْزِي عليهم ، فقال عمر : والله ما هذا المالُ لي ، وما لي ذلك من سبيل . قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ فيسألونك أن تأذنَ لهم يضرُّون في البُلْدَانِ .

قال : ماشاءوا ، ذلك لهم ، وقد أذنت لهم . قلت : وأنا أيضاً ؟ قال : وأنت أيضاً قد أذنتُ لك ، ولسكني أرى لك أن تقيمَ فإنك رجلٌ كثيرُ النِّقْدِ ، وأنا أبيعُ تركَةَ سليمان ، فعلكَ أن تشتريَ منها ما يكون لك في ربحه عِوَضٌ مما فاتك .

فأقتَ تبرَّكا برأيه ، فابتعت من تركَةِ سليمان بمائة ألف ، فخرجتُ بها إلى العراق فبعتها بمائتي ألف وحبست الصكَّ .

فلما توفِّيَ عمر وولِّيَ يزيد بن عبد الملك أتيته بكتاب سليمان فأفخذ لي ما كان فيه .

٢٣ — الوالدُ سرُّ أبيه *

كان بيدِ عمر بن عبد العزيز قبل الخلافة ضيعته المعروفة بالسهلة ، وكانت باليامة . وكانت لها غلَّةٌ عظيمة كثيرة ، عيشه وعيشُ أهله منها .

فلما وليَ الخلافة قال لمزاحم موله : إني عزمتُ أن أردَّ السهلة إلى بيتِ مال المسلمين . فقال مزاحم : أتدرى كم ولدك ؛ إنهم كذا وكذا ! .

فذرقتُ عيناه ، فجعل يمسح الدمعة بإصبعه الوسطى ، ويقول : أكلهم إلى الله ، أكلهم إلى الله .

ففضى مزاحم ، فدخل على عبد الملك ابنه ، فقال له : ألا تعلمُ ما قد عزم عليه أبوك ، إنه يريدُ أن يردَّ السهلة . قال : فما قلتَ له ؟ قال : ذكرتُ له ولده . فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بإصبعه الوسطى ، ويقول : أكلهم إلى الله .

فقال عبد الملك : بئسَ وزيرُ الدين أنت ! ثم وثبَ وانطلق إلى أبيه ، فقال للآذن : استأذن لي عليه . فقال : إنه قد وضع رأسه الساعة للقائلة ^(١) . فقال : استأذن لي عليه . فقال : أما ترحمونه ؟ ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة . قال : استأذن لي عليه ، لآ أم لك !

فسمع عمر كلامهما ، فقال : ائذن لعبد الملك ، فدخل فقال : علامَ عزمتَ ؟

* ابن أبي الحديد : ٤ - ١٤٧

(١) القائلة : نصف النهار ، والنوم في الظهيرة .

قال: أردّ السّهلة! قال: فلا تؤخر ذلك. قم الآن، فجعل عمر يرفع يديه، ويقول: الحمد لله الذي جعل من ذريتي من يُعيني على أمر ديني. نعم، يا بني؛ أصلي الظهر، ثم أصعد المنبر، فأرّ علانية على رؤوس الناس.

قال: ومن لك أن تعيش إلى الظهر، ثم من. أن تسلّم نيتك إلى الظهر

إن عشت!

فقام عمر، فصعد المنبر وخطب الناس، وردّ السّهلة.

٢٤ - أوارث أنتَ بنى أمية*

قال أحمد بن موسى : ما رأيت رجلاً أثبتَ جناحاً من رجل رُفِعَ فيه عندَ المنصور^(١) ، وقالوا : إنَّ عنده ودائعَ وأموالاً وسلاحاً لبنى أمية . فأمر المنصور حاجبه الربيع بإحضاره ، فأخضِرَ بين يديه .

فقال له المنصور : قد رُفِعَ إلينا أنَّ عندك ودائعَ وأموالاً وسلاحاً لبنى أمية ، فأخرجْ لنا ما عندك ، واحمل جميعَ ذلك إلى بيت المال . فقال الرجل : يا أميرَ المؤمنين ؛ أنت وارثُ بنى أمية ؟ قال : لا . قال : فوصيُّ أنت ؟ قال : لا . قال : فلمَ تسألُ عن ذلك ؛ فأطرقَ المنصور ساعة وقال : إنَّ بنى أمية ظلموا الناسَ وغصبوا أموالَ المسلمين ، وأنا آخذها فأردها إلى بيت المال للمسلمين . قال الرجل : يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إقامةِ بينةٍ يقبلها الحاكم على أن المال الذي لبنى أمية هو الذي في يدي ، وأنه هو الذي اغتصبوه من الناس ؛ وأميرُ المؤمنين يعلمُ أن بنى أمية كانت معهم أموالٌ لأنفسهم غيرُ الأموال التي اغتصبوها على ما يزعمُ أمير المؤمنين .

فسكت المنصورُ ساعة ثم قال : يا ربيع ؛ صدق الرجل ما يجب لنا عليه شيء ، ثم قال للرجل : ألك حاجة ؟ قال : نعم . قال : ما هي ؟ قال : أن تجمعَ بيني وبين

* المختار من نوادر الأخبار .

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً وبقظة وثباتاً توفي سنة ١٥٨ هـ .

مَنْ سَعَى بِي إِلَيْكَ ؛ فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَبِنِي أُمِّيَّةً عِنْدِي وَدَائِعٌ وَلَا مَالٌ وَلَا سِلَاحٌ ؛ وَلَمَّا حَضَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلِمْتُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ، وَاتَّبَاعِ الْحَقِّ ، وَاجْتِنَابِ الْبَاطِلِ ، أَيَقُنْتُ أَنْ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي صَدَرَ مِنِّي هُوَ أَنْجَحٌ وَأَصْلَحٌ لِمَا سَأَلَنِي عَنْهُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْخِلَاصِ .

فَقَالَ الْمَنْصُورُ لِلرَّبِيعِ : اجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الَّذِي اتَّهَمَهُ . وَلَمَّا جَاءَ بِالرَّجُلِ عَرَفَهُ ، وَقَالَ : هَذَا غُلَامِي أَخَذَ لِي خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ وَهَرَبَ ، وَوَلِيَ عَلَيْهِ كِتَابَ بَهَا ، ثُمَّ اسْتَنْطَقَ الْمَنْصُورُ الْغُلَامَ ، فَأَقْرَبَ أَنَّهُ غُلَامُهُ وَأَنَّهُ أَخَذَ الْمَالَ الَّذِي ذَكَرَهُ مَوْلَاهُ ، وَأَبَقَ^(١) بِهِ ، وَسَعَى بِمَوْلَاهُ لِيَجْرِيَ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ ، وَيَسْلَمَ هُوَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي يَدِهِ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ وَهَبْتُهَا لَكَ لِأَجْلِكَ ؛ وَأَدْفَعُ لَكَ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ أُخْرَى لِحُضُورِهِ مَجْلِسِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فَاسْتَحْسَنَ الْمَنْصُورُ فِعْلَهُ ، وَكَانَ فِي كُلِّ وَقْتٍ يَقُولُ : يَا رَبِّيعُ ؛ مَا رَأَيْتُ مَنْ حَاجَبَنِي مِثْلَهُ .

(١) أَبَقَ الْعَبْدُ : اسْتَعْفَى وَذَهَبَ .

٢٥ — حذر عيسى بن موسى *

لما خرج أبو جعفر المنصور يريد الحج بالناس ، قال لعيسى بن موسى^(١) : أنت تعلم أن الخلافة صائرة إليك ، وأريد أن أسلم لك عمي وعمك عبد الله بن علي ؛ فخذهُ وأقتله : وإياك أن تجبن في أمره .

ثم مضى المنصور إلى الحج ، وكتب إليه من الطريق يستحثه على ذلك ، فكتب إليه : قد أنفذت أمر أمير المؤمنين ! فلم يشك أبو جعفر أنه قتله .

ودعا عيسى بن موسى كاتبه يونس ؛ فقال له : إن المنصور دفع إلى عمه ، وأمرني بقتله . فقال له : إنه يريد أن يقتلك به ؛ فقد أمرك بذلك سرّاً ، ويدعي عليك به علانية . والرأي أن تستر في منزلك ، ولا تطلع عليه أحداً ؛ فإن طلبه منك علانية ، دفعته إليه ، ولا تدفعه إليه سرّاً أبداً ! ففعل ذلك .

وقدم المنصور ؛ فدرس على عمومته من يجرهم أن يسألوه أن يهب لهم أخاهم عبد الله ؛ ففعلوا ذلك ، واستشفعوا له . فقال : نعم ، على عيسى بن موسى ، فأتاه .

فقال : يا عيسى ؛ كنت قد دفعت إليك عمي وعمك عبد الله قبل خروجي إلى الحج ، وأمرتك أن يكون في منزلك مكرماً ! قال : قد فعلت ذلك . قال : فد كلفني فيه عمومته ؛ فرأيت الصفح عنه ، فأننى به .

(*) المستطرف : ١ - ٦٥

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، ولد ونشأ بالحيمية من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم وذوى النجدة والبأس فيهم .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ ألم تأمرني بقتله ؛ قال : لا ، بل أمرتك بحبسِه عندك .
ثم قال المنصور لمُؤمته : إن هذا قد أقرّ لكم بقتل أخيكم ، وادّعى أني أمرته
بذلك ! وقد كذب ! قالوا : دعه لنا نقتله . قال : شأنكم .

فأخرجوه إلى صحن الدار ، واجتمع الناس ، واشتهر الأمر ؛ فقام أحدُهم ،
وشهر^(١) سيفه ، وتقدم إلى عيسى ليضربه ؛ فقال عيسى : لاتعجلوا ؛ فإن عمي حي ،
ردوني إلى أمير المؤمنين ، فردوه إليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما أردت بقتله
قتلي ، هذا عمك حي ، إن أمرتني بدفعه إليهم دفعته . قال : اتنا به ، فأني به ،
فجعله في بيت ، فسقط عليه ، فمات .

وركب المنصور بعد موته ، وفي خدمته ابن لعمه ، وكان يحادثه ، فقال له :
هل تعرف ثلاثة في أول أسماهم عين قتلوا ؟ قال : لا أعرف إلا ما تقول العامة
يا أمير المؤمنين : إن علياً قتل عثمان ، وكذبوا والله ، وعبد الملك بن مروان قتل
عبد الله بن الزبير ، وسقط البيتُ على عم أمير المؤمنين .

فضحك المنصور ، وقال : إذا سقط البيتُ على عمي ، فما ذنبي ؟ قلت :
ما قلت لك ذنبُ يا أمير المؤمنين !

(١) شهر سيفه : اتضاه فرغمه .

٢٦ — يَقْظَةَ الْمَنْصُورِ*

قال عُقْبَةُ الْأَزْدِيُّ : دخلتُ مع الجند على المنصور ، فارتابني^(١) ، فلما خرج الجندُ أدناني ، وقال لي : من أنت ؟ فقلت : رجلٌ من الأزد ، وأنا من جند أمير المؤمنين ، قدمت الآن مع عمرو بن حفص .

فقال : إني لأرى لك هيبَةً ، وفيك نجابةً ، وإني أريدك لأمر ، وأنا به مَعْنِيٌّ ، فإن كَفَيْتَنِيهِ رَفَعْتُكَ . فقلت : إني لأرجو أن أصدقَ ظنَّ أمير المؤمنين في . فقال : أخفِ نفسك ، واحضري يوم كذا .

فغِبْتُ عنه إلى ذلك اليوم وحضرتُ ، فلم يترك عنده أحداً ، ثم قال لي : اعلم أن بني عمنا هؤلاء قد أبوا إلا كيدَ ملكنا واغتيالَه ، ولهم شِيعَةٌ بخراسان بقرية كذا ، يكتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطف^(٢) بلادهم ، فخذ معك هَيِّئاً^(٣) من عندي ، وألطفاً وكتباً ، واذهب حتى تأتي عبد الله بن الحسن ، فأقدم عليه متخشعاً ، واذكر له أن الكتبَ على ألسنة أهل تلك القرية ، والألطفَ من عندهم إليه . فإذا رآك فإنه سيردُّك ويقول : لا أعرفُ هؤلاء القوم ، فاصبر عليه وعاوِذَه ، واكشِفِ باطنَ أمرِه .

فأخذتُ كتبه والعينَ والألطفَ ، وتوجَّهْتُ إلى جهة الحجاز ، حتى قدِمْتُ على عبد الله بن الحسن ، فلقيتهُ بالكتبِ ، فأنكرَها ونهرَني ، وقال : ما أعرفُ

* المستطرف : ٢ - ٩٤

(١) ارتببت فلاناً : آهنته (٢) اللطفة : الهدية (٣) العين : المال ، وما ضرب من الدنانير .

هؤلاء القوم . فلم أنصرف ، وعاودته القول ، وذكرت له اسم القرية وأسماء أولئك القوم ، وأن معي أطاقاً وعيناً .

فأنس بي ، وأخذ السكُّب ، وما كان معي ، فتركته ذلك اليوم ، ثم سألته الجواب ، فقال : أما كتابٌ فلا أكتب إلى أحدٍ ، ولكن أنت كتابي إليهم ، فأقرهم السلام ، وأخبرهم أن ابني : محمداً وإبراهيمَ خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا .

فخرجتُ من عنده ؛ وسرتُ حتى قدمتُ على المنصور ، فأخبرته بذلك ، فقال لي : إني أريدُ الحج ، فإذا صرتُ بمكان كذا وكذا ، وتلقاني بنو الحسن ، وفيهم عبد الله ، فإني أعظمه وأكرمه ، وأرفعه وأحضر الطعام ، فإذا فرغ من أكله ، ونظرتُ إليه ، فامتلُ بين يدي ، وقِفْ قدَّامه ، فإنه سيصرف وجهه عنك ، فدُرُ حتى تقفَ من ورائه ، واغمز ظهره بإبهامك حتى يملأ عينيه منك ، ثم انصرف عنه ، وإياك أن يراك وهو يأكل .

ثم خرج المنصور يريدُ الحج ، حتى إذا قارب البلاد ، تلقاه بنو الحسن ، فأجلس عبد الله إلى جانبه ، فحادثه ثم طلب الطعام للغداء ، فأكلوا منه ، فلما فرغوا أمر برفعه فرُفِع ، ثم أقبل على عبد الله بن الحسن ، وقال : يا أبا محمد ، قد علمتَ أن مما أعطيتني من اليهود والموائيق أنك لا تريدني بسوء ، ولا تكيد لي سلطاناً .

قال : فآنا على ذلك يا أمير المؤمنين .

ثم لحظني المنصور بعينه فقامتُ حتى وقفتُ بين يدي عبد الله بن الحسن ، فأعرض عني ، فدُرُت من خلفه ، وغمزت ظهره بإبهامي ، فرفع رأسه ، وملأ عينيه مني ،

ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور ، وقال : ألقى بأمر المؤمنين أقالك الله !
فقال المنصور : لا أقالك الله إن لم أقتلك ، وأمر بحبسه ، وجعل يتقلب ولديه محمداً
وإبراهيم ، ويستعلم أخبارهما .

٢٧ - المنصور في ساحة القضاء *

قال نعيم المذني : قديم علينا أمير المؤمنين المنصور المدينة ، ومحمد بن عمران
الطلحي يتولى القضاء بها وأنا كاتبه ، فحضر جماعة من الجمالة^(١) ، واستعدوه على
أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكره ، فأمرني أن أكتب إلى المنصور بالحضور
معهم أو إنصافهم . فقلت له : أعفني من ذلك فإنه يعرف خطي . فقال : اكتب .
فكتبت وختمت . فقال : والله ما يمضي به غيرك ، فضيت به إلى الربيع حاجبه ،
وجعلت أعتذر إليه ، فقال : لا بأس عليك ! ودخل بالكتاب على المنصور .

ثم خرج الربيع ، فقال للناس - وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم :
إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : إنني دُعيت إلى مجلسي الحكم ،
فلا أحد منكم يقوم إذا خرجت ، ولا تبدهوني بالسلام .

ثم خرج وبين يديه المسيب^(٢) والربيع وأنا خلفه ، وهو في إزار ورداء ،
فسلم على الناس ، فما قام إليه أحد ، ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي صلى الله عليه وسلم ،
فسلم عليه ، ثم التفت ، فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن عاتقه ، ثم

* المقدم الفريد للملك السعيد : ١٧٠

(١) الجمالة أصحاب الجمال (٢) هو المسيب بن زهير ، كان على شرط المنصور والمهدي ببغداد
وولاه المهدي خراسان ، ولم تطل فيها مدته ، وتوفي ببغداد سنة ١٧٥ هـ .
(٥ - قصص العرب - ٣)

احتبى به ، ودعا بالخصوم وهم الجمالة ، ثم دعا بالمنصور ، فادعى عليه القوم ، وقضى لهم عليه ، ثم انصرف .

فلما دخل المنصور الدار قال للربيع : اذهب ، فإذا قام القاضى من مجلسه فادعه . فلما دعاه ودخل على المنصور سلم عليه ، فردّ عليه السلام . وقال له : جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك ، وعن خليفتك ، أحسن الجزاء ، قد أمرتُك بعشرة آلاف ، صلةً لك فاقبضها .

فكانت عامّة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة .

٢٨ - نَبِيٌّ كَمَا كَانَتْ أَوْلَانَا تَبْنِي *

كان المنصور معجباً بمحادثة محمد بن جعفر ، ولعظم قدره يفزع الناس إليه في الشفاعات ، فنقل ذلك على المنصور ، فحجبه مدّة ، ثم لم يصبر عنه ، فأمر الربيع حاجبه أن يكلمه في ذلك ، فكلمه وقال : أعف أمير المؤمنين ، ولا تُثقل عليه في الشفاعات ، فقبل ذلك منه .

فلما توجه إلى الباب اعترضه قومٌ من قريش ، معهم رقاع^(١) ، فسأله إيصالها إلى المنصور ، فقصّ عليهم القصة ، فأبوا إلا أن يأخذها ، فقال : اذفوها في كُمّي . ثم دخل عليه ، وهو مشرفٌ على مدينة السّلام ، وما حولها من البسانين ، فقال له : أما ترى إلى حسنها يا أبا عبد الله ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك فيما آتاك ، وهنالك ياتم نعمته عليك فيما أعطاك ! فما بنت العرب في دولة الإسلام ، ولا العجم في سالف الأيام أحسن ولا أحسن من مدينتك ، ولكن كرهتها في عيني خصلة ! قال : وما هي ؟ قال : ليس لي ضيعة ، فتبسّم ، وقال : قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكها ! فقال : لله درك يا أمير المؤمنين ! إنك شريف الموارد ، كريم المصادر ؛ جعل الله تعالى باقى عمرك أكثر من ماضيه ، ثم أقام معه يومه ذلك .

فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كُمّه ، فجعل يردّها ويقول : ارجعن خائبات

خاسرات .

* المجازي : ٣ - ١٩٥

(١) الرقاع : جمع رقعة : ما يكتب فيها .

فضحك المنصور ، وقال : بحقِّ عليك إلا أخبرتنى وأعلمتني بخبر هذه الرِّقاع ؛
فأعلمه ، فقال : ما أتيتَ يا ابنَ مُعَلِّمِ الخيرِ الا كريماً ، وتمثّل بقول عبد الله بن
معاوية :

لسنا وإن أحسابنا كرُمتَ يوماً على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعل مثل ما فعلوا
ثم نصفح الرقاع ، وقضى حوائج أصحابها جميعاً .

٢٩ — هَمْدَانِي بَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ *

بينما كان المنصورُ جالساً في مجلسه اللبنيِّ على أعلى باب (١) خُرَاسَانَ ، من
مدينته التي بناها ، وأضافها إلى اسمه ، مُشْرِفاً على دِجْلَةَ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ (٢) سَقَطَ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَذُعِرَ مِنْهُ ذُعْرًا شَدِيدًا ، ثُمَّ أَخَذَهُ فَجَعَلَ يَقْلِبُهُ ؛ فَإِذَا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ بَيْنَ
الرَّيْشَتَيْنِ :

أَنْطَمَعُ فِي الْحَيَاةِ إِلَى التَّنَادِي (٣)
وَتَحَسَبُ أَنْ مَالِكَ مِنْ نَفَادِ
سُتْسَأَلُ عَنْ ذُنُوبِكَ وَالْخَطَايَا
وَتُسْأَلُ بِمَدِّ ذَاكَ عَنِ الْعِبَادِ
ثُمَّ قَرَأَ عِنْدَ الرَّيْشَةِ الْأُولَى :

أَحْسَنْتَ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسَنْتَ
وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَسَالَمْتَكِ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزَتْ بِهَا
وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ
ثُمَّ قَرَأَ عِنْدَ الرَّيْشَةِ الْآخَرَى :

هِيَ الْمَقَادِيرُ تَجْرِي فِي أَعْنَتِهَا
فَاصْبِرْ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالِ
يَوْمًا تُرِيكَ خَسِيسَ الْقَوْمِ تَرْفَعُهُ
إِلَى السَّمَاءِ وَيَوْمًا تَخْفِضُ الْعَالِي

وَإِذَا عَلَى جَانِبِ السَّهْمِ مَكْتُوبٌ : « هَمْدَانُ مِنْهَا رَجُلٌ مَظْلُومٌ فِي حَبْسِكَ » !

* المسعودي : ٢ - ٢٣٢

(١) كان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الأعلى من طاقه العقود مجلساً يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه ، وكانت أربعة أبواب : فأولها باب خراسان أو باب الدولة لإقبال الدولة العباسية من خراسان ، ثم باب الشام ، وهو تلقاء الشام ، ثم باب الكوفة ، وهو تلقاء الكوفة ، ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة (٢) السهم العائر : الذي لا يدري من رماه (٣) يوم التنادي : يوم القيامة .

فبعث من فورهِ بعدةٍ من خاصّته ، ففتشوا الحُبوسَ (١)؛ فوجدوا شيخاً في بنيةٍ من الحبس ، مؤثقاً بالحديد ، متوجّهاً نحو القبلة ، يردّدُ قوله تعالى : « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » ؛ فسألوه عن بلده ، فقال . هَمْدَان .

فَحُجِّلَ ووُضِعَ بين يدي المنصور فسأله عن حاله ، فأخبره أنه رجلٌ من أبناء مدينة هَمْدَان ، ومن أربابِ نَمِمْهَا ، ثم قال له : إن وَالِيكَ علينا دخل بلدنا ، ولي ضيعةٌ تساوي ألف ألف ، فأراد أخذها مني ، فامتنعتُ ، فكتباني بالحديد ، وحملي وكتب إليكِ : إني عاصٍ ؛ فطُرِحْتُ في هذا المكان .

فقال : مُنْذُكُمْ ؟ قال : منذ أربعة أعوام . فأمرَ بِفِكَ الحديده عنه ، والإحسان إليه ، وأنزله أحسنَ منزل .

ثم رُدَّ إليه ، وقال له : يا شيخ ؛ قد رَدَدْنَا عليك ضيعةً بجزأها ما عشتَ وعشنا ، وأما مدينتك هَمْدَان ، فقد وليناك عليها ، وأما الوالي فقد حكمناك فيه ، وجعلنا أمره إليك ؛ فجزاه خيراً ودعا له بالبقاء ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أما الضيعةُ فقد قبيلتها ، وأما الولاية فلا أصلح لها ، وأما واليك فقد عفوتُ عنه .

فأمر له المنصورُ بِمَالٍ جَزِيلٍ ، وِبَرٍّ وَاسِعٍ ، وحمّله إلى بلده مكرماً ، بعد أن صرفَ الوالي وعاقبه على ما جرى من انحرافه عن سُنَّةِ العَدْلِ وَالْحَقِّ ، وسألَ الشيخَ مكاتبتَه في أخبار بلده ، وإعلامه بما يكون من وُلاته ، ثم أنشأ المنصور يقول :

من يصحب الدهرَ لا يأمنَ تصرُّفه
يوماً ، وللدهرِ إخلاؤه وإصرار
لكل شيء ، وإن دامت سلامته
إذا انتهى فله لا بدَّ إقصار

(١) الحُبوس : جمع حبس .

٣٠ - أمير في مجلس القضاء *

أتت امرأة يوماً شريك^(١) بن عبد الله قاضي الكوفة، وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي! قال: من ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى عم أمير المؤمنين؛ كان لي بسطان على شاطئ الفرات، فيه نخل ورثتيه عن أبي، وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطاً، وجعلت فيه رجلاً فارسياً يحفظ النخل ويقوم به، فاشتري الأمير موسى بن عيسى من جميع إخوتي، وسأوني ورغبتني، فلم أبعه؛ فلما كانت هذه الليلة بعث بخمسة غلام، فاقتلعوا الحائط؛ فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً، واختلط بنخل إخوتي.

فقال: يا غلام! أحضر طينة^(٢)، فأحضرها فحتمها، وقال: امض بها إلى بابه حتى يحضر معك؛ فأخذها الحاجب، ودخل على موسى، فقال: قد أعدى^(٣) القاضي عليك، وهذا خبثه؛ فقال: ادع لي صاحب الشرطة فدعا به، فقال: امض إلى شريك، وقل: ياسبحان الله! ما رأيت أعجب من أمرك! امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها علي! قال صاحب الشرطة: إن رأى الأمير أن يعفني من ذلك! فقال: امض، ويملك! فخرج، وقال لعلمانه: اذهبوا واحملوا لي إلى حبس القاضي بساطاً وفراشاً، وما تدعو الحاجة إليه، ثم مضى إلى شريك،

* العقد الفريد للملك السعيد: ١٧٢

(١) هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي الكوفي، عالم فقيه، اشتهر بقوة ذكائه، وسرعة بديهته، ولى قضاء الكوفة سنة ١٥٣ هـ، وكان مثالا للعدل والزاهة في قضاائه، توفي سنة ١٧٧ هـ (٢) الطينة: القطعة من الطين (٣) أعدى عليه: أعان.

فلما وقف بين يديه أدّى إليه ما قاله موسى؛ فقال لفلان المجلس: خذ بيده فضعه في الحبس. فقال صاحب الشرطة: والله قد علمت أنك تجبسنى، قدمت ما أحتاج إليه في الحبس.

وبلغ موسى بن عيسى الخبر؛ فوجه الحاجب إليه، وقال له: رسول أدّى رسالة أي شيء عليه! فقال شريك: اذهبوا به إلى رفيقه في الحبس، فحبس.

فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن الصباح الأشعبي وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك، وقال لهم: أبلغوه السلام، وأعلموه أنه استخف بي. وأنى لست كالعامّة؛ فمضوا إليه وهو جالس في مسجده بعد صلاة العصر، فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم، قال لهم: مالي أراكم جئتموني في جمع من الناس، فكلمتموني؟ من هاهنا من فتيان الحى؟ فأجابهم جماعة من الفتيان فقال: لياخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس، ما أنتم إلا فئة وجزاؤكم الحبس. قالوا له: أجادت أنت؟ قال: نعم، حتى لا تعودوا الرسالة ظالم. فحبسهم.

فركب موسى بن عيسى في الليلة إلى باب السجن، وفتح الباب، وأخرجهم كلهم، فلما كان من الغد، وجلس شريك للقضاء جاءه السجناء، فأخبره، فدعا بالقمطر^(١) فختمه، ووجه به إلى منزله، وقال لفلان: الحق بثقل^(٢) إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا فيه الإعزاز إذ تقلدناه لهم، ومضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد، وبلغ الخبر إلى موسى بن عيسى، فركب في موكبه، فلحقه، وجعل يناشده الله، ويقول: يا أبا عبد الله؛

(١) القمطر: وعاء الكتب (٢) الثقل: المتاع.

تثبت ، انظر إخواني ، أتحبسهم ! قال نعم ، لأنهم مشوا لك في أمرٍ لم يجز لهم
المشي فيه ، ولستُ بيارح أو يرُدّوا جميعاً ، وإلا مضيت إلى أمير المؤمنين المهدي ،
فاستغفيتُهُ مما قلدني ..

فأمر موسى بردّهم جميعاً إلى الحبس ، وهو واقفٌ مكانه حتى جاء السجنان ،
فقال : قد رجّعوا جميعاً إلى الحبس ، فقال لأعوانه : خذوا بلجام دابته بين يدي إلى
مجلس الحكم ، فمروا به بين يديه حتى أدخل المسجد وجلس في مجلس القضاء ،
فجاءت المرأة المتظلمة ؛ فقال : هذا خصمك قد حضر ، فقال موسى وهو مع المرأة ،
بين يديه : قبل كل أمرٍ أنا قد حضرت ، أولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريك :
أما الآن فنع ! أخرِ جوم من الحبس ، فقال : ما تقول فيما تدّعيه هذه المرأة ؟ قال :
صدقت ، قال : تردّ ما أخذت منها ، وتنبئ حائطها سريعاً كما كان . قال : أفضل
ذلك ، قال لها : أبقى لك عليه دعوى ؟ قالت : لا ، وبارك الله عليك ، وجزاك
خيراً . قال : قومي ، فقامت من مجلسه .

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه ؛ وقال : السلام
عليك أيها الأمير ، أنا أمرٌ بشيء ؟ فقال : بأيّ شيء أمر ؟ وضحك ، فقال له شريك :
أيها الأمير ، ذاك الفعل حقّ الشرع ، وهذا القول الآن حقّ الأدب ؛ فقام
الأمير وانصرف إلى مجلسه .

٣١ -- قاضٍ يطلب إقالته من القضاء*

نقل أن عاقبة بن يزيد القاضى كان يلبى القضاء ببغداد المهدي؛ فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدي، وهو خال، فاستأذن عليه، فلما دخل استأذنه فيمن يسلم إليه القمطر^(١) الذى فيه قضايا مجلس الحكم، واستعفاه من القضاء، وطلب منه أن يقيمه من ولايته.

فطن المهدي أن بعض الأولياء قد عارضه في حكمه، فقال له في ذلك: إنه إن كان قد عارضك أحد نكرك عليه. فقال القاضى: لم يكن شيء من ذلك. قال: فما سبب استعفائك من القضاء؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ تقدم لى خصمان منذ شهر فى قضية مُشكلة، وكل يدعى بينه وشهوداً، ويدلى بـجُجج تحتاج إلى تأمل وتلبث، فرددت الخصوم رجاء أن يضطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما، فسمع أحدهما أنى أحب الرطب، فعمد - فى وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب - فجمع رطباً لا يتهيأ الآن جمع مثله لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشاً بوابى بدرام على أن يدخل الطبق على.

فلما أدخله على أنكرت ذلك، وطردت بوابى، وأمرت برد الطبق، فرد عليه.

* العقد الفريد للملك السعيد : ١٧٠

(١) ما تصان فيه الكتب .

فلما كان اليوم تقدّم الخصمان إلىّ فما تساويا في عيني ولا قلبي ؛ فهذا
يا أمير المؤمنين ولم^(١) أقبل ، فكيف يكون حالي لو قبّلت ، ولا آمن أن تقع عليّ
حيلّة في ديني ، وقد فسد الناس ؛ فأقلّني يا أمير المؤمنين ، أقالك الله ، وأعفني ، عفا
الله عنك .

٣٢ — أبو دلامة وابن أبي ليلى القاضى *

شهد أبو دلامة لجارية له عند ابن أبي ليلى^(٢) القاضى على أتانٍ نازعها فيهارجل ،
فلما فرغ من الشهادة ، قال لابن أبي ليلى : استمع ما قلتُ قبل أن آتيك ، ثم افضِ
بما شئت . قال : هاتِ ، فأنشده :

إِنَّ النَّاسُ غَطَّوْنِي تَفَطَّيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَمِثْمُ مَبَاحِثُ
وَإِنْ حَفَرُوا بَثْرَى حَفَرْتُ بِثَارَهُمْ لِيُعْلَمَ يَوْمًا كَيْفَ تَلِكِ النَّبَائِثُ^(٣)

فأقبل القاضى على المرأة وقال : أتبيعيّني الأتان ؟ قالت : نعم . قال : بكم ؟
قالت : بمائة درهم ! قال : ادفعوها إليها ، ففعلوا .

وأقبل على الرجل ، فقال : قد وهبتُها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيتُ
شهادتك ، ولم أبحثُ عنك ، وابتعتُ ممن شهدت له ، ووهبتُ ملكي لمن رأيتُ .
أرضيتَ ؟ قال : نعم ، وانصرف .

* معاهد التنصيص : ١ - ٢١١ ، الأغاني : ١٠ - ٢٣٨ .

(١) جملة حالية ، والمعنى : فهذا ما حصل عندي ، مم أنى لم أقبل منه الهدية .

(٢) ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن قاضى الكوفة . (٣) النبائث : ما يستخرج من
تراب البئر إذا حفرت .

٣٣ - صاحب شرطة المهدي مع الهادي *

قال عبدُ الله بن مالك : كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي ، وكان يبعث إليّ في ندماء ولده الهادي أن أضربهم وأحبسهم ، صيانةً للهادي عنهم ، فبيعت إليّ الهادي يسألني الرفق بهم ، والتخفيف في أمرهم ، فلا ألتفتُ إلى ذلك ، وأمضى لما يأمرُ به المهدي . فلما ولي الهادي الخلافة أيقنتُ بالتلف ، فبعثتُ إلى يوماء ، فحضرت ودخاتُ عليه متكففاً مُتَحَنَظاً ، وإذا هو جالسٌ على كرسي والنطعُ والسيفُ بين يديه ، فسألتُ عليه ، فقال : لا سلمَ الله عليك ، تذكر يوماً بعثتُ إليك في أمر الحرانيّ لما أمر أمير المؤمنين بضربه ، فلم تُجِبني ؟ وفي فلان وفلان - وجعل يعدُّ ندماءه .

قلتُ : نعم ، يا أمير المؤمنين ؛ أفأذن لي أن أتكلم ؟ قال : نعم . قلت : أنشدتُك الله ! أيسرك أنك وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر ؛ فبعثتُ إليّ بعضُ ولدك بأمرٍ يخالفُ أمرك فاتبعتُ أمره ، وعصيتُ أمرك ؟ قال : لا . قلت : فكذلك أنا لك ، وكذلك كنتُ لأبيك .

فاستبدناني فقبلتُ يده ، فأمر بخلع أفيضت عليّ ، وخرجتُ من عنده ، وصرتُ إلى منزلي مفكراً في أمره وأمرتي ، وقلت في نفسي : قد يحدث القوم بالأمر الذي عصيته فيه ، وهم ندماءه ووزراؤه وكتابه ، فكأنني بهم قد أزالوه عن رأيه فيّ وحملوه في أمري عليّ ما كنتُ أخوفه .

قال : فإني لجالس وبين يدي خُبْزٌ مَشْطُورٌ بِكَامَخٍ (١) ، وأنا أسخِنُهُ وَأَطْعِمُهُ الصَّبِيَّةَ ، وإذا ضَجَّةٌ عظيمةٌ ، حتى توهمتُ أن الدنيا قد اِقْتَلِمَتْ وزُلْزِلت من شدة وقعِ حوافر الخيل والدواب ، وكثيرةِ الضوضاء ، فقلت : هاه ! والله قد جاء الأمر ، وإذا البابُ قد فُتِحَ ، وإذا الخدمُ قد دخلوا ، وأميرُ المؤمنين المهدي في وسطهم . فلما رأيتُه وثبتُ من مجلسي مبادراً ، فقَبِلْتُ يده ورجله . فقال لي : يا عبد الله ! إني فكرتُ في أمرِك بعد انصرافك ، فقلت : يَسْبِقُ إلى قلبك أني إذا جلستُ وحولى أعداؤك الذين أسأتَ إليهم أزالوا ما حَسَنَ من رأيي فيك ، فأقْلَقَكَ ذلك وأوحشَكَ ، ومنعَكَ القَرَارَ ، فصرتُ إلى منزلك لأُوَانِسَكَ ، وأعلمك أن الوَحْشَةَ قد زالتْ عن قلبي ، فهاتِ فأطِمْئِنِي مما كنتَ تأكل ، وافعلْ فيه ما كنتَ تفعل ، حتى تعلم أن الوَحْشَةَ قد زالت ، وقد تَحَرَّمْتُ (٢) بطعامك ، وأَنْسَتُ بمنزلك ، ليزُولَ خَوْفُكَ ووحشتك .

فَأَدْنَيْتُ مِنْهُ ذَلِكَ الرُّقَاقَ وَالسُّكْرُجَةَ (٣) الَّتِي فِيهَا السَّكَمَخُ ، فَأَكَلَ ؛ ثُمَّ قَالَ : هَاتُوا مَا أَحْضَرْتُمُوهُ لِعَبْدِ اللَّهِ مِنْ مَجْلِسِي . فَأَدْخَلْتِ بِغَالٍ كَثِيرَةٍ مُوقَرَةٍ (٤) دَرَاهِمَ وَأَطْعَمْتُهُ ، وَقَالَ : هَذِهِ لَكَ فَاسْتَمِينِي بِهَا ، وَهَذِهِ الْبَغَالُ أَيْضًا ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ مَا كَانَ أَبِي قَدْ وُلَاكَ . ثُمَّ انصرفتُ ، وَصِرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَعْدُ مِنْ صَنَائِعِهِ .

(١) السكامخ : نوع من الأدم (٢) تحرم منه بجرمة : تمنع وتحمي (٣) إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ، وأكثر ما يوضع فيه السكامخ ونحوها .
(٤) أوفر دابته : حبلها :

٣٤ — لا أفلح قاض لا يقيم الحق*

كان عبيد بن ظبيان^(١) قاضي الرشيد بالرقّة - وكان الرشيد إذ ذاك بها - فجاء رجل إلى القاضي ، فاستعداه^(٢) على عيسى بن جعفر ، فكتب إليه القاضي ابن ظبيان : « أما بعد ، أبق الله الأمير وحفظه وأتمّ نعمته ، فقد أتاني رجل فذكر أنه فلان ابن فلان ، وأن له على الأمير - أبقاه الله تعالى - خمسمائة ألف درهم ، فإن رأى الأمير أن يحضر مجلس الحكم ، أو يوكل وكيلاً يفاوض خصمه ، أو يرضيه . فعل » .

ودفع الكتاب إلى رجل ، فأتى باب ابن جعفر ، فدفع الكتاب إلى خادمه . فأوصله إليه ، فقال له : قل له : كل هذا الكتاب .

فرجع الرجل إلى القاضي ؛ فأخبره ، فكتب إليه : « أبقاك الله وأمتع^(٣) بك ، حضر رجل يقال له فلان ابن فلان ، وذكر أن له عليك حقاً ، فسير معه إلى مجلس الحكم أو وكيلك إن شاء الله تعالى » .

ووجه الكتاب مع عونين^(٤) من أعوانه ، فحضر باب عيسى بن جعفر ، ودفع الكتاب إليه فغضب ، ورمى به . فانتظما ، فأخبراه فكتب إليه : « حفظك الله وأمتع بك ، لا بد أن تصير أنت أو وكيلك إلى مجلس الحكم ، فإن أبيت أنهيت أمرك إلى أمير المؤمنين - إن شاء الله » .

* العقد الفريد للملك السعيد : ١٧٤

(١) قاضي الرقة (٢) استعديت القاضي على الظالم : طلبت منه النصرة (٣) أبقاك الله ليستمتع بك (٤) العون : الظهير .

ثم وجه الكتاب مع رجلين من أصحابه ، فعمدا على باب عيسى بن جعفر حتى طلع ؛ فقاما إليه ، ودفعا إليه كتاب القاضي ، فلم يقرأه ، ورمى به ، فعادا فأبلغاه ذلك ، فحتم قمطره ^(١) ، وأغلق بابه ، وقعد في بيته .

فبلغ الخبر إلى الرشيد فدعاه ، وسأله عن أمره ، فأخبره الخبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعفني من هذه الولاية ، فوالله لا أفلح قاضٍ لا يُقيم الحق على القوى والضعيف ، فقال له الرشيد : من يمنعك من إقامة الحق ؟ فقال : عيسى بن جعفر ، فقال الرشيد لإبراهيم بن عثمان : مر إلى دار عيسى بن جعفر ، واختم أبوابه كلها ، لا يخرج منها أحدٌ ، ولا يدخل إليها أحد ، حتى يخرج إلى الرجل من حقه ، أو يسير معه إلى مجلس الحكم .

فأرسل إبراهيم إلى دار ابن جعفر بخمسمائة فارس ، وأغلق الأبواب كلها ، فنتوهم عيسى بن جعفر أن الرشيد قد حدث عنده رأى في قتله ، ولم يعرف الخبر ، فجعل يكلم الأعوان من خلف الباب . وارتفع الصراخ في منزله ، وضج النساء .

ثم قال لبعض الأعوان من غلمان إبراهيم : ادع لي أبا إسحاق لأكلمه ، فأعلموه ، فجاء حتى وقف على الباب ، فقال له عيسى : وَيحك ! ما حالنا ؟ فأخبره خبر القاضي ابن ظبيان ، فأمر بإحضار خمسمائة ألف درهم من ساعته فأحضرت ، وأمر أن تدفع إلى الرجل . فجاء إبراهيم إلى الرشيد فأخبره . فقال : إذا قبض الرجل ماله ، فافتح أبوابه ، وعرفه أن مارأيته من سيرتك مع القاضي ؛ فإياك ومعارضته .

(١) القمطر : ما يسان فيه الكتب .

٣٥ — الغادرُ مخذولٌ *

قال عمرو بن حفص مولى الأمين : دخلت على محمد الأمين في جوف الليل ،
وكنتُ من خاصّته ، أصلُ إليه حيث لا يصل إليه أحد من مواليه وحشمه ،
فوجدته والشمعُ بين يديه ، وهو يُفكرُ ، فسلمتُ عليه فلم يردّ عليّ ، فعلمتُ أنه
في تدبير بعضِ أموره ، فلم أزلُ واقفاً على رأسه ، حتى مضى أكثرُ الليل . ثم رفع
رأسه إلى فقال : أحضر لي خزيمة بن خازم ^(١) ، فضيتُ إليه فأحضرته ، فلم يزل
في مُناظرته حتى انقضى الليل ؛ فسمعتُ خزيمة وهو يقول : أنشدك الله يا أمير المؤمنين
ألا تكون أول الخلفاء نكثَ عهده ، ونقضَ ميثاقه ، واستخفَّ بيمينه ، وردَّ رأَى
الخليفة قبله . فقال : اسكت ؛ لله أبوك ! فعبد الله بن خازم ^(٢) كان أفضلَ منك
رأياً وأكملَ نظراً حيث يجتمع فحلان في هَجْمَةٍ ^(٣) .

ثم جمع وجوه القواد ، فكان يمرضُ عليهم واحداً واحداً ما اعتزمه قياً بونه ،
وربما ساعده قوم ، حتى بلغ إلى خزيمة بن خازم ، فشاوره في ذلك ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ لم ينصحك من كذّابك ، ولم ينشك من صدّقتك ، لا تجرّئُ
القواد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحمّلهم على نكثِ العهد فينكثوا عهدك ويبيعتك ؛
فإن الغادر مخذولٌ والناكثُ مفلولٌ .

* عصر المأمون : ١ - ٢٠٤

- (١) وال من أكاير القواد في عصر الرشيد والأمين والمأمون ، توفي سنة ٢٠٣ هـ
(٢) عبد الله بن خازم : كان من أشجع الناس ، له فتوح وغزوات ، وولي إمرة خراسان
لبنى أمية ، توفي سنة ٧٢ هـ (٣) الهجمة من الإبل : ما بين السبعين إلى المائة .

٣٦ — رجل يُقاضي المأمون *

دخل رجلٌ على المأمون ^(١) ، وفي يده رقعةٌ فيها مظلمةٌ ^(٢) من أمير المؤمنين ، فقال : أمظلمةٌ مني ! فقال الرجل : أفأخاطبُ يا أمير المؤمنين سواك ! قال : وما هي ظلامتك ؟ قال : إن سعيداً وكيلك اشتري مني جواهر بثلاثين ألف دينار . قال : فإذا اشتري سعيدٌ منك الجواهر تشكو الظلّامة مني ! قال : نعم ، إذ كانت الرّكالةُ قد صحّت منك . قال : لعل سعيداً قد اشتري منك الجواهر ، وحمل إليك المال ، أو اشتراه لنفسه ؛ وعليه فلا يلزمني لك حقٌّ ، ولا أعرفُ لك ظلّامة . فقال له : إن في وصيّةِ عمر بن الخطاب لقضاتكم : « البيّنةُ على من ادّعى ، واليمينُ على من أنكر » .

قال المأمون : إنك قد عدّمت البيّنة ؛ فما يجبُ لك إلا حلفَةٌ ، ولئن حلفتُها لأنا صادقٌ ؛ إذ كنتُ لا أعرفُ لك حقّاً يلزمني . قال : إذن أدعوك إلى القاضي الذي نصبته لرعيّتك . قال : نعم ! يا غلام ، علىّ بيحيي بن أكرم ^(٣) ، فإذا هو قد مثل بين يديّ ، فقال له المأمون : اقضِ بيننا ، قال : في حكمٍ وقضيّةٍ ؟ قال : نعم ، قال : إنك لم تجعل ذلك مجلسَ قضاء . قال : قد فعلت .

* عصر المأمون : ١ - ٣٤٦

(١) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد من أعظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم ، كان كريم الخلق عظيم الحلم محباً للعلم مؤثراً للحكمة ، توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) المظلمة : ما تطلبه عند الظالم ، وكذلك الظلّامة . (٣) يحيى بن أكرم : قاض رفيع القدر ، على الشهرة ؛ من نبلاء الفقهاء ، يتصل نسبه بأكرم بن صيفي حكيم العرب ، ولأه المأمون قضاء البصرة وهو شاب ، ثم قلده القضاء ببغداد . توفي سنة ٢٤٢ هـ .

قال : فإني أبدأ بالعامّة أولاً ليصلحَ المجلسُ للقضاء . قال : افعل .
ففتح الباب وقعد في ناحية ، وأذن للعامّة ، ثم دُعِيَ بالرجل المتظلم ، فقال له
يحيى : ما تقول ؟ قال : أقول : عليك أن تدعواَ بِمُخَصِّى أميرِ المؤمنين المأمونِ .
فنادى المنادى ؛ فإذا المأمون قد خرج ، ومعه غلام يحملُ مُصَلِّى ، حتى وقف على
يحيى وهو جالس ؛ فقال له : اجلس ؛ فطرح المصلّى ليقعدَ عليها ؛ فقال له يحيى :
يا أميرَ المؤمنين ؛ لا تَأْخُذْ على خَصْمِكَ شَرَفَ المجلس ، فطرح له مصلّى ثم نظر
في دَعْوَى الرجل ، وطالبَ المأمونَ باليمينِ فحلفَ ، ووثب يحيى بعد فراغ المأمون
من يمينه ، فقام على رجليه ؛ فقال له المأمون : ما أقامك ؟ فقال : إني كنتُ في حقِّ
الله عزّ وجلّ حتى أخذته منك ، وليس الآن من حقّ أن أتصدّرَ ^(١) عليك .
ثم أمر المأمونُ أن يُحصَرَ ما ادعى الرجل من المال ، وقال له : خذه إليك ،
والله ما كنتُ أحلفُ على فِجْرَةٍ ^(٢) ؛ ثم أسمح لك بالمال فأفسد ديني ودنياي ، والله
يعلم مادفعتُ إليك هذا المال إلا خوفاً من هذه الرعية ، لعلها ترى أنّي تناولتُك من
وَجْهِ القُدْرَةِ ، وإنها لتعلم الآن أني ما كنتُ أسمحُ لك باليمينِ وبالمال .

(١) أتصدر : أتقدم . (٢) حلف على فجرة : إذا ركب أمراً قبيحاً من بين كاذبة أو كذب .

٣٧ — لا يخلو أحدٌ من شَجَن^(١) *

دخل طاهر بن الحسين^(٢) على المأمون ذات يوم في حاجة ، وكان المأمون - فيما قيل - في مجلس شراب ، فأمر برِطَلَيْن من النبيذ ، ثم بكى المأمون ، واغْرَوْرَقَتْ عيناه ، فقال له طاهر : يا أمير المؤمنين ؛ لِمَ تبكي لا أبكي الله عَيْنَكَ ! فوالله ، لقد دانت لك البلاد ، وأذَعَن^(٣) لك العباد ، وصرتَ إلى المحبة في كل أمرِك . فقال : أبكي لأمرٍ ذكره ذلٌّ ، وسْتَرُهُ حزن ، ولن يخلو أحدٌ من شَجَن ، فتكلمَ بحاجة إن كانت لك .

فأزال طاهر بعد ذلك يتخذ الوسائل إلى معرفة السبب ، حتى وُفِّقَ بالمال إلى إغراء ساقى المأمون أن يتعرف كنه ذلك السبب .

فلما تغدَّى المأمون ذات يوم قال لساقيه : يا حسين ؛ اسقني ، قال : لا والله لا أسقيك أو تقول : لم بكيت حين دخل عليك طاهر ؟ قال : يا حسين ؛ وكيف عُنيتَ بهذا حتى سألتني عنه ؟ قال : لِعَمِّي بذلك . قال : هو أمرٌ إن خرج من رأسك قَتَلْتُكَ ، قال : ياسيدي ؛ ومتى أخرجتُ لك سرًّا ! قال : إني ذكرتُ محمداً أخى ، وما ناله من الذلة ، فخنفتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة ؛ وإن يفوتَ طاهراً منى ما يكره

فأخبر حسين الساقى طاهراً بذلك فركب طاهرٌ إلى أحمد بن أبي خالد - وهو وزير

* عصر المأمون : ١ - ٢٧٠

(١) الشجن : الهم والحزن . (٢) كان طاهر بن الحسين قائداً من قواد المأمون ، وهو الذي تولى قتل الأمين ونصب رأسه سنة ١٩٨ هـ . (٣) أى خضعوا لك .

المأمون - فقال له : إن الثناء مني ليس برخيص ، وإن المعروف عندي ليس بضائع ،
فضيبي عن عين المأمون . فقال : سأفعل ؛ فبكر علي غداً .

وركب ابنُ أبي خالد إلى المأمون ، فلما دخل عليه قال له : ما نمتُ الليلة ،
فقال له : ولمَ وَنِمَّكَ ! قال : لأنك وليتَ غسانَ خراسان وهو ومن معه أكلةُ
رأس^(١) ، فأخاف أن يخرج عليك خارجة من الترك فيصطلمه^(٢) .

قال : لقد فكرتُ فيما فكرتَ فيه . آمنَ ترى ؟ قال : طاهر بن الحسين -
قال : ويحك يا أحمد ! قال : أنا الضامن له . قال له فأنتِذه^(٣) .

فدعا بطاهر من ساعته ، وجعله حاكماً على خراسان .

(١) يريد أن عددتم قليل ، يشعبهم رأس واحد . (٢) اصطلمه : استأصله .
(٣) المراد : أرسله ، ونقذ رأيك :

٣٨ - كيف يعتذرُ إنسانٌ من كلام تكلم به !*

حدّث أحمد بن أبي خالد الأحول أنه سمع المأمونَ يوماً - وعنده عليّ بن هشام ، وأخواه - ذكر عمرو بن مسعدة^(١) ، وقال : أيحسبُ عمرو أني لأعرف أخباره ، وما يُجيبَ إليه ، وما يعاملُ به الناس ! بلى والله ، ونهض وانصرفنا .

فقصدتُ عمرواً من ساعتي ، فخبّرتُه بما جرى ، وأنسيتُ أن أستحله من حكايته عني ، فراح عمرو إلى المأمون ، فظنَّ المأمونُ أنه لم يحضُرْ إلا لأمرٍ مهمّ ، لموقعه من الرسائل والمظالم والوزارة ، فأذن له .

فلما دخل عليه وضع سيفه بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا عائدٌ بالله من سُخطه ، ثم عائدٌ بك من سُخطك يا أمير المؤمنين ، أنا أقلُّ من أن يشكوني أمير المؤمنين إلى أحد ، أو يُسرَّ عليّ ضيفاً يبعثه بمض الكلام على إظهار ما يظهر منه .

فقال : وما ذاك ؟ فخبّره عمرو بما بلغه ، ولكنه لم يُسمِّ له مُخبّره . فقال المأمونُ : لم يكن الأمرُ كما بلغك ، وإنما كانت جملةً من تفصيلٍ كنتُ على أن أخبرك به ، وإنما أخرج مني ما خرج معني تجار ينسأه ، وليس عندي إلا ما تحبُّ ، فليُفرخ روعك^(٢) ، وليُحسنْ ظنك . فأعدت الكلام ، فما زال يسكنُ مني ، ويطيب من

* عصر المأمون : ١ - ٣٤٢

(١) وزير المأمون وأحد الكتاب البلغاء توفى سنة ٢١٧ هـ (٢) ليفرخ روعك : ليذهب رعبك وفرعك ، فإن الأمر ليس على ما تحاذر . قال الأزهرى : كل من لقيته من اللغويين يقول : أفرخ روعه - بفتح الراء من روعه - إلا ما أخبرني به المنذرى أنه كان يقال : إنما هو أفرخ روعه - بضم الراء .

فحسى ، حتى ذهب بعض ما كان في قلبي ، ثم بدأ فضمتني إلى نفسه ، وقبلت يده ، فأهوى ليعانقني ؛ فشكرته ، وتبينت في وجهه الحياء والخجل مما تأدى إلى .

قال أحمد : فلما غدوت على المأمون ، قال لي : يا أحمد ؛ أما لمجلسي حرمة ! قلت : يا أمير المؤمنين ؛ وهل الحرم إلا لما فصل عن مجلسك ! قال : ما أراكم ترضون بهذه المعاملة فيما بينكم ! قلت : وأية معاملة يا أمير المؤمنين ؟ هذا كلام لا أعرفه ؛ قال : بلى ، أما سمعت ما كنا فيه أمس من ذكر عمرو !

ذهب بعض من حضر من بني هاشم فخبّره به ، فراح إلى عمرو ومُظهِراً منه ما وجب عليه أن يُظهِره ، فدفعت منه ما أمكن دفعه ، وجعلتُ أعتذرُ إليه منه بعدرٍ قد تبين في الخجل منه ، وكيف يكونُ اعتذارُ إنسان من كلام قد تكلم به ! ألا يتبين في عينيه وشفتيه ووجهه ! ولقد أعطيته ما كان يقنع مني بأقل منه ، وما حدّاني عليه^(١) إلا ما دخلني من الخساسة ، وما كان قد نطق به اللسان من غير روية ولا احتمال مكروه به .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أخبرتُ عمراً به ، لا أحد من ولد هاشم ؛ فقال : أنت ! قلت : أنا ، فقال : ما حملت على ما فعلت ؟ قلت : الشكرُ لك والنصحُ والمحبة لأن تمّ نعمتيك على أوليائك وخدمك ؛ أنا أعلمُ أن أمير المؤمنين يُحبُّ أن يصلح له الأعداء والبُعداء ، فكيف الأولياء والأقرباء ! ولا سيما مثل عمرو في دُنُوّه من الخدمة وموقعه من العمل ، ومكانه من رأي أمير المؤمنين ، أطل الله بقاءه !

سمعتُ أمير المؤمنين أنكر منه شيئاً فخبّرتُه به ليُصلحَه ، ويقومَ من نفسه أودها لسيده ومولاه ، ويتلافى ما فرط منه ، ولا يفسده مملّه ؛ وإنما يكون ما فعلتُ

(١) ما حدّاني : ما بشئ وحملني .

عَيْبًا ، لو أَشَعْتُ سرًّا فيه قدحٌ^(١) في السلطان ، أو نقضُ تدبيرٍ قد استتبَّ ، فأما
مثلُ هذا فما حسبته يبلغ أن يكون ذنبًا على .

فنظر إلى مليًّا ، ثم قال : كيف قلتَ ؟ فأعدتُ عليه : ثم قال : أَعِدْ ، فأعدتُ ،
فقال : أحسنتَ والله يا أحمد ، لما خبرتني به أحبُّ إلى من ألف ألف ، وألف ألف ،
وألف ألف .

وعقد خنصره وبنصره والوسطى ، ثم قال : أما ألف ألف فلننفيك عنى سوء
الظنِّ - وأطلق وُسْطَاه - وأما ألف ألف فلصِدْقك إيَّاي عن نَفْسِك - وأطلق
البنصر - وأما ألف ألف فلحُسْن جوابك - وأطلق الخنصر - وأمَّر لي بمال .

(١) قدح : عيب .

٣٩ — غَرَسُ يَدِي وَإِلْفُ أَدْبِي *

قال رجل من إخوة المأمون للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنَّ عبدَ الله بن طاهر ^(١) يميل إلى ولد أبي طالب ، وكذا كان أبوه قبله ؛ فدفع المأمون ذلك وأنكره ، ثم عاد بمثل هذا القول .

فدسَّ المأمون إلى عبد الله بن طاهر رجلاً . ثم قال له : امض في هيئة القراء والنسك إلى مصر ، فادعُ جماعةً من كبارها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا ، واذكرْ مناقبه وعلمه وفضائله ، ثم صرَّ بعد ذلك إلى بعض بطانة عبد الله بن طاهر ، ثم اتته فادعاه ورغبه في استجابته له ، وبحث عن دفينٍ نيتته بحناً شافياً ، واثنتي بما تسمعُ منه .

ففعل الرجلُ ما قال له وأمره به ، حتى إذا دعا جماعةً من الرؤساء والأعلام قعد يوماً بباب عبد الله بن طاهر ، ودفع رُقعةً إلى الحاجب ليوصلها إليه ، فأذن له ، فأدخله عليه وهو قاعد على بساطه ما بينه وبين الأرض غيره ، وقد مدَّ رجله وخفاه فبيها ، فقال له : قد فهمتُ مافي رُقعتك من جملة كلامك ، فهاتِ ما عندك .

قال : ولي أمانك وذمةُ الله معك ؟ قال : لك ذلك .

فأظهر له ما أراد ، ودعاه إلى القاسم فأخبره بفضائله وعلمه وزُهدِه ، فقال له عبد الله : أتُنصِفُنِي ؟ قال : نعم ، قال : هل يجب شكر الله على العبادِه ؟ قال : نعم ،

* عصر المأمون : ١ - ٣٣٧ .

(١) عبد الله بن طاهر : من أشهر الولاة في العصر العباسي ، ولاه المأمون خراسان ، كان على

الهمة شهماً نبيلاً توفي سنة ٢٣٠ هـ .

قال : فهل يجب شكرُ بعضهم لبعض عند الإحسان والمنّة والتفضل ؟ قال : نعم .
قال : فتجئُ إليّ وأنا في هذه الحال التي ترى ؛ لي خاتم في المشرق وفي المغرب ،
وفيما بينهما أمرى مُطاع وقولي مقبول ، ثم ما التفتُ يميني ولا شمالي وورائي وقد أُمي
إلا رأيتُ نعمةً لرجل أنعمها عليّ ، ومنّة طوّق بها رقبتى ، ويداً لأمّحة بيضاء ابتدأتني
بها تفضلاً وكرماً ، فتدعوّني إلى الكُفْرِ بهذه النعمة وهذا الإحسان ! وتقول : اغدِر
بمن كان أولاً لهذا وآخرًا ! واسع في سفك دمه ! ترك لو دعوتني إلى الجنة
عياناً من حيث أعلم ، أكان الله يُحبُّ أن اغدِر به وأكُفِر بإحسانه ومنّته ،
وأنكث بيّعتته !

فسكت الرجل ، فقال له عبد الملك : أما إنه قد بلغني أمرُك ، وتالله ما أخاف
عليك إلا نفسك ، فارحل عن هذا البلد ؛ فإن السلطانَ الأعظم إن بلغه أمرُك -
وما آمن ذلك عليك - كنتَ الجانيَ على نفسك ونفسِ غيرك .

فلما يئس الرجل مما عنده جاء إلى المأمون فأخبره الخبر ، فاستبشر وقال : ذلك
غرسُ يدي وإلفُ أدبي .

٤٠ — غَسَّانُ بنُ عَبَّادٍ وَعَلِيٌّ بنُ عَيْسَى *

كان بين غسان بن عباد وعلي بن عيسى عداوةً عظيمةً ، وكان علي بن عيسى ضامنًا ^(١) أعمال الخراج والضيايع ببلده ؛ فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار ، فألح المأمون عليه بطلبها ، إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب : أمهله ثلاثة أيام ؛ فإن أحضر المال وإلا فاضربه بالسياط حتى يؤدى المال أو يتلف .

فانصرف علي بن عيسى من دار المأمون آيساً من نفسه ، وهو لا يدرى وجهاً يتجه إليه ، فقال له كاتبه : لو عرجت على غسان بن عباد وعرفتته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك ، فقال له : على ما بيني وبينه من العداوة ! قال : نعم ، فإن الرجل أزيحيٌّ كريم .

فدخل على غسان ، فقام إليه وتلقاه بالجميل ، وأوفاه حقه من الخدمة ، ثم قال له : الحال الذي بيني وبينك كما علمت ، ولكن دخولك إلى داري له حرمةٌ توجب بلوغ ما رجوته مني ، فإن كانت لك حاجةٌ فاذكرها .

فقص عليه القصة ؛ فقال أرجو أن يكفيك الله تعالى ، ولم يزد على ذلك شيئاً . فنهض علي بن عيسى ، وخرج آيساً نادماً على قصد غسان ، وقال لكتابه : ما أؤدنتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان .

فلم يصل علي بن عيسى إلى داره حتى حضر إليه كاتب غسان ومعه البقالُ عليها مال ، فتقدم وسلمه .

* ثمرات الأوراق : ٢ - ٣٠ .

(١) ضمن الشيء : كفله .

وبكر إلى دار أمير المؤمنين ، فوجد غسان قد سبقه إليها ، ودخل على المأمون وقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن لعلي بن عيسى بحضرتك حرمةً وخدمةً وسالف أصل ، ولقد لحقه من الخسران في ضمانه ما تعارفه الناس ؛ وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبّه ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يميزني على حسنِ كرمه ببعض ما عليه ؛ فهي صنعةٌ يجدها على تحرُّسٍ ما تقدّمها من إحسانه ؛ ولم يزل يتلطف إلى أن حطّ عنه النصف ، واقتصر على عشرين ألف دينار .

فقال غسان : علي أن يجددَ عليه أمير المؤمنين الضمان ، ويشرفهُ بخِلمةٍ تقوى نفسه ، وتُرهِف عزمه ، ويعرف بها مكان الرضا عنه . فأجابهُ المأمون إلى ذلك .

قال : فيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إلى حضرته ليوقع بما رآه من هذا الإنعام ! قال : افعل ، فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين ، فوقع بذلك . وخرج على ابن عيسى بالخِلمة ، والتوقيع بيده .

فلما حضر على بن عيسى إلى داره حمل من المبال عشرين ألف دينار ، وأرسلها إلى غسان ، وشكر له جميلَ فعله معه . فقال غسان لكتابه : والله ما شفقتُ عند أمير المؤمنين إلا لتوقّر عليه وينتفع بها ؛ فامض بها إليه ، فلما ردّها كاتبه إلى علي ابن عيسى علم قدر ما فعل معه غسان ، فلم يزل يعرفها له إلى آخر العمر .

٤١ - فِطْنَةٌ*

كان المعتضد^(١) يوماً جالساً في بيت يُبْنَى له ، وهو يشاهد الصَّنَاع ، فرأى في جملتهم عبداً أسوداً مُنْكَرَ الخَلْق ، شديدَ المَرَح ، يصعد على السلالمِ مِرْقَاتين^(٢) مِرْقَاتين ، ويحمل ضعف ما يحمل غيره . فأنكر أمره ، وأحضره ، وسأله عن سبب ذلك ، فَاجْلَجَجَ^(٣) . فقال لوزيره : قد خَمَنْتُ^(٤) في هذا تخميناً ما أحسبه باطلاً ، إما أن يكون معه دنائيرٌ قد ظَفِرَ بها من غَيْرِ وجهها ، أو يكون لصّاً يتسَتَّرَ بالعمل . ثم قال : عليّ بالأسود ، فأحضره وضربه ، وحلف إن لم يصدقه ليضربنَّ عنقه . فقال الأسود : ولي الأمان يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، إلا ما كان من حدٍّ ؛ فظنَّ أنه قد أمَّنه .

فقال : كنتُ أعملُ في أتونِ الأجرِ منذ سنين ، فأنا منذ شهرٍ جالسٌ إذ مرَّ بِي رجلٌ في وسطه كيسٌ ؛ فتبعته وهو لا يعرف مكاني ، فحلَّ الهِمِيَّانَ^(٥) ، وأخرج منه ديناراً ، فتأملته فإذا كلُّه دنائير ، فكتفتُهُ ، وسدَدْتُ فاه ، وأخذت الهِمِيَّانَ ، وحملتُهُ على كتفي ، وطرحتُهُ في التنور ، وطيَّنتُ عليه . فلما كان بعد أيامٍ أخرجتُ عظامه وطرحتها في دجلة ، والدنائيرُ معي تقوى قلبي .

فأرسل المعتضد من أحضر الدنائير ، وإذا على الكيس : « لفلان ابن فلان » فنأدى في المدينة ، فحضرت امرأته ، وقالت : هذا زوجي ، وقد ترك طفلاً صغيراً ، خرج في وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار ، فغاب إلي الآن ، فسلم الدنائير إليها ، وضرب عنق الأسود ، وأمر أن يوضع في الأتُون .

* نهاية الأرب : ٣ - ١٥٠

(١) بويغ المعتضد للخلافة سنة ٢٧٧ وتوفى سنة ٢٨٠ هـ . (٢) السلالم : جمع سلم ، والمرأة : الدرجة . (٣) اللجلجة . التردد . (٤) التخمين : القول بالحدس والظن . (٥) الهميان : وعاء للدراهم .

٤٢ — لا تتبّع الهوى *

قال عبد الرحيم بن القاضي إسماعيل بن إسحاق : كان في حِجْرِ أبي يتيم فيبلغ ، وله أمٌ ، وأختها في دار الخليفة المعتضد بالله ، فقالت أمُّ اليتيم لأختها : كلّمي أمير المؤمنين حتى يرفعَ إسماعيلُ القاضي الحِجْرَ عن ولدي . فكلمته ، فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره ، وقال له : قلْ لإسماعيل القاضي يفكُّ الحِجْرَ عن فلان . فقال القاضي : حتى أسألَ عنه ، وقام فسألَ عنه ، فلم يُخبر عنه برُشد ، فتركه .

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والدة الصبيّ إلى أختها ، وسألتها أن تعاودَ أمير المؤمنين ، وكان المعتضد لا يُعاوِدُ لخشونته ، فعاودته فقال : ألسْتُ قد أمرتُ ! فقالت : لم يُرفعَ عنه الحِجْرُ بعد ، فدعا وزيره عبيد الله ثانياً ، وقال : أمرتُك أن تأمرَ إسماعيلَ القاضي بأن يرفعَ الحِجْرَ عن فلان ! فقال : قد كنت قلت له ذلك ، فقال : حتى أسألَ عنه . فقال : قل له يرفعَ الحِجْرَ عنه . فدعاه الوزير ثانياً ، وقال له : أمير المؤمنين يأمرُك أن ترفعَ الحِجْرَ عن فلان .

فأطرق القاضي ساعةً ، ثم استدعى دَوَاةَ ورقة ، وكتب شيئاً وختمه ، فاستعظم الوزيرُ أن يختمَ عنه كتاباً ، ولم يقلْ له شيئاً لحلَّ إسماعيل من الورع والعلم ، ثم دفع ذلك للوزير ، وقال له : توصل هذا إلى أمير المؤمنين فإنه جوابه .

فأخذ الوزير ودخل على المعتضد ، وقال : زعمُ أن هذا جوابُ أمير المؤمنين ! ففتح المعتضد الكتاب ، وقرأه وألقاه ، وقال : لا تعاوده في هذا . فأخذ عبيد الله

الوزير الكتاب، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، فَأَحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » .

٤٣ — هشام بن عبد الرحمن الداخل وأحد صنائعه *

كان هشام^(١) بن عبد الرحمن الداخل قاعداً لراحته في عُيَّة^(٢) على النهر في حياة والده ، فنظر إلى رجل كنانى من قدماء صنائعه من أهل جَيَّان^(٣) ، قد أقبل يُوضِعُ^(٤) السير في المهاجرة ؛ فأنكر ذلك ، وقد رُشِّراً وقع به من قبل أخيه سليمان - وكان والياً على جَيَّان - فأمر بإدخاله عليه ، فقال : مهيم^(٥) يا كنانى ! فلا أمرٍ ما قدمت ! وما أحسبك إلا مزعجاً لشيء دهمك .

فقال : نعم ياسيدي ، قتل رجلٌ من قومي رجلاً خطأً ، فقصدني أخوك بالاعتداء ؛ إذ عرف مكاني منك .

فمدَّ هشام يده إلى جارية كانت وراء الستر ، وقطع قِلَادَةَ كانت في نحرها ، وقال له : دونك هذا العقديا كنانى ، وشراؤه على ثلاث آلاف دينار ، فلا تُخَدِّعَنَّ عنه ، وبنه وأدِّ عن نفسك وعن قومك ، ولا تُتَمَكَّنِ الرجل من اهتضامك^(٦) .

* نفع الطيب : ١ - ١٥٧

(١) ولد هشام سنة ١٣٩ هـ وتوفى سنة ١٨٠ هـ ، وكان من أشرف الناس نفساً ، وأكرمهم طبعاً ، وأكلمهم مروءة ، لم يعرف عنه هفوة في حديثه ، ولا زلة في أيام صباه ، وأهل الأندلس يشبهونه بعمر بن عبد العزيز . (٢) العلية : بالضم والكسر : الفرفة . (٣) جيان : بلد بالأندلس . (٤) أوضع : أسرع . (٥) مهيم : كلمة استفهام : أى ما حالك وما شأنك أو ما وراءك ؟ (٦) هضم فلاناً واهتضمه : ظلمه وغصبه .

فقال : يا سيدي ؛ لم آتِكَ مُسْتَجِدِيًّا ، ولا لضيق المال عما حُمَّلْتَهُ ، ولكني قُصِدْتُ بظلم صُراحٍ أُحِبُّبِتُ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيَّ عِزُّ نَصْرِكَ ؛ وَأَثَرُ ذَبِّكَ وَامْتِعَاظِكَ فَأَتَمَّاجِدُ^(١) بِذَلِكَ عِنْدَ مَنْ يَحْسَدُنِي عَلَى الْإِنْتِهَاءِ إِلَيْكَ .

فقال هشام : فما وجهُ ذلك ؟ فقال : أن تَكْتُبَ إِلَى أَخِيكَ فِي الْإِمْسَاكِ عَنِي وَالْقِيَامِ بِذِمَّتِكَ لِي . فقال : أَمْسِكِ الْعِقْدَ ، وَرَكِبِ مِنْ حِينِهِ إِلَى وَالِدِهِ الدَّخْلَ ، وَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ أَنْكَرِهِ ، فَانزِعِجِ ، وَقَالَ : مَا أَتَى بِأَبِي الْوَلِيدِ فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَّا أَمْرٌ مُقْلِقٌ ، انْذَنُوا لَهُ .

فلما دَخَلَ سَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَمَثَلَ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ يَا هِشَامُ ، فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ سَيِّدِي الْأَمِيرَ ! وَكَيْفَ جُلُوسِي بِهِمْ وَذُلِّي مُزْعِجِي ! وَحَقٌّ لِمَنْ قَامَ مَقَامِي أَلَّا يَجْلِسَ إِلَّا مَطْمَئِنًا ، وَلَنْ يُقْعِدَنِي إِلَّا طَيْبُ نَفْسِي بِإِسْعَافِ الْأَمِيرِ لِحَاجَتِي ، وَإِلَّا رَجَعْتُ عَلَى عَقْبِي . فقال له : حَاشَ لَكَ مِنْ انْقِلَابِكَ خَائِبًا ، فَاقْعُدْ مُجَابًا مَشْفَعًا ؛ فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : فَمَا الْحَدِيثُ الْمُقْلِقُ ؟ فَأَعْلَمَهُ ؛ فَأَمَرَ بِحَمَلِ الدِّيَةِ عَنْهُ ، وَعَنْ عَشِيرَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ؛ فَسُرَّ هِشَامُ وَأَطْنَبَ فِي الشُّكْرِ ، وَكَتَبَ الْأَمِيرُ إِلَى وَلَدِهِ سَلِيمَانَ فِي تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِهَذَا الْكِنَانِيِّ .

ولما دَخَلَ الْكِنَانِيُّ لَوْدَاعِ هِشَامٍ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي ، قَدْ تَجَاوَزْتُ بِكَ حَدَّ الْأَمْنِيَّةِ ، وَبَلَنْتُ غَايَةَ النُّصْرَةِ ، وَقَدْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِ الْعِقْدِ الْمَبْذُولِ ، فَتَعَيَّدَهُ إِلَى صَاحِبَتِهِ ؛ فَأَبَى ذَلِكَ وَقَالَ : لَا سَبِيلَ إِلَى رَجُوعِهِ إِلَيْنَا .

(١) تماجد : تفاخر ، وأظهر المجد .

٤٤ — قاضي لا يقبل شهادة خليفة*

وكل سعيد بن عبد الرحمن الداخل عند ابن بشير القاضي وكيلا مُحَاصِمٌ عنه لشيء اضطر إليه ، وكانت بيده وثيقةٌ فيها شهادات شهود قد ماتوا ، ولم يكن فيهما من الأحياء إلا الأمير الحكم وشاهد آخر ، فشهد لسعيد ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال في شاهد ثان ، وجدته به الخصام ، فدخل سعيد بالكتاب على الحكم ، وأراه شهادته في الوثيقة - وقد كان كتبها قبل الخلافة في حياة أبيه - وعرفته حاجته إلى أدامها عند قاضيه خوفاً من بطلان حقه .

وكان الحكم يعظم سعيداً عمه ويلتزم مبرته ، فقال له : يا عم ؛ إنا لسنا من أهل الشهادات ، وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ، ونحشى أن توفننا مع القاضى مَوْقِفٍ مَخْرَآةٍ كُنَّا نَقْدِيهِ بملكننا ، فصِرْ في خِصَامِكِ حيث صيرك الحق إليه ، وعلينا رَدُّ ما انتَقَصَكَ .

فأبى عليه وقال : سبحان الله ! وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك ، وأنت وليته ، وهو حسنةٌ من حسناتك ؟ وقد لزمك أن تشهد لي بما علمته ، ولا تكتنني ما أخذ الله عليك .

فقال : بلى ؛ إن ذلك من حقك كما تقول ، ولكنك تدخل علينا به داخلة ، فإن أعفيتنا منه فهو أحبُّ إلينا ، وإن اضطررتنا لم يمكننا عقوقك .

فعزم عليه عزم من لم يشك أن قد ظفر بحاجته ، فأرسل الحكم عند ذلك إلى

فقيبين من فقهاء زمانه ، وخطَّ شهادته بيده في قِرطاس ، وختم عليها بخاتمه ، ودفعا
إلى الفقيبين ، وقال لهما : هذه شهادتي بِحَطِّي ، فأدَّيَاها إلى القاضي .

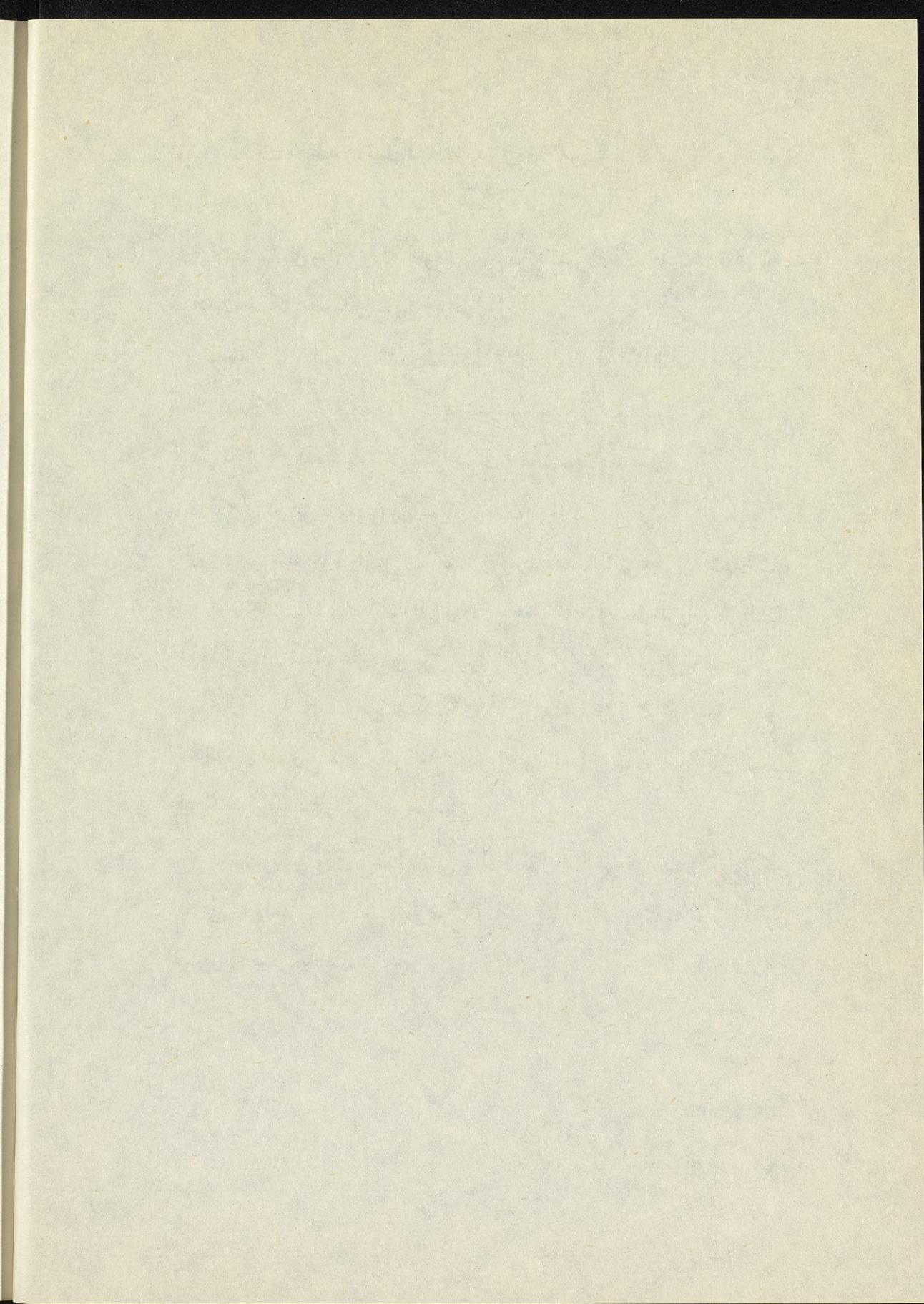
فأتياه بها إلى مجلسه وقتَ تَعُودِهِ للسمع من الشهود ، فأدَّيَاها إليه ؛ فقال لهما :
قد سمعتُ منكما ، فقوماً راشدين في حفظ الله !

وجاء وكيل سَعِيد ، وتقدم إليه مُدِيلاً واثقاً ، وقال له أيها القاضي ؛ قد شهد
عندك الأميرُ - أصلحه الله تعالى - فما تقول ؟ فأخذ كتابَ الشهادة ونظر فيه ،
ثم قال للوكيل : هذه شهادةٌ لا تُقبَلُ عندي ، فجِئْتَنِي بشاهد عدل .

فدهش الوكيل ، ومضى إلى سَعِيد فأعلمه ، فركب من فَوْزِهِ إلى الحكم ،
وقال : ذهب سُلْطَانُنَا ، وأزِيل بهاؤُنَا ؛ أَوْ يَجْتَرِي هذا القاضي على ردِّ شهادتك ،
واللهُ - سبحانه - قد استخلفك على عبادته ، وجعل الأمر في دمائهم وأموالهم إليك !
هذا ما يجب أن تَحْمِلَهُ عليه . وجعل يُغْرِيه بالقاضي ويحرِّضُهُ على الإيقاع به .

فقال له الحكم : وهل شككتُ أنا في هذا يا عم ! القاضي رجل صالح ،
لا تأخذه في الله لومةُ لَأَم ، فعلَ ما يجبُ عليه ويلزمه ؛ وسدَّ دونه بابا كان يصعب
عليه الدخول منه ، فأحسنَ الله جزاءه .

فغضب سعيد وقال : هذا حسبي منك ! فقال له : نعم قد قضيتُ الذي كان
لكَ عليّ ، ولستُ - والله - أعارضُ القاضي فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون
المسلمين في قبْضِ يَدِ مِثْلِهِ .



البَابُ الثَّانِي

في القصص التي تصوّر احتفاظهم بأنسابهم ،
واعترازهم بقبائلهم ، وتمجيدهم للأسلاف ، وتمديدهم
ما تركوا من مآثر ، وما أدى إليه ذلك من
مفاخرات ومنافرات .

٤٥ — خَاطَرْتُ عَلَى حَسْبِي وَحَسْبِكَ *

خرج الحكم بن أبي العاصي ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة . كان بالحيرة ، سوقٌ
يجمع إليها الناس كل سنة . فرّ في طريقه بحاتم بن الله الطائي^(١) ؛ فسأله
الجوار في أرض طيِّ حتى يصير إلى الحيرة ، فأجاره . ثم أمر حاتم بمجْزور فنحرت
وطبخت ، ثم دعاهم إلى الطعام فأكلوا ، ولما فرغوا من الطعام طيَّبهم الحكم
من طيبه .

وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم رُبْعَ الطريق طُعمة لهم ؛ لأن بنت
سعد بن حارثة بن لأم كانت عنده .

ومر سعد بن حارثة بحاتم ومعه قومه من بني لأم ، فوضع حاتم سَفْرَتَهُ وقال :
اطعموا حيّاكم الله ! فقالوا : من هؤلاء الذين معك يا حاتم ؟ قال : هؤلاء جيرانى ،
قال له سعد : فأنت تُجِير علينا فى بلادنا ! قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم
تُخْفَرُوا ذِمَّتَهُ . فقالوا : لست هناك ! وأرادوا أن يفضحوه ، ووثبوا إليه ، وتناول
سعد حاتمًا ، فأهوى له حاتم بالسيف ، فأطار أرنبة أنفه ، ووقع الشر حتى تجاوزوا ،
ثم قالت بنو الأم لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فما جدك^(٢) ؛ ثم وضعوا تسعة
أفراس رهنًا ، ووضع حاتم فرسه رهنًا عند رجل من كلب ، وخرجوا حتى اتهموا
إلى الحيرة .

* الأغانى : ١٦ - ٩٥

(١) حاتم الطائي : فارس شاعر ، جواد ، يضرب الثل بجوده ، توفي نحو سنة ٤٥ ق . هـ

(٢) يقال : ماجده مجاداً : عارضه بالمجد فجده ، أى غلبه .

وسمع بذلك إياسُ بن قبيصة الطائي؛ فخاف أن يُعينهم النعمانُ بن المنذر
ويقويهم بماله وسُلطانه للصَّهْر الذي بينهم وبينه؛ فجمع رَهْطَه من بني حية، وقال:
يا بني حية؛ إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مُمَجِدَتِه؛ فقال
رجل منهم: عندي مائةُ ناقة سوداء، ومائة ناقة حمراء أدماء^(١)؛ وقام آخر فقال:
عندي عشرة حصن؛ على كل حصان منها فارس مُدَجَّج^(٢) لا يُرَى منه إلا عيناه.
وقال حسان بن جبلة الخير: قد علمت أن أبي قد مات وترك خيراً كثيراً، فعلى كل
خمر ولحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة؛ ثم قام إياس فقال: على مثل جميع
ما أعطيتكم كلُّكم - وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا.

وذهب حاتم إلى ابن عمه وهم بن عمرو - وكان مصارماً له لا يكلمه - فقالت له
امراته: أي وهم، هذا والله أبو سفانة - حاتم - قد طلع، فقال: مالنا ولحاتم!
أُنْبِيتِي النظر، فقالت: هاهو. قال: ويحك! هو لا يكلمني، فما جاء به إلى؟
ثم نزل حتى سلم عليه، فردّ سلامه وحيّاه، ثم قال له: ميا جاء بك يا حاتم؟ قال:
خاطرتُ على حَسَبِكَ وحسبي، قال: في الرَّحْب والسَّعة، هذا مالي وعِدَّتُهُ تِسْمَانَةٌ
بعير، فخذها مائة مائة حتى تذهب الإبل أو تصيب ما تريد^(٣).

ثم إن إياس بن قبيصة قال لقومه: احمولوني إلى الملك - وكان به نقرس^(٤) -
فَحْمِلَ حتى أُدْخِلَ عليه، فقال: أنعم صباحاً، أيدت اللعن! فقال النعمان: وحيّاك

(١) الأدمة في الإبل: لون مشرب سواداً أو بياضاً، والأنتى: أدماء (٢) المدجج: الذي
لبس سلاحه. (٣) وفي وهم يقول حاتم:

ألا أبلغا وهم بن عمرو رسالة
رأيتك أدنى الناس منا قرابة
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا
فإنك أنت المرء بالخير أجدر
وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر
بموت فكن يا وهم ذو يتأخر

وذو بمعنى الذي في لغة طيء.

(٤) النقرس: ورم ووجع في مفاصل الكمين وأصابع الرجلين.

إلهك . فقال إياس : أتمدُّ أختانك^(١) بالمال والخيل ، وجعلتَ بني ثعل في قعر الكِنانة ! أظنَّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين^(٢) ولم يشعروا أن بني حية بالبلد ! فإن شئتَ والله نأجزناك^(٣) حتى يسفح الوادي دماً ، فليحضروا مجادهم^(٤) غداً بجمع العرب .

فعرف النعمان الغضبَ في وجهه وكلامه ، فقال له : يا أحلمنا ، لا تنضبْ فإني سأ كفيك . وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه ، وقال : انظروا ابن عمكم حاتماً فأرضوه ، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبدُّرونه ، وما أطيق بني حية .

فخرج بنو لأم إلى حاتم وقالوا له : اعرض عن هذا المجداد ندع أورش^(٥) أنفِ ابنِ عمنا . قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويقلب مجادكم . فتركوا أورش أنفِ صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبَّحها الله وأبعدها ! فعمد إليها حاتم ففقرها وأطعمها الناس .

(١) أختان : جمع ختن ، وهو الصم (٢) كانت بنو لام فضحت عامر بن جوين في مجادة .
(٣) المناجزة : المقاتلة (٤) ماجده مجاداً : عارضه بالمجد (٥) الأرش : الدية .

٤٦ — لا تجملن هوازنا كمذحج *

اجتمع يزيد بن عبد المدان وعامر بن الطفيل بموسم عكاظ ، وقدم أمية^(١)
ابن الأسكر الكنانى ، وتبعته ابنة له من أجل أهل زمانها ؛ فخطبها يزيد وعامر
فقال أم كلاب امرأة أمية : من هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان ،
وهذا عامر بن الطفيل ، فقالت : أعرف بنى الديان^(٢) ، ولا أعرف عامراً . فقال :
هل سمعت بملاعب الأسنه^(٣) ؟ فقالت : نعم ، قال : فهذا ابن أخيه .
وأقبل يزيد يفاخر خصمه ، فقال : يا أمية ، إن ابن الديان صاحب الكتبية
ورئيس مذحج ، ومن كان يصبو أصابعه فتنتطف^(٤) دماً ، ويدلُّك راحتيه
فتخرجان ذهباً .

فقال أمية : بخ بخ ! مرعى ولا كالسعدان^(٥) !

فقال يزيد : يا عامر ؛ هل تعلم شاعراً من قومي سار بمدحة إلى رجل من
قومك ؟ قال : اللهم لا !

قال : فهل تعلم أن شعراء قومك يرحلون بمدائحهم إلى قومي ، قال :

اللهم نعم !

* الأغاني : ١٠ - ١٣٨

(١) هو أمية بن حمران بن الأسكر ، ينتهى نسبه إلى نزار ، وكان شاعراً فارساً مخضرمأ أدرك
الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم وله أيام مأثورة مذكورة .
(٢) بنو الديان : قبيلة يزيد . (٣) ملاعب الأسنه : عامر بن مالك ، فارس قيس ، وأحد
أبطال العرب في الجاهلية توفى نحو سنة ١٠ هـ . (٤) تنطف : تسيل . (٥) ذهبت مثلاً ،
والسعدان نبت من أفضل مراعيهم .

قال : فهل لكم نَجْمُ يمان أو بُرْدُ يمان أو سَيْفُ يمان أو رُكْنُ يمان ؟ قال : لا ،

قال : فهل ملكناكم ولم تملكونا ؟ قال : نعم .

فنهض يزيد وأنشأ يقول مخاطباً أبا البنت :

أمى يا بن الأسكر بن مُدْلِجٍ لا تجعلن هوازناً كمدحج

إنك إن تلهج بأمرٍ تلجج ما النبع^(٢) في مغرسه كالعوسج

ولا الصريح المحض كالمزج

فزوج أمية يزيد بن عبد اللدان ابنته ، ثم لجج التهاجي بين الرجلين .

(٢) النبع شجر تتخذ منه القسي ، ومن أغصانه السهام

(١) بنو مدلج : قبلة من كنانة
والعوسج : شجر من شجر الشوك .

٤٧ — يتنازعان الزعامة *

لما أسنَّ أبو براء عامر بن مالك ، تنازع في الرياسة عامرُ بنَ الطفيل (١) ،
وعَلَقَمَةُ (٢) بنَ عَلَاتَةَ .

فقال علقمة : كانت : لجدِّي الأحوص وإنما صارت لعمك بسببه ، وقد قعد
عمك عنها ، وأنا أستر جمعها ، فأنا أولى بها منك ؛ فشَرِي (٣) الشرُّ بينهما ، وسارا
إلى المنفرة .

فقال علقمة : إن شئتَ نافرْتُك ، فقال عامر : قد شئتُ ، والله إني لأكرمُ
منك حسَباً ، وأثبتُ منك نَسَباً ، وأطولُ منك قَصَباً (٤) .

فقال علقمة : والله لأنا خيرُ منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : والله لأنا أنحرُ
منك للقاح (٥) ، وخيرُ منك في الصباح ، وأطعمُ منك في السنة الشِّياح (٦) .

فقال علقمة : أنا خيرُ منك أثراً ، وأحدُّ منك بصراً ، وأعزُّ منك نَفَرًا ،
وأشرفُ منك ذِكْرًا .

* الأغاني : ١٥ - ٥٠ ، مهذب الأغاني : ٢ : ٦٨ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٧٢ ، بلوغ
الأرب : ١ : ٢٨٦

وهذه القصة اختلفت رواياتهم - اختلافاً كثيراً جعلنا الروايات يكمل بعضها بعضاً .
(١) من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه ، وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، ولد ونشأ
بنجد ، كريماً شجاعاً ، وفد على رسول الله يريد الغدر به ولم يسلم ، فات في طريقه قبل أن يبلغ
قومه سنة ١١ هـ (٢) علقمة بن علانة : كان في الجاهلية من أشرف قومه ، أسلم ، وارتد في
أيام أبي بكر فانصرف إلى الشام ، ثم عاد إلى الإسلام ، توفي نحو سنة ٢٠ هـ (٣) شري :
استطار (٤) يريد طول القامة ، والقصب أيضاً ثياب تتخذ من كتان رفاق ناعمة ، وهو كناية
عن الرفاهية والنعمة ورجد العيش (٥) اللقاح : الإبل (٦) الشياح : القحط .

فقال عامر: ليس لبني الأَخْوَصِ فضلٌ على بني مالك في العدد ، وبصرى ناقصٌ ، وبصرُك صحيحٌ ، ولكني أَنافِرُك ؛ وإني أَسَمِيْ مِنْكَ سُمَّةً ^(١) ، وأطولُ مِنْكَ قَمَةً ، وأحسنُ مِنْكَ أُمَّةً ^(٢) ، وأجعدُ مِنْكَ جُمَّةً ^(٣) ، وأسرعُ مِنْكَ رَحْمَةً ، وأبعدُ مِنْكَ هِمَّةً .

فقال علقمة : أنت رجلٌ جسيمٌ ، وأنا رجلٌ قَصِيْفٌ ^(٤) ، وأنت جميلٌ ، وأنا قبيحٌ ، ولكني أَنافِرُك بآبائي وأعمامي .

فقال عامر : آباؤُك أعمامِي ، ولم أكنْ لِأَنافِرُك بهم ، ولكني أَنافِرُك ؛ أنا خيرٌ مِنْكَ عَقِبًا ، وأطعمُ مِنْكَ جَدَبًا .

فقال علقمة : قد علمتُ أن لك عَقِبًا ، وقد أطعمت طَيِّبًا ، ولكني أَنافِرُك ؛ إني خيرٌ مِنْكَ ، وأولى بالخيرات مِنْكَ .

فخرجت أمُّ عامر - وكانت تَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ، فقالت : يا عامر ، نافرُهُ أَيُّكُمَا أولى بالخيرات .

قال عامر : والله إني لَأَزْكَبُ مِنْكَ فِي الْحُمَاةِ ، وَأَقْتُلُ مِنْكَ لِلْكُمَاةِ ^(٥) ، وخيرٌ مِنْكَ لِلْمَوْلَى وَالْمَوْلَاةِ .

فقال له علقمة : والله إني لَبَرٌّ وَإِنَّكَ لَفَاجِرٌ ، وإني لَوَلُودٌ وَإِنَّكَ لِعَاقِرٌ ^(٦) ، وإني لعَفٌّ وَإِنَّكَ لِعَاهِرٌ ، وإني لَوَفِيٌّ وَإِنَّكَ لِنَادِرٌ ، فقيمُ تَفَاخُرِي يَا عامرُ ؟ فقال عامر : والله إني لَأَنْزَلُ مِنْكَ لِلْقَفْرَةِ ^(٧) ، وَأَنْحَرُ مِنْكَ لِلْبَكْرَةِ ^(٨) ، وأطعمُ مِنْكَ لِلهَبْرَةِ ^(٩) ، وأطعنُ مِنْكَ لِلثُّغْرَةِ .

(١) السمة : القرابة (٢) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن (٣) الجمّة : مجتمع شعر الرأس
(٤) قضيف : نحيف (٥) الكمّاة : جمع كمي ، وهو الشجاع (٦) رجل عاقر : لم يولد له ولد
(٧) القفرة : الحلاء من الأرض (٨) البكرة : الفتية من الإبل (٩) الهبرة : القطعة
المجتعة من اللحم .

فقال علقمة : والله إنك للكليلُ البصر ، نكدُ النظر .

فقال بنو خالد بن جعفر - وكانوا يداً مع بني الأخوص على بني مالك بن جعفر :
لن تطيقَ عامراً ؛ ولكن قل له أنا فِرْكُ بخيرنا وأقر بنا إلى الخيرات .

فقال له علقمة هذا القول ؛ فقال عامر : عَيْرٌ وَتَيْسٌ ^(١) وَتَيْسٌ وَعَيْرٌ . نعم ، على
مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يُعطاها الحكم أيُّنا نفرَّ عليه صاحبه أخرجها ؛
ففعلوا ذلك ، ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على يدي رجل يقال له خزيمة بن عمرو ،
فسمي الضَّيِّب .

وخرج علقمة ومن معه من بني خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك ،
وجملا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، فلم يقل بينهما شيئاً ، وكره
ذلك لخالهما ، وحال عشيرتهما ، وقال : أنما كُرُّ كَبَّتِي البعير الأذرم ^(٢) . قالوا : فأيتنا
اليمين ؟ قال : كلا كما يمين ؛ وأبى أن يقضى بينهما .

فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام ، فأبى أن يحكم بينهما ، وقد كانت العرب
تحاكمُ إلى قريش ، فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقولَ بينهما شيئاً ،
فأتيا غيلان بن سلمة التَّقْفِي ، فردهما إلى حرملة بن الأشعر المري ، فأبى أن
يقول شيئاً .

ثم تداعيا إلى هرير بن قطنه ليحكم بينهما ، فرحلا إليه ، ومع كل واحد منهما
ثلاثمئة من الإبل : مائة يطعمها من تبعه ، ومائة يعطيها للحاكم ، ومائة تُعقرُ إذا

(١) العير : الحمار ، وغلب على الوحش ، وهو أقوى من التيس ، أي مثل وإياك كالعير والتيس ،
أو على الأقل كالنيس والعنز ، إذ التيس أقوى على النطاح من العنز (٢) درم العظم : وراه
اللحم حتى لم يبق له حجم .

حكّم؛ فأبى هرم بن قُظنة أن يحكم بينهما مخافة الشرّ، وأبياً أن يرتحلا، فقال هرم: لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصلنّ، فأعطيني موثقاً أطمئنّ إليه أن ترَضياً بما أقول، وتُسَلِّما لما قضيتُ بينكما، وأمرها بالانصراف ووعدها يوماً. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجلُ خرجا إليه، وأقام القومُ عنده أياماً.

فخلّا هرم بعلقمة، وقال له: أترجو أن ينفركَ^(١) رجلٌ من العرب على عامرٍ فارسٍ مضر؛ أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً، لَسِنَانُ رُمَحِ عامرٍ أذْكَرُ في العرب من الأحوص، وعمه مُلَاعِبُ الأسنّة.

فقال له علقمة: أنشدك الله والرَّحِمَ ألا تُنْفِرَ على عامراً! اجزُرْ ناصيتي، واحتكّم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه. فقال، انصرف، فسوف أرى رأيي؛ فخرج وهو لا يشكُّ أنه سيفضّلُ عليه عامراً.

ثم خلا بعامر فقال له: أعلى علقمة تفخر؟ أنت تناوئته! أعلى ابن عوف بن الأحوص؛ أعفُّ بنى عامر، وأيمئهم نقيبة، وأحلمهم وأسودهم؛ وأنت أعورُ عاقرٍ مَشْتُوم! أما كان لك رأيٌ يزعمك^(٢) عن هذا! أكنتَ تظن أن أحداً من العرب يُنفركَ عليه؟ فقال عامر: نَشَدْتُكَ اللهُ والرَّحِمَ ألا تفضّلَ على علقمة! فوالله إن فعلتَ لا أفلح بعدها أبداً، هذه ناصيتي فاجزُرْها، واحتكّم في مالي، فإن كنتَ لا بدّ فاعلا فسوّ بيني وبينه. قال: انصرف فسوف أرى رأيي، فخرج عامر وهو لا يشكُّ أنه ينفّرُه عليه.

ثم إن هَرِمًا أرسل إلى بنيهِ وبنى أبيه: إني قائلٌ غدًا بين هدين الرجلين مقالة، فإذا فعلتُ فليطرد بعضكم عشر جزائر^(٣) فليتحرها عن علقمة، ويطرد

(١) هره عليه: قضى له عليه بالغبلة (٢) يزعمك: يردك (٣) جزائر: جمع جزور

بعضكم عشر جزائر لينحرفها عن عامر ، وفرقوا بين الناس لا تكون لهم جماعة .
فلما اجتمعا وحضر الناس للقضاء قام هرِم ، وقال : يا بنى جعفر ، قد تحاكمتما
عندي ، وأنتما كرُّ كبتى البعير الأدرَم ، تقعان إلى الأرض معاً ، وليس فيكما أحدٌ
إلا وفيه ماليس فى صاحبه ، وكلا كما سيِّدٌ كريم .

وعمَد بنو هرِم وبنو أخيه إلى تلك الجزُر فنحروها حيث أمرهم هرِم ، وفرقوا
الناس ، ولم يُفضَّل هرِم أحداً منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل - وهما ابنا عم -
فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرّاً .

فارتحلوا عن هرِم لما أعيام نحو عكاظ ، فلقبهم الأعشى منحدرأ من اليمن -
وكان لما أراذها قال لعلقة : اعقد لى حَبِلاً^(١) ، فقال : أعقد لك من بنى عامر !
قال : لا يُبْنى عنى . قال : فمن قيس ! قال : لا . قال : فما أنا بزائدك . فأتى عامر بن
الطفيل ، فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تُجبره من أهل السماء ؟
قال : إن مات ودَيْتُهُ^(٢) - فقال الأعشى لعامر : أظهر أنكما حكمتانى ، ففعل ؛
فقام الأعشى ؛ فرفع عقيرته^(٣) فى الناس فقال :

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَجُ مِثْلُ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ
لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ وَلَا يَبَالِي خُسْرَ الْخَاسِرِ
عَلِمْتُ لَا ؛ لَسْتُ إِلَى عَامِرِ النَّاقِضِ الْأَوْتَارِ وَاللَّابِسِ الْخَلِيلِ بَجِيلِ إِذَا
نَارَ عَجَاجِ الْكَبَّةِ^(٤) النَّائِرِ
إِنْ تَسُدُّ الْحَوْصُ فَلَمْ تَمُدُّم وَعَامِرٌ سَادَ بَنَى عَامِرِ
سَادَ وَأَنْتَى رَهْطُهُ سَادَةٌ وَكَابِرٌ أَسَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

(١) يريد جواره . (٢) دفعت ديتة (٣) عقيرته : صوته (٤) السكبة : الدفعة فى القتال والجملة فى الحرب .

وشدَّ القومُ في أعراضِ الإبلِ المائةِ فقروها ، وقالوا : نُفِّرَ عامرَ وذهبتَ بها
الغوغاءُ ، وجهِدْ علقمةَ أن يردَّها فلم يقدر على ذلك ، فجعل يتهدَّدُ الأعشى فقال :
أتانى وعيدُ الحوص من آلِ عامرٍ فياعبدِ عمري لو نهيتَ الأحوصاً !
فما ذنبنا إن جاشَ بحرُ ابنِ عمك وبمركِ ساجٍ^(١) لا يوارى الدَّعامصاً^(٢)
كلا أبويكم كان فرغى دِعامَةً ولكنهم زادوا وأصبحتَ ناقصاً
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى^(٣) يبتنَ حمانصاً^(٤)
يراقبنَ من جوعِ خِلالِ مخافةِ نجومِ العشاءِ العاتمتِ الغوامصاً^(٥)
رمى بك في أخرامِ تركِ الندى وفضلَ أقواماً عليك مراهصاً^(٦)
فمضَّ حديدُ الأرضِ إن كنتَ ساخطاً بفيك وأحجارَ الكلابِ الروهصاً^(٧)
فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار .

(١) سجي : سكن (٢) الدموس : دوية أو دودة سوداء تكون في الفدران إذا قل ماؤها
(٣) غرث : جامع (٤) الحمانس : جمع خيصة ، ضالة البطن : أى من شدة الجوع .
(٥) التميصاء : لإحدى الشعريين ، قال في القاموس : من أحاديثهم : إن الشعرى العبور قطعت
الحجرة فسميت عبوراً وبكت الأخرى على أثرها حتى غممت ، ويقال لها التموس أيضاً (٦) واهص
غريمه : راصده ؛ قال في القاموس : والراهص لم يسمع بواحدنا (٧) الكلاب : موضع ،
والرواهص من الحجارة التي تنكب الدواب ، والصخور الثابتة .

٤٨ — أَنْتَ لَهُ*

قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي جَعْفَرَ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مَلَاعِبُ
الْأَسْتَنِ ، وَفِيهِمْ لَبِيدٌ^(١) بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ غُلَامٌ لَهُ ذُوَابَةٌ ، فَضَرَبَ النُّعْمَانُ قُبَّةً
وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ النَّزْلَ^(٢) ، فَجَعَلُوا يَفْدُونَ إِلَى النُّعْمَانِ وَيَرُوحُونَ وَيَتْرَكُونَ لَبِيدًا فِي
رِحَالِهِمْ ، يَحْفَظُ أَمْتَعَتَهُمْ وَيَفْدُوا بِإِبْلِهِمْ فِيرْعَاهَا ، فَإِذَا أَمْسَى الْمَسَاءُ انْصَرَفَ بِهَا .

وَكَانَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادِ الْعَبْسِيِّ يُنَادِمُ النُّعْمَانَ وَيُصَادِقُهُ ، وَيَتَقَدَّمُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ،
فَكَانَ إِذَا خَلَا بِالنُّعْمَانِ طَمَعَنَ فِي بَنِي جَعْفَرَ وَذَكَرَ مَعَابِيَهُمْ لِعِدَاوَةٍ قَدِيمَةٍ كَانَتْ بَيْنَ
عَبْسٍ وَبَنِي جَعْفَرَ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا حَتَّى أَثَرَ فِي نَفْسِ النُّعْمَانِ ، فَتَرَعَ الْقُبَّةَ عَنْهُمْ ،
وَقَطَعَ النَّزْلَ .

وَدَخَلُوا عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَأَوَامَنَهُ جَفَاءً ؛ فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ غَضَابًا ، وَهَمُّوا
بِالانْصِرَافِ .

وَبَيْنَمَا هُمْ يَتَذَاكِرُونَ أُمَّرَ الرَّبِيعِ سَمِعَهُمْ لَبِيدٌ فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَتَنَاجَوْنَ !
فَكَتَمُوهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِلَيْكَ عَنَّا . قَالَ : أَخْبِرُونِي ، فَلَعَلَّ لَكُمْ عِنْدِي فَرَجًا ،
فَزَجَرُوهُ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا أَحْفَظُ لَكُمْ مَتَاعًا ، وَلَا أُشْرِحُ^(٣) لَكُمْ بِعَصِيرَا
أَوْ تَخْبِرُونِي .

فَقَالُوا لَهُ إِنْ خَالَكَ الرَّبِيعُ — وَكَانَتْ أُمُّ لَبِيدٍ عَبْسِيَّةً ، وَكَانَتْ يَتِيمَةً فِي جِحْرِ

* الحزائنة : ٤ - ١٧١ ، مجمع الأمثال : ٢ - ٤٢ ، الأغاني : ١٤ - ١٩٢ ، ١٦ - ٢٢ ،
اللسان - مادة سئل .

(١) لبيد بن ربيعة : أحد الشعراء الفرسان الأشرف في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، وعاش
عمرًا طويلًا ، وتوفي سنة ٤١ هـ (٢) النزول : الطغام (٣) سرح الماشية وسرحت بنفسها .

الربيع - قد غلبنا على الملك ، وصدنا عنا وجهه ا فقال لهم : هل تقدرن أن تجمعوا بيني وبينه غداً حين يقعدُ الملك ، فأرْجُزَ به رَجَزاً مُمَضّاً مؤملاً ، لا يلتفت إليه النعمانُ بعده أبداً ؟ قالوا له : وهل عندك ذلك ؟ قال : نعم ، قالوا : إنا نَبْلُوكَ بِشَيْءٍ هذه البَقْلَةُ - وقُدَّامَهُمْ بَقْلَةٌ دَقِيقَةُ القَضْبَانِ ^(١) ، قليلة الورق ، لا صفةُ فروعها بالأرض تُدعى التُّرْبَةُ ^(٢) .

فاقتلعهما من الأرض ، وأخذها بيده ، وقال : هذه التربة التي لا تُذْكَرُ ^(٣) ناراً ، ولا تُؤْهِلُ داراً ، ولا تُسْرُجُ جاراً ، عودُها ضئيل ، وفرعها كليل ^(٤) ، وخيرها قليل بَلَدُهَا شاسع ونَبْتُهَا خاشع ^(٥) ، وآكلها جائع ، والمقيمُ عليها ضائع ؛ أَقْصَرُ البَقُولِ فَرَعاً ، وأخبثها مرعى ، وأشدُّها قلعاً ، فَحَرَّ بِأَها جَدَعاً ^(٦) ! القوا بي أخا عَنَسٍ ، أَرْجِعْهُ عَلَيْكُمْ بَعْسٌ ^(٧) ونُكْسٌ ، وأتركه من أمره في لَبْسٍ .

فقالوا : نُصَبِحُ فَنَرَى فِيكَ رَأِينَا . فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ؛ فَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ نَأْتِماً فَلَيْسَ أَمْرُهُ بِشَيْءٍ ، إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ وَيَهْدِي بِمَا يَهْجِسُ فِي خَاطِرِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُ سَاهِراً فَهُوَ صَاحِبِكُمْ !

فَرَمَقُوهُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ رَكِبَ رَحْلاً يَكْدُمُ ^(٨) واسطته حتى أصبح فلما أصبحوا قالوا : أنت والله صاحبُه . وحلقوا رأسه ، وتركوا له ذُؤَابَتَيْنِ ، وَأَلْبَسُوهُ حُلَّةً ، وغدوا به معهم .

(١) القضبان : الأعصان (٢) التربة . نبت سهل ، والبقل : ما نبت من بزره لا من أرومة ثانية ، والبقلة واحدة (٣) أذكى النار : أوقدها (٤) كليل : ضعيف غير صليب .
(٥) خاشع : دان من الأرض (٦) جدعا : قطعاً (٧) التمس : الهلاك .
(٨) كدمه : عضه بأذن فيه أو أثر فيه يجديده .

فدخلوا على النعمان ، فوجدوه يتغذى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدارُ
والجالس مملوءة من الوفود .

فلما فرغ من الغداء ذكروا له حاجتهم ؛ فاعترضهم الربيعُ في كلامهم ، فقال
ليبيد - وقد دهن أحد شِقَيْ رَأْسِهِ ، وَأَرْخَى إِزَارَهُ ، وَانْتَمَلَ نَعْلًا : آيَةُ اللَّعْنِ !
أَتَأْذِنُ لِي فِي الْكَلَامِ ؟ فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ (١) :

لا تَزَجِرِ الْفَتِيانَ عَنِ سُوءِ الرَّعَّةِ (٢) ياربِّ هَيْجًا (٣) هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَاةٍ
فِي كُلِّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقْرَعُهُ (٤) نحنُ بنو أمِّ البَينِ (٥) الأربَعَهُ
نحنُ خِيَارُ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ المَطْمُونِ الْجَفْنَةَ المَدْعَدَةَ (٦)
والضارِبُونَ الهَامَ تَحْتَ الخَيْضَعَةَ (٧) يا واهِبَ المَالِ الجَزِيلِ مِنْ سَقَمِهِ
إِلَيْكَ جَاوِزَنَا بِلَادًا مُسْبِعَةً (٨)

* يُخْبِرُكَ عَنْ هَذَا خَيْرٌ فَاسْمِعْهُ *

فقال النعمان : ما هو ؟ فقال : * مهلاً آيَةُ اللَّعْنِ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ *

فقال النعمان : ولم ؟ فقال : * إِنْ اسْتَهْ مِنْ بَرَصٍ مُلْمَعَةٍ *

فقال النعمان : وما كَلَى ؟ فقال : * وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ *

يَدْخُلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ (٩) كَأَنَّهَا يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيِّعَةً

(١) مجمع الأمثال : ٢ - ٤٤ ؛ مع اختلاف الرواية (٢) الرعة : حالة الأحمق التي رضى بها

(٣) الهيجا : الحرب . (٤) يقال هو مقزع ومقزع : رقيق شعر الرأس .

(٥) بنو أمِّ البَينِ الأربعة : هم خمسة : مالك بن جعفر ، وطفيل بن مالك ، وربيعة بن مالك ،
وعبيدة بن مالك ، ومعاوية بن مالك ، وهم أشرف بني عامر ، فجعلهم أربعة لأجل القافية .

(٦) المدعدة : المملوءة (٧) الخيضة : البيضة (٨) بلاد مسبعة : كثيرة السباع .

(٩) الأشاجع : عروق ظاهر الكف .

فلما سمع النعمان قوله أفف^(١) ، ورفع يده من الطعام ، والتفت إلى الريح
يرمئمه شزراً ، وقال : أ كذلك أنت ! قال : كذب والله ابن الحقيق^(٢) اللثيم !
فقال النعمان : لقد خبت على طعامي .

ثم قضى النعمان حوائج الجعفرين ، وانصرف الربيع إلى منزله ، فبعث
إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله . فكتب
إليه : « إني قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال ليبيد ، ولست
برائم^(٣) حتى تبعث من يردتي ؛ ليعلم من حضرك من الناس أني لست كما
قال . . . »

فأرسل إليه : « إنك لست صانعاً بانتفائك مما قال ليبيد شيئاً ، ولا قادراً على
رد ما زلت به الألسن ، فالحق بأهلك » . فلحق بأهله .

ثم أرسل إلى النعمان :

لئن رحلت جالي إن لي سعةً ما مثلها سعة عرضاً ولا طولا
ولو جمعت بني الخمر بأسرهم لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلا^(٤)
ترعى الروائم^(٥) أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغسويلا^(٦)
فأثبت بأرضك بعدى واخلى متكثراً مع النطاسي^(٧) طوراً وابن نوفيلا

(١) أفف : قال « أف » (٢) الحقيق : الأحمق (٣) رائم : بارح وراحل (٤) سمويلا :
أحد أجداد الربيع . وهو في الأصل اسم طائر ، وقيل : بلد كثير الطير (٥) ناقة روم ورائمة
ورائم : عاطفة على ولدها (٦) النسويل : نبت ينبت في السباح (٧) النطاسي وابن نوفيلا :
اثنان كانا ينادمان النعمان أولهما طبيب وثانيهما تاجر .

فأجابه النعمان :

شَرِّدْ بِرِحْلِكَ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تَكْثُرْ عَلَيَّ ، وَدَعْ عَنكَ الْأَقَاوِيلَا
فَقَدْ رُمِيتَ بِدَاءِ لَسْتِ غَاسِلَهَ مَا جَاوَرَ السَّيْلَ أَهْلُ الشَّامِ وَالنَّيْلَا
فَمَا ائْتَفَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا قَطَعْتَ هُوَجٌ^(١) الْمِطْيُ بِهَ أَكْنَافِ شَمْلِيلَا^(٢)
قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صَدَقَا وَإِنْ كَذِبَا فَمَا ائْتَفَاؤُكَ مِنْ قَوْلِي إِذَا قِيلَا
فَالْحَقُّ بِمَحِثِ رَأَيْتِ الْأَرْضَ وَاسِعَهَ وَأَنْشُرُ بِهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرَضَا وَإِنْ طَوَّلَا

(١) الهوجاء : الناقة المسرعة ، جمعها هوج (٢) شمليل : بلد .

٤٩ - أنت اليوم ذو جدّين *

قال الملك النعمان : لأُعْطِينَ أفضلَ العرب مائةً من الإبل . فلما أصبح الناسُ اجتمعوا لذلك ، ولم يك قيس بن مسعود فيهم ، وأرادَه قومُه على أن ينطلق معهم إليه ، فقال : لا ، لئن كان يُريدُ بها غيري لأشهدُ ذلك ، وإن كان يريدني بها لأُعطينَهَا .

فلما رأى النعمانُ اجتماعَ الناس قال : ليس صاحبها شاهداً . فلما كان من الغدِ ، قال له قومُه : انطلقْ ؛ فانطلق فدفعها الملكُ إليه ، فقال حاجِبٌ^(١) بن زُرارة : أبيتَ اللعن ! ما هو بأحقَّ بها مني ، فقال قيس بن مسعود : أنا فرُه^(٢) عن أكرمنا قعيدةً^(٣) ، وأحسننا أدبَ ناقة ، وأكرم لثيم قوم .

فبعث معها النعمانُ من ينظر في ذلك ، فلما اتهموا إلى بادية حاجب بن زُرارة مرّوا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا الأُمُّ قومي ، وهو فلان ابن فلان - والرجلُ عند حوضه يُوردُ إبله - فأقبلوا إليه فقالوا : يا عبدَ الله ؛ دعنا فلندستق فإننا قد هلكنا عطشاً ، وأهلكنا ظهوراً^(٤) ، فتجهم وأبى عليهم . فلما أغيام قالوا لحاجب : أسفر ، فسفر ، وقال : أنا حاجبُ بن زُرارة فدعنا فلنشرب . قال : أنت ! فلا مرحباً بك ولا أهلاً ؛ ثم أتوا بيته ، فقالوا لاسرائته : هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله ماربُّ المنزل شاهداً وما عنده من منزل ، وأرادوها على ذلك فأبَتْ

* بلوغ الأرب : ١٠ - ٢٨٦

(١) حاجب بن زُرارة : من سادات العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام وأسلم ، وتوفى نحو سنة ٣٠ هـ . (٢) أنافره : أحاكمه (٣) القعيدة : المرأة (٤) يريد ما يركبون .

ثم أتوا رجلا من قوم قيس بن مسعود على ماء يُورِدُ إبله ، فقال قيس : هذا والله
الأمُّ قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا مثل ما قالوا للآخر ، فأبى عليهم وهم أن يضربهم ،
فقال له قيس بن مسعود : ويلك ! أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أُورِدُ .
ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته قِدْرُها تَفِطُ^(١) ، فلما رأت الركب من بعيد أنزلت
القِدْرَ وترَوَّتْ ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله منزل ؟ قالت : نعم !
انزلوا في الرَّحْبِ والسَّعة . فلما نزلوا وطعموا وارتحلوا أخذوا ناقتيهما ، فأناخوها على
قريتين للنمل ، فأما ناقة قيس بن مسعود فتضوَّرت^(٢) ، وتقلبت ثم لم تَنُزْ ، وأما
ناقة حاجب فكنت وثبتت ، حتى إذا قالوا : قد اطمانت طفقت هاربة . فأتوا الملك ،
فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جدِّ^(٣) ، فأنت اليوم ذو جدِّين .

(١) تفت : أي تصوت ، وذلك عند اشتداد غليانها (٢) التضور : الصباح والتلوي عند
الضرب أو الجوع (٣) الحد : العظمة ، والحظ .

٥٠ - إن البلاء مَوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ *

خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعلي . قال عليّ : فدفعنا إلى مجلس من مجالس الرَّبِّ ، فتقدّم أبو بكر - وكان نَسَابَةً ^(١) - فسلم فردّوا عليه السلام ، فقال : مِنِّمَن القوم ؟ قالوا : مِن ربيعة . فقال : من هَامَتِهَا أُمٌّ مِنْ لَهَا زِمَها ^(٢) ؟ قالوا : من هَامَتِهَا الْمُعْطَى . قال : فأىّ هَامَتِهَا العُطَى أتم ؟ أتم ذَهَلُ الأَكْبَرِ ؟ قالوا : نعم .

قال : أفنكم عَوْفُ الذي يقال له : لا حُرَّ بَوَادِي عَوْفٍ ؟ قالوا : لا ! قال : أفنكم بِسْطَامٌ ^(٣) ذُو اللِّوَاءِ وَمُنْتَهَى الأَحْيَاءِ ؟ قالوا : لا ! قال : أفنكم جَسَّاسُ بنِ مِرَّةٍ حَامِي الذَّمَارِ ، وَمَانِعُ الجَارِ ؟ قالوا : لا ! قال : أفنكم الحَوْفَزَانُ ^(٤) قَاتِلُ المُلُوكِ وَسَالِبُهَا أَنفُسَهَا ؟ قالوا : لا ! قال : أفنكم اللِّزْدَلِفُ ^(٥) صَاحِبُ العِمَامَةِ الفُرْدَةِ ؟ قالوا : لا ! قال : فأتم أحوال المُلُوكِ ^(٦) مِن كِنْدَةَ ؟ قالوا : لا ! قال : فأتم أَصْهَارُ المُلُوكِ مِن نَخْمٍ ^(٧) ؟ قالوا : لا ! قال : فلستم ذَهَلًا الأَكْبَرِ ، أتم ذَهَلُ الأَصْفَرِ ! فقام إليه غلامٌ منهم حين بَقَلَ ^(٨) وجهه يقال له دَغْفَلٌ ^(٩) فقال :

* المحاسن والأضداد : ١٠٤ ، بجمع الأمثال : ١ - ١٢

(١) النسابة : العالم بالنسب ، وأدخلوا الماء للبيان والمدح (٢) من هَامَتِهَا أُمٌّ مِنْ لَهَا زِمَها : يريد أمن أشرفها أم من أوساطها ؟ (٣) هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، أفرس فرسان بكر في الجاهلية (٤) الحوفزان : لقب الحارث بن شريك ، لقبه به قيس بن عاصم حين حفره بالرمح فقاته (٥) هو عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل الشيباني ، سمي بذلك لازدلافه إلى المدو وحده بين الصفيين ، وكان إذا اعتم لا يجرو بكري أن يلبس مثل أمته (٦) هم كليب ومهلهل وأختهم فاطمة أم امرئ القيس (٧) هم النمر بن قاسط من ذهل بن شيبان ، منهم ماء السماء أم المنذر أحد ملوك الحيرة (٨) بقل : ظهر ونجم (٩) هو دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة .

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبَاءَ لَا تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلَهُ

يا هذا ، إنك سألتنا فلم نكنتمك شيئاً من أمرنا ، فمن الرجل ؟ قال : رجل من قريش ، قال : بَخِ بَخِ ! أهل الشرف والرياسة ، فمن أي قريش أنت ؟ قال : من تميم بن مرة . قال : أفتنكم قُصَيِّ بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعا ؟ قال : لا ، قال : أفتنكم هشام الذي هشم التريد لقومه ورجال مكة مُسْنِتُونَ عَجَافٌ ^(١) ؟ قال : لا ، قال : أفتنكم شيدة الحمد مُطْعِم طير السماء الذي كان بوجهه قرأ يضيء ليل الظلام الداجي ؟ قال : لا ، قال : أفتن المقيضين بالناس أنت ^(٢) ؟ قال : لا ، قال : أفتن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفتن أهل الرفاة ^(٣) أنت ؟ قال : لا ، قال : أفتن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفتن أهل السقاية ^(٤) أنت ؟ قال : لا .

واجتذب أبو بكر زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ، فقال دَغَقَل :

صَادَفَ دَرَّ السَّيْلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ يَرْفَعُهُ حِينًا وَحِينًا يَضَعُهُ

أما والله لو ثبت لأخبرتكَ أنك من زَمَعَات ^(٥) قريش ، أو ما أنا دَغَقَل ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال علي : قلت لأبي بكر : لقد وقعت من الأعرابي على بَاقِعَةٍ ^(٦) ، قال : أجل ! إن لكل طامة طامة ، وإن البلاء مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ ^(٧) .

(١) مسنون : مجذبون ، والأعجف : الهزيل (٢) الإفاضة من مناقب قريش في الجاهلية ، وكانت في آل صفوان ، ثم انتقلت إلى عبد الدار وإلهم كانت السدانة . (٣) كانت لبني نوفل . (٤) كانت لبني هاشم في العباس بن عبد المطلب وكذلك الحجابة . (٥) أصل الزمعات : الزوائد براء الأرساغ . (٦) داهية كيس . (٧) ذهبت مثلا .

١٦ - مُعَاقِرَةٌ *

أَسْنَتَ^(١) بنو تميم رمن عليّ بن أبي طالب؛ فانتجعوا أرضاً من أرض كلب من طرف السّماوة، فصنع غالب بن صعصعة - وهو أبو الفرزدق - طعاماً، ونحر نحائره، وجفّنها^(٢) في جفان، وجعل يُقسّمها على أهل المزايا^(٣).

فأنت جفّنته^(٤) منها سُحيم بن وثيل الرياحي الشاعر، فكفّأها وضرب الخادم التي أنته بها، واحتفظ^(٥) غالب من ذلك، فعاتب سحياً؛ فسرى القول بينهما حتى تداعياً إلى المعاقرة^(٦) - وكان سُحيم رجلاً فيه شنفيرة^(٧) وأذى للناس، وكان الناس شآفي^(٨) القلوب عليه - وكانت إبلة خوامس^(٩) لم ترد.

ووردت إبلاً غالب؛ ففطق غالب يعقرها، وطافت الوغدان^(١٠) والفتيان بالإبل، فجعلت تحوزها من أطرافها إليه، ومع الفرزدق هراوة يردّ بها على أبيه، فيقول غالب: ردّ، أي بني، فيقول الفرزدق: اعقر أبت؛ حتى نحر سائرها؛ وكانت مائتين.

فقال طارق بن ديسق - وكان يهاجى سحياً:

أَبْلُغْ سُحِيماً إِنْ عَرَضْتَ وَجَحْدَرَأْ أَنْ الْخِزْيَ لَا يَنْأَمُ قُرَادُهَا

* ذيل الأملالي : ٥٢ ، بلوغ الأرب : ٣ - ٣٠

(١) أسنت : أجدبوا (٢) جفن الناقة : نحرها وأطعم لحمها في الجفان (٣) أهل القدر (٤) غضب (٥) المعاقرة : هي أن يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجادل صاحبه ، فيعقر هذا عدداً من إبلة ، ويعقر صاحبه ؛ فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه وقره (٦) الشنفيرة : سوء الخلق والفتش والبذاء (٧) وغراء الصدور عليه (٨) الخمس من أظهاء الإبل : أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع ، والإبل خوامس (٩) الوغدان : جمع وغد ، وهو خادم القوم .

أَفَدَحْنَا حَتَّى إِذَا أُورِيْنَا لِلْحَرْبِ نَارَ كَاخْبَا يُقَادُهَا
لَوْ كَانَ شَاهِدَنَا الْجَمِيلُ وَمَالِكٌ لَحَبَّتْ (١) لِقَاحٍ وَوَلَّهُ أَوْلَادُهَا
أَطْرَدَتْهَا نَبِيًّا تَحْنُ إِفَالُهَا (٢) مِنْ أَنْ يَكُونَ لَسَيْفِهِ إِيرَادُهَا
فَأَقْبَلَتْ إِبْلُ سُحَيْمٍ حَتَّى وَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَأَوْرَدَهَا كُنَاسَةَ (٣) الْكُوفَةَ . وَجَعَلَ
يَمْقِرُهَا وَهُوَ يَقُولُ :

كَيْفَ تَرَى جُحَيْدِرًا يَرَعَاهَا بِالسَّيْفِ يُخْلِئُهَا إِذَا اسْتَخْلَاهَا
* يَنْتَرُ الْجَزِيرَةَ (٤) مِنْ ذُرَاهَا *
فَلَمْ يَنْفَعَهُ عَقْرُهُ إِيَّاهَا ، وَقَدْ سَبَقَهُ غَالِبٌ بِالْمَقْرُ .

(١) الاحب : الطريق الواضح ، ولحب الطريق : سلكه (٢) الإقال : جمع أفيل ، الفصيل
(٣) كناسة الكوفة : محلة بها .
(٤) أصل الجزيرة : خصلة من صوف .

٥٢ — قد كان يسوءني أن تكون أميراً*

دخل صَعَصَعَةَ^(١) بن صُوحان على معاوية أول ما دخل عليه ، وقد كان يبلغُ معاوية عنه كلام ، فقال له معاوية : بمن الرجل ؟ قال : رجل من نِزَار . قال : وما نِزَار ؟ قال : إذا غزا احتَرَشَ^(٢) ، وإذا انصرف انكش ، وإذا لقيَ افتَرَش .

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من ربيعة . قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالخيَل ، ويُغير بالليل ، ويجود بالنَّيْل .

قال : فمن أيٍّ ولده أنت ؟ قال : من أَسَد . قال : وما أَسَد ؟ قال : كان إذا طلب أفضى^(٣) ، وإذا أدرك أَرْضَى ، وإذا آب أنضى^(٤) :

قال : فمن أي ولده أنت ؟ قال : من جَدِيلَة ؟ قال : وما جَدِيلَة ؟ قال : كان يطيل النَّجَادَ^(٥) ، ويُعدّ الجياد ، ويمجد الجِلَادَ^(٦) .

قال : فمن أيٍّ ولده أنت ؟ قال : من دُعْمَى . قال : وما دُعْمَى ؟ قال : كان ناراً ساطعاً ، وشرّاً قاطعاً ، وخيراً نافعاً .

* بلوغ الأرب : ٣ - ٢٠٥ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٤ ، مروج الذهب : ٢ - ٧٧ ،
الأمالي : ٢ - ٢٣٠

(١) صعصعة بن صوحان : كان خطيباً بليغاً له شهر ، شهد صفين مع علي ، وله مع معاوية مواقف ومات نحو سنة ٦٠ هـ (٢) احترش : جمع وكسب (٣) أفضى إلى الشيء : وصل .
(٤) أنضى بغيره : هزله ، وثوبه أبلاه (٥) النجاد : حمائل السيف .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى ، قال : وما أفصى ؟ قال : كان ينزل القارات ^(١) ، ويُكثِرُ الغارات ؛ وَيَحْيِي الجارات .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عبد القيس . قال : وما عبدُ القيس ؟ قال : أبطالُ ذَاذَةَ ، جَحَاجِحَةٌ ^(٢) قَادَةٌ ، صناديدُ سادة .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفصى . قال : وما أفصى ؟ قال : كان ذارِمَاحَ مُشْرَعَةَ ، وَقُدُورَ مُثْرَعَةَ ^(٣) ، وَجَحَانَ مُفْرَعَةَ .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من لُكَيْزٍ . قال : وما لُكَيْزٍ ؟ قال : كان يُبَاشِرُ القتال ، وَيَمَانِقُ الأبطال ، وَيُبَدِّدُ الأموال :

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عَجَلٍ : قال : وما عَجَلٍ ؟ قال : الليوث الضراغمة ^(٤) ، الملوك القماقة ^(٥) ، والقروم القشاعة ^(٦) .

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من كَعْبٍ ، قال : وما كَعْبٍ ؟ قال : كان يُسَعِّرُ ^(٧) الحرب ، وَيَجِيدُ الضَّرْبَ ، وَيَكْشِفُ الكَرْبَ :

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من مالك : قال : وما مالك ؟ قال : أُلْهَمَامٌ للهمام ، والقَمَقَامُ للقَمَقَامِ .

قال معاوية : والله ما تركتَ لهذا الحى من قر يش شيئاً ! قال : بل تركتُ أكثره وأحبّه . قال . وما هو ؟ قال : تركتُ لهم الوبرَ والمدَرَ ^(٨) ، والأبيض

(١) القارات : جمع قارة ؛ وهى الجبل الصغير . (٢) جحاجة : جمع جحيج : السيد . (٣) هترعة : مملوءة (٤) جمع ضرغام : الأسد (٥) جمع ققام : السيد (٦) القرم : السيد ، والقشم : الأسد أو الرجل المسن ، ويقصد المحرب (٧) سمر الحرب : أوقدها (٨) كناية عن البادية والمدن .

والأصفر ، والصفاء والمشعر^(١) ، والقُبَّة والمفخَّر ، والسريِر والمنسَبِر . والمُلْك إلى المحشَر .

فقال : أما والله لقد كان يسوعنى أن أراك أسيراً . فقال : وأنا والله لقد كان يسوعنى أن أراك أميراً . ثم خرج ، فبعث إليه فردّه ووصله وأكرمه .

٥٣ — لترجمنَّ بأكثر مما أب به معدى*

كان الوليدُ بن جابر بن ظالم الطائى ممن وقد على رسول الله ، ثم صحب عليا ، وشهد معه صفين^(٢) ، وكان من رجاله المشهورين ، ثم وفد على معاوية ، فدخل عليه في جملة الناس .

فلما انتهى إليه استنسبه^(٣) فانتسب له فقال له : أنت صاحب ليلة الهرير^(٤) ؟ قال : نعم ! قال : والله ماتخلو مسامعى من رجرك تلك الليلة ، وقد علا صوتك أصوات الناس ، وأنت تقول :

(١) المشعر : موضع مناسك الحج .

* ابن أبي الحديد : ٤ - ٤٩ .

(٢) موضع قرب الرقة بشاطىء الفرات كانت به الموقعة العظمى بين علي ومعاوية في صفر سنة ٥٣٧ .
(٣) استنسبه : سأله أن ينتسب . (٤) سمرت بين علي ومعاوية السقراء ؛ لميصلحوا بين الفريقين ولكن ذهب سعيهم سدى ، فابتدأ القتال ثانية في يوم الأربعاء أول صفر سنة ٣٧ هجرية من غير أن يقف كلا الجمعين وجهاً لوجه ، بل كل يوم يخرج قائد من هنا وقائد من هنا حتى إذا مضت سبعة أيام قال على لجنده : حتى متى لا تناهض هؤلاء القوم بجمعا ! فباتوا يصلحون أمرهم ، وفي الصباح زحف على بجنوده ، وزحف معاوية بجنوده ، واقتتل الفريقان ، ثم أعادوا الكرة في غد ذلك اليوم ولما أمسى المساء لم ينفصلا ، بل استمر القتال شديداً طول الليل ، ويسمون هذه الليلة ليلة الهرير .

شُدُّوا فداءَ لكم أُمِّي وَأَبِي فَإِنَّمَا الْأَمْرُ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
هَذَا ابْنُ عَمِّ الْمِصْطَفَى وَالْمُتَخَبِّ تَنْمِيهِ لِلْعُلِيَاءِ سَادَاتُ الْعَرَبِ
لَيْسَ بِمَوْصُومٍ إِذَا نُصِّ ^(١) النَّسَبَ أَوْلَ مِنْ صَلَّى وَصَامَ وَاقْتَرَبَ

قال : نعم . أنا قائلها . قال : فلماذا قلتها ؟ قال : لأننا كنا مع رجل لا نعلمُ
خَصْلَةً تُوجِبُ الْخِلَافَةَ وَلَا فَضِيلَةً تُصِيرُ إِلَى التَّقْدِيمَةِ إِلَّا وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ . كَانَ أَوْلَى
النَّاسِ سِلْمًا ^(٢) ، وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا ، وَأَرْجَحَهُمْ جِلْمًا ، فَاتَّ الْجِيَادُ فَلَا يُشْقُ غُبَارُهُ ،
وَأَوْضَحَ مِنْهَجِ الْهَدْيِ فَلَا يَبِيدُ مَنَارُهُ ، وَسَلَكَ الْقَصْدَ فَلَا تَدْرُسُ آثَارُهُ ، فَلَمَّا ابْتَلَانَا
اللَّهُ تَعَالَى بِاِفْتِقَادِهِ ، وَحَوَّلَ الْأَمْرَ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ دَخَلْنَا فِي جَهْلَةِ الْمُسْلِمِينَ ؛
فَلَمْ تَنْزِعْ بَدَأَ عَنْ طَاعَةٍ ، وَلَمْ نَصْدَعْ صَفَاةَ جَمَاعَةٍ .

عَلَى أَنْ لَكَ مَنًّا مَا ظَهَرَ ، وَقَلُوبُنَا بِيَدِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَمْلَكُ بِهَا مِنْكَ ؛ فَاقْبَلْ
صَفْوَانَا ، وَأَعْرِضْ عَن كَدْرِنَا ، وَلَا تُنْزِكُوا مِن الْأَحْقَادِ ؛ فَإِنَّ النَّارَ
تُقَدِّحُ بِالزُّنَادِ .

قال معاوية : وَإِنَّكَ لَتَهْدِدُنِي يَا أَخَا طَيْبٍ بِأَوْبَاشِ ^(٣) الْعِرَاقِ ، أَهْلُ الْفِرَاقِ
وَمَعْدِنُ الشَّقَاقِ ، قَالَ : يَا مَعَاوِيَةَ ، هُمُ الَّذِينَ أَشْرَقُوا بِالرِّيْقِ ، وَحَسَبُوا فِي الْمِضْيِيقِ ،
وَذَادُوا عَن سَنَنِ الطَّرِيقِ ، حَتَّى لُدَّتْ مِنْهُمُ بِالْمِصْبَاحِ ، وَدَعَوَتْ إِلَيْهَا مِنْ صَدَقِ
بِهَا وَكَذَّبَتْ ، وَمَنْ آمَنَ بِمَنْزِلِهَا وَكَفَرَتْ ، وَعَرَفَ مِنْ تَأْوِيلِهَا
مَا أَنْكَرَتْ .

فَقَضِبَ مَعَاوِيَةَ ، وَأَدَارَ طَرْفَهُ فِيمَنْ حَوْلَهُ ، فَإِذَا جُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ وَنَفَرٌ قَلِيلٌ مِنَ
الْيَمَنِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّقِيُّ الْخَائِنُ ، لِإِخْلَالِ أَنْ هَذَا آخِرُ كَلَامٍ تَفَوَّهْتَ بِهِ .

(١) كل ما أظهر فقد نس (٢) السلم : الإسلام (٣) الأوباش : الأخطا .

وكان عقير بن ذى يَزَنَ بباب معاوية حينئذ فعرف موقفَ الطائيِّ ومراد معاوية ، فخافه عليه ، فهجم عليهم الدَّار ، وأقبل على البيمانية ، فقال : شأهت الوجوه ذُلًّا وَقُلًّا^(١) ، وَجَدَعًا وَقُلًّا!

ثم التفت إلى معاوية فقال : إى والله يا مُعاوية ، ما أقول قولى هذا حبًّا لأهل العراق ، ولا جُنوحًا إليهم ، ولكن الحفيظة^(٢) تُذْهِبُ الغَضَبَ .

لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخاربيعة - يعنى صَفْصَةَ بن صُوحان - وهو أعظمُ جُرْمًا عندك من هذا ، وأذكى لقلبك ، وأقدح فى صَفَاتِكَ ، وأجدُّ فى عداوتك ، وأشدُّ انتصاراً فى حربك ، ثم أثبتته وسرَّحتَه ، وأنت الآن تُجمعُ على قتل هذا ، زعمتَ استصغاراً لجماعتنا ، وأنا لا نمرُّ ولا نُحلي^(٣) ، ولعمري لو وُكِّلْتَك أبناء قَحْطَانَ إلى قومك لكان جدك العائر ، وذكرك الدائر ، وحدك المفلول ، وعمرشك المثلول ، فازبَع^(٤) على ظلمك ، واطوينا على مُبَلَّاتِنَا^(٥) ، ليسهل لك حزننا ، ويطمئن لك شاردنا ، فإننا لا نرَام بوقع الضيم ، ولا تتلمظ^(٦) جرع الحسف ، ولا نغمر بنهار الفتن ، ولا ندرُّ على الغضب .

قال معاوية : الغضبُ شيطان ، فازبَع على نفسك أيها الإنسان ، فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروهاً ، ولم نرتكب له مُغْضِباً ، ولم ننتهك منه محرماً ، فدونك ، فإنه لم يضق عنه حلمنا ويَسَع غيره .

(١) القل : القلة (٢) الحفيظة : الحمية (٣) يقال فلان ما يمر وما يحلى : أى لا يصر ولا يتفهم (٤) اربع على ظلمك : ارفق على نفسك فإنك ضعيف فاته عمالاً تطيقه . (٥) يقال : طويت فلاناً على بللانه ، وفتتح اللام أيضاً : إذا احتملته على ما فيه من الإساءة والعيب ، وداريته وفيه بنية . (٦) تتلمظ : تتذوق .

فأخذ غفير بيد الوليد ، وخرج به إلى منزله ، وقال له : والله لنتوبنَّ بأكثر مما آب به معدّي .

وجمع من بدمشق من اليمانية ، وفرض على كل رجل دينارين في عطائه فبلغت أربعين ألفاً ، فتمجّلها من بيت المال ، ودفنها إلى الوليد ، وردّه إلى العراق .

٥٤ — مات كَشِيفُ الأَيامِ مِنْكَ إِلا عَنِ سَيْفِ صَقِيلِ*

وفد عبدُ الله بن عباس على معاوية مرّة ، فقال معاوية لابنه يزيد ولزياد بن سمّية وعُتْبَةَ بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن أم الحكم : إنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس ، وما كان شَجَرَ بيننا وبينه وبين ابن عمّه ^(١) ، ولقد كان نصبه للتحكيم فدَفِعَ عنه ^(٢) ؛ فحرّ كوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته ، ونقف على كنه مَعرِفته ؛ ونعرف ما صُرفَ عنا من شَبَابِ حَدّه ، ووُورِيَ عَنّا من دَهاءِ رأيه ؛ فربما وُصِفَ المرء بغير ما هو فيه ، وأُعْطِيَ مِنَ الذَّمِّ وَالاسْمِ ما لا يَسْتَحِقُّه .

ثم أرسل إلى عبدِ الله بن عباس ، فلما دخل واستقرّ به المجلس ابتدأه ابنُ أبي سفيان ، فقال : يا بنَ عباس ، ما منع عليّاً أن يوجّه بك حَكَمًا ؟ فقال :

* ابن أبي الحديد : ٢ - ١٠٥ .

(١) يريد على بن أبي طالب (٢) حينما خرج الخوارج على علي بن أبي طالب وأصرّوا على التحكيم أشار بابن عباس أو الأشتر حكماً ، ولكنهم أبوا إلا التحكيم أبي موسى الأشعري .

أما والله لو فعل لقرنَ عمرأ بصعبه^(١) من الإبل يوجع كتفيه مرامها^(٢)، ولأذهلتُ عقله، وأجرضته بريقه^(٣) وقدحتُ في سويداء قلبه؛ فلم يُبرمَ أمراً، ولم ينفذ تراباً إلا كنتُ منه بجزأى ومسمع، فإن نكته أرمت^(٤) قواه، وإن أرمه فصمت^(٥) عمراه؛ بغرب مقول^(٦) لا يُفلحُ حدّه، وأصالة رأى كمتاح^(٧) الأجل لاوزرَ منه، أصدعُ به أديمه، وأفلُ به شبا حدّه، وأشحدُ به عزائم المتقين، وأزيجُ به شبه الشاكين.

فقال عمرو بن العاص: هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم^(٨) أول الشرّ، وأفول آخر الخير، وفي حسنه قطع مادته؛ فبادره بالحملة، وانتهز منه الفرصة، واردع بالتنكيل به غيره، وشرّد به من خلفه.

فقال ابن عباس: يا ابن النابغة؛ ضلّ والله عقلك، وسفّه حلمك، ونطق الشيطان على لسانك! هلا توليت ذلك بنفسك يوم صفين، حين دُعيت نزال^(٩)، وتكافح الأبطال، وكثرت الجراح، وتقصفت الرماح، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصأولا، فانكفأ نحوك بالسيف حاملا، فلما رأيت الكواثر^(١٠) من الموت أعددت حملة السلامة قبل لقائه، والانكفاء عنه بعد إجابة دُعائه، ففحته - رجاء النجاة - عورتك، وكشفت له - خوف بأسه - سواتك؛ حذراً أن يسطلمك بسطوته، أو يلتهمك بحملته:

(١) الصعبة: مؤنث صعب، والصعب من الدواب تقيض الذلول. (٢) مرامها: علاجها (٣) جرض بريقه: ابتلعه بجهد (٤) أرم قوته: أضاعها ولينها (٥) يقال أرم الجبل: قتله مديداً، فصنت: حلت (٦) الغرب: حد كل شيء، والقول: اللسان (٧) الأجل التناح: المقدر (٨) نجوم: ظهور (٩) أي حين قال الأبطال بعضهم لبعض: نزال. (١٠) الكواثر: جمع كوثر، وهو الكثير من كل شيء.

ثم أشرت على معاوية كالفاصح له بمبارزته ، وحسنت له التعرض لمكافحته ،
رجاء أن تكفي ثنوته وتقدم صورته ؛ فعلم غل صدرك ، وما انحنت عليه من الفئاق
أضلمك ، وعرف مقر سهمك في غرضك ؛ فأكف غرب لسانك ، وأقمع
عوزاء^(١) لفظك ، فإنك بين أسد خادر ، وبجر زاخري ؛ إن تبرزت^(٢) للأسد
افترسك ، وإن عممت في البحر قمسك^(٣) .

فقال مروان بن الحكم : يا بن عباس ؛ إنك لتصرف^(٤) نآبك ، وتورى نارك ،
كأنك ترجو الغلبة ، وتوؤمل العافية ، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناول لكم
بأقصر أنامله ، فأوردكم منها ببعيداً صدره^(٥) ؛ ولعمري لئن سطابكم ليأخذن
بعض حقه منكم ، ولئن عفا عن جرائركم^(٦) فقديماً نسب إلى ذلك .

فقال ابن عباس : وإنك لتقول ذلك يا عدو الله ، وطريد رسول الله ، والمباح
دمه^(٧) ، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه^(٨) وركوب أثباجه^(٩) !
أما والله لو طلب معاوية ثأره لأخذك به ، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوّله وآخره .
وأما قولك لي : إنك لتصرف نآبك وتورى نارك ، فسئل معاوية وعمراً يخبراك
ليلة الهرير^(١٠) ، كيف ثباتنا للمثلات^(١١) ، واستخفنا بالمعضلات ، وصدق جلا دنا
عند المصاولة ، وصبرنا على اللاؤاء^(١٢) والمطاولة ، ومصاحبتنا بجباهنا السيوف المرهفة ،

(١) الموراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة (٢) تبرز : برز وخرج إلى القفار (٣) القمس :
الغلبة بالغموس (٤) الصريف : صوت الأنياب ، يقال : صرف نابه وبنابه ، إذا صوت بها .
(٥) الصدر : الرجوع (٦) الجريرة : الذنب (٧) في فتنة عثمان (٨) جم ودج ، وهو العرق
الذي يقطعه الذابح (٩) الثبج : ما بين السكاهل إلى الظهر ووسط الشئ ومعظمه (١٠) ليلة الهرير
هي تلك الليلة التي استمر فيها القتال طول الليل بين أنصار معاوية وعلي في حرب صفين وأوشك
جيش علي أن تكون له الغلبة (١١) جمع مثلة (بضم الثاء وسكونها) ، من مثلت بالقتيل إذا
نكلت به (١٢) اللاؤاء : الشدة .

ومباشرتنا بنحورنا حدَّ الأسننة ؛ هلِ حَمْنَا^(١) عن كرائم تلك المواقف، أم لم نبذل
مُهَجَّنَا للمتلف ! وليس لك إذ ذاك فيها مقامٌ محمود، ولا يومٌ مشهود، ولا أَمْرٌ
معدود، وإنهما شهدا ما لو شهدت لأقلقك ؛ فازبَع^(٢) على ظلمك، ولا تتعرض
لما ليس لك ؛ فإنك كالمغروز في صَفَد^(٣)، لا يهبط برجل، ولا يرفأ^(٤) بيد .

فقال زياد : يابن عباس ؛ إني لأعلم مامنع حسناً وحسيناً من الوفود معك على
أمير المؤمنين إلا ماسوتت لهما أنفسهما، وغرهما به من هو عند البأساء يُسَلِّهُمَا^(٥) .
وأيُّمُ الله لو وليتهما لأدأبأ^(٦) في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما، ولقلَّ بمكانهما
لُبُّهُمَا .

فقال ابن عباس : إذن والله يقصر دونهما باعك، ويضيق بهما ذراعك، ولو
رُمْتَ ذلك لو جدت من دونهما فئة صدقاً^(٧) صُبراً على البلاء، لا ينجيؤمن عن اللقاء،
فلمرَّ كوكبٌ بكلا كلمهم^(٨) ووطئوك بمناسيمهم^(٩)، وأوجرُوكَ مَشَق^(١٠) رماحهم
وشفَارَ سيوفهم، ووَحَزَ أَسْنَتَهُمْ، حتى تشهد بسوء ما أتيت، وتقبين ضياع الحزم
فيما جنيت ؛ فحذار حذار من سوء النية ؛ فإنها تردُّ الأمانة، وتكون سبباً لفساد
هذين الحيين بعد صلاحهما، وسعيًا في اختلافهما بعد ائتلافهما، حيث لا يضرهما
إِبْسَاسُك، ولا يُفنى عنهما إِيْنَاسُك^(١١) .

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم : لله درُّ ابن ملجَم^(١٢) ! فقد بَلَغَ الأمل ،

(١) خام عنه : نكس وجبن (٢) اربع على ظلمك : ارفق على نفسك واسكت على ما بك .
(٣) الصغد : الوثاق (٤) يقال : رفاً في الدرجة ، أي صعد (٥) أسلمه : خذله (٦) أدأبأ :
أجهدا (٧) أي ذات صدق وصبر (٨) بكلا كلمهم : بصدورهم (٩) المنسم : خف البعير
(١٠) يقال : أوجره الرمح ، أي طعنه به في فيه . والمشق : الطعن الخفيف السريع .
(١١) الإبساس أن يقال للناقة عند الحلب : بس بس ، والإيناس : خلاف الإيجاش .
(١٢) هو عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي .

وأمن الوجيل، وأحد الشفرة، والآن المهزرة، وأدرك النار، ونفى العار، وفاز بالمرتبة العليا، ورتب الدرجة القسوى.

فقال ابن عباس : أما والله لقد كرع كأس حنفته بيده ، وعجل الله إلى النار برؤوحه ؛ ولو أبدى لأمير المؤمنين صفحته لألقه صاباً^(١) ، وسقاه سيماما^(٢) ، وألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة^(٣) ، فكلمهم كان أشد منه شكيمة ، وأمضى عزيزة ، فقرى بالسيف هامهم^(٤) ، ورملمهم^(٥) بدمائهم ، وقرى الذئاب أشلاءهم^(٦) ، وفرق بينهم وبين أحبائهم ، أولئك حصب^(٧) جهنم هم لها واردون فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً^(٨) ! ولا غرو إن ختل ، ولا وصمة إن قتل .

فقال المغيرة بن شعبه : أما والله لقد أشرت على بالنصيحة ، فأثر رأيه ، ومضى على غلوائه ، فكانت العاقبة عليه لاله ، وإني لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه .

فقال ابن عباس : كان والله أمير المؤمنين - عليه السلام - أعلم بوجوه الرأى ، ومعاقد الخزم ، وتصريف الأمور ، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه ، وعنّف عليه : قال سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ .

ولقد وقفك على ذكر مبين ، وآية متلوة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تُخَيِّدَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ . وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفي المؤمنين

(١) الصاب : عصارة شجر مر (٢) السمام : جمع سم (٣) هؤلاء قتلوا يوم بدر .
(٤) جمع هامة ، وهى الرأس (٥) رملهم : لطمهم (٦) الأشلاء : جمع شلو ، وهو الضو
(٧) الحصب : ما يرمى في النار (٨) الركز : الصوت الخفى .

من ليس بمؤمنٍ عنده ، ولا موثوقٍ به في نفسه ، هيهات هيهات ! هو أعم بفرضِ
الله وسنةِ رسوله أن يُبَيِّنَ خلافَ ما يظهر إلا للتقية^(١) ، ولات حينَ تقيّة ، مع
وضوح الحق وثبوت الجنان ، وكثرة الأنصار ؛ يمضى كالسيف المصلت^(٢) في أمرِ
الله ، مؤثراً لطاعةِ ربه والتقوى على آراء أهل الدنيا .

قال يزيد بن معاوية : يا بنَ عباس ؛ إنك لتتطقُ بلسانِ طلق^(٣) ، تنبيُّ عن
مكتون قلبِ حرق^(٤) ، فاطو ما أنت عليه كَشْحًا ، فقد محاضوه حقناً ظلمةً
باطليكم .

قال ابنُ عباس : مهلاً يزيد ! فوالله ما صفتِ القلوب لكم منذ تكدرتْ
بالعداوة عليكم ، ولا دنتْ بالحجة إليكم منذ نأتْ بالبغضاء عنكم ، ولا رضيت
اليوم منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم ، وإن تُدِل^(٥) الأيامُ نستقصِ
ماشدَّ عنا ، ونسترجع ما ابتزَّ منا ، كيلاً بكيل ، ووزناً بوزن ؛ وإن تكن الأخرى
فكني بالله ولياً ووكيلاً على المعتدين علينا !

بقال معاوية : إن في نفسي منكم كحزأت يا بنى هاشم ، وإني تخليق أن
أدرك فيكم النار ، وأتقي العار ؛ فإن دماءنا قبيلكم ، وظلامتنا فيكم .

قال ابن عباس : والله إن رُمتَ ذلك يا معاوية لتثيرن عليك أسداً مُخدرَةً^(٦) ،
وأفاعى مُطْرِقة لا يفتوؤها^(٧) كثرةُ السلاح ، ولا تعضُّها نكابة الجراح ، يضعون
أسيافهم على عواتقهم ، يضر بون قُدماً قُدماً من ناوأهم ، يهون عليهم نُباح
الكلاب ، وعواء الذئاب ، لا يقاتون بوتر ، ولا يسبقون إلى كريم ذكر ، قد

(١) التقية : المحافظة على النفس (٢) المصلت : السلول (٣) طلق : ذلق (٤) حرق :
عروق (٥) يقال : أداله الله من عدوه ، نصره عليه (٦) أخدر الأسد : لزم الأجمة .
(٧) المراد : لا يسكنها .

وطنوا على الموت أنفسهم ، وسميت بهم إلى العلياء همهم كما قالت الأزدية :
قومٌ إذا شهدوا الهياج فلا ضربٌ يهنئهم ولا زجرٌ
وكانهم آسادٌ غينة^(١) قد غرئت^(٢) وبل متوتها القطرُ

فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهير للهرب فرسك ، وكان أكبر هتك
سلامة حشاشة نفسك ، ولولا طعام^(٣) من أهل الشام وقوك بأنفسهم ، وبذلوا
دونك مهجهم ، حتى إذا ذاقوا وخز الشفار ، وأيقنوا بحلول الدمار ، رفعوا المصاحف
مستجبرين بها ، وعاندين بعصمتها ، لكنت شلوا مطروحا بالعرءاء ، تسفي عليك
رياحها ، ويعتورك ذئابها .

وما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمتك ، ولا إزالتك عن معقود نيتك ،
لكن الرحم التي تعطف عليك ، والأوامر التي توجب صرف النصيحة إليك !
فقال معاوية : لله درك يا بن عباس ! ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف
صقيل ، ورأى أصيل ؛ وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددكم ، ولو لم يكن
لأهلك سواك لكان الله قد كفرهم .
ثم نهض ابن عباس وانصرف .

(١) الغينة : الأجمة (٢) غرئت : جاعت (٣) الطعام : آوفاذ الناس .

٥٥ — لولا ما جعل الله لنا في يدك ما أتيناك *

بيننا معاويةٌ جالس يوماً وعنده عمرو بن العاص إذ قال الأذن : قد جاء عبدُ
الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال عمرو : والله لأسوأته اليوم ! فقال معاوية :
لا تفعل يا أبا عبد الله ، فإنك لا تنتصف^(١) منه ، ولعلك إن تفعل يظهر لنا من
منقبتِهِ^(٢) ما هو خفيٌّ عنا ، وما لا نحب أن نعلمه منه .

وغشيهم عبد الله بن جعفر ، فأذناه معاويةٌ وقرّبه ، فقال عمرو إلى بعض جلساء
معاوية ، فنال من عليٍّ جهاراً غير ساتر له ، وثلبه ثلباً قبيحاً ؛ فالتمع لونُ عبد الله
واعتراه أفكل^(٣) حتى أرعدت خصائله^(٤) ثم نزل عن السرير كالفنيق^(٥) ؛
فقال عمرو : مه يا أبا جعفر ! فقال عبد الله : مه ، لا أم لك ! ثم قال :

أظنُّ الحلم دلَّ على قومي وقد يتجهلُّ الرجلُ الحليمُ

ثم حَسَرَ عن ذراعيه ، وقال : يا معاوية ؛ حَتَّامٌ تتجرع غيظك ، وإلام الصبرُ
على مكروه قولك وسينى أدبك ، وذميم أخلاقك ، هبلتكَ الهبُولُ^(٦) ! أما يزجرك
ذِمَامُ المجالسة عن القذع جليسك إذا لم تكن حرمةً من دينك تنهاك عما لا يجوزُ
لك ؟ أما والله لو عطفتك أو اصيرُّ الأرحام ، أو حاميت على سهمك من

* ابن أبي الحديد : ٢ - ٩٠٤ .

(١) انتصف منه : استوفى حقه منه كاملاً (٢) المنقبة : المفخرة (٣) الأفكل : الرعدة
(٤) الحصاة : كل قطعة من لحم عظمت أو صغرت ، وجمعها الحصائل (٥) الفنيق : الفحل المكرم
لا يؤذى لكرامته على أهله (٦) هبل : نكل ، والهبول : هي من النساء التي لا يبقى لها ولد

الإسلام ، ما أرعيتَ بني الإمام أعراض قومك ؛ وما يجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة .

وإنك لتعرفُ قريشاً و صفوة غرائزها فلا يدعوك تصويبُ ما فرط من خطئك في سفكِ دماء المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين إلى التماذي فيما قد وضح لك الصوابُ في خلافه ؛ فاقصد لمنهج الحق ؛ فقد طال عمهك^(١) عن سبيل الرشد ، وخبطك في ديمجور ظلمة الغي ؛ فإن أبيت ألا تتابعنا فأعفنا من سوء القالة فينا ، إذا ضمنا وإياك الندى^(٢) ، وشأنك وما تريد إذا خلوت ، والله حسبيك ! فوالله لولا ما جعل الله لنا في يدك لما أتيناك .

ثم قال : إنك إن كلفتنى ما لم أطق ساءك ما ستر منى من خلق .

فقال معاوية : يا أبا جعفر ؛ نغبر الخطأ ، أقسمت عليك لتجلسن ، لعن الله من أخرج صبب صدرك من وجاره^(٣) ، محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت ، فلو لم يكن تحتدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا ، وأنت ابن ذى الجناحين ، وسيد بنى هاشم .

فقال عبدُ الله : بل سيدُ بنى هاشم : حسن وحسين ، لا ينازعهما في ذلك أحد . فقال : يا أبا جعفر ؛ أقسمتُ عليك لما ذكرت حاجةً لك إلا قضيتها كأنه ما كانت ! ولو ذهبت بجميع ما أملك ، فقال : أما في هذا المجلس فلا ! ثم انصرف فأتبعه معاويةُ بصره ، فقال والله لكانه رسول الله في مشيته وخلقِهِ وخلقِهِ ، وإنه لمن مشكاته^(٤) ؛ ولوددت أنه أخى بنفيس ما أملك .

(١) العمه : التردد في الضلال (٢) الندى : مجلس القوم (٣) الوجار : جحر الضبع وغيرها (٤) أى أنهما من شيء واحد .

ثم التفت إلى عمرو فقال : يا أبا عبد الله ؛ ما تراه منعه من الكلام معك !
قال : ما لا خفاء به عنك ! قال : أظنك تقول : إنه هاب جوابك ، لا والله ،
ولكنه ازدرأك واستحقرك ، ولم يرك للكلام أهلاً ، أما رأيت إقباله على-
دونك ، ذاهباً بنفسه عنك ؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه ؟
فقال معاوية : أرغب إليك يا أبا عبد الله ؛ فلات حين جواب فيما بُرى اليوم ،
ونهب معاوية وتفرق الناس .

٥٦ — ذهب قريش بالملكوم والعلا*

شَبَّ عبدُ الرحمن بن حسان برملة بنت معاوية فقال :

رَمَلٌ ، هل تذكرون يوم عَزَّالٍ إذ قطعنا مَسِيرَنَا بالْتَمَنِي
إذ تقولين : عَمَرَكَ اللهُ ، هل شَيْءٌ ، وإنَّ جَلَّ سوف يُسَلِّيك عَنِّي !

وبلغ ذلك يزيد بن معاوية ؛ فغضب ، ودخل على معاوية وقال :
يا أمير المؤمنين ؛ ألا ترى إلى هذا العِلْج^(١) من أهل يثرب يتهكّم بأعراضنا ،
ويتشَبَّب بنا نحننا ! قال : ومن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال .
فقال : يا يزيد ؛ ليست العقوبة من أحدٍ أقبحَ منها من ذوى القبرة ؛ ولكن
أمهل ، حتى يقدم وفدُ الأنصار ، ثم ذكّرني .

فلما قدم وفدُ الأنصار ذكره به ، فلما دخلوا عليه قال : يا عبد الرحمن ؛
ألم يبلغني أنك تشبَّب برملة بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو علمتُ أن أحداً
أشرفَ به شعري أشرفَ منها لذكرته ! قال : وأين أنت عن أختها هند ؟ قال :
وإن لها لأختاً ! قال : نعم — وإنما أراد معاوية أن يشبَّبَ بهما جميعاً فيكذب نفسه —
فلم يُرضِ يزيدٌ ما كان من معاوية .

فأرسل إلى كعب بن جُمَيْل فقال : اهجُ الأنصار ، فقال : أفرق^(٢) من أمير المؤمنين ،
ولكن أدلك على الشاعر الكافر الماهر ، قال : ومن هو ؟ قال : الأخطل^(٣) .

* الأغاني : ١٤ — ١٤٢ .

(١) العِلْج : الرجل الشديد الغليظ (٢) أفرق : أخاف (٣) الأخطل : شاعر اشتهر في عهد بني أمية بالشام وأكثر من مدح ملوكهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة شعره ، توفي سنة ٥٩٠ هـ .

فدعاه ، فقال : اهج الأنصار ، قال : أفرق من أمير المؤمنين ، فقال :

لا تخف شيئاً ، أنا لك بذلك ، فهجاهم فقال :

وإذا نسبت ابن الفريضة^(١) خلتَهُ كالجحش بين حمارةٍ وحمارٍ
لعن الإله من اليهود عصاةً بالجزع بين جلالٍ وصرارٍ^(٢)
قومٌ إذا هدرَ العسيرُ رأيتهم حمرا عيونهم من السطار^(٣)
خلوا المكارم لستموا من أهلها وخذوا مساحيقكم^(٤) بنى النجار
ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللوم تحت عمائم الأنصار

فبلغ ذلك النعمان بن بشير ؛ فدخل على معاوية فحسّر عن رأسه عمامته ،
وقال : يا أمير المؤمنين ؛ أترى لؤماً ؟ قال : لا ، أرى كرمًا وخيرًا ، ما ذاك ؟ قال :
زعم الأخطل أن اللوم تحت عمائمنا ، قال : أو فعل ! قال : نعم ، قال : لك لسانه .

وكتب فيه أن يؤتني به ، فلما أتني به ، سألت الرسول ليدخل إلى يزيد أو لا ،
فأدخله عليه ، فقال : هذا الذي كنت أخاف ، قال : لا تخف شيئاً ، ودخل على
معاوية ، فقال : علام أرسل إلى هذا الرجل وهو يرمى من وراء جمرتيناً^(٥) ! قال :
هجا الأنصار ، قال : ومن زعم ذلك ؟ قال : النعمان بن بشير . قال : لا يقبل
قوله عليه ، وهو يدعى لنفسه ، ولكن تدعوه بالبيئنة ، فإن أثبت شيئاً أخذت به له .
فدعاه بالبيئنة ، فلم يأت بها فخطى سبيله ، فقال الأخطل في يزيد :

(١) الفريضة : هي أم حسان بن ثابت (٢) صرار : اسم جبل ، وجلال : مكان
(٣) السطار من أسماء الخمر التي اعتصرت من أبقار العنب (٤) المساحي : جمع مسحة وهي
المحرفة من الحديد (٥) الجرة : اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها .

صحاً القلبُ إلا من ظعائن فاتني
وقرّبتَ للبينِ الجمالِ وزيّنتَ
فطرنَ بوَحشٍ ماتوا تيك بعد ما
وإني غداةَ استعبرتُ^(٤) أمَّ مالكٍ
ولولا يزيدُ ابنُ الملوكِ وسَيْبُهُ
فكم أنقذتني من جرورٍ^(٦) حبالكم
إلى أن قال :

أبا خالدٍ ؛ دافعتَ عني عظيمةً
وأطقاتَ عني نَارَ نَعْمَانِ بعدما
ولما رأى النعمانُ دوني ابنَ حرّةٍ
ولاقى اسراً لا يَنْقُضُ القومُ عهده
وأدركتَ لحمي قبل أن يتبددا
أغذّ لأمر عاجزٍ وتجرّداً^(٩)
طوى الكشحَ إذ لم يستطعني وعرداً^(١٠)
أمر القوي دون الوشاة، وأحصداً^(١١)

(١) أصد : سار في أرض مرتفعة (٢) لك : أراد بها الجلود أو الثياب المصبوغة
(٣) أراد بالوحش النساء ، والبازي نفسه (٤) استعبرت : جرت عبرتها ، وأم مالك : امرأة
الأخطل (٥) الحدبار : السنة المجذبة ، ويستمار للأمر الصعب (٦) الجرور : البئر البعيدة القور
(٧) المرساء : الداهية (٨) بلد : لصق بالأرض (٩) النعمان بن بشير ، والإغذاء : سرعة
السير ، وأمر عاجز : شديد يعجز صاحبه (١٠) طوى الكشح : أضرر المداوة ،
مرد : هرب (١١) أمر القوي : أحكم قتلها ، وكذلك أحصداً .

٥٧ — لو ترك القطأ لنا*
—

تزوج عبدُ الله بن الزبير^(١) أم عمرو ابنة منظور بن زبَّان الفزاريَّة ، فلما دخل بها قال لها تلك الليلة : أتدريين مَنْ معك في حجَلتك^(٢) ! قالت : نعم ! عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، قال : ليس غير هذا ؟ قالت : فما الذى تريدُ ؟ قال : معك مَنْ أصبحَ فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لابل بمنزلة العينين من الرأس .

قالت : أما والله لو أن بَعْضَ بنى عبد مناف حَضَرَكَ لقال لك خلاف قولك . ففضب وقال : الطعامُ والشرابُ على حرام حتى أحضَرَكَ الهاشميين وغيرهم من بنى عبد مناف فلا يستطيعون لذلك إنكاراً .

قالت : إن أظعتى لم تفعل ، وأنت أعلمُ وشأنك .

فخرج إلى المسجد ، فرأى حَلَقَه فيها قومٌ من قريش ، منهم عبد الله بن عباس وعبدُ الله بن الحصين بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، فقال لهم ابن الزبير : أحبُّ أن تنطلقوا معى إلى منزلى ، فقام القومُ جميعاً ، اُحتى وقفوا على باب بيته . فقال ابن الزبير : يا هذه ؛ اطرعى عليك سِتْرَكَ .

* ابن أبى الحديد : ٢ - ٥٠١ .

(١) عبد الله بن الزبير : أول مولود فى المدينة بعد الهجرة ببيع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ بميد موت يزيد بن معاوية وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة انتهت بقتله سنة ٧٣ هـ (٢) المجلة : موضع بزبن بالثياب والستور .

فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغذى القوم ، فلما فرغوا قال لهم : إنما جمعتمكم
لحديث رَدَّته على صاحبة الستر ، وزعمت أنه لو كان بعض بني عبد مناف حضرنى
لما أقرتلى بما قلت . وقد حضرتم جميعاً . وأنت يا بن عباس ، ماتقول ؟ إني أخبرتها
أن معها فى خدرها من أصبح فى قريش بمنزلة الرأس من الجسد ، لا بل بمنزلة العينين
من الرأس ، فردت على مقالتي .

فقال ابن عباس : أراك قصدت قصدى ؛ فإن شئت أن أقول قلت ، وإن
شئت أن أكف كفت ، قال : بل قل ، وما عسى أن تقول ؟ أأست تعلم أن أبى
الزبير حوارى رسول الله ، وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ذات النطاقين ،
وأن عمى خديجة سيدة نساء العالمين ، وأن صفيّة عمه رسول الله جدتى وأن عائشة
أم المؤمنين خالى ، فهل تستطيع لهذا إنكاراً !

قال ابن عباس : لا ، ولقد ذكرت شرفاً شريفاً ، وفخراً فاحراً ؛ غير أنك تفاخر
من بفخره فخرت ، ويفضله سموت . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لم تدكر
فخراً إلا برسول الله وآله ، وأنا أولى بالفخر به منك !

قال ابن الزبير : لو شئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة . قال ابن عباس :
قد أنصف القارة^(١) من رامها ، نشدتكم الله أيها الحاضرون ؛ أعبد المطلب أشرف
أم خويلد فى قريش ؟ قالوا : عبد المطلب . قال : أفهاشم كان أشرف فيها أم أسد ؟

(١) القارة : قبيلة ، وفى اللسان زعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى والآخر أسدى ، فقال
القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الأسدى : قد
اخترت المرأمة ، فقال القارى : قد أنصفتى وأنشد :

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فشة نلقاها
نرد أولها على آخرها

قالوا: بل هاشم! قال: أفبعد مناف كان أشرف أم عبد العزى؟ قالوا:
عبد مناف، فقال ابن عباس:

تُناقرني^(١) يابن الزبير وقد قضى عليك رسولُ الله لا قولَ هازلٍ
ولو غيرنا يابن الزبير فخرته ولكنما ساميتَ شمسَ الأصائلِ
قضى لنا رسولُ الله بالفضل في قوله: « ما أفتَرقتُ فرقتانِ إلا كنتُ في
خيرِهما »، فقد فارقناك من بعد قُصي^(٢) بن كلاب، أفنحن في فرقة الخير أم لا؟
إن قلت: نعم خُصمت^(٣)، وإن قلت: لا كفرت.

فضحك بعض القوم؛ فقال ابنُ الزبير: أما والله لولا تحرمك^(٤) بطعامنا
يابن عباس لأغرقتُ جبينك قبل أن تقوم من مجلسك!

قال ابن عباس: ولم؟ أباطل! فالباطل لا يَفلِبُ الحق، أم بحق! فالحق
لا يَحشى من الباطل.

فقالَت المرأة من وراء الستر: إني والله قد نهيتُه عن هذا المجلس فأبى إلا
ماتروُن. فقال ابن عباس: مه أيتها المرأة، اقنعي ببطنك، فما أعظمَ الخطرَ،
وما أكرمَ الخير!

فأخذ القومُ بيد ابن عباس - وكان قد عمى - فقالوا: انهض أيها الرجل فقد
أخمتَه غير مرة، فهض وهو يقول:

ألا يا قومناً ارتجِلوا وسيروا فلو تُركَ القطأَ لَفأَ ونأما

(١) تحاكمني في الحسب وتفاخرني (٢) كان من أولاد قُصي عبد العزى (ومن سلالة ابن
الزبير) وعبد مناف (ومن سلالة بنو هاشم) (٣) خصمت: غلبت (٤) تحرمك: احتماؤك.

فقال ابن الزبير : يا صاحبَ القَطَا ؛ أَقْبِلْ عَلَيَّ ، فما كنتَ لَتِدَعَنِي حتى أقول ،
وأيُّمُ الله لقد عَرَفَ الأَقْوَامُ أَنِي سَابِقٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ ، وابنُ حَوَارِيٍّ ^(١) وَصَدِيقٌ ،
مُتَّبِعٌ ^(٢) فِي الشَّرَفِ الأَنْبِيَاءِ ، خَيْرٌ مِنْ طَلِيْقٍ ^(٣) وابنِ طَلِيْقٍ .

فقال ابنُ عباسٍ : هذا الكلامُ مردودٌ من امرئِ حَسُودٍ ، فإن كنتَ سابقاً
فإِلَى مَنْ سَبَقْتَ ؟ وإِن كنتَ فَاخِراً فَمِنْ مَنْ فَخَرْتَ ؟ فإن كنتَ أدركتَ هذا الفخر
بأسرتك دون أسرتنا فالفخرُ لك علينا ، وإِن كنتَ إنما أدركته بأسرتنا فالفخرُ لنا
عليك ، وَالكَثْكَثُ ^(٤) فِي فَمِكَ وَيَدِيكَ .

وأما ما ذكرت من الطليق ؛ فوالله لقد ابتلى فصيبر ، وأنعم عليه فشكر ، وإن
كان - والله - وقتياً كريماً غير ناقض بيعة بعد توكيدها ، ولا مسلم كتيبة بعد
التأمر ^(٥) عليها .

فقال ابن الزبير : أتعمّر الزبير بالجنين ! والله إنك لتعلمُ منه خلافَ ذلك .
قال ابن عباسٍ : والله إني لا أعلم إلا أنه فرّ - وما كَرَّ - ، وحارب فما صبر ، وباع
فما تم ، وقطع الرّجيم ، وأنكر الفضل ، ورام ما ليس له بأهل :

وأدرك منها بعضَ ما كان يرتجى - وقصّر عن جرّمي الكرام وبلدنا ^(٦)
وما كان إلا كالهجين أمامه عتاق ^(٧) فجساره العتاق فأجهدا

(١) الحواري في الأصل : كل مبالغ في نصرة آخر ، وقد لقب الزبير بذلك . والصديق : أبو بكر ،
وهو أبو أسماء أم عبد الله بن الزبير (٢) التبيح : الافتخار والتعظيم (٣) يعرض بالعباس
ابن عبد المطلب ، وقد أسره المسلمون يوم بدر ، وقد أطلقه رسول الله بعد أن أخذ منه الفدية
(٤) الكثكث : التراب (٥) يعرض بالزبير وقد بايع علي بن أبي طالب ثم نكس (٦) لم يتجه
لشيء ، وبخل ولم يجهد (٧) جمع عتيق وهو الكرم من الخيل ، والهجين : ما ليس عتيقاً

فقال ابن الزبير: لم يَبْقَ يا بني هاشم غير المشائمة والمُضاربة . فقال عبد الله
ابن الحصين بن الحارث : أقمناه عنك يا بَنَ الزبير ، وتأبى إلا منازعته ! والله
لو نازعته من ساعتك إلى انقضاء عمرك ما كنت إلا كالسَّفب^(١) الظمآن ، يفتح
فاه يستزيد من الريح ، فلا يشبع من سَقَب ، ولا يروى من عطش ، فقل : إن
شئت أو فدع . وانصرف القوم .

(١) السفب: الجائم .

٥٨ — مفاخرة ربيعة *

قال عبدُ الملك^(١) بن مروان يوماً لجلسائه : خَبَرُونِي عن حَيٍّ من أحياء العرب ،
فيهم أشدُّ الناس ، وأسخَى الناس ، وأخطبُ الناس ، وأطوعُ الناس في قومه ،
وأحلمُ الناس ، وأحضرهم جواباً .

قالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ ما نعرفُ هذه القبيلة ، ولكن ينبغي أن تكونَ في
قريش ، قال : لا ، قالوا : ففي حِميرٍ وملوكها ، قال : لا . قالوا : ففي مضر ،
قال : لا .

قال مَصَلَّةُ بنُ رقية العبدى : فهي إذن في ربيعة ، ونحن هم . قال : نعم . قال
جَلَسَاوَهُ : ما نعرفُ هذا في عبد القيس ، إلا أن نخبرنا به يا أميرَ المؤمنين .

قال : نعم ، أمّا أشدُّ الناس فحكيم^(٢) بن جبلة ؛ كان مع عليّ بن أبي طالب
رضى الله عنه ، ففُطِعت ساقه ، فضمَّها إليه ، حتى مرَّ به الذي قطعها فرماه بها ،
فالتقاه عن دابته ، ثم جبا إليه فقتله ، واتَّكأ عليه ؛ فر به الناس ؛ فقالوا : يا حكيم ؛
مَنْ قطع ساقك ؟ قال : وسادى هذا ! وأنشأ يقول :

ياساقُ لا تُراعى إن مَيَّ ذِراعى

* أنحى بها كُراعى^(٣) *

* المقد الفريد : ٢ - ٢٣٢

(١) عبد الملك بن مروان من أعظم الخلفاء ودهاتهم ، استعمله معاوية على المدينة ، وانتقلت إليه
الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ ، توفى بدمشق سنة ٨٦ هـ (٢) حكيم بن جبلة : صحابي ، اشترك
في الفتنة أيام عثمان ، ولما كان يوم الجمل قاتل مع أصحاب علي ، وقتل في هذه الواقعة سنة ٣٦ هـ
(٣) الكراع : اسم يجمع الخيل والسلاح .

وأما أسخى الناس فعبدُ الله بن سوار ؛ استعمله معاوية على السند ؛ فسار إليها في أربعة آلاف من الجند ، وكانت تُوقدُ معه نار حيتما سار فيطعم الناس ؛ فبينما هو ذات يوم إذ أَبْصَرَ ناراً ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : أصلح الله الأمير ! اعتلّ بعضُ أصحابنا ، فاشتوى خبيصاً^(١) ، فعملنا له ؛ فأمر خبازَه ألا يطعمَ الناس إلا الخبيص ، حتى صاحوا ، وقالوا : أصلح الله الأمير ! رُدنا إلى الخبز واللحم ؛ فسَمِيَ مُطْعِمَ الخبيص .

وأما أطوعُ الناس في قومه فالجارُود^(٢) بن بشر بن العلاء ؛ لأنه لما قبضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارتدّت العرب ، خطبَ قومه فقال : أيها الناس ، إن كان محمدٌ قد ماتَ فإن الله حيٌّ لا يموت ؛ فاستمسِكُوا بدينكم ، فن ذهب له في هذه الرِّدَّة دينار أو درهم أو بعيرٌ أو شاة ، فله على مِثْلَاه ؛ فما خالقه منهم رجل .

وأما أحضرُ الناس جواباً فصعصعةُ بن صُوحان ؛ دخل على معاوية في وفدِ أهل العراق ؛ فقال معاوية : مرحباً بكم يَأهلَ العراق ، قدمتم أرضَ الله المقدسة ، منها المَنشَرُ وإليها المحشر ، قدِمتم على خير أميرٍ يَبْرُ كبيرَكم ، ويرحمُ صغيركم ، ولو أنَّ الناس كلَّهم ولدُ أبي سفيان لكانوا حلاماً عقلاء .

فأشار الناس إلى صعصعة ؛ فقام ، فحمدَ الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم قال : أما قولك يا معاوية : إننا قدمنا الأرض المقدسة ؛ فلممرى ما الأرض تقدسُ الناس ، ولا يقدسُ الناس إلا أعمالهم ، وأما قولك : منها المَنشَرُ وإليها المحشر

(١) الخبيص : الطعام من التمر والسمن (٢) هو بشر بن عمرو سيد عبد القيس ، كان شريفاً في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وقتل شهيداً سنة ٢٠ هـ

فلعمري ما ينفع قُربها ولا يضر بُعدها مؤمناً . وأما قولك : لو أن الناس كلُّهم ولدُ
أبي سفيان لكانوا حلماً عقلاء ، فقد ولد لهم خيرٌ من أبي سفيان ، آدم صلوات الله
عليه ، فمنهم الحلِيم والسفيهُ ، والجاهل والعالم .

وأما أحلمُ الناس فإن وفدَ عبد القيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
بصدقاتهم ، وفيهم الأشج ، ففرّقها رسول الله ، وهو أول عطاء فرّقه في أصحابه ،
ثم قال : يا أشج ، ادنُ مني ، فدنا منه ، فقال : إن فيك خلتين يجبهما الله :
الأناة والحلم ، وكفى برسول الله شاهداً .

٥٩ — أراك طالماً بقومك *

رُوِيَ أن عبد الملك بن مروان لما قَدِمَ الكوفة بعد قتله مُصَعَّب بن الزبير
جلس لعرض أحياء العرب ، فقام إليه مَعْبَدُ بن خالد الجَدَلِيّ - وكان قصيراً دَمِيّاً -
فتقدمه إليه رجلٌ حسنُ الهيئَةِ .

قال مَعْبَدُ : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : مَن أنت ؟ فسكت ولم يقل
شيئاً - وكان مِنّاً - فقلت مِن خَلْفِهِ : نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيْلَةِ ، فأقبل على
الرجل وتركني وقال : مِن أيكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان
عَدَوَانِيّاً ، فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم تُسمي ذَا الإصْبَعِ ؟ قال الرجل :
لا أدري ، فقلت : نَهَشْتَهُ حَيَّةٌ فِي إِصْبَعِهِ فَيَسَّتْ فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجْلِ وَتَرَكَنِي ، ثم قال :
وَيْمَ كَانَ يُسَمَّى قَبْلَ ذَلِكَ ؟ قال الرجل : لا أدري ، قلت : كان يسمي حُرْثَانَ ،
فأقبل على الرجل وتركني ، ثم قال : من أَيِّ عَدَوَانَ كَانَ ؟ فقلت من خَلْفِهِ :
من بني نَاجِرٍ ، الذين يقول فيهم الشاعر :

وَأَمَّا بَنُو نَاجِرٍ فَلَا تَذْكُرُهُمْ وَلَا تُنَبِّئَنَّ عَيْنِيكَ مَا كَانَ هَالِكَا
إِذَا قُلْتُ مَعْرُوفًا لِأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ لَا أَسْأَلُكَ ذَلِكََا
فَأُضْحِي كظْهِرِ الْفَحْلِ جُبِّ سَنَامُهُ يَدْبُ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَحْدَبَ بَارِكَا

فأقبل على الرجل وتركني وقال : أنشدني قوله : « عَذِيرُ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَانَ » .

قال الرجل : لستُ أرويهَا ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن شئتُ أنشدتَكَ . قال :
ادنُ مني ؛ فإنني أراك بقومك عالماً . فأنشدتهُ :

وليس المرءُ في شيءٍ من الإبرامِ والتَّقْضِ
إذا أبرمَ أمراً خافَ لهُ يَقْضِي وما يَقْضِي
يقولُ اليومَ أمْضِيهِ ولا يملكُ ما يُمْضِي
عذيرَ الحَيِّ من عَدْوَانِ كانوا حَيَّةَ الأَرْضِ^(١)
بغى بعضهمُ بعضاً فلم يُبْقُوا على بعضِ
فقد صاروا أحاديثَ يرفَعُ القولِ والخفضِ
ومنهم كانت السادا تُ والموفونَ بالقرضِ
ومنهم حَكَمٌ يَقْضِي فلا يُنْقِضُ ما يَقْضِي
ومنهم من يُجِيزُ^(٢) النَّاسَ بالسَّنَةِ والقرضِ
وهم من ولدوا أشبوا^(٣) بسرَّ الحَسْبِ الخُضِ
ومن ولدوا عامِرَ ذو الطولِ وذو العَرَضِ
وهم بَوَّاءُ^(٤) تَقِيماً دَا رَ لَا ذَلَّ ولا خَفِضِ

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان . فأقبل على
كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسة لهذا . فانصرفتُ بها .

(١) يقال : فلان حية الوادي أو الأرض أو البلد : أي داه خبيث .

(٢) كانت إجازة الحج لحزاعة ، ثم انتقلت إلى عدوان ، يقف رئيسهم في أيام الحج يحضب في
الناس ثم ينفر ويتبعونه بعد ذلك (٣) يقال : أشي فلان إذا ولد له ولد كيس (٤) بوا : أنزلوا .

٦٠ — لقد خِفْتُ أَنْ تَفْخَرَ عَلِيٌّ*

دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان ، فقال له ممن الرجل ؟
قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا

فقال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يَزِيدُ بَنُو سَعْدٍ عَلَى عَدَدِ الْحَصَى وَأَثَقُلُ مِنْ وَزَنِ الْجِبَالِ حُلُومَهَا^(١)

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُمْ بِيضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانٍ^(٢)

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فَلَا وَأَيْبِكَ مَاظَلَمْتُ قُرْبِعُ بَأْنَ يَبْنُو الْمَكَازِمَ حَيْثُ شَاهُوا

قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأُذُنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّيْ بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا؟

قال : اجلس لا جلست ! والله لقد خفتُ أن تفخرَ عليٌّ .

* نهاية الأرب : ٣ - ٢٠٠

(١) الحلوم : جمع حلم : وهو العقل .

(٢) يقال : رجل أغر الوجه إذا كان أبيض الوجه ، من قوم غر وقران ، والبيت لامرئ القيس

(اللسان - غرر) .

٦١ — عبد الله بن جعفر والحجاج *

أكره الحجاج بن يوسف عبد الله بن جعفر على أن زوجته ابنته ، فاستأجله^(١) في قفليها سنة ؛ ثم فكر عبد الله في الانفكاك منه ، فألقى^(٢) في روعه خالد بن يزيد ، فكتب إليه يعلمه ذلك - وكان الحجاج تزوجها بإذن عبد الملك - فورد على خالد كتابه ليلاً ، فاستأذن من ساعته على عبد الملك . فقيل : أفى هذا الوقت ؟ فقال : إني أمر لا يؤخر .

فأعلم عبد الملك بذلك ، فأذن له . فلما دخل عليه قال له عبد الملك : فيم السرى^(٣) يا أبا هاشم ؟ قال : أمر جليل لم آمن أن أوخره ، فتحدثت على حادثه ، فلا أكون قد قضيت حق بيعتك . قال : وما هو ؟ قال : أتعلم أنه ما كان بين حيين من العداوة والبغضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سفيان ؟ قال : لا ، قال : فإن تزويجي^(٤) إلى آل الزبير أذهب ما كان لهم في قلبي ، فما أهل بيت أحب إلي منهم .
قال : فإن ذلك ليكون .

قال : فكيف أدنت للحجاج أن يتزوج في بني هاشم ، وأنت تعلم ما يقولون ويُقال فيهم ؟ والحجاج من سلطانك بحيث علمت ! فجزاه خيراً وكتب إلى الحجاج أن يطلقها .

* رغبة الأمل : ٥ - ٢٣ ، الكامل : ١ - ٢٠٥

(١) طلب منه أن يؤجله إلى مبة (٢) في روعه : فكر فيه (٣) السرى : السير بالليل (٤) كان خالد قد تزوج رملة بنت الزبير بن العوام .

فطلقها ، وغدا الناس عليه يُعزُّونه عنها ؛ فكان ممن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن
أبي سفيان ، فأوقع الحجاجُ بخالد ؛ فقال : كان الأمرُ لآبائه فعجز عنه حتى انْتزِع
منه . فقال له عمرو بن عُتْبَةَ : لا تَقُلْ ذا أيها الأمير ؛ فإن لخالد قديماً سبق إليه ،
وحديثاً لم يُفْلَبْ عليه ، ولو طلب الأمر لطلبه بِجِدِّ وَجِدِّ ، ولكنه علمِ علماً ،
فسلم العلمَ إلى أهله .

فقال الحجاج : يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تُحِبُّون أن تَحْمُلُوا ، ولا يكون الحِلْمُ إلا
عن غضب ؛ فنحن مُنْقِضُكُمْ في العاجل ؛ ابتغاءَ مَرْضَاتِكُمْ في الآجل .

٦٢ — إنها قريش يقارع بعضها بعضاً*

لما قُتِلَ ابنُ الزبير حَجَّ خالد^(١) بن يزيد بن معاوية ، فخطب رَمَلَةَ بنت الزبير بن العوام ؛ فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيد الله ، فقال له : ما كنتُ أراكُ تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني ! وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكل قبيلة ، وشهدوا عليه وعلى جدك بالضلالة !

فتنظر إليه خالد طويلاً ، ثم قال له : لولا أنك رسول — والرسولُ لا يعاقب — لقطعتك إزباً إزباً^(٢) ، ثم طرحتك على باب صاحبك ؛ قل له : ما كنتُ أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشورك في خِطبة النساء . وأما قولك لي : قارعوا أباك ، وشهدوا عليه بكل قبيلة ، فإنها قريش يقارع بعضها بعضاً ؛ فإذا أقرَّ الله عز وجل قراره كان تقاطعهم وتراحمهم على قدر أحلامهم وفضلهم .

وأما قولك : إنهم ليسوا بأكفاء ، فقاتلك الله يا حجاج ! ما أقل علمك بأنساب قريش ! أيكون العوام كفتنا لعبد المطلب بن هاشم بتزوجه صفية ، ويتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد ، ولا تراهم أهلاً لأبي سفيان !

فرجع الحجاب إليه فأعلمه !

* الأغانى : ١٦ - ٨٤ ، بلوغ الأرب : ٢ - ٦ ،

(١) خالد بن يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان من رجال قريش سخاء ، وعارضة وفصاحة ، وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء ، فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه (٢) إزباً إزباً : عضوا عضوا .

٦٣ — نَسْتَجِيرُ بِقَبْرِ أَبِيهِ *

لما ولَّى الحجاجُ تميمَ بنَ زيدِ القينِيَّ السندَ دخلَ البصرةَ فجعلَ يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاءَ ؛ فجاءت عَجُوزٌ إلى الفرزدقِ ^(١) فقالت : إني استجرتُ بقبرِ أبيك — وأتت منه بِمَحْصِيَّاتٍ ^(٢) — فقال لها : وما شأنُك ؟ قالت : إن تميمَ بنَ زيدٍ خرجَ بابنٍ لي معه ، ولا قُرَّةَ لعيني ، ولا كاسِبَ لي غيرُهُ : فقال لها : وما اسمُ ابنك ؟
قالت : خُنَيْسٌ .

فكتب إلى تميم بن زيدٍ مع بَعْضٍ من شَخْصٍ :

تميمُ بن زيدٍ لا تكوننَّ حاجتي بظَهْرٍ ، فلا يَعمِيَا على جَوَابِهَا
وهب لي خُنَيْسًا واحتسب فيه مِنَّةً لَعَبْرَةَ أُمِّ مَآيسُوعٍ شَرَابِهَا
أتني فعاذتْ يا تميمُ بِغَالِبٍ ^(٣) وبالحفرةِ السَّافِي عليها ترابُهَا
وقد علمَ الأتقوامُ أنك ماجِدٌ وليتْ إذا ما الحربُ شُبَّ شِهَابِهَا

فلما وردَ الكتابُ على تميم تشكك في الاسم ، فقال : أحْبِيشُ أم خُنَيْسُ ؟
انظروا مَنْ له مثلُ هذا الإسم في عسكرنا . فأصيب ستة ما بين حبيس وخنيس ،
فوجه بهم إليه .

* الكامل : ١ - ٢٩١

(١) الفرزدق : شاعر بن أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهاجته لها أشهر من أن تذكر . توفي سنة ١١٠ هـ (٢) الحصى : صغار الحجارة ، الواحدة حصة . (٣) غالب هو أبو الفرزدق .

٦٤ — الفرزدق والأنصار *

قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري : قدم الفرزدق المدينة في إمارة أبان بن عثمان ؛ وإني والفرزدق وكثيراً جلوس في المسجد نتناشد الأشعار ؛ إذ طلع علينا غلام شخت^(١) آدَمُ في ثوبين مُمصَرين^(٢) ، ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم ، فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت - مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له .

فقال له الفرزدق : ومن أنت لا أم لك !

قال : رجل من بني الأنصار ، ثم من بني النجار ، ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم . بلغني أنك تزعم أنك أشعرُ العرب ، وتزعم مُصَرُّ ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حسانُ شعراً ، فأردتُ أن أعرضه عليك وأوجلك سنةً ، فإن قلت مثله فأنت أشعرُ العرب ، وإلا فأنت كذابٌ مُنتحل ، ثم أنشده قول حسان :

لنا الجففاتُ الغرُّ يلعبن بالضحا وأسيفنا يقطرن من نجدٍ دماً
متى ما تزرنا من معدٍ عصابةً وغسان^(٣) نمنع حوضنا أن يهدماً
أبي فعلنا المعروف أن ننطق الخنا وقائلنا بالعرف إلا تكلاً
ولدنا بني العنقاء وابني مُحرقٍ فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابناً

وأشده القصيدة إلى آخرها ، وقال له : إني فد أجلتك فيها حولا ، ثم انصرف

* الأغاني : ٩ - ٣٣٧

(١) الشخت : الدقيق الضامر ، أصلاً ، لا هزالاً (٢) مصمران : أي مصبوغان بصفرة غير شديد

(٣) وغسان : الواو هائنا للقسم ، لأن غسان لم تكن تفروم مع معد .

وانصرف الفرزدق مُغَضَّبًا يسحبُ رداءه ما يدرى أى طريق يسلك ، حتى
خرج من المسجد .

فأقبل كَثِيرٌ عَلَى فَقَالَ : قَاتِلَ اللهُ الأَنْصَارِيَّ ! مَا أَفْصَحَ لَهْجَتَهُ ، وَأَوْضَحَ حَبَّتَهُ
وَأَجُودَ شِعْرَهُ ! ثُمَّ لَمْ نَزَلْ فِي حَدِيثِ الْفَرَزْدَقِ وَالْأَنْصَارِيَّ بَقِيَّةَ يَوْمِنَا ، حَتَّى إِذَا
كَانَ الْغَدُ خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي إِلَى مَجْلِسِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ بِالْأَمْسِ ؛ وَأَتَانِي كَثِيرٌ
فَجَلَسَ مَعِي ؛ فَإِنَّا لَنَتَذَاكَرُ الْفَرَزْدَقَ وَقَوْلَ : لَيْتَ شِعْرِي مَا فَعَلَ ! إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا
فِي حُلَّةِ أَفْوَافٍ ^(١) يَمَانِيَّةٍ مَوْشَاةٍ ، لَهُ غَدِيرَتَانِ ، حَتَّى جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ بِالْأَمْسِ ،
ثُمَّ قَالَ : مَا فَعَلَ الأَنْصَارِيُّ ؟ فَمَلْنَا مِنْهُ وَشَتَمْنَاهُ ؛ فَقَالَ : قَاتَلَهُ اللهُ ! مَا رُمِيتُ
بِمِثْلِهِ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِ شِعْرِهِ ؛ فَارْتَقَا فَأَتَيْتُ مَنْزِلِي ، فَأَقْبَلْتُ أُصْعَدُ
وَأَصَوَّبُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الشَّعْرِ ، فَكَأَنِّي مُفْجَمٌ ، أَوْ لَمْ أَقْلُ قَطُّ شِعْرًا ، حَتَّى نَادَى
الْمَنَادِي بِالْفَجْرِ ، فَرَحَلْتُ نَاقَتِي ، ثُمَّ أَخَذْتُ بِزِمَامِهَا ، فَقَدَمْتُهَا حَتَّى أَتَيْتُ ذِبَابًا ^(٢) ،
ثُمَّ نَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : أَخَاكُمْ أَبَا بِنِي ! وَجَاشَ صَدْرِي كَمَا يَجِيشُ الْمِرْجَلُ ،
ثُمَّ عَقَلْتُ نَاقَتِي ، وَتَوَسَّدْتُ ذِرَاعَهَا ، فَاقْتَمْتُ حَتَّى قَلْتُ مِائَةَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ
بَيْتًا .

فَبَيْنَمَا هُوَ يُنْشِدُنَا ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا الأَنْصَارِيَّ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ :
أَمَا إِنِّي لَمْ أَتُكْ لِأَعْجَلِكْ عَنِ الأَجْلِ الَّذِي وَقَّتَهُ لَكَ ، وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَلَا أُرَاكَ إِلاَّ
سَأَلْتُكَ عَمَّا صَنَعْتَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ :

عَرَفْتُ بِأَعْمَاشٍ ^(٣) وَمَا كَدْتُ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتُ مِنْ حَدْرَاءَ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ
وَلِجْ بِكَ الْمَجْرَانَ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَى الْمَوْتَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي كُنْتُ تَأَلَّفُ

(١) أفواف : جمع فوف وهو الفطن

(٢) ذباب : جبل بالمدينة .

(٣) أعماش : موضع في بلاد بني تميم .

ومنها :

لنا العِزَّةُ الغَلْبَاءُ والعددُ الذى عليه إذا عدَّ الحصى يُتَحَلَّفُ (١)
ولا عِزًّا إلا عِزُّنا قاهرٌ له ويسأَلُنا النَّصْفَ الذليلُ فيُنصَفُ (٢)
ومنا الذى لا ينطقُ الناسُ عندهُ ولكن هو المُستَيِّذَنُ المُتَنصَفُ (٣)
تراهمُ قعوداً حوله ، وعيونهم مُكسرةٌ أطرافها ما تصرفُ
إذا هبطَ الناسُ المُحصَّبَ من مِنى عَشِيَّةَ يومِ النحرِ من حيثُ عرفوا (٤)
ترى الناسَ ما سرنا يسرون خلفنا وإن نحنُ أوْمانا إلى الناسِ وقفوا (٥)

فلما فرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصارى كثيراً ، فلما توارى طلع أبوه فى مَشِيخَةً من الأنصار فسلموا علينا وقالوا : يا أبا فراس ؛ قد عرَفَتِ حالنا ومكاننا من رسول الله ووصيته بنا ؛ وقد بلغنا أن سفياً من سفهائنا تعرض لك ، فنسألك بالله لَمَّا حَفِظتَ فينا وصية رسول الله ووهبتنا له ولم تفضحنا . قال إبراهيم : فأقبلت أكله أنا وكثير ، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشى .

(١) يتحلف : يحلف الناس أنه عدد الحصى .

(٢) النصف هنا : الإنصاف (٣) المتنصف : المطلوب منه الإنصاف (٤) المحصب : موضع رى الجمار بمعنى . و عرفوا : أى من حيث هبطوا من جبل عرفات (٥) كان الذى يؤم الناس ويدفع بهم من عرفات فى الجاهلية من تميم ، فيسرون بسيره ويقفون بوقوفه .

٦٥ — الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك *

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ، فقال له : مَنْ أَنْتَ ؟ وَتَجْهَمُ لَهُ كَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ : أَوْ مَا تَعْرِفُنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَنَا مِنْ قَوْمٍ مِنْهُمْ أَوْفَى الْعَرَبِ ، وَأَسْوَدُ الْعَرَبِ ، وَأَجُودُ الْعَرَبِ وَأَحْلَمُ الْعَرَبِ ، وَأَفْرَسُ الْعَرَبِ ، وَأَشْعَرُ الْعَرَبِ .

قال : وَاللَّهِ لَتُبَيِّنَنَّ مَا قُلْتَ أَوْ لَا وَجَعَنَ ظَهْرَكَ وَلَا هُدْمَنَ دَارِكَ .

قال : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَا أَوْفَى الْعَرَبِ فَحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ الَّذِي رَهَنَ قَوْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ فَوْتَى بِهَا .

وَأَمَا أَسْوَدُ الْعَرَبِ فَعَيْسُ بْنُ عَاصِمِ الَّذِي وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ ، وَقَالَ : هَذَا سَيِّدُ الْوَبَرِ .

وَأَمَا أَحْلَمُ الْعَرَبِ فَعَمَّتَابُ بْنُ وَرْقَاءِ الرَّيَّاحِيِّ .

وَأَمَا أَفْرَسُ الْعَرَبِ فَالْحَرِيشُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّعْدِيِّ ، وَأَمَا أَشْعَرُ الْعَرَبِ فَهَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَاغْتَمَّ سُلَيْمَانُ مِمَّا سَمِعَ مِنْ فَخْرِهِ وَلَمْ يَنْكُرْهُ ، وَقَالَ : ارْجِعْ عَلَى عَقْبِكَ ، فَمَا لَكَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ خَيْرٍ . فَرَجَعَ الْفَرَزْدَقُ وَقَالَ :

أَتَيْنَاكَ لَا مِنْ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَنَا إِلَيْكَ ، وَلَا مِنْ قَلَّةٍ فِي مُجَاشِعٍ (١)

* المقدم الفرزدق : ٢ - ١٩٣

(١) هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة من تميم .

٦٦ — البَاهِلِيُّ *

قال أبو قلابة الجرمي: حَجَجْنَا مَرَّةً مَعَ أَبِي جَزءِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ، وَكُنَّا فِي ذَرَاهِ (١): وَهُوَ إِذْ ذَاكَ بِيهِيٍّ وَضِيٍّ؛ فَجَلَسْنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى أَقْوَامٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، لَمْ نَرَ أَفْصَحَ مِنْهُمْ؛ فَرَأَوْا هَيْئَةَ أَبِي جَزءِ، وَإِعْظَامَنَا إِيَّاهُ، مَعَ بَجَالِهِ؛ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَمِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْخَلِيفَةِ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ. قَالَ: مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ مُضَرَ. قَالَ: أَعْرَضَ ثَوْبٌ لِلْمَلْبَسِ (٢) مِنْ أَيِّهَا عَافَاكَ اللَّهُ! قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قَيْسِ. قَالَ: أَيْنَ يُرَادُ بِكَ؟ صِرَ إِلَى فَصِيلَتِكَ الَّتِي تُؤْوِيكَ. قَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ غَفِّرْ! مِنْ أَيِّهَا عَافَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَفْعُرٍ. قَالَ: مِنْ أَيِّهَا؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَاهِلَةٍ. قَالَ: قُمْ عِنَّا.

قال أبو قلابة: فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَارِثِيِّ فَقُلْتُ: أَنْتَ هَذَا؟ قَالَ: ذَكَرَ أَنَّهُ بَاهِلِيٌّ، فَقُلْتُ: هَذَا أَمِيرُ ابْنِ أَمِيرٍ... وَعَدَدْتُ خَمْسَةَ. ثُمَّ قُلْتُ: هَذَا أَبُو جَزءِ ابْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ أَمِيرًا، ابْنِ سَعِيدٍ، وَكَانَ أَمِيرًا: ابْنِ سَلْمٍ، وَكَانَ أَمِيرًا، ابْنِ قَتَيْبَةَ وَكَانَ أَمِيرًا.

* الكامل: ٢ - ٢٤

(١) ذراه: كنفه (٢) الملبس: ثوب اللبس، يريد اسم وسار عريضا، وهو مثل يضرب حين يقال للرجل: ممن أنت؟ فيقول: من مضراو ربيعة أو اليمن ولم يخص، أي عممت ولم تخص

فقال الحارثي : الأمير أعظم أم الخليفة ؟ فقلت : بل الخليفة . قال : أفا الخليفة
أعظم أم النبي ؟ قلت : بل النبي . قال : والله لو عدت له في النبوة أضعاف
ما عدت له في الإمارة ، ثم كان باهلياً ما عبأ^(١) الله به شيئاً .
فكادت نفس أبي جزة تخرج ؛ فقلت : انهض بنا ، فإن هؤلاء أسوأ
الناس آداباً .

(١) ما عبأ الله به شيئاً : يريد : لم يكن له قدر عنده .

٦٧ - كُتُومُ الْعَتَابِيِّ*

كان أَخْوَانٌ مِنْ قَيْسٍ يَخْفُرَانِ قَرْيَةَ بِالْجَزِيرَةِ ، فَطَالَ مَقَامَهُمَا بِهَا حَتَّى أُثْرِيَا ، فَخَسِدَهُمَا قَوْمٌ مِنْ رِبِيعَةَ ؛ وَقَالُوا : يَخْفُرَانِ هَذِهِ الضِّيَاعُ فِي بِلَدِنَا ! وَجَمَعُوا لَهَا جَمْعًا ، وَسَارُوا إِلَيْهِمَا ، فَقَاتَلُوهُمَا حَتَّى قُتِلَ أَحَدُهُمَا ؛ وَعَلَى الْجَزِيرَةِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحِ الْمَهَاشِمِيِّ^(١) ، فَشَكَا الْقَيْسِيُّ أَمْرَهُ إِلَى وَجْهِ قَيْسٍ ، وَعَرَفَهُمْ قَتْلَ رِبِيعَةَ أَخَاهُ .

فَقَالُوا لَهُ : إِذَا جَلَسَ الْأَمِيرُ فَادْخُلْ إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَحِقَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَحَسْبُ الْأَمِيرِ أَنَّهُمْ لَمَّا قَتَلُوا أَخِي وَأَخَذُوا مَالِي قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ :

لَا يَحُوزَنَّ أَمْرًا مُضَرِّيًّا بِخَفِيرٍ وَلَا بِغَيْرِ خَفِيرٍ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَتَنْدُبُنِي^(٢) إِلَى الْعَصِيَّةِ ! وَزَبْرَهُ^(٣) .

فَخَرَجَ الرَّجُلُ مَغْمُومًا ، وَشَكَا ذَلِكَ إِلَى وَجْهِ قَيْسٍ ، فَقَالُوا : لَا تُرْعَ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ قَذَفْتَهَا فِي سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ ، فَعَاوَدَهُ .

فَعَاوَدَهُ فِي الْمَجْلِسِ الْآخِرِ فَزَبْرَهُ ، وَقَالَ لَهُ قَوْلَهُ الْأَوَّلُ ، فَقَالَ لَهُ : لِمَ لَمْ آتِكَ أَنْدُبُكَ لِلْعَصِيَّةِ ، وَإِنَّمَا جِئْتُكَ مُسْتَعْدِيًّا^(٤) . فَقَالَ لَهُ : حَدَّثَنِي كَيْفَ فَعَلَ الْقَوْمُ ؟ فَخَدَّثْتَهُ وَأَنْشَدَهُ فَعَضِبَ ، وَقَالَ : كَذَبْتَ لِعَمْرِي لِيَحُوزَنَّ .

* الْأَغَانِي : ١٢ - ٨

(١) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ : أَمِيرٌ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ ، تَوَلَّى الْمَوْصِلَ ، ثُمَّ الْمَدِينَةَ ، وَبَلَغَ الرَّشِيدَ أَنَّهُ يُطَلَّبُ الْجَلَانَةَ فَنَجِسَهُ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ١٩٦ هـ (٢) نَدَبَهُ لِأَمْرٍ : دَمَاهُ إِلَيْهِ (٣) زَبْرَهُ : زَجَرَهُ وَاتَّهَرَهُ (٤) اسْتَعْدَيْتِ الْأَمِيرَ : اسْتَعْنَتِ بِهِ .

ثم دعا أحد قواده، وقال له : اخرج ، وجرد السيف في ربيعة . فخرج وقبّل
منها مَقْتَلَةً عظيمة ، فقال كلثوم بن عمرو العتّابيّ - وهو من ربيعة - قصيدة فيها :

هَدَى يَمِينِكَ فِي قُرْبَاكَ صَائِلَةً وصارم من سيوف الهند مشهور
إِنْ كَانَ مَنَازِوُؤُ وَإِفْكَ وَمَارِقَةٌ ^(١) وَعُصْبَةٌ دِينُهَا الدُّوَانُ وَالزُّورُ
فَإِنَّ مَنَا ^(٢) الَّذِي لَا يَسْتَحِثُّ إِذَا حُثَّ الْجِيَادُ وَضَمَّتْهَا الْمَضَامِيرُ ^(٣)
مَسْتَنْبِطَ عِزَمَاتِ الْقَلْبِ مِنْ فِكْرٍ مَا يَبْنِيهِنَّ وَيَبْنِي اللَّهُ مَعْمُورُ
وَبَلَّغْتَ الْقَصِيدَةَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَأَمَرَ قَائِدَهُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ .

ولما قدم الرشيد الرَّافِقَةَ ^(٤) أنشده عبد الملك القصيدة ، فقال : إِمِنْ هَذِهِ ؟
فقال : لرجل من بني عتّاب يقال له : كلثوم بن عمرو ، فقال : وما يمنعه أن يكون
يبابنا ؟ وأمر بإشخاصه من رَأْسِ عَيْنٍ ^(٥) .

فوَافَى الرَّشِيدَ ، وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ غَلِيظٌ وَفَرَوَةٌ وَخُفٌّ ، وَعَلَى كَتِفَيْهِ مِلْحَفَةٌ جَافِيَةٌ ؛
فَلَمَّا رُفِعَ الْخَبْرُ بِقُدُومِهِ أَمَرَ الرَّشِيدُ بِأَنْ تُفَرَّشَ لَهُ حِجْرَةٌ ، وَتَقَامَ لَهُ وَظِيفَةٌ ؛ ففعلوا ،
فَكَانَتِ الْمَائِدَةُ إِذَا قُدِّمَتْ إِلَيْهِ أَخَذَ مِنْهَا رِقَاقَةً وَمَلْحًا وَخَلَطَ الْمَلْحَ بِالْتُرَابِ فَأَكَلَهُ
بِهَا ، فَإِذَا كَانَ وَقْتُ النَّوْمِ نَامَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالْخُدَمُ يَتَمَجِّجُونَ مِنْ فَعْلِهِ ، وَسَأَلَ
الرَّشِيدُ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِأَمْرِهِ ، فَأَمَرَ بِطَرْدِهِ .

فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيليّ وهو في منزله ، فسلم عليه ، وانسب له ،
فرحبّ به وقال له : ارتفع ، فقال : لم آتكَ للجلوس ، قال : فما حاجتك ؟ قال :

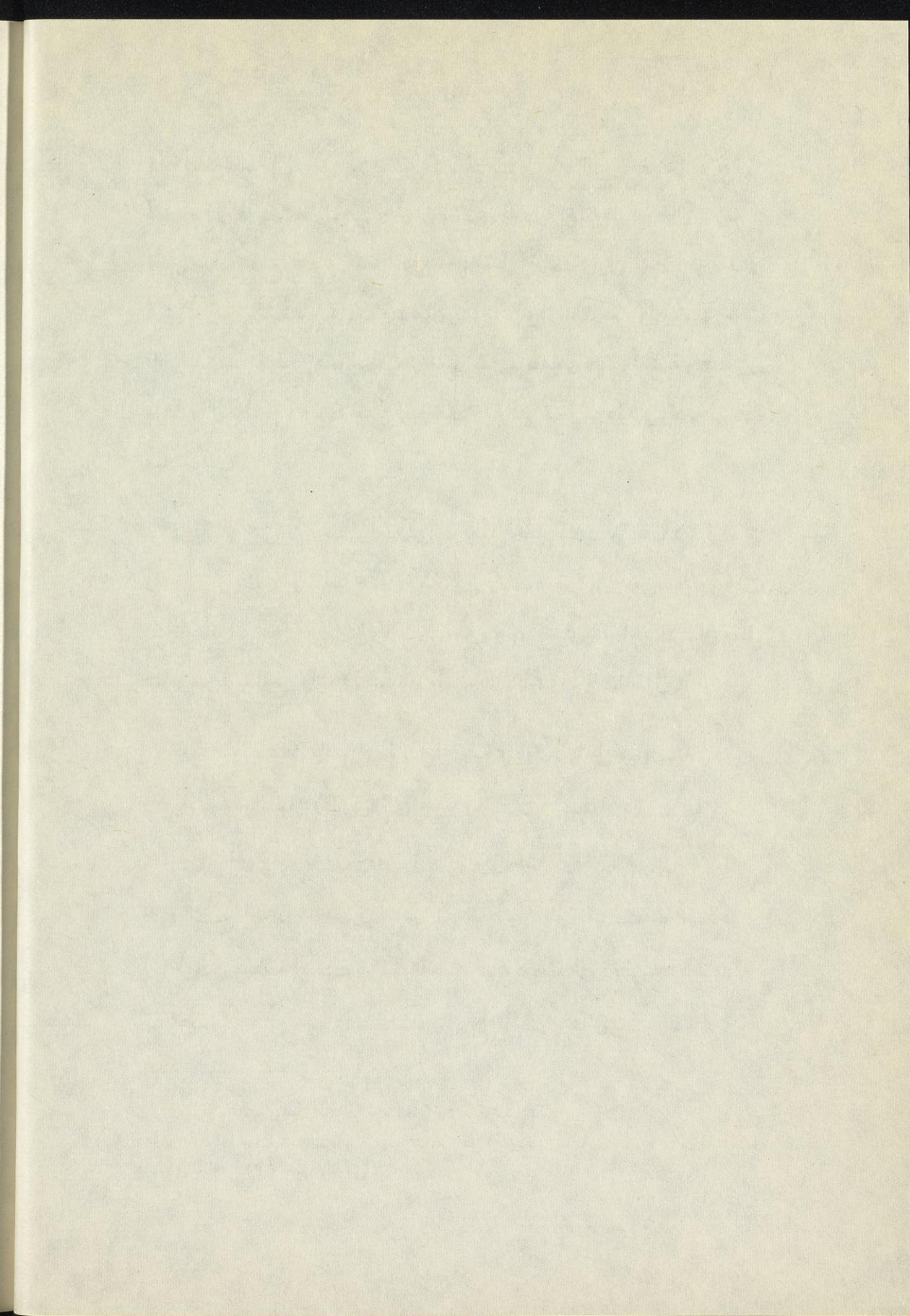
(١) الإفك : الكذب ، والمارقة : الخارجون (٢) يشير إلى عبد الله بن هشام بن بسطام
التغلي وكان أحد قواده (٣) المضار : الموضع الذي تضم فيه الخيل (٤) بلدة على الفرات
بناها المنصور (٥) الجزيرة .

دابةً أبلغُ عليها إلى رأس عين ، فقال : يا غلام ! أعطه الفرس الفلاني ، فقال : لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تُشترى لي دابةً أتبلغُ عليها ، فقال لفلامه : امض معه ، فابتع له ما يريد . ففضى معه ، فعدل به العتّابي إلى سوق الحمير ، فقال له : إنما أمرني أن أبتاع لك دابة ، فقال كلنوم : إنه أرسلك معي ولم يُرسلني معك فإن عملت ما أريد وإلا فانصرف . ففضى معه ، فاشتري حماراً بمائة وخمسين درهماً وقال : ادفع ثمنه ، فدفعه . فركب الحمار بمرشحة^(١) عليه وبرذعة ، وساقاه مكشوفتان .

فقال له يحيى بن سعيد : فضحتني ، أمثلي يَحْمِلُ مثلك على هذا ! فضحك وقال : ما رأيتُ قَدْرَكَ يستوجب أكثر من ذلك . ومضى إلى رأس عين ، وكانت تحته امرأةٌ من بأهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال فحلي نساءه ، وبني داره ، واشترى ضياعاً ، وأنت هنا كما ترى ؛ فأنشأ يقول :

تَلومُ على تَرَكِ الغِنَى باهليَّةً ذَوَى الفقرِ عنها كل طِرْفٍ وتالِدِ^(٢)
رَأَتْ حَولَها النَّسوانِ يرفُفنَ في الترى^(٣) مقلدةً أعناقها بالقلائدِ
أَسْرَكِ أنى نَلتُ ما نال جعفرَ^(٤) من العيش ، أو ما نال يحيى بن خالدِ !
وَأَنْ أميرَ المؤمنينِ أغصني مَقصَّهما بالمرهفاتِ البواردِ
رَأيتُ رَفِيعاتِ الأمورِ مَشُوبَةً بمستودعاتِ في بطونِ الأسودِ
دَعيني تَجِبِنِي مِيتِي مطمئنةً ولم أنجشمُ هَوَلَ تلكِ المَوارِدِ !

(١) المرشحة : ما يوضع تحت الميثة ، والميثة : هنة تتخذ للسرّج .
(٢) الطرف هنا : الحديث من المال ، والتالِد : غير الحديث من المال .
(٣) التراء (٤) جعفر البرمكي .



الباب الثالث

في القصص التي تنقل ما كانوا يتفكّهون به من
أَسْمَارٍ وَمُطَايَبَاتٍ ، وَمُنَاقَدَاتٍ وَأَفَاكِيهِ ، مما نال
به المحدثونِ والندماءِ سِنِيَّ الجوائزِ والجلعِ من الخلفاءِ
والوزراءِ ، وما ارتفعت به مكانتهم عند السادةِ والوجوهِ
في المجتمعاتِ والمنتدياتِ .

٦٨ - يبيع اسمه*

لقي تَابَطُ شَرًّا^(١) رجلاً من ثَقِيفٍ يقال له أبو وهب ، وكان جَبَانًا أَهْوَجَ^(٢) ،
وعليه حلّةٌ جيدةٌ ، فقال أبو وهب لتَابَطُ شَرًّا : بم تَلْبُ الرجل يا ثابت وأنت - كما
أرى - دميماً ضئيلاً ؟ قال : باسمي ، إنما أقول ساعة ما ألقى الرجل : أنا تَابَطُ شَرًّا ،
فِيُخَلِّعُ قلبه حتى أنال منه ما أردتُ .

فقال له الثَّقَفِيُّ : أَأَقَطُّ^(٣) ؟ قال : قَطَّ ، قال : فهل لك أن تبيعني اسمك ؟
قال : نعم ، قال : فمَ تَبْتِئُعه ؟ قال : بهذه الحلّة وبكنيتي . قال له : أفعَل . ففعل ،
وقال تَابَطُ شَرًّا : لك اسمي ولي كنيتك ، وأخذ حلته ، وأعطاه طَمْرِيهَ^(٤) ، ثم
انصرف .

وقال في ذلك يخاطب زوجة الثَّقَفِيِّ :

الأهل أنى الحسناء أن حاملها تَابَطُ شَرًّا واكتنيتُ أبا وهبِ
فهبه تسمي اسمي وتسميت باسمه فأين له صبري على مُعْظَمِ الخطبِ !
وأين له بأسٌ كِبَامِي وسورتي وأين له في كل فادِحَةٍ قلبي !

* مهذب الأغاني : ١ - ٢١٦

(١) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدهم ، اشتهر بالعدو والغزو ، توفي نحو
سنة ٨٠ ق ٥٠ (٢) الهوج : الطول في حق وطيش وتسرع (٣) أقط : أحسب
(٤) الطمر : الكساء البالي .

٦٩ - أنا كنتُ أوّلى بهذا الشعر من أبيك*

حجّ معاوية حجّتين^(١) في خلافته ، وكانت له ثلاثون بَغلةً يُحجُّ عليها نساؤه
وجواريه ؛ فحجّ في إحداهما ، فرأى شيخاً يصلي في المسجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ؛
فقال : من هذا ؟ قالوا : سَعِيَّة بن غَرِيض - وكان من اليهود .

فأرسل إليه يدعوه ، فأتاه رسوله ، فقال : أجب أمير المؤمنين . قال : أو ليس
قد مات أمير المؤمنين ؟ قيل : فأجب معاوية : فأتاه فلم يسلم عليه بالخلافة ، فقال
له معاوية : ما فعلت أرضك التي بدّيأ ؟ قال : يُكسَى منها العارى ، ويردُّ فضلها
على الجار . قال : أفتبيعُها ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بستين ألف دينار ،
ولولا خَلَّةٌ^(٢) أصابت الحى لم أبعها . قال : لقد أغلّيت^(٣) ! قال : أما لو كانت
لبعض أصحابك لأخذتها بسمائة ألف دينار ، ثم لم تُبَالِ : قال : أجل ، وإذا بخلت
بأرضك فأنشدنى شعر أبيك يرثى به نفسه فقال : قال أبى :

يأليت شعرى حين أندبُ هالكاً	ماذا توبّئنى به أنواحى ^(٤) !
أيقنن : لا تبعد ، فربُّ كريمةٍ	فرجتها بشجاعةٍ وسمّاح
ولقد ضربتُ بفضلِ مالى حقّه	عند الشتاء وهبّة الأرواح ^(٥)
ولقد أخذتُ الحقّ غيرَ مخاصمٍ	ولقد رددتُ الحقّ غيرَ مُلاحى ^(٦)
وإذا دُعيت لصعبيةٍ سهلتها	أدعى بأفلىح مرةً ، ونجاح

* الأغاني : ٣ - ١٣٠

(١) الحجّة : المرة من الحج ، وهى من الشواذ ، لأنّ القياس الفتح (٢) الخلة : الحاجة والفقر
(٣) جعلتها غالية (٤) الأنواح : النائمات (٥) الأرواح : الرياح (٦) الملاحاة : المنازعة .

قال: أنا كنتُ بهذا الشعر أُوَلِّي من أيك . قال: كذبتَ ولوُوتَ ! قال:
أما كذبتُ فنعمَ ، وأما لوُوتُ فلمَ ؟ قال : لأنك كنتَ ميّتَ الحقِّ في الجاهلية
وميتُّه في الإسلام ؛ أما في الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم والوَحْيَ حتى
جعلَ الله عزَّ وجلَّ كَيْدَكَ المردود . وأما في الإسلام فنمعتَ ولدَ رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخِلافة ، وما أنتَ وهى ، وأنتَ طَلِيقُ ابنِ طَلِيقٍ ^(١) ! فقال معاوية :
قد خَرَفَ ^(٢) الشيخَ فأقيموه ؛ فأخَذَ بيده فأقيم .

(١) الطليق : الأسير الذى أطلق عنه إيساره ، وهو يريد أنه من الطلقاء الذين حاربوا النبي وآذوه
فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال : يا معشر قريش ؛ ما ترون أنى دُلُّ بكم ؟ قالوا : خيرأ ، أخ ،
كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .
(٢) خرف : فسد عقله من الكبر .

٧٠ - عبد الرحمن بن الحكم يترضى زياداً*

دخل بنو أمية ، وفيهم عبد الرحمن بن الحكم ، على معاوية ، عندما استلحق زياداً ، فقال له عبد الرحمن : يا معاوية ؛ لو لم تجد إلا الزنج^(١) لا استكثرت بهم علينا قلة وذلة - يعني على بنى أبي العاص .

فأقبل معاوية على مهران ، وقال : أخرج عنا هذا الخليع^(٢) . فقال مروان : إى والله إنه خليع ما يطاق ، فقال معاوية : والله لولا حلى وتجاوزى لعلت أنه يطاق ؛ ألم يبلغنى شعره فى وفى زياد ! ؟ فقال مروان : أسمعنيه فأنشد :

ألا أبلغ معاوية بن حرب لقد ضاقت بما يأتى اليدان

ثم قال : والله لا أرضى عنه حتى يأتى زيادا ، فيترضاه ويعتذر إليه .

فجاء عبد الرحمن بن الحكم إلى زياد معتذراً يستأذن عليه ، فلم يأذن له .

فأقبلت قريش تكلمه فى أمر عبد الرحمن ، فلما دخل سلم فتشأوس^(٣) إليه زياد بعينه ، ثم قال : أنت القائل ما قلت ؟ قال عبد الرحمن : ما الذى قلت ؟ قال : قلت ما لا يقال ، قال : أصلح الله الأمير ! إنه لا ذنب لمن أعتب^(٤) ، وإنما الصَّفْحُ عمن أذنب ، فاسمع منى ما أقول . قال : هات ، فأنشده :

إليك أبا المغيرة تبت مما جرى بالشام من خطل^(٥) اللسان

* ابن أبي الحديد : ٤ - ٧١

(١) الزنج والنوج : جيل من السودان (٢) الخليع : الرجل يجنى الجنائيات يؤخذ بها أولياؤه فيبرءون منه ومن جنائياته ، والخليع أيضاً : المستهتر بالشرب واللهو وللأزم للقرار (٣) التشاوس : أن ينظر إليه بمؤخر عينيه ويميل وجهه فى شق العين التى ينظر بها (٤) أعتب : الإعتاب رجوع العتوب عليه إلى ما يرضى العتاب (٥) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب .

وأغضبتُ الخليفةَ فيك حتى دعاه قرط غميطُ أن هجاني
وقلت لمن لحاني^(١) في اعتذاري : إليك اذهب فشأنك غير شاني
عرفتُ الحقَّ بعد ضلالِ رأيي وبعد الغيِّ من زيغِ الجنانِ^(٢)
زيادٌ من أبي سفيان غصنٌ تهادى ناضراً بين الجنانِ^(٣)
أراك أختاً وعمّاً وابنَ عمِّ فمأدرى بعيبِ ماتراني
وإن زيادة في آل حرب أحبُّ إليَّ من وسطي بنياني
ألا أبلغ معاوية بن حرب فقد ظفرت بما تأتي اليدان
فقال زياد : قد سمعنا شعرك ، وقبلنا عذرك ، فهات حاجتك . قال : تكتبُ
إلى أمير المؤمنين بالرضا عني . قال : نعم ، ثم دعا بكتابه فكتب له بالرضا عنه .
فأخذ كتابه ومضى حتى دخل على معاوية ، فلما قرأه ، قال : لحا الله^(٤) زياداً !
لم ينتبه لقوله : « وإن زيادة في آل حرب » .
ثم رضى عن عبد الرحمن ، وردّه إلى حاله .

(١) لحاني : لامي وعنفي (٢) الجنان : القلب (٣) جمع جنة (٤) لحاه الله : أهلكه ولعنه .

٧١ — أتاكم غريبُ الدارِ مظلومٌ *

استعمل عُتْبَةُ بن أبي سفيان رجلاً من آلِه على الطائف ، فظلم رجلاً من
أزْدِ شَنْوَةَ ، فأتى الأزديُّ عتبه ، فمثل بين يديه ، فقال :

أمرت من كان مظلوماً ليأتىكمُ فقد أتاكم غريبُ الدارِ مظلومٌ !
ثم ذكر ظلامته ؛ فقال له عتبه : إني أراك أعرابياً جافياً ، والله ما أحسبُك
تدرى كم تُصَلِّي في كلِّ يومٍ وليلة : فقال : أرايت إن أنبأْتُك ذلك أتَجعلُ لي
عليك مسألةً ! قال : نعم ، فقال الأعرابي :

إن الصلاةَ أربعٌ وأربعٌ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربعٌ

* ثم صلاةُ الفجرِ لا تُضَيِّعُ *

فقال : صدقت . فاسأل ، فقال : كم فقارٌ ^(١) ظهرِك ؟ فقال : لا أدري ، فقال :
أفتحكمُ بين الناس ، وأنت تجهلُ هذا من نفسك ! قال : ردُّوا عليه غنيمته ^(٢) .

* الكامل للمبرد : ١ - ٢٠٩

(١) الفقارُ : جمع فقارة ، وهي أيضاً الفقرة (٢) الفنيمة : تصغير غنم ، قال في اللسان : إذا
صغرتها أدخلت عليها التاء لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين
وصغرتها فالتأنيث لها لازم .

٧٢ — أَرَى فَيْكَ مَوْضِعًا لِلصَّنِيعَةِ *

أَخَذَ مُصْعَبٌ^(١) بِنُ الزُّبَيْرِ رَجُلًا مِنْ أَحْسَابِ الْمُخْتَارِ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ
فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ مَا أَقْبَحَ بِكَ أَنْ أَقُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى صُورَتِكَ هَذِهِ الْحَسَنَةَ
وَوَجْهِكَ هَذَا الَّذِي يُسْتَبْضَأُ بِهِ ، فَأَنْتَلِقُ بِأَطْرَافِكَ وَأَقُولُ : أَيُّ رَبِّ ؛ سَلْ مُصْعَبًا
فِيمَ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : أَطْلِقُوهُ .

قَالَ : اجْعَلْ مَا وَهَبْتَ لِي مِنْ حَيَاتِي فِي خَفْضِ . قَالَ : أَعْطُوهُ مِائَةَ أَلْفِ .
قَالَ : أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، أَشْهَدُ اللَّهَ أَنْ لَا بِنَ قَيْسِ الرُّثَيَّاتِ مِنْهَا خَمْسِينَ أَلْفًا . قَالَ :
وَلِمَ ؟ قَالَ : لِقَوْلِهِ فَيْكَ :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ الْإِلَهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ يُخْشَى وَلَا كِبْرِيَاءُ
يَتَّقِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْ لَمَحَ مَنْ كَانَ هُمًّا الْإِتِّقَاءُ

فَضَحِكَ مُصْعَبٌ ، وَقَالَ : أَرَى فَيْكَ مَوْضِعًا لِلصَّنِيعَةِ . وَأَمْرُهُ بِلِزُومِهِ ، وَأَحْسَنُ
إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قَتَلَ .

* عيون الأخبار : ١ : ١٠٣

(١) أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام ، وولاه أخوه عبدالله البصرة ، ثم أضاف إليه الكوفة
فأحسن السياسة ، وأجرى العدل ، خرج عبد الملك بن مروان لقتاله ، ثم قتل وحمل رأسه إليه سنة ٥٧١هـ .

٧٣ — الرقية *

دخل عبدُ الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان ^(١) ، فوجده يتأوه ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ لو أدخلتَ عليك من يُؤنسك بأحاديث العرب وبياسطك
استرحت ! فقال : لستُ بصاحبٍ لهو ، فقال : ما الذي تشكوه يا أمير المؤمنين ؟ قال :
هاجَ بي النَّسَاءُ ^(٢) ليلاتي هذه ؛ فبلغ مني ما تراه .

فقال : إنَّ بَدِينًا مولاي أرقى ^(٣) انخلقِ منه . فأمر بإحضاره .
فلما مثل ^(٤) بين يديه قال عبد الملك : يا بَدِيح ، ارقِ رجلي ، فقال :
يا مولاي ؛ أنا أرقى الناس لها . ثم وضع يده عليها ، وجعل يقول ما لا يُسمع ، فقال
عبد الملك : قد وجدتُ راحةً بهذه الرقية ؛ أين فلانة ؟ اتقوني بها تكتبها ؛
لثلاثي يهيجُ بي الوجعُ بالليل .

فقال بديح : يمينا ؛ ما أكتبها إلا بتعجيل جائزتي ، فأمر له بأربعة آلاف
درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، يمينا ، ما أكتبها حتى تُحمَلَ جائزتي إلى بيتي .
قال : تُحمَل . فحمِلت .

* المستطرف : ٢ - ٢٣٢

(١) من أعظم الخلفاء ودماتهم ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة
سنة ٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٦ هـ (٢) النساء عرق من الورك إلى الكعب ، ولا يقال : عرق
النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه (٣) يقال : رقى الراقي رقية ، إذا هوذ وفتت .
(٤) مثل : وقف .

فقال : يا أمير المؤمنين : يمينا مارقيتُ رجلَك إلا مباسطة بقول نصيب :
ألا إن ليلى العامرية أصبحتُ على البعد منى ذنبَ غيرى تنقِمُ
فقال : ويلك ، ما تقول ! قال : مارقيتُك إلا بها ، فقال : اكنمها
على ، فقال : كيف وقد سارت بها الرثكبان إلى أخيك بمصر ! فضحك حتى
فحص الأرض برجليه .

٧٤ — ظرف عباد الحجاز *

قال عبد الله بن عمر العمريّ : خرجتُ حاجًا ، فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلم
بكلام أُرذلتُ^(١) فيه ، فأدْنَيْتُ ناقتي منها ، ثم قلتُ لها : يا أمةَ الله ، ألسنتِ حاجّةٌ !
أما تخافين الله ؟ فسَفَرَتِ عن وجهِ يَبْهَرِ الشمسِ حسنًا ، ثم قالت : تأمّلْ يا عمّ فإنني
ممن عَنَاهُ العَرَجِيُّ^(٢) بقوله :

أَمَاطَتْ كِسَاءَ الخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِهَا وَأَذْنَتْ عَلَى الخَلْدَيْنِ بُرْدًا مُهَلِّلًا
مِنَ اللَّاءِ لَمْ يَحْجُبْ جَنِّ يَبْفَيْنِ حِسْبَةً^(٣) وَلَكِنْ لِيَقْتُنَّ البَرِيءَ المَغْفَلًا^(٤)

فقلتُ لها : فإني أسأل الله ألا يُعَذِّبَ هذا الوجهَ بالنار .

و بلغ ذلك سعيد بن المسيّب^(٥) فقال : أما والله لو كان من بعض بُغضَاءِ العراق

لقال لها : اعزُّبِي قَبْحَكَ^(٦) الله ! ولكنه ظرفُ عباد الحجاز .

* الأغاني : ١ - ٤٠٣ .

(١) أُرذلتُ : تكلمتُ بفاحش القول (٢) هو عبد الله بن عمر ، شاعر غزل ينحو نحو عمر بن
أبي ربيعة ، وكان من الأدباء الظرفاء الأسخياء ، ولقب بالبرجي لسكناه قرية العرج في الطائف
(٣) الحسبة : الأجر (٤) المغفل : الذي لا فطنة له (٥) سعيد بن المسيّب ، سيد التابعين ،
جمع بين الحديث والفقّه ، توفي سنة ٩٤ هـ . (٦) قبحه الله : نجاه عن الخير .

٧٥ - جرير وجارية الحجاج *

نزل جريرٌ على عَنبَسَةَ^(١) بن سعيد بوَاسِطٍ ، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحجاج ، فلما دخل على عَنبَسَةَ ، قال له : وَيْحَكَ ! لَقَدْ غَرَّرْتَ بِنَفْسِكَ ، فإحملك على ما فعلت ؟ قال : شِعْرٌ قَلْتَهُ اعْتَلَجَ فِي صَدْرِي ، وَجَاشَتْ بِهِ نَفْسِي ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَسْمَعَهُ الْأَمِيرُ . فَمَعَنَّهُ وَأَدْخَلَهُ بَيْتًا فِي جَانِبِ دَارِهِ ، وَقَالَ : لَا تُطْلِعَنَّ رَأْسَكَ حَتَّى نَنْظُرَ كَيْفَ تَكُونُ الْحِيلَةُ لَكَ .

ولم يلبث أن أتاه رسولُ الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قانظ ، وهو قاعد في الخُضْرَاءِ^(٢) ، وقد صُبَّ فيها ماء استنقع^(٣) في أسفلها ، وهو قاعد على سرير ، وكرسىٌ موضوعٌ ناحية .

قال عنبسة : قعدتُ على الكرسي ، وأقبل على الحجاج يحدثني ، فلما رأيتُ تطلقه وطيبَ نفسه قلتُ : أوهلح الله الأمير ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه ، فاستخفّه عجبُه به حتى دعاه إلى أن رحل إليك ، ودخل مدينتك من غير أن يُستأذن له . قال : ومن هو ؟ قلت : ابنُ الخَطَفَى . قال : وأين ؟ قلت : في المنزل . قال : يا غلام ، فأقبل العِلْمَانُ يتسارعون . قال : صفْ لهم موضعه من دارك ؛ فوصفت لهم البيتَ الذي هو فيه .

* الأغانى : ٨ - ٧٥ ، الكامل : ١ - ٣١٢ .

(١) هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشرف بني أمية ، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق (٢) الخُضْرَاءُ : يراد بها خُضْرَاءُ واسط ، وتعرف بالقبعة الخُضْرَاءُ بناها الحجاج مع قصره في هذه المدينة (٣) استنقع الماء : اجتمع .

فانطلقوا حتى جاءوا به ، فأدخل عليه وهو مأخوذ بضبعيه^(١) حتى رُجِي به في
الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ، ثم قام يَتَنَفَّسُ كما يَتَنَفَّسُ^(٢) الفَرَّخُ . فقال له :
هيه ! ما أقدَمَكَ علينا بغير إذننا ؟ لا أمَّ لك ! قال : أَصَلَحَ اللهُ الأمير ! قلتُ في
الأمير شعراً لم يقل مثله أحدٌ ؛ فحاشَ به صَدْرِي ، وأحبت أن يسمعه مني الأميرُ ؛
فأقبلتُ به إليه .

فَتَطَلَّقَ الحِجَّاجُ وسُكَّانَ ، واستنشده ، فأنشده ، ثم قال : يا غلام ، فجاؤوا يَسْعَوْنَ .
قال : علىَ بالجرارية التي بعتَ بها إلينا عاملُ اليمامة ؛ فأُتِيَ بجراريةٍ بيضاءَ مَدِيدَةٍ
القائمة . فقال : إن أصبتَ صِفَتَهَا فهي لك . فقال : ليس لي أن أقولَ فيها وهي
جاريةُ الأمير . فقال : بلى ، فتأملها واسألها ؛ فقال لها : ما اسمك ؟ فأمسكت .
فقال لها الحجاج : خبريه ، فقالت : أمانة ، فأنشأ :

وَدَّعْ أمانةَ حَانَ منك زحيل إن الوداعَ لمن تُحِبُّ قليلُ
مثلُ الكَثِيبِ تمايلتَ أعطافهُ فالريحُ تجبُرُ منته وتهيلُ
هَدَى القلوبَ صوادياً تَيَمَّمَتِهَا وأرى الشفاءَ وما إليه سبيلُ

فقال الحجاج : قد جعل الله لك السبيل إليها ، فخذها فهي لك .
فضرب يده إلى يَدِهَا ، فتمنعت عليه ، فقال :

إن كان طِبُّكُمْ^(٣) الدلالُ فإنه حسنٌ دلالُك يا أَمَامَ جميل

فاستضحك الحجاج ، وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة .

وكانت من أهل الرى ، وكان إخوتها أحراراً ، فاتبعوه ، فأعطوه بها حتى

بلغوا عشرين ألفاً فلم يقبل ، ففى ذلك يقول :

(١) الضبع : العصد كلها أو وسطها بلحمها (٢) تنفس الطائر : نفس ريشه (٣) الطب :
الذهب ، والدلال : الدالة .

إذا عرضوا عشرين ألفاً تعرّضت لأمّ حكيم حاجةً هي ماهياً
لقد زدت أهل الرّميّ عندي مودّةً وحبّيت أضعافاً إلى المواليا
فأولدها حكيماً وبلالاً وحرزّه بنيه .

٧٦ — أرادت عرّاراً بالهوان*

لما أخذ الحجاجُ رأس ابن الأشعث وجّه به إلى عبد الملك بن مروان ، مع
عرّار^(١) بن عمرو بن شأس الأسدّي ، وكان أسودَ دميماً ؛ فلما وزدت به عليه جعل
عبدُ الملك لا يسأل عن شيء من أمرِ الوقعة^(٢) إلا أنباه به عرّار ، في أصحّ لفظ ،
وأشبع قولٍ ، وأجزأ اختصار .

فشفاه من الخبر ، وملاً أذنه صواباً ، وعبدُ الملك لا يعرفه ، وقد اقتحمته^(٣)
عينه حين رآه ، فقال عبد الملك مُتمثلاً :

أرادت عرّاراً بالهوان ومن يرِدُ لعمري عرّاراً بالهوان فقد ظلم
وإن عرّاراً إن يكن غير واضحٍ فإني أحبُّ الجونَ ذا المنكبِ العم^(٤)
فقال له عرّار : أتعرفني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا قال : فانا والله عرّار ،
فزاد في سروره ، وأضعف له الجائزة .

* الكامل : ١ - ١٦٠

(١) ضبطه صاحب اللسان (مادة عرر) بالفتح ، ولما أورد البيت الثاني من البيتين الواردين في
القصة ضبطه بالكسر (٢) الوقعة : الواقعة (٣) اقتحمته : احتقرته (٤) منكب عمم :
طويل .

٧٧ - قد نجوت*

خرج العَدِيلُ^(١) بن الفرخ يريدُ الحَجَّاجَ^(٢) ، فلما صار ببابه حجَّبه الحاجب فَوَثَبَ عليه العَدِيلُ ، وقال : إنه لن يدخلَ على الأمير - بعد رجالات قریش - مَنْ هو أكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب ؛ فنازعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه^(٣) ، وانصرف العَدِيلُ عن باب الحجاجِ إلى يزيد بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرتجَحَ الحَجَّاجُ بالبخلِ بآبِه فبأبِ الفتي الأزدِي بالعرفِ يُفتحُ
فتي لا يُبالِي الدهرَ ماقلَّ ماله إذا جُعِلتْ أيدي المكارمِ تَسْفَحُ
يدَاهُ يدُ بالعرفِ تنهبُ ماحوتُ وأخرى على الأعداءِ تسطو وتجرحُ
إذا ما أتاه المرْمِلونُ^(٤) تَيَقَّنُوا بأنَّ الغني فيهم وشيكا سيَسْرَحُ
أقام على العافينِ^(٥) حراسَ بابِه ينادونهم ، وألحرُّ بالحرِّ يَفْرَحُ
هلموا إلى سِنْبِ الأميرِ وعُرْفِه فإن عطاياهُ على الناسِ تَنفَحُ

فقال له يزيد : عرضتَ بنا وخاطرتَ بدمك ، وبالله لا يصل إليك وأنت في حيزي ، ثم أمر له بخمسين ألف درهم ، وأمر له بأفراس ، وقال له : الحق بعلياء نجد ، واحذر أن تعلقك حبالُ الحجاج ، أو تَحْتَجِبَكَ^(٦) محاجنه ، وابعث إلى في كل عام ، فلك على مثل هذا ، فارتحل .

* الأغانى : ١٣ - ٢٠

(١) العَدِيلُ : شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية (٢) الحجاج : انظر صفحته ٢٨
(٣) أحفظه : أغضبه (٤) أرمِلوا : فقد زادم (٥) العاق : طالب المعروف (٦) تحتويك .

وبلغ الحجاج خبره ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العديل فهرب وقال :
أخوف بالحجاج حتى كأنما يحرك عظم في الفؤاد مهبض
ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات^(١) عريض
مهائم أشباه كأن سرابها ملاء^(٢) بأيدي الغاسلات رحيض^(٣)
ولكن الحجاج لج في طلبه حتى لفظته الأرض ، ونبا به كل مكان هرب
إليه ؛ فأتى بكر بن وائل ، وهم يومئذ بادون ، فشكا إليهم أمره ، وقال لهم : أنا
مقتول ، أفتسلمونني هكذا وأنتم أعز العرب ! قالوا : لا والله ؛ ولكن الحجاج
لا يرغم^(٤) ، ونحن نستوهبك منه ، فإن أجابنا فقد كفيته ، وإن حادنا^(٥) في
أمرك منعناك ، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا .

فأقام فيهم ، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجاج ، فقالوا له : أيها
الأمير ؛ إنا قد جنينا جميعاً عليك جنابة لا يغفر مثلها ، وهانحن أولاء قد استسلمنا
وألقينا بأيدينا إليك ، فإما وهبت فأهل ذلك أنت ، وإما عاقبت فكنت المسقط
لمالك العادل ؛ فتبسم وقال : قد عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل ،
فقاموا على أرجلهم وقالوا : مثلك أيها الأمير لا يستثنى على أهل طاعته وأوليائه
في شيء ، فإن رأيت ألا تكدر منتك باستثناء ، وأن تهب لنا العديل في أول
من تهب . قال : قد فعلت ، فهاتوه - قبحه الله - فأتوه به ، فلما مثل بين
يديه أنشأ يقول :

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها لكان الحجاج علي دليلاً

(١) ناعجات : جمع الناعجة : الناقة السريمة ، أو التي تصاد عليها نجاج الوحش (٢) الملاء :
جمع ملاء ، وهي الربطة (٣) الرحيض : الثوب المغسول (٤) لا يرغم : لا يعادي .
(٥) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه .

بني قبة الإسلام حتى كأنها
إذا جَارَ حَكْمُ النَّاسِ أَلْجَأَ حَكْمَهُ
خَلِيلٌ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفُهُ
بِهِ نَصَرَ اللَّهُ الْخَلِيفَةَ مِنْهُمْ
فَأَنْتَ كَسَيْفِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ خَالِدٌ
وَجَازَيْتَ أَصْحَابَ الْبَلَاءِ بِلَاءَهُمْ
وَصُلَّتْ بِمِرَّاقِ الْعِرَاقِ فَأَصْبَحَتْ
وَمَا خَفَمْتُ شَيْئًا غَيْرَ رَبِّي وَحْدَهُ
تَرَى الثَّقَلَيْنِ : الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَصْبَحَا
هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولٌ
إِلَى اللَّهِ قَاضٍ بِالْكِتَابِ عَقُولُ
لِكُلِّ إِمَامٍ صَاحِبٌ وَخَلِيلُ
وَتَبَّتْ مَلَكًا كَادَ عَنْهُ يَزُولُ
تَصُولُ بَعُونَ اللَّهَ حِينَ تَصُولُ
فَمَا مِنْهُمْ عَمَّا تُحِبُّ نَكُولُ (١)
مَنَّاكِبَهَا لِلوَطْءِ وَهِيَ ذُلُولُ
إِذَا مَا انْتَحَيْتُ النَّفْسُ كَيْفَ أَقُولُ
عَلَى طَاعَةِ الْحِجَاكِ حِينَ يَصُولُ

فقال له الحجاج : أُولَى لَكَ ! قد نجوت ، وفرض له ، وأعطاه عطاءه .

(١) النكول : النكوص والجن .

٧٨ — ما أنا بيارح أو يرضى أمير المؤمنين *

أوفد الحجاجُ ابنه محمداً إلى عبد الملك عاشرَ عشرة من أهل العراق ، وأوفدَ إليه جريراً^(١) معه ، ووصاه به ، وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه .

فقدم محمدٌ على عبد الملك فخطب بين يديه ، فأجلسه على سريره عند رجليه ، ثم دعا بالوفد رجلاً رجلاً ، فجعل كلما خطب رجل قطع خطبته وتكلم جرير فقطع خطبته ، ثم قال : مَنْ هذا يا محمد ؟ فقال : هذا يا أمير المؤمنين ابنُ الخطفي . قال : مادحُ الحجاج ؟ قال : ومادحُك يا أمير المؤمنين ! فقال جرير : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشاده مدحةً فيه ! قال : هات ما قلت في الحجاج ، فأنشده :

صَبْرَتَ^(٢) النفسَ يا ابنَ أبي عقيل محافظةً فكيف تَرَى الثَّوَابَا
ولو لم يَرَضَ رَبُّكَ لم يُنَزِّلْ مع النصر الملائكة الغضابا
إذا سَعَرَ^(٣) الخليفةُ نارَ حَرْبٍ رأى الحجاجَ أتقِبَهَا^(٤) شِهَابَا^(٥)

* المحاسن والساوى : ٢٣٠ ، طبع لبيزج ، الأغاني : ٨ - ٦٧

(١) كان جرير مقيماً بالبادية ، فكتب إليه بنو يربوع : أنت مقيم بالبادية ، وليس أحد يروى عنك ، والفرزدق قد ملأ عليك العراق ، فأنحدر إلى جماعة الناس ؛ فأشد بالرجل كما يشيد بك ؛ فأنحدر وأقام بالبصرة ؛ فلذلك يقول :

وإذا شهدت لثغر قومي مشهداً آترت ذاك على بني ومالي

فأوجهه الحجاج ، وملاً بمدحه الأرض ، وبلغ أهل الشام وأمير المؤمنين ورواه الناس .

(٢) صبرت : حبست (٣) سمر الحرب : أوقدها (٤) الكوكب الثاقب : المضيء

(٥) الشهاب : الكوكب .

فقال : صدقت ! كذلك هو ، ثم قال : ابدأ بالججاج ، فأنشده :
طَرَبْتُ لَهْدٍ هِيَجَّتُهُ الْمَنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِي (١)
فما فرغَ منها حتى ظهر في وَجْه أمير المؤمنين الغضب ، وقال : هات ؛ أبدأ
بالججاج ، فأنشده :

هَاجَ الْمَبْهُومَى لِفَوَادِكِ الْمُهْتَاكِجِ فَانظُرْ بِتَوْضِحِ (٢) بَاكِرِ الْأَحْدَاكِجِ (٣)
حتى أتى على قوله :

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْهِم أَمْ مَنْ يَصُولُ كُصُولَةَ الْحِجَاكِجِ
أَمْ مِنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيظَةً إِذْ لَا يَتَمَقَّنَ بَغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ
فتكلم الأخطل وقال : أين أمير المؤمنين يا بن المرآغة ؟ فعلم جرير أنه الأخطل
فزبن (٤) حيال وجهه بكمه ، وقال : اخسأ ، ومضى حتى أنشده كلها .

فقال الخليفة : اجلس ، فجلس ، ثم قال : قم يا أخطل ، هات مديح
أمير المؤمنين .

قال جرير : فقام حِيَالِي ، فأنشد أشعرَ الناس وأمدحَ الناس ؛ فقال له الخليفة :
أنت شاعرنا وما دحنا ، ازكبه ، فرمى بردائه ، وألقى قميصه على منكبه ، ووضع
يده على عنقه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ لا يفعل . فقال أهل المجلس : صدق
يا أمير المؤمنين ، فقال : دعه ، وانتفض المجلس وخرجنا .

فقال جرير : فدخل الوفدُ عليه ثمانية أيام مع محمد كلهن أحنجَبَ فلا أدخل

(١) التصابي : التظاهر بالصبا (٢) توضح : اسم مكان (٣) الحدج : مركب للنساء كالحففة
جمعه أحداج (٤) الزبن : الدفع .

عليه ، ثم دخلوا في التاسع ، وأخذوا جوائزهم ، وتهيئوا في العاشر للدخول والتوديع للرحيل .

فقال محمد : يا أبا حُرَزة ما لي لا أراك تتجهَّز؟ قلتُ : كيف وأميرُ المؤمنين عليّ ساخط؟ ما أنا بيارح أو يرَضَى عني !

فلما دخل عليه محمد ليودِّعه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن الخطفي ما دحك وشاعرك ، ومادح الحجاج سيفك وأمينك ، وقد لزمنا له صُحبةً وذِمَام ، فإن رأيتَ أن تأذنَ له ؟ فإنه أباي أن يخرجَ معنا ، وأنت عنه غضبان ، وآلى أنه لا يخرج أو ترضى عنه فيدخل ويودِّعك .

قال جرير : فأذن لي ؛ فدخلت عليه ، ودعوت له ، فقال : إنما أنت للحجاج . قلت : ولك يا أمير المؤمنين .

ثم استأذنته في الإنشاد ، فسكت ولم يأذن لي ، فاندفعت فقلت :

أَنْصَحُو^(١) أُمَّ فُوَادِكْ غَيْرُ صَاحِرٍ

فقال : بل فُوَادِكْ !

فقلت :

عَشِيَّةَ هَمِّ صَحْبِكَ بِالرَّوَّاحِ^(٢)

حتى فرغت منها ، وعلمت أني إن خرجت بغير جائزة كان إسقاطي آخرَ

الدهر .

فلما بلغت إلى قولي :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِ بَيْنَ بَطُونِ رَاحِ^(٣)

(١) تصحو : ترك الباطل (٢) الرواح : الذهاب عشية (٣) الراح : جمع راحة : باطن الكف .

تبسم عبد الملك وقال : بلى ، كذلك نحن ، وما زلنا كذلك ؛ أعيد فأعدت ، فطرب
لذلك ، ثم أنشدته إياها حتى أتيت إلى قولي :

تعزّت أم حرزّة ثم قالت رأيت الموردين ذوى لقّاح
تعلّل وهي ساغبة يذبها بأنفاس من الشيم القراح^(١)

فالتفت عبد الملك إلى محمد بن الحجاج ، وقال : أتري أم حرزّة تُرويهما مائة
من الإبل ؟ قال : إن لم يُروها ذلك فلا أرواها الله !

فقال : أخرجوا لنا مائة من النعم التي جاءت من عند كلب ، ولا تُرذلوها^(٢) ؛
فشكرت له ، وشكر له أصحابي ومن شهدني من العرب .

ثم قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن أشياخ من أهل العراق ، وليس في واحد
منا فضلٌ عن راحلته . قال . أفجعل لك أمانها ؟ قلت : لا ! ولكن الرعاء
يا أمير المؤمنين ؛ فظفر جنبتيه ، ثم قال جلسائه : كم يجزئ مائة من الإبل ؟
قالوا : ثمانية يا أمير المؤمنين . فأمر لي بثمانية عبد ؛ وكان قد أهدى إليه بعض
الدهاقين^(٣) ثلاث صحاف فضة ، وهن بين يديه يقرعن بالخيزرانة ، فقلت :
المحلب يا أمير المؤمنين فندس^(٤) إلى منهن واحدة ، وقال : خذها لا نفعك ،
قلت : بلى ، كل ما أخذته منك ينفعني إن شاء الله ، وودعناه وانصرفنا .

وكتب محمد إلى أبيه بالحديث كله ، فلما قدمنا على الحجاج قال لي : أما والله
لولا أن يبلغ الخبر أمير المؤمنين فيجد على لأعطيتك مثلها ، ولكن هذه خمسون
راحلة وأحمالها حنطة ، تأتي بها أهلك ؛ فتميرهم ؛ فقبضتها وانصرفت .

(١) الأنفاس : جمع نفس ، وهو جرعة الماء ، والشيم : البارد ، والقراح : الخالص ، يريد أنها
تطلبهم بلاء عند افتقاد اللبن (٢) أرذله : جعل فيه الرذالة ، وهي ما اتقى جيده
(٣) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم - معرب (٤) ندس إلى
منهن واحدة : قذفني بها .

٧٩ - آكل *

قال الشَّمرُ دلُّ وكيْلُ عمْرُو بنِ العاصِ : قدِمَ سَليمانُ بنُ عبدِ الملكِ الطائِفَ فدخلَ هوَ وعمْرُو بنُ عبدِ العَزيزِ وأيوبُ ابنُه بستاناً لعمرو ، فجالَ حتى ألقى صدره إلى غُصْنِ ، ثم قال : ويلك ! يا شَمْرُ دلُّ ؛ ما عندك شيءٌ تُطعمني ؟ قلت : عندي جَذَعٌ^(١) حافِلٌ^(٢) تغدو عليه وتروح أخرى . قال عَجَّلْ به فأثبته به كأنه عُكَّةٌ^(٣) سَمْنٌ ، فجعلَ يأكل ، وهو لا يدعُو عمْرَ ولا ابنَه ، حتى بقي منه فِخْذٌ . فقال : يا أبا حفص ؛ هلم ! قال : إني صائمٌ ، فأثبته عليه ، ثم قال : يا شمردل ؛ ويلك ! ما عندك شيءٌ تُطعمني ؟ قلت : دجاجاتٌ سَمْتٌ ، كأنهن رِثْلانٌ^(٤) النعام ، فأثبته بهنَ فكان يأخذُ برجلِ الدجاجة فيلقي عظامها نَقِيَّةً فأثبته عليهن ، ثم قال : ويلك يا شمردل ! ما عندك شيءٌ تُطعمني ؟ قلت : سَوِيْقٌ كأنه قُرْأَصَةُ الذهبِ ؛ فأثبته بهنَّ^(٥) يغيب فيه الرأسُ ، فشر به ، فلما فرغ تجشأ كأنه صارخٌ في جُبِّ ، ثم قال : يا غلام ! أفرغتَ من غَدائنا ؟ قال : نعم ! قال : ماهو ؟ قال : نَيْفٌ وثمانونَ قدرًا ، فأثبته بها قدرًا قدرًا ، وبقنّاعٍ^(٦) عليه رُقَاقٌ ، فأكل من كل قدرٍ ثلاثَ لقمٍ ، ثم مسح يده ، واستلقى على فراشه ، فوَضِعَ الخوانَ ، وقعدَ يأكل مع الناسِ ، فما أنكرت شيئًا من أكله .

* العقد الفريد : ٣ - ١٦٨ ، نهاية الأرب : ٣ - ٣٤٤

(١) الجذع : الصنبر السن ، وهو يختلف في أسنان الأبل والحيل والبقر والشاء ، وهو من الفم ما عمره سنة (٢) شاة حافل : كثيرة اللبن (٣) العكة : آنية السمن (٤) رثلان : جمع الرأل : وهو ولد النعام أو حوايه (٥) المس : القدح العظيم (٦) القنّاع : الطبق من عسب النخل .

٨٠ - نُزُلُ أُمِّ حَبِيبٍ *

نزل نُصَيْبٌ ^(١) بِامْرَأَةٍ تُسَكِنِي أُمَّ حَبِيبٍ ، مِنْ أَهْلِ مَلَلٍ ^(٢) ، وَكَانَتْ تُضَيِّفُ
فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَتَقْرِي ، وَلَا يَزَالُ الشَّرِيفُ يَنْزِلُ بِهَا فَيُفْضِلُ عَلَيْهَا الْفَضْلَ
السَّكَتِيَّ ، وَلَا يَزَالُ الشَّرِيفُ مَنْ لَمْ يَحْمَلْ بِهَا ، يَتَنَاوَلُهَا بِالْبِرِّ لِيُعِينَهَا عَلَى مُرُوءَتِهَا ،
فَنَزَلَ بِهَا نُصَيْبٌ وَمَعَهُ جَلَانٌ مِنْ قَرِيشٍ ، فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّحْلَةَ عَنْهَا وَصَلَهَا الْقَرَشِيَّانِ ،
وَكَانَ نُصَيْبٌ لَا مَالَ مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ؛ فَقَالَ لَهَا : إِنْ شِئْتَ فَلِكِ أَنْ أُوجِّهَ إِلَيْكَ
بِمَثَلِ مَا أَعْطَاكِ أَحَدُهُمَا ، وَإِنْ شِئْتَ قَلْتُ فِيكَ شِعْرًا ؛ فَقَالَتْ : بَلِ الشَّعْرُ ؛ فَقَالَ :

أَلَا حَيٌّ قَبْلَ الْبَيْنِ ^(٣) أُمَّ حَبِيبٍ وَإِنْ لَمْ تَسْكُنْ عِنَّا غَدًا بِقَرِيبٍ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَنِّي أَحَبُّكَ صَادِقًا فَمَا أَحَدٌ عِنْدِي إِذْنَ بِحَبِيبٍ
تَهَامٍ أَصَابَتْ قَلْبَهُ مَلَلِيَّةٌ غَرِيبٌ الْهُوَى ، وَاهَا لِكُلِّ غَرِيبٍ !

* الكامل : ١ - ٣٣٤

(١) نصيب بن رباح : شاعر فحل مقدم في النسب والمدائح توفي سنة ١٠٠ هـ (٢) ملل :
موضع في طريق مكة بين الحرمين (٣) البين : الفراق .

٨١ — امرأة تجاوزت كثيرًا*

قال السائب راوية كثير: والله إني لأسير يوماً مع كثير^(١)، حتى إذا كنا من المدينة على أميال، لقيننا امرأة في رحالة^(٢) متنقبة، معها عبيد لها يسعون معها، فمرت جنابي^(٣)، فسلمت، ثم قالت: ممن الرجل؟ قلت: من أهل الحجاز: قالت: فهل تروى لكثير شيئاً؟ قلت: نعم. قالت: أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إليّ من أن أرى كثيرًا وأسمع شعره، فهل تروى قوله:

أهاجك برق آخر الليل واصب^(٤)

قلت: نعم، فأنشدتها إياها إلى آخرها، قالت: فهل تروى قوله:

كأنك لم تسمع ولم تر قبلها تفرق آلاف لهن حنين

قلت: نعم، وأنشدتها. قالت: فهل تروى قوله أيضاً:

أطلال سعدى باللوى تتهد

قلت: نعم، وأنشدتها حتى أتيت على قوله:

فلم أر مثل العين ضنت بماها على ولا مثلى على الدمع يحسد

فقالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثير أحد على الأرض! والله لأن

أكون رأيت كثيرًا أو سمعت منه شعره أحب إليّ من مائة ألف درهم.

* الأغاني: ١١ - ٤٨

(١) هو كثير بن عبد الرحمن، اشتهر بجزء، وشبب بها، وكان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب، توفي سنة ١٠٥ هـ (٢) الرحالة: السرج (٣) الجناب: الناحية (٤) واصب: دائم.

قال السائب: فقلت: هو ذاك الراكب أمامك، وأنا السائب روايته، قالت: حياك الله! ثم ركضت بغلتها حتى أدركته، فقالت: أنت كثير؟ قال: مالك؟ ويك! فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حُسرَت عنه العِمَامَةُ راعِها
جميلُ الحِمِيَّا أَغفلتُهُ الدَّواهِينِ
والله ما رأيت عريباً قط أفبح ولا أحقر ولا أأم منك! قال: أنت والله أفبح مني وأأم. قالت له: أو لست القائل:

تراهنَّ إلا أن يؤدين نظرةً
بمؤخر عين أو يقلبن منصما
يُحاذِرُن منى غيرةً قد عرفنها
قديماً فما يضحكن إلا تبسماً

لعن الله من يفرق^(١) منك اقال: بل لعنك الله، من أنت؟ قالت: لا يضرُّك إن لم تعرفني. قال: والله إني لأراك لثيمة الأصل والعشيرة. قالت: حياك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليَّ وجهاً ولا لقاءً منك: قال: لا حياك الله، ولكن ماعلى الأرض أحدٌ أبغضَ إليَّ وجهاً منك. قالت: أتعرفني؟ قال: أعرفُ أنك لثيمة من اللثام، ثم تعرفت إليه فإذا هي غاضرة أم ولدٍ لبشر ابن مروان.

قال السائب: وسائرهما حتى الجبل، ثم قالت له: يا أبا صخر؛ أضمنُ لك مائة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدمت عليه. قال: أفي سبِّك إياي أو في سبِّ إياك تضمنين لي هذا؟ والله لا أخرجُ إلى العراق على هذه الحال. فلما قامت تودِّعه سمرت فإذا هي أحسنُ من رأيت من أهل الدنيا وجهاً، وأمرت له بعشرة آلاف درهم.

٨٢ — إِفْحَام *

بينما كان كثير عزة ماراً بالطريق يوماً ، إذ هو بعجوز عمياء على قارعة^(١)
الطريق تمشي ؛ فقال لها : تَدْنِيْ عَنِ الطَّرِيقِ ، فقالت له : ويحك ! وَمَنْ تَكُونُ ؟
قال : أنا كثير عزة . قالت : قَبِّحْكَ اللهُ ! هل مثلك يُدْنِيْ عَنِ الطَّرِيقِ ؟
قال : ولم ؟ قالت : أَلَسْتَ القَائِلَ :

وما روضةً بالحزن طيبةُ الترى يَمِجُّ النَّدَى جَنَاحُهَا وَعَرَارُهَا^(٢)
بأطيب من فيها إذا جنت طارقاً وقد أوقدت بالمجمر^(٣) اللدن^(٤) نارها
ويحك يا هذا ! لو تبخر بالمجمر اللدن مثلي ومثل أمك لطاب ريحها ؛ هلاً
قلت كما قال سيدك امرؤ القيس :

وكتُ إذا ماجتُ بالليل طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب
فقطعت^(٥) ، ولم يردَّ جواباً !

* المستطرف : ١ - ٥٥

(١) قارعة الطريق : أعلاه (٢) الجنجاث ، نبات له زهر أصفر طيب الريح . والعرار : نبت
طيب الريح أيضاً (٣) المجرم : ما يبخر به من عود وغيره (٤) اللدن : الابن .
(٥) انقطع الرجل : إذا انقطعت حجته ، وقطعه أيضاً وأقطمه .

٨٣ — بين كثير وعزة *

دخل كثير بن عبد الرحمن على عزة، فقالت: ما ينبغي أن تأذن لك في الجلوس.
قال: ولم ذلك؟ قالت: لأنى رأيت الأحوص ألين جانباً عند القوافى منك في
شعره، وأضرع خدًا للنساء؛ وإنه الذى يقول:

يأبها اللأئى فيها لأصرمها (١)
أكثرت لو كان يُفنى عنك إكثار
أفصر فليست مطاعاً إذ وثيت بها
لا القلبُ سالٍ ولا فى حُبِّها عار
ويعجبني قوله:

أدور ولو لأن أرى أمَّ جعفر
بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى
إذا لم يُزرز لا بدَّ أن سيزور
لقد منعتُ معروفها أمَّ جعفر
وإنى إلى معروفها لفقيرُ
ويعجبني قوله:

كم من دنى لها (٢) قد صرتُ أتبعه
ولو صحا القلب عنها كان لى تبعاً
لا أستطيعُ نزوعاً عن محبتها
أو يصنع الحبُّ بى فوق الذى صنعا
أدعو إلى هجرها قلبى فيتبعنى
حتى إذا قلت: هذا صادق نزعا
وزادنى رغبةً فى الحب أن منعت
أشهى إلى المرء من دنياه ما مُنعا
وقوله (٣):

إذا أنت لم تعشق ولم تذر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

* ذيل زهر الآداب: ١٥٠

(١) أصرمها: أقطعها، وأفارقها (٢) الدنى: القريب (٣) البتان الأخيران الحفهما
العيني وغيره بهذا الموضع من شعر الأحوص، وأنشدهما أبو بكر بن دريد لأعرابي.

وما الميشُ إلا ماتلذّ وتشهى وإن لآم فيه ذو الشنان وفنداً^(١)
وإني لأهواها وأهوى لقاءها كما يشهى الصادى^(٢) الشراب المبردأ
فقال لها كثير: والله لقد أجاد؛ فما استجفيت^(٣) من قولى؟ قالت:
فذلك قولك:

وكنْتُ إذا ما جئتُ أجَلَنَ مَجْلِسِي وَأظْهَرَنَ مِنِّي هَيْبَةً لَا تَجَبُّهَا
يَحَادِرُنَ مِنِّي غَيْرَةً قَدْ عَرَفْنَهَا قَدِيمًا فَمَا يَضْحَكُنَ إِلَّا تَبَسُّمَا
تَرَاهُنَّ إِلَّا أَنْ يُؤَدِينَ نَظْرَةَ بِمَوْخِرِ عَيْنٍ أَوْ يُقَلِّبَنَّ مِعْصَمَا
وقولك:

وددت - وبيت الله - أنك بكرة هجان^(٤) وأنى مصعب^(٥) ثم نهزب
كلانا به عر^(٦) فمن يرنا يقل
نكون لذي مال كثير مفقل
إذا ما وردنا مهلاً صاح أهله
ويحك! لقد أردت في الشنماء، ما وجدت أمنيّة أوطأ من هذه! فخرج
من عندها خجلاً!

(١) ذو الشنان: البغض. فنده: خطأ رأيه (٢) الظمان (٣) استجفاه: عده جافياً
(٤) الهجان من الإبل: البيضاء الكريمة، يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع (٥) المصعب:
الفحل (٦) العر: داء يأخذ الإبل فيتمتع عنها وبرها حتى يبدو الجلد، وهو كالجرب للإنسان:

٨٤ — حوار بين شعراء *

قَدِمَ عمرُ بنُ أبي ربيعة المدينةَ لأمرٍ ، فأقام شهراً ثم خرج إلى مكة ، وخرج معه الأحوص مُعْتَمِراً .

قال السائب راوية كثير: فلما مرّا بالروحاء^(١) استتلياني^(٢) ، فخرجت أتلوها ، حتى لحقتها بالعرج^(٣) . فخرجنا جميعاً حتى وردنا ودان^(٤) ، فحبسهما نُصيب ، وذبح لهما وأكرمهما .

وخرجنا وخرج معنا نُصيب ، فلما جئنا إلى منزل كثير قيل لنا قد هبط قديداً^(٥) ، فحشنا قديداً ، فقيل لنا : إنه في خيمة من خيامها ، فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهب فادعه لي ، فقال نُصيب : هو أحقُّ وأشدُّ كِبَراً من أن يأتيك ، فقال لي عمر : اذهب كما أقول .

فجئته فنهش لي وقال : « اذكر غائباً تره » ، لقد جئت وأنا أذكرك ، فأبلغته رسالة عمر ، فحدّ لي نظره ، ثم قال : أما كان عندك من المعرفة بي ما كان يرَدُّك عن إتياني بمنزل هذا ! فقلت : بلى ، ولكن سترت عليك ، فأبى الله إلا أن يهتك سترك ، قال : إنك والله يا ابن ذكوان ، ما أنت من شكلي ، فقل لابن أبي ربيعة : إن كنت قُرشيًّا فإني قرشي ، وإن كنت شاعراً فأنا أشعرُ منك . فقلت : هذا إذا كان الحكم إليك ، قال : وإلى من هو؟ ومن أولى به مني !

* الأغاني : ١١ - ١٧ ، الكامل للمبرد : ١ - ٣٣٢ .

(١) الروحاء : موضع على ثلاثين ميلاً من المدينة (٢) استتلياني : طلبا مني أن أتلوها

(٣) العرج : قرية بالطائف في الحجاز (٤) ودان : موضع بين مكة والمدينة

(٥) قديداً : موضع قرب مكة .

قال السائب : فرجعت إلى القوم فأخبرتهم ، فضحكوا ، ثم نهضوا معي إليه ،
فدخلنا عليه في خيمة ، فوجدناه جالساً على جلد كبش ، فوالله ما أوسع للقرشي ،
فلما تحدّثوا ملياً ، وأفاضوا في ذِكر الشعراء أقبل كثير على عمر فقال له : أنت تنعت
للرأة فنشئب بها ، ثم تدعها وتنسبُ بنفسك ! أخبرني عن قولك :

قالت : تصدّئي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أختُ في خفرِ

قالت لها : قد غمزته فأبى ثم اسبطرت^(١) تشتد في أترى

وقولها والدموع تسبقها لتفسدن الطواف في عمر

أترك لو وصفت بهذا الشموهرة أهلك ، ألم تكن قد قبحت وأسأت لها ،
وقلت المجر ! إنما توصف الحرمة بالحياء والإباء والبخل والامتناع ، كما قال هذا -
وأشار إلى الأحوص :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر^(٢) بأبياتكم ؛ مادرتُ حيثُ أدورُ

وما كنتُ زواراً ولكن ذا الهوى إذا لم يُزرَ لا بد أن سيزورُ

لقد منعتُ معروفها أم جعفرِ وإني إلى معروفها لفتقيرُ

فدخلتُ الأحوص الأبهة ، وعُرفت الخيلاء فيه . فلما عرف كثير ذلك منه
قال له : أبطل آخرك أولك ، أخبرني عن قولك :

فإن نصلي أصلك وإن تمودي لهجر بعد وصلك لا أبالي

ولا ألتني كمن إن سيم صرماً^(٣) تعرض كي يردّ إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلاً لبأيت ولو كسرت أنفك ! ألا قلت كما قال هذا
الأسود - وأشار إلى نصيب :

(١) اسبطرت : أسرع ، : تشتد : تجرى وتسرع (٢) أم جعفر : امرأة من الأنصار كان
يشبب بها الأحوص (٣) صرماً : قطعة .

جزينب ألم قبل أن يرَحَلَ الركبُ وقُلْ : إن تَمَكَّنَا فَمَا مَلَكَ القَلْبُ
فانكسر الأُحوصُ ، ودخل نُصَيبَا الأُبهة ، فلما فهم ذلك منه قال : وأنت
يا أسود ؛ أخبرنا عن قولك :

أهيمُ بدَعْدِ مَا حَيَّيتُ وَإِن أُمْتُ فَوَا كَبِدِي مَن ذَا يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي !
أَهْمَكُ مَن يُشَبِّبُ بِهَا بَعْدَكَ ! فقال نصيب : استوى القِرْقُ (١) .

قال السائب : فلما أَمَسَكَ كَثِيرًا قَبِلَ عَلَيْهِ عَمْرُ فَقَالَ : قَدْ أَنْصَنَّا لَكَ فَاسْتَمِعْ ،
أخبرني عن قولك لنفسك وتخيِّركَ لِمَن تَحِبُّ حَيْثُ تُقُولُ :

أَلَا لَيْتَنَا يَاعِزَّةً مِّنْ غَيْرِ رِييَّةٍ بَعِيرَانِ نَزَعِي فِي الْخَلَا وَنُعَذِّبُ !
كَلَّا نَا بَهْ عُرٌّ (٢) فَمَن يَرِنَا يَقْلُ عَلَى حَسَنَاهِ جَرِبَاءُ تَعْدِي وَأَجْرَبُ
إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهَا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا ، فَمَا نَنْفَكُ نَرْمِي وَنَضْرِبُ
وَدَدْتُ ، وَبَيْتَ اللَّهِ ، أَنْكَ بَكْرَةٌ هِجَانٌ (٣) وَأَنْيَ مُصْعَبٌ (٤) ثُمَّ نَهْرَبُ
نَكُونُ بَعِيرِي ذِي غَنَى فَيُضِيعُنَا فَلَا هُوَ يَرَعَانَا وَلَا تَحْنُ نُطَلِّبُ

وبلك ، تَمَنَيْتَ لَهَا وَلِنَفْسِكَ الرِّقَّ وَالْجَرْبَ وَالرَّمْيَ وَالطَّرْدَ وَالنَّسْخَ ، فَأَيُّ مَكْرُوهٍ
لَمْ تَتَمَنَّ لَهَا وَلِنَفْسِكَ ! وَلَقَدْ أَصَابَهَا مِنْكَ قَوْلُ الْأَوَّلِ : مَعَادَاةٌ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ
أَحْمَقٍ ، فَجَعَلَ يَخْتَلِجُ جَسَدَ كَثِيرٍ كُلِّهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْأُحُوصُ فَقَالَ : أَخْبَرَنِي
عَنْ قَوْلِكَ :

وَقُلْنَا - وَقَدْ يَكْذِبُنْ - فَيْكَ تَمَفَّفٌ وَشُوْمٌ إِذَا مَا لَمْ تَطْعُ صَاحَ نَاعِقُهُ
وَأَعْيَيْنَا لَا رَاضِيًا بِكَرَامَةٍ وَلَا تَارِكًا شَكْرِي الَّذِي أَنْتَ صَادِقُهُ

(١) الفرق . نوع من اللعب ، ومعنى الجملة : استوتينا فلم يظلب واحد منا صاحبه ، وفي الكامل
« القرقة » وهى لعبة على خطوط فاستواؤها اقتضاؤها (٢) المر : الجرب (٣) الهجان
من الإبل : البيضاء الكريمة (٤) المصعب : الفحل .

فأدركت صفوة الودِّ منا فليتنا وليس لنا ذنبٌ، فنحن مَوَازِقُهُ (١)
وَأَلْفَيْنَا سِلْمًا فَصَدَّعَتْ بَيْنَنَا كَمَا صَدَّعَتْ بَيْنَ الْأَدِيمِ خَوَالِقُهُ (٢)
والله لو احتفل عليك هاجيك ما زاد على ما بُوتَ به (٣) على نفسك . فحقق (٤)
كثير كما يَحْفِقُ الطائر، ثم أقبل عليه نُصِيبُ فقال : أقبل علىّ ، فقد تمنيت
معرفة غائبٍ عندي علمه حيث تقول :

وددتُ ، وما تَفَنَّى الودادةُ ، أنتى بما فى ضمير الحاجبيّة عالمُ
فإن كان خيراً سرّنى وعلمته وإن كان شراً لم تُلْمِنى اللوائمُ
انظر فى مرآتكَ ، واعرف صورةَ جهلك، تعرف ما عندها . فاضطرب اضطرابَ
المصفور ، وقام القوم يضحكون .

(١) مذاق الود : لم يخلصه (٢) الخالق : صانع الأديم .
(٣) رجعت به على نفسك ، أى ما وصفت به نفسك (٤) اضطرب .

٨٥ — احتال حتى أقرأها رسالته *

كان عمرُ بنُ أبي ربيعة^(١) يَهْوَى كَلِمَ بنتِ سعدِ الخَزُومِيَّةِ ، فأرسل إليها رسولاً^(٢) فضرَبَتْها وحَلَقَتْها^(٣) وأخَلَقَتْها أَلَا تُعَاوِدَ ؛ ثم أعادها ثانيةً ففعلتُ بها مثلَ ذلك ، فتحامَها رسولُهُ ؛ فابتاعَ أمةً سَوَدَاءَ لطيفةً رقيقةً ، وأتى بها منزله فأحسنَ إليها وكساها ، وآنسَها وعرفَها خبره ، وقال لها : إن أوصلتِ لي رُقعةً إلى كَلِمَ فقرأتها فأنتِ حرّةٌ ولاكِ معيشتُكِ ما بقيتِ .

فقالت : اكتبِ لي مَكاتِبَةً^(٤) واكتبِ حاجتِك في آخرها . ففعل ذلك فأخذتها ومضتُ بها إلى بابِ كَلِمَ ، فاستأذنتُ ، فخرجتُ إليها أمةً لها ، فسألتهاعنِ أمرها ، فقالت : مكاتِبَةٌ لبعضِ أهلِ مَوَلَاتِكِ جئتُ أستعينُها في مكاتِبتي ، وحادِثتها وناشدتها حتى ملأتُ قلبها .

فدخلتُ إلى كَلِمَ وقالت : إن بالبابِ مكاتِبَةً لم أرقطُ أجملُ منها ولا أكملُ ولا آدب . فقالت : انذني لها ، فدخلتُ ، فقالت : مَنْ كَاتِبِكِ ؟ قالت : عمرُ ابنُ أبي ربيعةَ الفاسقُ ؛ فاقرئني مكاتِبتي . فدَّتْ يدها لتأخذها فقالت لها : لي عليك عهدُ الله أن تقرَّئنيها ؛ فإن كانت منكِ إلى شيءٍ مما أُحِبُّه ، وإلَّا لم يَلْحَقْنِي

* الأغانى : ١ - ٢٠٤ .

- (١) من مخزوم ، بطن من قريش ، واختص شعره بوصف النساء ، والتشبيب بهن ، قال ابن جريج : ما دخل على العواتق في حجاهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة ، توفي سنة ٩٣ هـ .
(٢) رسول . يجوز استعماله للمذكر والمؤنث (٣) يقال : حلقة : أى أوجهه في حلقة
(٤) المكاتبية : أن يكتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً ، فإذا أداه صار حراً .

مِنْكَ مَكْرُوهٌ ، فَعَاهَدْتَهَا وَفَطِنْتَ ، وَأَعْطَيْتَهَا الْكِتَابَ فِإِذَا أَوْلَهُ :

من عاشقٍ صَبَّ بِسِرِّهِ الْمَوَى قد شَفَّهُ الْوَجْدُ إِلَى كَلْمٍ
رَأْتِكَ عَيْنِي فَدَعَانِي الْمَوَى إِلَيْكَ لِلْحَيْنِ ^(١) وَلَمْ أَعْلَمْ
قَتَلْتَنَا ، يَا حَبِّذَا أَنْتُمْ فِي غَيْرِ مَا جُرْمٍ وَلَا مَأْتُمْ
وَاللَّهُ قَدْ أَنْزَلَ فِي وَحْيِهِ مُبِينًا فِي آيِهِ الْمُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النَّفْسَ كَذَا ظَالِمًا وَلَمْ يُقِدْهَا نَفْسَهُ يَظْلَمِ
وَأَنْتِ تَأْرِي قَتْلَافِي دَمِي ثُمَّ اجْعَلِيهِ نِعْمَةً تُنْعِمِي
وَحَكْمِي عَدْلًا يَكُنْ بَيْنَنَا أَوْ أَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا فَاحْكِي
وَجَالِسِي تَجَلِّسًا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ مَاعَارٍ وَلَا مَحْرَمِ ^(٢)
وَخَبِّرِي : مَا الَّذِي عِنْدَكُمْ بِاللَّهِ فِي قَتْلِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ؟

فلما قرأت الشعر قالت لها : إنه خداعٌ مَلِيقٌ ، وليس لما شكاه أصلٌ . قالت :

يا مولائي ؛ فما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظفروا
بِبُعِيَّتِهِ ، فقولِي له : إذا كان المساء فليجلس في موضع كذا حتى يأتيه رسولي .
فانصرفتِ الجاريةُ فأخبرته فتأهب لها .

فلما جاءه رسولها مضى معه حتى دخل إليها وقد تهيأت أجمل هيئة . وزينت
نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فسلم وجلس ، فتركته حتى سكن ثم
قالت له : أخبرني عنك يا فاسق ؛ ألسنت القائل :

هَلَا ارْعَوَيْتِ فَتَرْجِي صَبًا صَدِيانٍ لَمْ تَدْعِي لَهُ قَلْبًا
جِسْمَ الزِّيَارَةِ فِي مَوَدَّتِكُمْ فَأَرَادَ أَلَّا تَحْقِدِي ذَنْبًا

(١) الحين : الهلاك (٢) المحرم : الحرام .

وَرَجَا مُصَاحَلَةً فَكَانَ لَكُمْ سَلَامًا^(١) وَكَفْتِ تَرْيَنَهُ حَرْبًا
يَأْتِيهِ الْمُضْنَى مَوَدَّتَهُ مَنْ لَا يَرَاكَ مُسَامِيًا خِطْبًا^(٢)
لَا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
وَصَلِّ الْحَبِيبَ إِذَا شُفِفْتَ بِهِ وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِيًّا
فَلَذَاكَ أَحْسَنُ مِنْ مُوَاصَلَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
لَا، بَلْ يَمْلِكُ عِنْدَ دَعْوَتِهِ فَيَقُولُ هَاهُ^(٣) وَطَالَمَا لَبِيَّ

فقال لها : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إن القلبَ إذا هوى نطقَ اللسانُ بما يهوى !
فتزوجها ، فولدت له ابنين .

(١) سلاماً (٢) الخطاب : الخطاب (٣) هاه : كلة وعيد .

٨٦ — مَنْ لِي بِمَثَلِكَ يُعْتَبِنِي إِذَا اسْتَعْتَبْتَهُ ١ *

دخل حمزة بن بيض^(١) على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيراً ، ثم شغل عنه ، فاختلف عليه مراراً ثم لم يصل إليه ، وأبطأت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أَمَخْلَدَ ^(٢) إِنْ أَلَّاهُ مَا شَاءَ يَصْنَعُ	يَجُودُ فَيُعْطِي مَا يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
وَإِنِّي قَدْ أَمَلْتُ مِنْكَ سَحَابَةً	فَجَادَتْ سَرَاباً فَوْقَ بَيْدَاءِ تَلْمَعُ
فَأَجَعْتُ صَرْمًا ثُمَّ قَلْتُ لَعَلَّهُ	يَثُوبُ إِلَى أَمْرٍ جَمِيلٍ وَيَرْجِعُ
فَأَيَّاسُنِي مِنْ خَيْرٍ مَخْلَدُ أَنَّهُ	عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي فِيهِ مَطْمَعُ
يَجُودُ لِأَقْوَامٍ يُوَدُّونَ أَنَّهُ	مِنَ الْبُغْضِ وَالشَّنَانِ أَمْسَى يُقَطِّعُ
وَيَبْخُلُ بِالْمَعْرُوفِ عَمَّنْ يُوَدُّهُ	فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ
أَأَصْرِمُهُ ، فَالصَّرْمُ شَرُّ مَغْتَبَةٍ	وَنَفْسِي إِلَيْهِ بِالْوَصَالِ تَطْلَعُ
وَشَتَانٍ بَيْنِي وَالْوَصَالِ وَيَنْدُهُ	عَلَى كُلِّ حَالٍ اسْتَقِيمُ وَيُظْلَعُ ^(٣)
فَأَعْقَبَنِي صَرْمًا عَلَى غَيْرِ إِحْنَةٍ	وَبِخْلًا وَقَدِمًا كَانَ لِي يَتَبَرَّعُ
وَعَيْرَهُ مَا عَيَّرَ النَّاسَ قَبْلَهُ	فَنَفْسِي بِمَا يَأْتِينِي بِهِ لَيْسَ تَقْنَعُ

* الأغانى : ١٥ - ٢٣ .

(١) حمزة بن بيض : شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كوفي خليف ماجن ، وكان منقطعاً إلى المهلب ابن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيماً ، توفي سنة ١٢٠ هـ (٢) أمير من بيت إمارته ورياسة وبطولة ، ولي إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز نائباً عن أبيه ، ثم رحل إلى الشام وافداً على الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فأعجب به ، مات سنة ١٠٠ هـ (٣) الظلم : العرج .

ثم كتبها في قرطاسٍ ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه ، فدفعه الغلام إليه .

فلما قرأه سأل الغلام: مَنْ صاحبُ الكتاب؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقال : مَنْ أعطاك الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وكساه ، وقال : إنما ضربتك أدباً لك ؛ لأنك حملت كتاباً لا تدري ما فيه لمن لا تعرفه ، فإياك أن تعود لمثلها .

فقال الرجل : لا والله ، أصلحك الله ! لا أحمل كتاباً لمن أعرف ولا لمن لا أعرف . قال : احذر فليس كلُّ أحدٍ يصنع بك صنيعي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك؟ قال لا ، فخذته مخدً بقصته . فقال ابن بيض : والله إنه لا يزال يتوق إلى العشرين سوطاً مع الخمسة أبدأ ؛ فضحك مخدً ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدأ . قال : أجل والله ، ولكن من لي بمثلك يُعتبني^(١) إذا استعنته ، ويفعل بي مثل فعلك ، ثم قال :

وأبيض بهلول إذا جئتُ داره كفاني ، وأعطاني الذي جئتُ أسألُ
ويُعتبني يوماً إذا كنت عاتباً وإن قلت زدني قال حقاً سأفعل
تراه إذا ما جئتُه تطلبُ الندى كأنك تعطيه الذي جئتُ تسألُ

(١) يقال : أعتبني فلان ؛ إذا ترك ما كنت أجد عليه ، ورجع إلى ما أَرْضأني عنه ، بعد إسقاطه لِيأى عليه .

فله أبناء المهلب فتيةً إذا لقيت حربٌ عوانٌ تأكلوا (١)
تري الموت تحت الخافقات أمامهم إذا وردوا علواً الرماح وأنهلوا (٢)
يجودون حتى يحسب الناس أنهم لجودهم نذر عليهم يحلُّ
فذلك ميراثُ المهلب ، إنه كريمٌ نمامه للكارم أولُّ

فلما أنشده ابنُ بيض هذه الأبيات أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب
وقال : نزيدك ما زدتنا ونضعفُ لك ، فقال :

أَمْحِلْ لَمْ تترك لنفسى بقیةً وزدت على ما كنت أرجو وآمل
فكنتُ كما قد قال معنُ فإنه بصيرٌ كما قد قال إذ يتمثل
وجدتُ كثيرَ المال إذ ضنَّ معدماً يذمُّ ويلجأه (٣) الصديق المؤملُ
وإن أحق الناس بالجود من رأى أباه جواداً للكارم يُجزلُ
وجدتُ يزيداً والمهلب برراً فقلتُ فإني مثل ذلك أفعُلُ
قفزتُ كما فازا وجاوزت غايةً يقصرُ عنها السابقُ المتمهلُ
فأنت غياثُ اليتامى وعصمةُ إليك رجاء الطالبى الخبيرِ رحلُ
وموتُ الفتى خيرٌ له من حياته إذا كان ذا مالٍ يضيئُ ويبيخُلُ
فقال له مخرم : احتكم ، فأبى ، فأعطاه ألفي دينار وجاريةً وغلاماً
وبرذوناً .

(١) تأكل الرجل : غضب وهاج كأنه يأكل بعفه بعضاً (٢) العل : الشرب الثاني ، والنهل :
الشرب الأول (٣) يلومه .

٨٧ — هما قمرًا السماء وأنت نجم *

قَدِمَ الفرزدق إلى المدينة في سنةٍ مُجْدَبَةٍ ، فمَشَى أَهْلُ المَدِينَةِ إلى عمر بن عبد العزيز ، فقالوا له : أيها الأمير ؛ إن الفرزدق قدم مدينتنا في هذه السنة الجُدْبَةِ التي قد أهلكت عامة الأموال التي لأهل المدينة ، وليس عند أحدٍ منهم ما يعطيه شاعرًا ؛ فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه ، وتقدَّم إليه ألا يعرض لأحدٍ بمدحٍ ولا هجاء .

فبعث إليه عمر : إنك يا فرزدق قدِمتَ مدينتنا في هذه السنة الجُدْبَةِ ، وليس عند أحدٍ ما يعطيه شاعرًا ، وقد أمرتُ لك بأربعة آلاف درهم ، فخذها ولا تعرض لأحدٍ بمدحٍ ولا هجاء .

فأخذها الفرزدق ، ومروا بعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو جالس في سقيفة داره ، عليه مُطْرَفٌ ^(١) خَزْرَ أَحْمَرٌ ، وجبة خَزْرَ أَحْمَرٌ ، فوقف عليه ، وقال :

أعبد الله أنت أحق ماشٍ وساعٍ بالجواهر الكبارِ
نما الفاروقُ ^(٢) أمك وابن أروى أبوك فأنت مُنْصَدِعُ النهارِ
هما قمرًا السماء وأنت نجمٌ به في الليل يدلجُ ^(٣) كلُّ سارِ

فخلع عليه الجُبَّةَ والعمامة والمطْرَفَ ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

* الأغانى : ١٩ - ٥٢ .

(١) رداء من خز مريع له أعلام (٢) عمر بن الخطاب (٣) أدلج : سار من أول الليل .

فخرج رجلٌ كان حضر عبد الله والفرزدقُ عنده، ورأى ما أعطاه إياه،
وسمع ما أمره عُمرُ به ألاَّ يعرض لأحد؛ فدخل إلى عمر بن عبد العزيز،
فأخبره، فبعث إليه عُمر: ألم أتقدمُ إليك يا فرزدقُ ألاَّ تعرض لأحدٍ بمدح ولا
هجاء! اخرج، فقد أجلتك ثلاثاً، فإن وجدتُك بعد ثلاث نكلتُ بك، فخرج
وهو يقول:

فأَجَلَنِي وَوَأَعَدَنِي ثَلَاثًا كَأُوْعِدَتْ لِمَهْلِكِهَا نَمُودُ^(١)!

(١) هم أصحاب صالح.

٨٨ — نفى الأحوص *

لما وليَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ الخلافةَ لم تكن له همةٌ إلا عمرَ بنَ أبي ربيعةِ والأحوصِ . فكتب إلى عامله على المدينة : قد عرفتُ عمرَ والأحوصَ بأُخْبَثِ والشَّرَّ ، فإذا أتاك كتابي هذا فاشدُذْهما واجمِئْما إلى .

فلما أتاه الكتاب حملهما إليه ؛ فأقبل على عمر فقال له : هيه !

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ^(١) منظرَ ناظرٍ ولا كليبِ إلى الحج أفلتنَ ذا هوى
وكم ماليء عينيه من شيءٍ غيرِهِ إذا راح نحو الجرة البيضُ كالدُّمَى
فإذا لم يُفَلتِ الناسُ منك في هذه الأيامِ فمتى يُفَلتون ! أما والله لو اهتممتَ
بأمرِ حَجَّكَ لم تنظرِ إلى شيءٍ غيرِكَ ، ثم أمرَ بِنَفْيِهِ . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أو
خيرٌ من ذلك ! قال : وما هو ؟ قال : أعاهدُ اللهَ ألا أعودُ إلى مثلِ هذا الشعرِ أبداً
وأجددُ توبةَ على يدِكَ . قال : أو تفعلُ ؟ قال : نعم . فعاهدَ اللهَ على توبةٍ وخلاَةٍ .
ثم دعا بالأحوصِ فقال : هيه !

اللهِ بيني وبين قِيَمِهَا يهرُبُ مني بها وأتبعُ
بل الله بين قِيَمِهَا وبينك ! ثم أمرَ بِنَفْيِهِ إلى دَهْلَاك^(٢) ، فلم يزل بها .
فرحل إلى عمر عدةً من الأنصارِ فكأموه في أمره ، وسألوه أن يُقدِّمه ،

* الأغانى : ٩ - ٦٤

(١) التجمير : رمى الجمار (٢) دهلك : بلدة ضيقة حارة تجاه مصوع ، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها .

وقالوا له : قد عرفتُ نسبه و قدمه وموضعه ، وقد أُخرجَ إلى بلادِ الشرك ، فنطلب
منك أن تردّه إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودارِ قومه . فقال لهم عمر :
من الذى يقول :

فما هو إلا أن أراها فُجَاءَةً فَابْهَتَ حَتَّى مَاءٌ كَادُ أَحِيرُ^(١)

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جعفرِ بأياتكم مادرتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يزُرْ لا بُدَّ أن سيُزورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن ذا الذى يقول :

كان لُبني صَبِيرٌ^(٢) غادِيَةٌ أودُمِيَّةٌ زِينَتُهَا البَيْعُ
الله يبنى وبين قيمها يهربُ مني بها وأتبع

قالوا : الأحوص ، قال : والله لا أردّه مادام لى سلطان .

فكث هناك حتى مات عمر ، وولى الأمرُ يزيدُ بن عبد الملك ، ففنته

جميلة يوماً :

كريمُ قريش حين يُنسبُ والذى أقرت له بالملك كهنلاً وأمرداً

فطرب يزيد وقال : ويحك ! من كريم قريش هذا ؟ قالت : أنت

يا أمير المؤمنين ، ومن عسى أن يكون ذلك غيرك . قال : ومن قائل هذا الشعر

في ؟ قالت : الأحوص وهو منى .

(١) لم يجر جواباً : لم يرجع ولم يرد (٢) صبير : سحابة بيضاء .

فكتب برده وحمله إليه : وأنفذ إليه صلات سنية ؛ فلما قدم إليه أدناه وقرّبه
وأكرّمه ، وقال له يوماً في مجلس حافل : والله لو لم تمت ^(١) إلينا بحق ولا صهر
ولا رّحيم إلا بقولك :

وإني لأستحييكم أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مَطْمَعُ
لكفالك ذلك عندنا . ولم يزل يُناديه حتى مات .

٨٩ — شهادة *

قال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ : امتدحتُ عُمَرَ بنَ عبدِ العزِيزِ وهو والي المدينة ، فأمر لي بمخمسِ عشرةِ ناقةٍ كرائمٍ ، فكرهتُ أن أُرْمِيَ بهنَّ الفِجَاجَ ^(١) ، ولم تَطِبْ نفسِي ببِيعِهِنَّ . فقدمتُ علينا رُفْقَةً من مِصرَ ، فسألتهُمُ الصُّحْبَةَ ، فقالوا : ذلك إليك ، ونحنُ نُخرجُ الليلةَ .

فأتيتُهُ فودَعْتُهُ ، وعنده شيخان لا أعرفهما ، فقال لي : يا دُكَيْنُ ؛ إن لي نفساً تواقَّةً ، فإن صِرتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأتني ولك الإحسان . قلت : أشهد لي بذلك . قال : أشهدُ اللهَ به . قلت : ومن خَلَقِه ؟ قال : هذين الشيخين ، فأقبلتُ على أحدهما فقلت : مَنْ أنتَ أعرفك ؟ قال . سالم بن عبد الله بن عمر . وقلت للآخر : من أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير .

فخرجتُ إلى بلدي بهن ، فرمى الله في أذنانهنَّ بالبركة حتى اعتقدتُ ^(٢) منهنَّ الإبل والعبيد ؛ فإنني لبصحراء فلج ^(٣) إذا ناعَ ينعَى سليمان . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال : عمرُ بن عبد العزيز ،

فتوجهتُ نحوه ، فلقيني جريرٌ مُنصرِفاً من عنده ؛ فقلت : يا أبا حَرَزة ^(٤) ، من أين ؟ فقال : من عند مَنْ يُعطى الفقراء ، ويمنعُ الشعراء ، فانطلقتُ فإذا هو في عَرَصَةٍ ^(٥) دار ، وقد أحاط الناسُ به ، فلم أخلصُ إليه ، فنادبتُ :

* الأغانى : ٩ - ٢٦١ ، العقد الفريد : ١ - ٢٠٢

(١) أصل الفج : الطريق الواسع ، وجمعه فجاج (٢) اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .
(٣) فلج : اسم واد (٤) كنية جرير (٥) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

يا عمرَ الخيراتِ والمكارِمِ وعمرَ الدَّسائِعِ (١) العظائمِ
لاني امرؤُ من قَطَنِ بنِ دارِمِ طلبتُ دِينِي (٢) من أخِي مَكَارِمِ
إذْ تَنَتَّحِي والليلُ غَيْرُ نَائِمِ عند أبي يحيى وعند سالمِ
فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لهذا البدويّ عندي شهادةٌ عليك ،
فقال ؛ أعرفها ؛ اذنُ يا دُكَيْنِ ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً قط
إلا تآقت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا ، فنفسى تتوقُ إلى الآخرة ، والله
ما رَزَّأتُ (٣) من أموال الناس شيئاً ؛ ولا عندي إلا ألفُ درهم ، فخذ نصفها .
قال دُكَيْنِ : فوالله ما رأيتُ ألفاً كان أعظمَ بركةً منه .

(١) الدسائِع : العطايا (٢) يشير إلى وعده السابق (٣) رزأ من ماله شيئاً : إذا اُخذ .
(١٤ - قصص العرب - ٣)

٩٠ — فُغُضَّ الطرف إنك من نمير*

كان راعِي^(١) الإبل يَقْضِي للفرزدق على جرير^(٢) وَيُفْضِلُهُ . فلما أكَثَرَ مِنْ ذلك خَرَجَ جَرِيرٌ إِلَى رِجَالِهِ مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : هَلَّا تَعْجَبُونَ لِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَقْضِي للفرزدق عَلَيَّ ، وَهُوَ يَهْجُو قَوْمَهُ وَأَنَا أَمْدَحُهُمْ !

ثم خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْشِي وَلَمْ يَرْكَبْ دَابَّتَهُ — وَكَانَ لِرَاعِي الإِبِلِ وَالْفِرْزَدِقِ وَجَلَسَاتُهُمَا حَلْقَةٌ بِأَعْلَى الْمِرْبَدِ بِالْبَصْرَةِ يَجْلِسُونَ فِيهَا — قَالَ جَرِيرٌ : فَخَرَجْتُ أَنْتَرَضُ لَهُ لِأَلْقَاهُ حَيْثُ كُنْتُ أَرَاهُ يَمُرُّ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَمَا يَسْرَنِي أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ ، حَتَّى إِذَا مَرَّ عَلَيَّ بِغِلَّةٍ لَهُ وَابْنُهُ جَنْدَلٌ يَسِيرُ وَرَاءَهُ عَلَيَّ مُهْرٌ لَهُ أَحْوَى مَحْذُوفِ الذَنْبِ^(٣) ؛ فَلَمَّا اسْتَقْبَلْتَهُ قُلْتُ : مَرْحَبًا بِكَ يَا أَبَا جَنْدَلٍ ؟ وَضَرَبْتُ بِشِمَالِي عَلَى مَعْرِفَةِ بَغْلَتِهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَبَا جَنْدَلٍ ؛ إِنْ قَوْلَكَ يُسْتَمَعُ ، وَإِنَّكَ تُفْضِلُ الْفِرْزَدِقَ عَلَيَّ تَفْضِيلًا قَبِيحًا ، وَأَنَا أَمْدَحُ قَوْمَكَ وَهُوَ يَهْجُوهُمْ ، وَيَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا ذُكِرْنَا أَنْ تَقُولَ : كَلَاهُمَا شَاعِرٌ كَرِيمٌ ، وَلَا تَحْتَمِلُ مِنِّي وَلَا مِنْهُ لِأُمَّةٍ .

فِينَا أَنَا وَهُوَ كَذَلِكَ وَمَا رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا إِذْ لَحِقَ بِهِ ابْنُهُ جَنْدَلٌ ، فَرَفَعُ

(١) هو عبيد بن حصين ، ويكنى أبا جندل ، والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفه الإبل وجوده نعتة لياها (٢) هو جرير بن عطية الخطمي أشهر شعراء عصره ، وأصفاهم ديباجة ، عاش عمره كله يناضل الشعراء ويساجلهم ، وكان هجاء مرأ ، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل مات سنة ١١٠ هـ . (٣) الأحوي : الذي يضرب إلى السواد من شدة خضرتة . ومحذوف

كَرْمَانِيَّة^(١) معه ، فضرب بها عَجَزَ بَفْلَتِهِ ، ثم قال : إِنِّي لِأَرَاكَ واقفًا على كلب من
بني كَلْبِ كَأَنَّكَ تَخْشَى مِنْهُ شَرًّا أَوْ تَرْجُو مِنْهُ خَيْرًا !

وضرب البغلة ضربةً فَرَحَتْني^(٢) رَمْحَةً وَقَعَتْ مِنْهَا قَلَنْسُوتِي ، فوالله لو عَرَجَ
على الراعي لقلت : سَفِيهُ غَوَى - يعني جندلاً ابنة - ولكن لا والله ما عَاجَ^(٣)
على ، فأخذتُ قَلَنْسُوتِي فَمَسَحْتَهَا ؟ ثم أَعَدَّتْهَا على رَأْسِي ، ثم سمعتُ الراعيَ قال
لابنه : أما والله لقد طرحتَ قَلَنْسُوتَهُ طَرَحَةً مَشْتُومَةً .

فانصرف جريراً غضبان حتى صلى العشاء بمنزله في عِلِّيَّة^(٤) له ، ثم قال : ارفعوا
إليَّ باطِيَّةً^(٥) من نبيذ وأمرجوا لي . فأمرجوا له ، وأتوه بباطِيَّةٍ من نبيذ .
فجعل يُهَمِّمُ^(٦) ، فسمعتُ صوته عجوز في الدار ، فاطَّلَمْتُ في الدرجة حتى نظرتُ
إليه ، فإذا هو يَجْبُو على الفِراش عُرْيَانًا لما هو فيه ، فأنحدرتُ فقالت : ضيفكم
يَجْنُونَ ! رأيتُ منه كذا وكذا ! فقالوا لها : اذهبي لِطَيْبَتِكَ ، نحن أعلم به وبما
يُمَارِسُ . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ ، ثم إذا هو يكبَّرُ ، قد قالها ثمانين بيتًا
في بني نمير ، فلما ختمها بقوله :

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنْكَ مِنْ مُنْمِيرٍ فَلَ كَعْبًا بَلْفَتْ وَلَا كِلَابًا

كَبَّرَ ، ثم قال : أَخْزَيْتُهُ وَرَبُّ الكَعْبَةِ . ثم أصبح ، حتى إذا عرف أن الناس
قد جلسوا في مجالسهم بالمربد ، وكان يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق ، دعا بدُهْنٍ
فادهن ، وكف^(٧) رأسه - وكان حسن الشعر - ثم قال : يا غلام ؛ أَسْرِجْ لي ،

(١) نوع من السياط (٢) رمحته : رفته (٣) عاج : رجع وعاد (٤) العلية : الفرفة
(٥) الباطية : الناجود ، وهو إناء الحجر (٦) الهمهمة والهيمنة : الصوت الحني (٧) كف
شعره : جمعه وضم أطرافه .

فأُتْرَجَ له حصاناً ثم قصد مجلسهم ، حتى إذا كان بموضع السلام قال : يا غلام -
ولم يسلّم - قل لعبيد^(١) أَبَعَثَكَ نَسوتَكَ تُكْسِبُهُنَّ المَالَ بالعراق ! أما والذي نفس
جبرئيل بيده لترجمنَ إليهنَّ بِمَيْزِرٍ^(٢) يُسَوِّهِنَّ ولا يسرهنَّ !
ثم اندفع فيها فأنشدها ، فنكس الفرزدق وراعى الإبل ، وأرَمَ^(٣) القوم ، حتى
إذا فرغ منها سار ، وثبت راعى الإبل ساعة ، ثم ركب بقلته بِشَرِّهِ وَعَرَّةً^(٤) ،
وخلّى المجلسَ حتى تزقّى إلى منزله الذى ينزله ، ثم قال لأصحابه : رَكَابَكُمْ رَكَابِكُمْ ،
فليس لكم هاهنا مقام ، فَضَحِكُمْ والله جبرئيل فقال له بعض القوم : ذاك شوؤمك
وشوؤم ابنك . ثم رحل بنو نعيم فوجدوا البيتَ قد سَبَقَهُمْ .

(١) هو راعى الإبل (٢) المرة : الطعام يتناره الإنسان ، وقد مار ميراً (٣) أرم القوم :
سكتوا . (٤) أصل البر : الجرب .

٩١ — لا أهجو شاعراً هذا شعره *

هجا الأحوص^(١) رجلاً من الأنصار من بني حرام يقال له ابن بشير ،
وكان كثير المال ؛ فغضب من ذلك ، وخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة ،
وأهدى إليه وألطفه^(٢) فقبل منه ؛ ثم جلسا يتحدثان ، فقال الفرزدق :
من أنت ؟ قال : من الأنصار ؛ قال : ما أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله
عز وجل ، ثم بك من رجل هجاني ؛ قال : قد أبارك الله منه وكفك مؤنته ؛
فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني ؛ فأطرق ساعة ثم قال : أليس
هو الذي يقول :

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما فقد هاج أحزاني وذكرني نعماً
قال : بلى ؛ قال : والله لا أهجو رجلاً هذا شعره .

فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا ، فقدم بها
على جرير ، فأخذها وقال له : ما أقدمك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من
رجل هجاني ؛ فقال : قد أبارك الله عز وجل منه وكفك ، أين أنت عن ابن عمك
الأحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني ؛ فأطرق ساعة ثم قال : أليس هو
الذي يقول :

* الأغاني : ٤ : ٢٦٢

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الأوس ، وكان ميالاً إلى الرضاء ، قليل الروعة والدين
مع ميل إلى هجو الناس ، إلا أنه كان شاعراً ذا ديباجة صافية ، وحلاوة وعدوية ، توفي سنة
١٠٥ هـ (٢) ألطفه : أكرمه وبره بطرف التحف .

تمشى بشتي في أكاريس^(١) مالك تُشيدُ به كالكلب إذ ينبح النجماً
فما أنا بالمخسوس^(٢) في جذم مالك^(٣) ولا بالمسمى ثم يلتزمُ الإسماءَ
ولكن بيتي إن سألت وجدتَه توسط منها العزَّ والحسبَ الضخماً
قال : بلى والله ؛ قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . فاشتري أفضلَ
من تلك الهدايا ، وقدم على الأحوص ، فأهداها إليه وصالحه .

(١) الأكاريس : جمع الكرس . وهو الجماعة من الناس . (٢) رجل مخسوس : مرذول .
(٣) الجذم : الأصل .

٩٢ — جارية *

وفد الكُمَيْت^(١) على يزيد^(٢) بن عبد الملك ، فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له سلامة القس؛ فأدخلت إليه والكميت حاضر ، فقال له : هذه جارية تباع ، أفترى أن نبتاعها؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتنك .

قال : فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك ، فقال :

هي شمسُ النهار في الحسنِ إلّا أنها فضّلت بقتل الظّرافِ^(٣)
غَضَّةٌ بضة رخيمٌ لعُوبٌ وَعَثَّةٌ^(٤) المتن شخّطة^(٥) الأطراف
زانها دلّها وتغرّ نقيٌّ وحديثٌ مرّتلٌ غيرُ جافِ
خلقتُ فوقَ منيةِ المتنيِّ فاقبل النصحَ يا بن عبد منافِ

فضحك يزيد وقال : قد قبلنا نصحك ومشورتك وأمر له بمجازة سنية .

* مهذب الأغاني : ٥ - ٢٠٧

- (١) هو الكميت بن زيد الأسدي ، كان شاعرا عالما بلغات العرب ؛ خبيرا بآياتها ، من شعراء مضر المتصيين على الين ، وكان مشهوراً بالتشيع لبني هاشم ، توفي سنة ١٢٦ هـ .
(٢) من ملوك الدولة الأموية في الشام ، تولى الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ ، ولم يطل عهده إذ توفي سنة ١٠٥ هـ .
(٣) الظراف : جمع ظريف . (٤) امرأة وعثة : كثيرة اللحم ، كأن الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . وامرأة وعثة الأرداف : ليتها . (٥) الشخت : الدقيق الضامر من الأصل لا هزالا .

٩٣ — فَضَحْتُ شَيْخًا مِنْ قَرِيْشٍ وَعَدَّ بَنِيَّ! *

حدّث مُصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب ^(١) الخزومي في ليلة بعد ما رقدَ السامر ^(٢) فأشرفتُ عليه ، وقلت : هل من حاجة ؟ فقال : سهرتُ الليلة فذكرتُ أخًا لي أستمعُ به ، فلم أجد أحدًا سواك ! فلو مضينا إلى العقيق ^(٣) ففتناشدنا وتحدّثنا ! قلت : نعم ! فنزلتُ ؛ فما زال في حديث إلى أن أنشدته في بعض ذلك بيتين للعرجي :

بَاتًا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ حَتَّى بَدَأَ صَبِيحٌ تُلَوِّحُ ^(٤) كَالَأَغْرَالِ الشَّقَرِ
فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعَسِّرِ

فقال : أعده علي ! فأعدته ! فقال : أحسن والله ، امرأته طالق إن نطق بحرفٍ غيره حتى يرجعَ إلى بيته .

فضينا فلقينا عبد الله بن حسن ، فلما صرنا إليه وقف بنا ، وهو منصرف يريد المدينة ، فسلم ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :

فَتَلَازَمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمُعَسِّرِ

* الأغاني : ١ : ٣٩٨ ، ذيل زهر الآداب : ٣٨

(١) اسمه عبد الله ، وكان أشراف المدينة يقدمونه ويعظمونه لشرف منصبه وحلاوة طريبه ، وغزارة أدبه ، وجده يكنى أبا السائب أيضاً ، وكان خليصاً للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الإسلام فكان النبي إذا ذكره يقول : نعم الخليص كان أبو السائب لا يدار ، ولا يمارى (٢) انسامر : السامر ، وهم القوم يسمرون ، والسمر : حديث الليل (٣) العقيق : موضع بالمدينة .
(٤) تلوح : بان ووضح .

فالتفت إلى وقال : متى أنكرت عقلَ صاحبك ؟ قلت : منذ الليلة ! قال :
إنا لله ! أي كهلٍ أُصِبت به قريش !

ثم مَصَيْنَا فَلَقِينَا مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرَانَ التَّمِيمِيَّ ، قَاضِيَّ الْمَدِينَةِ ، يَرِيدُ مَالاً عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ ،
وَكَانَ أَثْقَلَ النَّاسِ جِسْمًا ، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ عَلَى عُنُقِهِ مَخْلَاةٌ فِيهَا قَيْدُ الْبَغْلَةِ ، فَسَلِمَ عَلَيْهِ ،
ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا السَّائِبِ ؟ فَقَالَ :

فَتَلَازِمَا عِنْدَ الْفِرَاقِ صِبَابَةً أَخَذَ الْغُرَيْمُ بِفَضْلِ ثَوْبِ الْمَعْسَرِ

فالتفت إلى وقال : متى أنكرت عقلَ صاحبك ؟ قلت : آنفًا ! فتركتني
وانصرف ، فقلت : أَفَتَدَعُهُ هَكَذَا ! ؟ مَا أَمْنُ أَنْ يَتَهَوَّرَ^(١) فِي بَعْضِ آبَارِ الْعَقِيقِ ؛
قال : صدقت ! يا غلام ؛ هات قيد البغلة ، فوضعه في رجله ، وهو ينشدُ البيت
ويشير بيديه إليه ، يُرِي أَنَّهُ يَفْهَمُ عَنْهُ قِصَّتَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ الشَّيْخُ عَنِ الْبَغْلَةِ ، وَقَالَ :
يا غلام ؛ احمله على بغلتي ، وألحقه بأهله .

فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته الخبر ، فضحك وقال : قَبَّحَكَ اللَّهُ
مَا جِئْنَا ! فَضَحَّتْ شَيْخًا مِنْ قُرَيْشٍ ، وَعَذَّبْتَنِي وَأَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أُنْحَرَكَ !

(١) يتهور : يسقط .

٩٤ — في دار هشام بن عبد الملك *

قال حماد^(١) الراوية : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك . فكان هشام^(٢) يَجْفُونِي لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد . فلما مات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خِفْتُهُ ، فكنت في بيتي سنة لا أخرجُ إلا لمن أئقُّ به من إخواني سرًّا .

فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنتُ فخرجتُ فصليتُ الجمعة ، ثم جلستُ فإذا شُرَطيَّان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حماد ؛ أجب الأمير يوسف بن عمر^(٣) . قلت في نفسي : من هذا كنتُ أخذر ، ثم قلت للشُرَطيَّين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ، ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلمتُ في أيديهما وصرتُ إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر^(٤) . فسلمتُ عليه فرد عليّ السلام ، ورمى إليّ كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مُروَّع ولا مُتَمَتِّع^(٥) ، وادفع إليه

* ثمرات الأوراق : ١ : ١١٢ ، الأغاني : ٦ : ٧٥

(١) هو حماد بن ميسرة ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتهما ، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره ، فيسألونه ويمجزلون صلته (٢) انظر صفحة ٤٥
(٣) لم يكن يوسف بن عمر والياً على العراق بعد ولاية هشام بسنة ، وإنما كان الوالي عليها خالد القسري حتى سنة ١٢٠ هـ . ثم ولي يوسف بعده . (٤) الإيوان : البيت بيني طولاً
(٥) غير متمتع : من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزججه .

خمسائة دينار وجملًا مَهْرِيًّا^(١) يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دِمَشق .
فأخذت الخمسائة الدينار ونظرت فإذا جمل مَرْحُول^(٢) ، فوضعتُ رجلي في
العَرَز^(٣) وسِرتُ اثنتي عشرة ليلة ، حتى وافيت بابَ هِشام ، فاستأذنتُ فَأُذِنَ لِي ،
فدخلتُ عليه في دار قَوْرَاءَ^(٤) مفروشةٍ بالرُّخام ، وهو في مجلس مفروش بالرُّخام ،
وبين كل رُخَامَتَيْنِ قضيبُ ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشامُ جالسٌ على طِنْفِسَةٍ
حمرء ، وعليه ثياب خَزَّ حُمْر ، وقد تَضَمَّخَ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك
مفتوت في أواني ذهب يُقَلِّبُه بيده فتفوحُ روائحُه ، فسَلَّمْتُ فرد عليّ ، واستدناني
فدنوت حتى قَبَلْتُ رِجْلَه ، وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلَهما ، في أُذُنِي كلٌّ واحدة
منهما حَلْقَتان من ذهب ، فيهما لؤلؤتان تتوقدان .

فقال لي : كيف أنت يا حَمَّاد ؟ وكيف حالُك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ؛
قال : أندري فيم بعثتُ إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثتُ إليك لبيتِ خطر بيالي لم
أُذِرْ مَنْ قاله . قلت : وما هو ؟ فقال :

فَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِزْبِيقُ

قلت : هذا يقوله عَدِيٌّ بن زيد في قصيدةٍ له . قال فَأَنشِدْنِيهَا ، فَأَنشَدْتُهُ :
بَكَرَ العاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ يَقُولُونَ لِي : أَلَا تَسْتَفِيقُ
ويلومون فيكِ يَا بِنْتَةَ عبد الله والقلبُ عندكم موهوقُ^(٥)
لستُ أُدْرِي إِذَا كَثُرُوا العَدْلَ عِنْدِي أَعْدُوْهُ يَلُمْنِي أَمْ صَدِيقُ

(١) مهرة بن حيدان : أبو قبيلة ، وهم حنظلية ، وإبل مَهْرِيَّة : منسوبة لإيهام (٢) مرحول :
عليه الرحل - (٣) العرز : ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب
(٤) دار قوراء : واسمة (٥) اللوهوق : المشدود بالوهق ، وهو الجبل .

زانها حسنُها وفرعٌ عميمٌ وأنيثٌ صلتُ الجبينِ أنيقُ (١)
وثنايَا مفلجَاتٌ عِذَابٌ لا قِصَارَ تُرَى ولا هُنَّ رُوقُ (٢)
فدعوا بالصَّبِّ يومًا فجاءتُ قَيْنَةٌ في يمينِها إبريقُ
قدَّمته على عُقَارِ كعينِ الديكِ صَنَى سلافَها الرَّاؤوقُ (٣)
مُرَّةٌ قبلَ مَزَجِها، فإذا ما مُزجتُ لذَّ طعمُها منْ يَدُوقُ
وطفتُ فوقَها فقايعُ كالدِّ رَّ صِغَارُ يُشِيرُها التَّصْفِيقُ
ثم كانَ المزاجُ ماءً سماءٍ غيرَ ما آجِنٍ ولا مَطْرُوقِ

فطرب ، ثم قال : أحسنتَ والله يا حماد . يا جارية ؛ اسقيه . فسقتني
شربة ذهبت بنكث عَقْلِي . وقال : أَعِد . فأعدتُ فاستخفَّه الطرب ، حتى نزل
عن فرشه .

ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه . فسقتني شربة ذهبت بنكث : عَقْلِي . فقلت
إن سقتني الثالثة افتضححت . فقال : سَلْ حوائجك . فقلت : كائنة ما كانت ؟
قال : نعم . قلت : إحدى الحاريتين ، فقال لي : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما .
ثم قال للأولى : اسقيه . فسقتني شربة سقطت معها فلم أعقل حتى أصبحتُ فإذا
بالجارتين عند رأسي وإذا عِدَّة من الخدم مع كلِّ واحدٍ منهم بَدْرَةٌ ؛ فقال لي
أحدهم : أميرُ المؤمنين يَقْرَأُ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها .
فأخذتها والجارتين وانصرفت .

(١) الفرع : الشعر ، والأنيث الكثير ، يطلق على الشعر وعلى البدن المتلىء باللحم ، وهو
المراد هنا والصلت : الواضح (٢) روق : طوال (٣) الراووق : ناجود الشراب الذي
يزوق فيه .

٩٥ - هروب الكميته *

كان حكيمُ بن عُبَّاسِ الأَعورِ الكَلْبِيِّ وَاعِماً بهجاءٍ مُضِرٍّ ، فكانت شعراءُ
مُضِرٌّ تهجوه ويُجيبهم ، وكان الكَمَيْتُ يقول : هو والله أشعُرُ منكم ، قالوا :
فأجِبِ الرجلُ ؛ قال : إن خالدَ بن عبد الله القَسْرِيَّ مُحسِنٌ إِلَيَّ ، فلا أقدرُ أن
أرُدَّ عليه . قالوا : فاسمعْ بأذُنِكَ ما يقول في بناتِ عمك وبناتِ خالك من الهجاءِ ،
وأنشدوه ذلك ؛ فحَمَى الكَمَيْتُ لعشيرته ، وقال قصيدة هجاء فيها أهلَ الهمين ، وبلغ
خالدًا خبرها فقال : لا أبالي ما لم يَجْرِ لعشيرتي ذِكْرٌ ، فأنشدوه القصيدةَ وفيها ذمٌّ
لعشيرةِ خالد ، فأحفظته^(١) عليه ، ثم قال : فَعَلِمَا ، والله لأقتلنه !

ثم اشترى ثلاثين جارية بأعلى ثمن ، وتخيَّرهن نهايةً في حُسْنِ الوجوه والكمالِ
والأدب ، فرواهن الهاشميات ودَسَّهن مع نخاسٍ إلى هشامِ بن عبد الملك ، فاشتراهنَ
جميعاً ، فلما أنسَ بهنَّ استنطقهنَّ ، فرأى فصاحةً وأدباً ، فاستقرأهن القرآنَ
فقرأنَ . واستنشدهن الشعرَ فأنشدته قصائد الكميته الهاشميات ، فقال :
ويلكن ! مَنْ قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميته بن زيد الأسدي ، قال : وفي أي
بلد هو ؟ قلن : في العراق ، ثم بالكوفة .

فكتب إلى خالد - وهو عامله على العراق : ابعث إلى برأس الكميته بن
زيد ، فبعث خالد إلى الكميته في الليل ، فأخذه وأودعه السجن ؛ ولما كان من

(١) الأعيان : ١٥ : ١١٠

(٢) أحفظته : أغضبته .

الغد أقرأ من حضره من مضر كتاب هشام ، واعتذر إليهم من قتله ، وأذنهم في إنفاذ الأمر فيه في غد .

ثم قال لأبان بن الوليد البجلي - وكان صديقاً للكُميت : انظر ماورد في صديقك ، فقال : عزّ عليّ والله ذلك .

ثم قام أبان فبعث إلى الكُميت بغلام على بغل وقال له : أنت حرٌّ إن لحقته والبغل لك ، وكتب إليه : « قد بلغني ماصرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعث إلى حُبِّي^(١) ، فإذا دخلت إليك تنقبت بنقابها ، ولبست ثيابها وخرجت ، فإني أرجو ألا يُؤوبه لك » .

فأرسل الكُميت إلى أبي وضاح حبيب بن بديل وإلى فتيان من بني عمه فدخل عليه حبيب ، فأخبره الخبر ، وشاوره فيه ، فسدد رأيه .

ثم بعث إلى حُبِّي امرأته ، فقصص عليها القصة وقال لها : أي ابنة عم ، إن الرأى لا يقدم عليك ، ولا يُسلمك قومك ، ولو خفته عليك لما عرّضتُك له ؛ فألبسته ثيابها وإزارها وخرّته ، وقالت له : أقبل وأدير ، ففعل ، فقالت : ما أنكر منك شيئاً إلا يبسا في كتفك ، فاخرج على اسم الله - وأخرجت معه جارية لها - فخرج وعلى ياب السجن أبو وضاح ومعه فتيان من بني أسد ، فلم يُؤوبه له ، ومشى والفتيان بين يديه ، فمرّ بمجلس من مجالس بني تميم ؛ فقال بعضهم : رجلٌ وربُّ الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبو وضاح : يا كذا وكذا ، لا أراك تتبع هذه المرأة منذ منذ اليوم ! وأوماً إليه بنعله ، فولى العبد مُدبراً وأدخله أبو وضاح منزله .

(١) حبي بنت نكيف : زوج الكُميت ، وكانت ممن يتشيع .

ولما طال على السجّان الأمر نادى الكميت فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : وراءك ! لا أم لك ! فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد ، فأخبره الخبر ؛ فأحضر حُبي ، وقال لها : يا عدوّ الله ! احتلتِ على أمير المؤمنين ، وأخرجت عدوّه ! الأمثلن بك ، ولأصنمن ولأفعلن ! فاجتمعت بنو أسد وقالوا : ماسبيك على امرأة منّا خدعت ! فخافهم ، وختلى سبيلها .

قال الراوى : وسقط غرابٌ على الحائط فنعب^(١) ، فقال الكميت لأبي وضاح : إني لمأخوذ ، وإن حائطك لساقط . فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله . فقال له : لا بدّ من أن تحوّلنى^(٢) فخرج به إلى بنى علقمة - وكانوا يتشيّعون - فأقام فيهم ، ولم يُصبح حتى سقط الحائط الذى وقع عليه الغراب .

وأقام الكميت مدةً متوارياً حتى إذا أيقن أن الطلب قد خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بنى أسد على خوفٍ ووجل ، وكان عالماً بالنجوم مهتدياً ، فلما صار سحيراً صاح بالفتيان هوّموا^(٣) وقام هو يصلى . ثم رأى واحد منهم شخصاً ، فتضعّض^(٤) له ، فقال الكميت : مالك ؟ قال : أرى شيئاً مقبلاً ، فنظر إليه فقال : هو ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية ، فأطعموه يدَ جزور فتعرّقها^(٥) ، ثم أهووا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، وارتحلوا ، فجعل الذئب يعوى ، فقال الكميت : ماله ؟ ويله ! ألم نطعمه ونسقيه ؟ وما أعرفنى بما يريد ؛ هو يعلمنا أننا لسنا على الطريق ، تيامنوا يافتيان ، فتيامنوا . فسكن عواؤه !

(١) نعب : صاح (٢) تحوّل عنه : زال إلى غيره (٣) أصل التهويم والتهوم : هز الرأس من النعاس (٤) تضعض : خضع وذل (٥) تعرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .

ولم يزل يسير حتى جاء إلى الشام ، وتوارى في بني أسد وتميم ، وأرسل إلى أشراف قريش - وكان سيدهم يومئذ عَنبَسَةَ بن سعيد بن العاص - فمشت رجال قريش بعضها إلى بعض ، وأتوا عَنبَسَةَ ، فقالوا : يا أبا خالد ؛ هذه مَكْرُمَةٌ قد أتاك الله بها ؛ هذا الكُمَيْتُ بن زيد لسانُ مضر ، كتب أميرُ المؤمنين في قتله ، فنجنا حتى تخلص إليك وإلينا .

قال : فرؤوه أن يعودَ بقبر معاوية بن هشام ؛ فمضى الكُمَيْتُ ، فضرب فُسْطاطه عند قبره ، ومضى عَنبَسَةَ ، فأتى مَسْلَمَةَ بن هشام فقال له : يا أبا شاكر ؛ مَكْرُمَةٌ أتيتك بها تبلغُ الثَّرِيًّا إن اعتقدتها^(١) ، فإن علمت أنك تفي بها وإلا كتمتها . قال : وما هي ؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحك بما لم يُسمع بمثله ، فقال : على خِلاصه .

ودخل على أبيه هشام في غير وقت دخول - فقال له هشام : أجمت حاجة ؟ قال : نعم ، قال : هي مَقْضِيَةٌ إلا أن يكون الكُمَيْتُ ، فقال : ما أحبُّ أن تستنني عليَّ في حاجتي ، وما أنا والكُمَيْتُ ، فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كائناً ما كانت . قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قُطْرَيْهَا^(٢) ؛ قال : هي الكُمَيْتُ يا أمير المؤمنين ! وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمانى ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولاً لم يُقَلِّ مثله ، قال : قد أمنتته وأجزتُ أمانك له ، فاجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا .

(١) اعتقدت مالا وضيمه : افتتاها .

(٢) القطر : الجانب والناحية .

فقد له ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سُمع بمنثلها قط ، وامتدحه بقصيدته الرائية ،
فضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليك من الوقوف بها وإنك غير صاغر
دَرَجَتْ عليها العاديات الرأحات من الأعاصر^(١)
إلى أن قال :

فالآن صرتُ إلى أمية والأمرُ إلى المصاير

وجعل هشامٌ يغمز مسلة بقضيبٍ في يده ، فيقول : اسمع ، اسمع ، ثم استأذنه
في مرثية معاوية ، فأذن له ، فأنشده قوله :

سأبكيك للدين وللدين إنني رأيتُ يدَ المعروف بعدك شكَّت
فدامت عليك بالسلام تحية ملائكة الله الكرام وصلت

فبكى هشام بكاءً شديداً ، فوثب الحاجب فسكته ، ثم جاء الكميت إلى منزله
آمناً ، فغشدت له المضربة بالهدايا ، وأمر له مسلة بعشرين ألف درهم ، وأمر له
هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته ، وأنه لا سلطان
له عليهم ، وجمعت له بنو أمية مالا كثيراً .

ولم يُجمع من قصيدته تلك يومئذ إلا ما حفظه الناس منها ، وسئل عنها ، فقال :
ما أحفظ منها شيئاً ، إنما هو كلام ارتجلته .

(١) الأعاصر : الأعاصير .

٩٦ — وشاية *

كان الوليد^(١) بن يزيد يُكْرَمُ طَرْيْحًا^(٢)، وكانت له منه منزلةٌ قريبة ومكانة، وكان يُدْنِي مجلسه، وجعله أولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ، ولم يكن يُصدِرُ إلا عن رأيه. فاستفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه، فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد، وقدم حمادُ الراوية على التفتنة^(٣) الشام، فشكروا ذلك إليه، وقالوا: والله لقد ذهب طَرْيْحٌ بالأمير، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار؛ فقال حماد: ائتوني من يُنشد الأمير بيتين من شعر؛ فأستقَطَ منزلته.

فطلبوا إلى الخادم الذي كان يقومُ على رأس الوليد، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنشدَها الأمير في خلوة. فإذا سأله من قولٍ من هذا؟ قال: من قولِ طَرْيْحٍ، فأجابهم الغلام إلى ذلك وعلموه البيتين.

فلما كان ذات يوم دخل طَرْيْحٌ على الوليد، وفتّح الباب وأذن للناس؛ فجلسوا طويلاً، ثم نهضوا، وبقي طريح مع الوليد وهو وليُّ عهدٍ ثم دعا بفدائه فتفدّياً جميعاً.

* الأغانى: ٣ : ٣١٢

(١) كان الوليد قبل أن يبل الخلافة من فتيان بني أمية وطرقاتهم وشعرائهم، ولما ولي الخلافة انهمك في اللهو والشراب وسماع الفناء، مات مقتولاً سنة ١٢٦ هـ. (٢) هو طريح بن إسماعيل الثقفي، نشأ في دولة بني أمية، واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي سنة ١٦٥ هـ. (٣) التفتنة: الحين والزمان.

ثم إن طريحا خرج وركب إلى منزله ، وترك الوليدَ في مجلسه ليس معه أحد .
فاستلقى على فراشه ، واغتم الغلامُ خلوته ؛ فاندفع ينشد :

سِيرِي رِكَابِي إِلَى مَنْ تَسْعِدِينَ بِهِ قَدِ اقْتَدَى بَدَارُ الْمُونِ مَا صَلَحَا
سِيرِي إِلَى سَيِّدِ مَنَّمَحٍ خَلَاتِقُهُ ضَخْمِ الدَّسِيعَةِ^(١) فَرَمٍ يَحْمِلُ المِدْحَا^(٢)
فَأَصْفَى الْوَلِيدَ إِلَى الْغَلَامِ بِسَمْعِهِ . وَأَعَادَ الْغَلَامُ غَيْرَ مَرَّةٍ . ثُمَّ قَالَ الْوَلِيدُ وَيْحَكَ
يَا غَلَامَ ! مِنْ قَوْلِ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : مِنْ قَوْلِ طَرِيحٍ .

فغضب الوليد حتى امتلأ غيظاً ، ثم قال : والهفا على أمِّ لم تلذني ا قد جعلته
أولَ داخلٍ وآخر خارجٍ ، ثم يزعم أن هشاماً يحمل المدح ؛ ولا أحملها .
ثم قال : عليّ بالحاجب ، فإناه . فقال : لا أعلم أنك أذنتَ لطريح ؛ فإن
حاورك في ذلك فاخطفه بالسيف .

فلما كان بالعشيّ وصُلِّيتِ العَصْرُ جاء طريحٌ للساعة التي كان يؤذّنُ له فيها ؛
فدنا من الباب ليدخل ؛ فقال له الحاجب : وراءك ا فقال : مالك ا هل دخل علي
وليُّ العهد أحدٌ بعدى . قال : لا ! ولكن ساعةً وليتَ من عنده دعاني فأمرني
ألا آذن لك ، وإن حاورتني في ذلك خطفتك بالسيف .

فقال : لك عشرة آلاف وأذن لي في الدخول عليه . فقال له الحاجب :
والله لو أعطيتني خراج العراق ما أذنتُ لك في ذلك ، وليس لك من خير في
الدخول عليه فارجع . قال : ويحك ا هل تعلمُ من دهاني عنده ؟ قال الحاجب :

(١) الدسيعة : العطية ، والقرم : السيد . (٢) يحمل المدح : يدخرها ويمرّفها ويكافئُ عليها
من قوله تعالى : « وكأين من دابةٍ لا تحمل رزقها » .

لا والله، والله لقد دخلتُ عليه وما عنده أحد، ولكن الله يحدث ما يشاء في الليل والنهار .

فرجع طريحاً ، وأقام بباب الوليد سنة لا يَخْلُصُ إليه^(١) ، ولا يقدر على الدخول عليه ، وأراد الرجوع إلى بلده وقومه . فقال : والله إن هذا لعجزُ بي أن أرجعَ من غير أن ألقى وليَّ العهد ، فأعلمَ مَنْ دهاني عنده ؛ ورأى أناساً كانوا له أعداء قد فرحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدثونه ، ويصدُرُ عن رأيهم ، فلم يزل يَلُطْفُ بالحاجب ويمنيهِ حتى قال له الحاجب : أما إذ أَطَلَّتَ المقامَ فإني أكره أن تنصرفَ على حالك هذه ، ولكنَّ الأميرَ ، إذا كان يوم كذا وكذا ، دخل الحمامَ ثم أمر بسريره فأبرزَ ، وليس عليه يومئذ حجابٌ ، فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك ؛ فتكون قد دخلتَ عليه وظفرتَ بحاجتك ، وأكون أنا على حال عذر .

فلما كان ذلك اليوم دخلَ الأميرُ الحمامَ وأمر بسريره فأبرزَ ، وجلس عليه ، وأذن للناس ؛ فدخلوا عليه ، والوليد ينظر إلى مَنْ أقبل . وبعث الحاجب إلى طريحٍ فأقبل وقد تتأمَّ الناس ؛ فلما نظر الوليد إليه من بعيد صرف عنه وجهه ، واستحياً أن يردَّه من بيت الناس ؛ فدنا فسلم فلم يرد عليه السلام ؛ فقال طريح يستعطفه ويتضرع إليه :

نام الخليلي من الهموم وبات لي ليلاً كأبدٍ وهمٌ مُضِلِّعٌ^(٢)
جزعاً لمعتبة الوليد ولم أكن من قبل ذلك من الحوادث أجزعُ

(١) لا يخلص إليه : لا يصل إليه . (٢) مضلع : منقل .

يا بن الخلائف إن سخطك لا مري
فلا تزعن^(١) عن الذي لم تهوه
أنسيت عصمته بلاء مفضب مع
إن كان لي - ورأيت ذلك منزع
فأعطف فذاك أبي علي توسعاً
وفضيلة فعلى الفصيحة نلتع
فلقد كفاك وزاد ما قد نالني
إن كنت لي ببلاء ضرر^(٢) تقنع^(٣)
فقرّبه وأدناه وضحك إليه وعاد إلى ما كان عليه .

(١) نزع عن الشيء من باب جلس : انتهى . (٢) القصيدة في الأغانى صفحة ٣١٥ ج ٤ .

٩٧ - أشعب يبلغ رسالة*

بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب^(١) بعد ما طلق امرأته سعدة ، فقال له :
يا أشعب ؛ لك عندي عشرة آلاف درهم ، على أن تُبَلِّغَ رسالتي سعدة ، فقال له :
أحضر المال أنظر إليه ، فأحضر الوليدُ بَدْرَةَ^(٢) ، فوضعها أشعب على عنقه ، وقال :
هات رسالتك ، قال : قل لها يقول لك :

أسعدة هل إليك لناسيلٌ ؟ وهل حتى القيامة من تلاق ؟
بلى ! ولعل دهرأ أن يؤاتي بموت من حليلك أو طلاقِ
فأصبحَ شامتاً وتقرَّ عيني ويُجمعَ شملنا بعد افتراقِ

فأتى أشعب الباب ، فأخبرتْ بمسكانه ، فأمرت ففرش لها فرش ، وجلست
وأذنت له ، وكان نساء المدينة لا يحتجبنَ عنه ، فدخل فأنشدها ، فلما أنشأ البيت
الأول :

أسعدة هل إليك لناسيلٌ ؟ وهل حتى القيامة من تلاق ؟
قالت : لا والله ، لا يكونُ ذلك أبداً ، فلما أنشد البيت الثاني :

بلى ! ولعل دهرأ أن يؤاتي بموت من حليلك أو طلاقِ
قالت : كلاً إن شاء الله ، بل يفعل الله ذلك به ، فلما أنشد البيت الثالث :

* المقد الفريد : ٣ : ١٨١ ، الأغاني : ٧ : ٢٧ ، نهاية الارب : ٤ - ٤١
(١) هو أشعب بن جبير ، من طرفاء أهل المدينة ، كان مولى لـ الله بن الزبير ، وكان يجيد
الفناء وضرب المثل بطمعه ، عمر طويلاً ، وتوفى سنة ١٥٤ هـ . (٢) البدره : كيس فيه
عشرة آلاف درهم .

فأصبحَ شامتاً وتقرَّ عيني ويُجمعَ شملنا بعد افتراقِ
قالت : بل تكونَ الشماتةُ به . ثم قالت لخدمها : خذوا الفاسق ، فقال :
ياسيدي ؛ إنها عشرة آلاف درهم ، قالت : والله لأقتلنك أو تبلغه كما بلغتني ، قال :
وما تهبِّينَ لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ، قال : قومي عنه ، فقامت ، فطواه ، ثم
قال : هاتي رسالتك ، جعلتُ فذاك ، قالت : قل له :

أتبكي على بُني وأنت تركتها فقد ذهبت بُني ؛ فما أنتَ صانع ؟
فأقبل أشعب حتى دخل على الوليد ، فأنشده البيت ، فقال : قَتَلْتَنِي وَاللَّهِ ؛
فما تراني صانعاً بك ؟

اخترَ إما أن أدليكَ مُنكسّاً في بئر ، أو أرمي بك من فوق القصر منكسّاً ،
أو أضربَ رأسك بعمودي هذا ضربةً !

قال له : ما كنتَ فاعلا بي شيئاً من ذلك ! قال : ولم ؟ قال : لأنك لم تكن
لتعذب عينيْن قد نظرتا إلى سعدة .
قال : صدقت !

٩٨ — رُعْتَنِي رَاعِكَ اللَّهُ *

غَدَى أَشْعَبُ جَدِيًّا بِلْبَنِ أُمِّهِ وَغَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ غَايَةً ، ثُمَّ قَالَ لَزَوْجَتِهِ : إِنِّي أَحَبُّ أَنْ تُرْضِعِيهِ بِلَبِّنِكَ ، فَفَعَلْتَ .

ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : تَاللَّهِ إِنَّهُ لَابْنِي ، رَضِعَ بِلْبَنِ زَوْجَتِي ، قَدْ حَبَّبْتُكَ بِهِ ، وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَسْتَأْهِلُهُ ^(١) سِوَاكَ . فَنَظَرَ إِسْمَاعِيلُ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ فَذُبِحَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ أَشْعَبُ وَقَالَ : الْمَكَافَاةُ . فَقَالَ : مَا عِنْدِي وَاللَّهِ الْيَوْمَ شَيْءٌ ، وَنَحْنُ مَنْ نَعْرِفُ ، وَذَلِكَ غَيْرُ فَائِتِكَ .

فَلَمَّا يَبَسَ أَشْعَبُ مِنْهُ قَامَ مِنْ عِنْدِهِ ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِيهِ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَشَهَقَ حَتَّى التَّقَّتْ أَضْلَاعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَخْلِنِي ، قَالَ : مَا مَعْنَى أَحَدٍ يَسْمَعُ ، وَلَا عَلَيْكَ عَيْنٌ ، قَالَ : وَثَبَ ابْنُكَ إِسْمَاعِيلُ عَلَى ابْنِي فَذَبَحَهُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ؛ فَارْتَاعَ جَعْفَرُ وَصَاحَ ، وَيْلَكَ ! وَفِيمَ ؟ وَتَرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : أُمَّمَا أُرِيدُ ، فَوَاللَّهِ مَا لِي فِي إِسْمَاعِيلَ حِيلَةٌ وَلَا يَسْمَعُ هَذَا سَامِعٌ أَبَدًا بِمَدِكَ .

فَجَزَاهُ خَيْرًا ، وَأَدْخَلَهُ مَنْزِلَهُ ، وَأَخْرَجَ إِلَيْهِ مَائَتِي دِينَارٍ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ وَلَكِ عِنْدَنَا مَا تَحِبُّ .

وَخَرَجَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ مَا يَطُأُ عَلَيْهِ ، فِإِذَا بِهِ مُسْتَرْسِلٌ فِي مَجْلِسِهِ ، فَلَمَّا رَأَى إِسْمَاعِيلَ وَجَّهَ أَبِيهِ أَنْكَرَهُ ، وَقَامَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا إِسْمَاعِيلُ ؛ فَعَلْتَهَا بِأَشْعَبِ ! قَتَلْتَ وَلَدَهُ ؟ فَاسْتَضْحَكَ ، وَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ ، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ ؛ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ .

* نهاية الأرب : ٤ - ٢٨

(١) يستأهله : يستحقه .

فكان جعفر يقول لأشعب : رُعِنْتِي رَاعِكَ اللهُ ! فيقول : روعةُ ابنك بنا في
الجدِّي أكثرُ من روعتك بالمائتي دينار .

٩٩ — كادت تموت فرحاً *

قال أشعب : تعلقتُ بأستارِ الكعبة ، فقلت : اللهم أذهبْ مني الحِرْصَ
والطلبَ إلى الناس ، فررتْ بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحداً شيئاً ، فجئتُ إلى
أمي ، فقالت : مالك قد جئتَ خائباً ؟ فأخبرتها بذلك فقالت : والله لا تدخلُ حتى
ترجعَ فَتَسْتَقِيلَ ^(١) ربك ! فرجعت ، فجعلتُ أقول : ياربِّ أُمَّلِنِي ، ثم رجعت ،
فامررتُ بمجلسٍ لقريش ولا غيرهم إلا أعطوني !
ووهب لي غلام ؛ فجئتُ إلى أمي بجمالٍ موقرةٍ ^(٢) من كل شيء ، فقالت :
ما هذا الغلام ! فخفتُ أن أخبرها فتموت فرحاً إن قلت : وهبوه لي ، فقالت :
أي شيء هذا ؟ فقلت : عين ، قالت : أي شيء ! قلت : لام ، قالت : أي شيء ؟
قلت : ميم ، قالت : أي ميم ؟ قلت : غلام ؛ ففشي عليها ، ولو لم أقطع الحروف
لمانت فرحاً .

* نهاية الأرب : ٤ : ٢٨

(١) تطلب منه الإقالة : المفو . (٢) موقرة : عملة .

١٠٠ - هلم إلىّ حتى أكَفِكَ *

قال ابن زَبَّج: كان أبان بن عثمان من أَهْزَلِ الناس، فبينما نحن ذاتَ يوم عنده، وعنده أَشْعَبُ، إِذ أَقْبَلَ أعرابيٌّ، معه جمل أَشْقَرُ أَزْرَقُ أَزْعَرُ^(١) يَتَلْظَى^(٢) كأنه أفعى، والشَّرُّ بَيْنَ نِي وَجْهه، ما يدنو منه أَحَدٌ إِلا شتمه ونهره، فقال أبان: ادعوه لى، فدعوه له، وقيل: إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك؛ فاتاه فسلم عليه، فسأله أبان بن عثمان عن نسبه فانْتَسَبَ له، فقال له أبان: حيّاك الله يا خال؛ اجلس، فجلس.

فقال له: إني أطلبُ جملاً مثلَ جَمَلِكَ هذا منذُ زمان فلم أجده كما أَشْتَهِي بهذه الصفة وهذه الهامة والصورة والورك والأخفاف، والحمد لله الذى جعل ظفري به عند من أُجِبُّه، أَتَبِيْعُنِيه؟ فقال: نعم أيها الأمير! قال: فإني قد بذلتُ لك به مائة دينار؛ فطمع الأعرابيُّ وسرَّ وانفتح، وبان الطمعُ في وجهه.

فأقبل أبانُ على أشعب، ثم قال له: ويحك يا أشعب! إن خالى هذا من أَهْلِكَ وَأَقَارِبِكَ - يعنى فى الطمع - فأوسِعْ له ممّا عندك، فقال: نعم! بأبى أنتِ وزيادة! فقال له أبان: ياخال؛ إنما زدتك فى الثمن على بصيرة أن الجملَ يساوى ستين ديناراً، ولكنى بذلتُ لك مائة دينار لقلّة النّقد عندنا، وإني معطيك

* نهاية الأرب: ٤ : ٣٤

(١) الزعارة: الشراسة وسوء الخلق. (٢) يتلظى: يتقد من شدة الغضب.

عروضاً^(١) تساوى مائة دينار .

فزاد طمعُ الأعرابي ، وقال : قد قبِلت ذلك أيها الأمير ! وأسرَّ أبان إلى أشعب ؛ فأخرج شيئاً مغطىً ، فقال له : أخرج ما جئتَ به ، فأخرج عمامةً باليةً تساوى أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب ، فقال : عمامةُ الأمير يشهدُ فيها الأعياد والجُمع ويأقَى فيها الخلفاء ! خمسون ديناراً ، قال : ضَعها بين يديه .

قال ابن زَبَّج : فقال لى : أثبت قيمتها ؛ فكتبت ذلك ، ووَضعت العمامة بين يدي الأعرابي ، فكادَ يدخلُ بعضُهُ في بعض غيظاً ، ولم يقدر على الكلام .

قال أبان : هاتِ قلنسوتي ، فأخرج أشعب قلنسوةً طويلةً باليةً قد علاها الوسخ والدَّهن وتخرقت ، تساوى نصفَ درهم قال : قوم ، فقال : قلنسوةُ الأمير تَعْلُو هامته ، ويصلى فيها الصلواتِ الخمس ، ويجلسُ فيها للحُكْم ! ثلاثون ديناراً ، قال لى : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووَضعت القلنسوة بين يدي الأعرابي ؛ فأربدَّ وجهه ، وجَحَظتْ^(٢) عيناه ، وهمَّ بالوثوب ، ثم تماسك .

ثم قال لأشعب : هاتِ ما عندك ! فأخرج حُفَيْنِ خَلَقَيْنِ قد نُقِيا وتقرسا وتفتتا فقال : قوم ، فقال : خُفا الأمير يَطأُ بهما الرِّوضة ويعلو بهما منبر النبي صلى الله عليه وسلم ! أربعون ديناراً ، فقال : ضَعها بين يديه ، ثم قال للأعرابي : اضمم إليك متاعك وقال لبعض الأعوان : امضِ مع الأعرابي واقبضْ ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً .

(١) العروض : كل ماسوى النقدين . (٢) جحظت عينه : عظمت مقلتها .

فوثب الأعرابي ، فأخذ القمّاشَ (١) ، فضرب به وجوهَ القوم لا يألو
في الرّثني .

ثم نهض كالمجنون ، حتى أخذ برأسِ بعيره ؛ وضحك أبانُ حتى سقط ،
وضحك من كان معه ، فكان الأعرابي بعد ذلك إذا لقي أشعبَ يقول له :
هلمّ إليّ حتى أُكافئك على تقويمك المتاع ، يوم قوّمت ، فيهرب منه
أشعب .

(١) القماش : جم قش ، وهو الرديء من كل شيء .

١٠١ - بوزع *

قال حماد : كان جعفر بن أبي جعفر المنصور ^(١) المعروف بابن الكردية
بَسْتَحِفُّ مطيع بن إياس ^(٢) ويحبُّه ، وكان منقطعاً إليه ، وله معه منزلةٌ حسنة ،
غذَّر له حمادُ الراوية ، وكان صديقه ، وكان مُطَرِّحاً مَجْفُوفاً في أيامهم ، فقال له :
اِتَّبِنَا به لنراه .

فأتى مطيعُ حماداً فأخبره بذلك ، وأمره بالمسير معه إليه ، فقال له حماد :
دَعْنِي فَإِنَّ دولتي كانت مع بني أمية ، ومالي عند هؤلاء خيرٌ . فأبى مُطيع إلا
الذهاب إليه ، فاستعار حماد سواداً وسيفاً ثم أتاه ، ففضى به مطيع إلى جعفر ، فلما
دخل سلم عليه سلاماً حسناً ، وأثنى عليه ، وذكر فضله ، فردَّ عليه ، وأمره
بالجلوس فجلس .

فقال جعفر : أنشدني ؛ فقال : لِمَن أيها الأمير ، الشاعِرِ بَعَيْنِهِ أم لمن حضر ؟
قال : بل أنشدني لجرير .

قال حماد : فسَلَخَ والله شعرُ جريرِ كلَّهُ من قلبي إلا قوله :

بان الخليطُ برامتين ^(٣) فودَّعوا أو كلما اعترموا لبين تجزعُ

* الأغاني : ٦ : ٨١

(١) انظر صفحة ٥٥ (٢) مطيع بن إياس : شاعر من مخصوي الدولتين الأموية
والعباسية ، كان ظريفاً مليح النادرة ماجناً ، مولده و منشؤه بالكوفة ، انقطع في الدولة العباسية إلى
جعفر بن المنصور فكان معه إلى أن مات وكان صديقاً لحماد ، وتوفى سنة ١٦٦ هـ .
(٣) رامتين ثنية رامة ، ورامة : موضع في طريق البصرة إلى مكة ، وكثير من أسماء المواضع
تنى في الشعر للضرورة .

فاندفعت فأنشدته إياها ، حتى انتهت إلى قوله :

وتقول بوزعُ : قد دبت على العصا هلا هزنتِ بغيرنا يا بوزعُ
فقال لي جعفر : أعد هذا البيت ، فأعدته ، فقال : بوزع أي شيء هو ؟
فقلت : اسم امرأة ؛ فقال : امرأة اسمها بوزع ! هو برىء من الله ورسوله ونفى^(١)
من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من الغيلان ! تركتني والله
يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع ، يا غلمان ! قفاه ! فصفت^(٢) والله حتى لم أدر
أين أنا ؛ ثم قال : جرؤوا برجله ؛ فجرؤوا برجلي حتى أخرجت من بين يديه
مسحوباً ، فتخرق السواد وانكسر جفنُ السيف ، ولقيت شراً عظيماً مما جرى علي ؛
وكان أغلظ من ذلك كله وأشد بلاءً من السواد وجفنِ السيف .

فلما انصرفت أتاني مطيع بن إياس يتوجع لي ، فقلت له : ألم أخبرك أني
لا أصيبُ منهم خيراً وأن حظي قد مضى مع بني أمية !

(١) نفى : منحى ونبعد . (٢) القفا : ما وراء العنق ، وهو مؤنث وقد يذكر .

١٠٢ — المنصور يطلب من يسأليه بالشعر *

لما مات جعفر بن أبي جعفر المنصور مشى أبوه في جنازته من المدينة إلى مقابر قريش ، ومضى الناس أجمعون معه حتى دَفَنَهُ ، ثم انصرف إلى قصره ، وأقبل على الربيع فقال : ياربيع ؛ انظر مَنْ في أهلي ينشدني :

* أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ ^(١) *

حتى أتسلى بها عن مصيبتى .

قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حضور ، فسألتهم عنها ؛ فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ؛ فرجعت فأخبرته . فقال : والله لمُصِيبَتِي بأهل بيتي ألا يكون فيهم أحدٌ يحفظُ هذا ؛ لِقَلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الْأَدَبِ ، أعظمُ وأشدُّ على من مصيبتى يا بني !

ثم قال : انظرْ هل في القوَّادِ والعوامِّ من الجندِ مَنْ يعرفها ؟ فإنِّي أحبُّ أن أسمِّعها من إنسانٍ يُنشدُّها ؛ فخرجت فاعترضت الناس ؛ فلم أجد أحداً ينشدُّها إلا شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه ؛ فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ! شعر أبي ذؤيب ^(٢) ، فقلت : أنشدني ، فابتدأ القصيدة العينية

* عصر المأمون : ١ : ١٧٥ *

(١) بقية البيت : * والدهر ليس بمعتب من يجزع *

وهي نحو سبعين بيتاً أورد ابن رشيقي أبياتاً منها في العمدة ، ورواها صاحب جهرة العرب في المراني صفحة ٢٦٤ ، وهي لأبي ذؤيب الهذلي . في ديوان الهذليين ج ١ ص ١ - ٢١ طبع دارالكتب (٢) هو خالد بن خويلد ، شاعر مجيد مخضرم قدم المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وحسن إسلامه ، وتوفي في غزوة إفريقية مع ابن الزبير .

فقلت له : أنت بُعَيْتِي ، ثم أوصَلْتُهُ إِلَى المَنصُورِ ، فَاسْتَشَدَّه إِياها ، فَأَشَدُّ :

أَمِنَ المَنونَ ^(١) وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ والدَهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبِرٍ مَن يَجْزَعُ
قالتُ أُمَيْمَةُ : ما لِحَسَمِكَ شاحِباً منذُ ابْتَدَلتَ ^(٢) ، ومِثْلُ مالِكٍ يَنْفَعُ
أَمْ ما لِحَسَمِكَ لا يَلانِمُ ^(٣) مَضْجَعاً إِلا أَقْضَى عَلِيكَ ذاكَ المَضْجَعُ
فأَجِيتُها — أ : أَمّا لِحَسَمِي إِنَّه أودى ^(٤) بَنِيَّ مَن البِلادِ فودَعُوا
أودى بَنِيَّ فَأَعقَبُونِي ^(٥) حَسرةً بَعْدَ الرِّقادِ وَعِبرَةَ ما تُقْلِعُ ^(٦)
سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعنَقُوا ^(٧) لهُواهُم فَتَحَرَّمُوا ^(٨) ، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
فَقَبِرْتُ بَعْدَهُمُ بَعِيشٍ ناصِبٍ وإِخالُ أَنى لَأحِقُّ مُسْتَجَبِعُ
ولقد حَرَصْتُ بِأَن أَدافِعَ عَنْهُمُ وَإِذا المَنِيَّةُ أَقْبَلتُ لا تُدْفَعُ
وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبتُ ^(٩) أَظْفارَها أَلقيتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

حتى أَنى على آخِرها ، فَأَجارَها بِمائَةِ دِرْهَمٍ !

(١) المَنون : المَنية ، وهى مؤنثة . (٢) ابْتَدَلت : أى ابْتَدَلت نَفْسَكَ وَأَهْمَتها حَسرةً وَأَسى
(٣) لا يَلانِمُ : لا يوافق . (٤) أودى بَنِي : هَلَكوا . (٥) أعقَبُونِي : خَلَفوا لى .
(٦) ما تُقْلِعُ : ما تَنْقَطِعُ . (٧) أعنَقوا : أسرَعوا . (٨) تَحَرَّموا : ماتوا .
(٩) أَنشَبت : أَعْلَفت ، وَالتَمِيمَةُ : التَمويذَةُ .

١٠٣ - صر إلى متى شئت *

كان أزهر^(١) السَّمان صديقاً لأبي جعفر المنصور في أيام بني أمية ، وكانا قد سافرا جميعاً ، وسما الحديث ، وكان المنصور يَأْلُفُهُ ويَأْنَسُ إليه .
فلما أفضت الخلافة إليه شَخَّصَ^(٢) إليه من البصرة ؛ فسأله المنصور عن زوجته وبناته - وكان يعرفهنَّ بأسمائهنَّ - وأظهر برَّه وإكرامه ، ووصله بأربعة آلاف درهم ، وأمره ألا يَقْدَمَ إليه مُسْتَمِيحاً^(٣) .

فلما كان بعدَ حَوْلٍ صار إليه فقال له : ألم آمرك ألا تصيرَ إلى مستميحاً ! فقال له : ما صرتُ إليك إلا مسلماً ومجدداً بك عهداً . قال : ما أرى الأمرَ كما ذكرتَ . وأمر له بأربعة آلاف درهم ، وأمره ألا يصيرَ إليه مسلماً ولا مُسْتَمِيحاً .
فلما كان بعد سنة صار إليه ، فقال : إني لم أقدم عليكَ للأمرين اللذين نهيتني عنهما ، وإِنَّمَا بلغني أَنَّ عِلَّةَ عَرَضتَ لأمير المؤمنين ؛ فأنتبته عائداً ، فقال : ما أظنك أتيتَ إلا مُسْتَوْصِلاً ، وأمر له بأربعة آلاف درهم .

فلما كان بعد الحَوْلِ ألحَّ عليه بناته وزوجُه ، وقلن له : أمير المؤمنين صديقك ، فارجع إليه ، فقال : ويحكُنَّ ، ماذا أقول له ، وقد قلت له : أتيتك مُسْتَمِيحاً ومسلماً وعائداً ، ماذا أقول في هذه المرة ؟ وبِمَ أحتجُّ ! فأبين على الشيخ إلا الإلحاح .

* المسعودي : ٢ - ٢٣٧ . وثمرات الأوراق : ١ - ١٢٦

(١) هو أزهر بن سعد الباهلي ، عالم بالحديث من أهل البصرة كان يتردد على المنصور العباسي ، وله معه أخبار ، توفي سنة ٢٠٣ هـ . (٢) شخص من بلد إلى بلد : ذهب . (٣) الاستراحة : طلب العطاء .

فخرج فأتى المنصور ، وقال : لم آتِك مُسْتَرِ فِدَاً^(١) ولا زائراً ولا عائداً ، وإنما
جئتُ لسماع حديث كنتَ سمعناه جميعاً في بلد كذا من فلان عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، فيه اسمٌ من أسماء الله تعالى ، مَنْ سأل الله به لم يرده . ولم يَحْيَبْ دَعْوَتَهُ .
فقال له المنصور : لا تُرِدْهُ فَإِنِّي قد جَرَّبْتُه فوجدته غيرَ مُسْتَجَابٍ . وذلك أَنِي
منذ جئتني أسأل الله به ألا يرَدَّكَ إِلَيَّ ، وأنتَ ذا ترجع ، لا تنفك تقول مُسَلِّماً
أو عائداً أو زائراً . ووصله بأربعة آلاف درهم ، وقال له : قد أَعْيَيْتَنِي فِيك الحيلة ، فصِرْ
إِلَيَّ متى شئت .

(١) المسترفد : طالب العطاء .

١٠٤ — أَتَذَكُرُ إِذْ لِحَافِكَ جِلْدَ شَاةٍ*

تذاكر جماعة فيما بينهم آثار معن^(١) وأخبار كرمه ، معجبين بما هو عليه من
التؤدة ووفرة^(٢) الحلم ، ولين الجانب ، وغالوا في ذلك كثيراً ؛ فقام أعرابي ، وأخذ
على نفسه أن يفضبه . فأنكروا عليه ، ووعدوه مائة بعير ، إن هو فعل ذلك .
فعمد^(٣) الأعرابي إلى بعير فسلخه ، وارتدى بإهابه^(٤) ، واحتذى^(٥) ببعضه
جاعلاً بطنه ظاهراً ، ودخل عليه بصورته تلك ، وأنشأ يقول :

أتذكرُ إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلك من جلد البعير !
قال معن : أذكره ولا أنساه ! فقال الأعرابي :

فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير !
فقال معن : إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ، فقال الأعرابي .

فلست مسلماً إن عشتُ دهرأ على معن بتسليم الأمير
فقال معن : السلام خير ، وليس في تركه ضمير^(٦) ، فقال الأعرابي :

سأرحل عن بلاد أنت فيها ولو جار الزمان على الفقير
فقال معن : إن جاوزتنا فرحياً بالإقامة ، وإن جاوزتنا فصحوباً بالسلامة ،
فقال الأعرابي :

* بحر الآداب : ٣ - ٢٦٣

(١) من أشهر أحواد العرب ، أدرك المصريين : الأموي والعباسي ، ولاء المنصور لامارة
سجستان ، فأقام بها ، ثم قتل بها غيلة سنة ١٥١ هـ (٢) كثرة . (٣) عمد إلى الشيء :
قصد إليه (٤) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ (٥) احتذى : انتحل (٦) الضير : الضرر .

فَجَدُّ لِي يَابِنٌ^(١) نَاقِصَةٌ بِمَالٍ فإني قد عَزَمْتُ على المَسِيرِ
فقال معن : أعطوه ألف دينار ، تخفّفُ عنه مشاقَّ الأسفار ، فأخذها وقال :

قَلِيلٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَإِنِّي لَأَطْمَعُ مِنْكَ فِي الْمَالِ الْكَثِيرِ
فَتَنُّ قَدْ أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا بِلَا عَقْلِ وَلَا رَأْيٍ مِنْ مَنِيرِ
فقال معن : أعطوه ألفاً ثانياً ، كي يكونَ عَنَّا راضياً . فتقدم الأعرابي إليه ،
وقبل الأرض بين يديه وقال :

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُبْقِيكَ دَهْرًا فَمالِكَ فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ نَظِيرِ
فَمَنْكَ الْجُودُ وَالْإِنْفِضَالُ حَقًّا وَفِيضُ يَدَيْكَ كَالْبَحْرِ الْغَزِيرِ
فقال معن : أعطيناه على هجوِّنا ألفين ، فليعط أربعة على مدحنا ،
فقال الأعرابي : بأبي أيها الأمير ونفسي ! فأنت نسيحٌ وحدك في الحلم ، ونادرةٌ
دَهْرِكُ فِي الْجُودِ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ . ولقد كنتُ في صفاتك بين مصدّقٍ
وَمُكذِّبٍ ، فلما بَلَوْتُكَ صَفَرَ الْخَبْرُ^(٢) الْخَبْرَ ، وَأَذْهَبَ ضَعْفَ الشُّكِّ قُوَّةَ الْيَقِينِ ،
وما بعثنى على ما فعلتُ إلا مائةٌ بعيرٍ جُمِلتْ لِي على إغضابك .

فقال له الأمير : لا تَتْرِبْ^(٣) عَلَيْكَ ! ووصله بمائتي بعير : نصفها للرهبان
والنصف الآخر له ؛ فانصرف الأعرابي دَاعِيًا لَهُ ، شَاكِرًا لِهَبَاتِهِ ، مُعْجَبًا بِأَنَاتِهِ .

(١) يابن ناقصة بدلا من قوله: ابن زائدة (٢) الخبر : الخبر
(٣) لا تتريب : لا لوم عليك .

١٠٥ — لقد كان ذلك الرجل شروماً*

خرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للصيد ، فاعترضهم قَطِيعٌ^(١) ظِبَاءَ ، فتفرقوا في طلبه ، وانفرد معنٌ خَلْفَ ظَبِيٍّ حتى انقطع عن أصحابه ، فلما ظَفِرَ به نزل فذبحه ؛ فرأى شيخاً مُتَبِلاً من البرية على حمار ؛ فركب فرسه ، واستقبله ؛ فسلم عليه ؛ فقال : من أين ؟ وإلى أين ؟ قال : أتيتُ من أرضٍ لها عشرون سنةً مجدبةً ، وقد أخضبتُ في هذه السنة ؛ فزرعتها مَقْتَأَةً^(٢) فأخرجت القِثَاءَ في غير أوان ؛ فجمعتُ منها ما استحسننته ، وقصدتُ به معنَ بنَ زائدة لكرمه المشكور ، وفضله المشهور ، ومعروفه المأثور ، وإحسانه الموفور .

قال : وكم أمّلتُ منه ؟ قال : ألفَ دينار ، قال : فإن قال لك : كثير ! قال : خمسمائة : قال : فإن قال لك : كثير ! قال : ثلثمائة ! قال : فإن قال لك : كثير ! قال : مائة . فما زال به حتى قال : لا أقل من الثلاثين ! قال : فإن قال لك : كثير قال : أدخِلْ قوائم حماري في عينه ، وأرجع إلى أهلي خائباً .

فضحك معن ، وساق جواده حتى لحق بأصحابه ، ونزل في منزله ، وقال لحاجبه : إذا أتاك شيخ على حمار بقِثَاءٍ فادخُلْ به عليّ .

فأتى الرجلُ بعد ساعة ، فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلاله ، وكثرة حشمه وخدمه ، وهو مُتصدِّرٌ في دَسْتِهِ^(٣) ، والخدمُ قيامٌ عن يمينه وشماله وبين يديه .

* المستطرف : ٢ - ٢٣٧ .

(١) القطيع من الظباء : الطائفة (٢) المقتأة : موضع زراعة القثاء (٣) الدست : صدر البيت .

فلما سلم عليه قال : ما الذى أتى بك يا أخوا العرب ؟ قال : أملتُ فَضَلَ الأمير ،
وأنتيتُه بقيتاء في غير أوان . فقال : كم أملتَ فينا ؟ قال : ألف دينار . قال : كثير !
فقال في نفسه : والله لقد كان ذلك الرجل شوماً على . ثم قال : خمسمائة دينار . قال :
كثير ، ثم ما زال به إلى أن قال : خمسين ديناراً ، فقال له : كثير . فقال : لأقل من
الثلاثين ؛ فضحك معن .

فعلم الأعرابي أنه صاحبه ؛ فقال : ياسيدى ؛ إن لم تُجِبْ إلى الثلاثين فالحمار
مربوط بالباب ، وهاهو ذا معن جالس . فضحك معن حتى استلقى على فراشه ،
ثم دعا بوكيله ، فقال : أعطه ألفاً ، وخمسمائة ، وثلاثمائة ، ومائة ، وخمسين ، وثلاثين ،
ودرع الحمار مكانه .

١٠٦ — حُبِسْتُ مَعَ الدَّجَاجِ *

شرب أبو دُلَامَةَ ^(١) في الحَانَاتِ ^(٢) ؛ فمَشَى وهو يَمِيل ؛ فَلَقِيَهُ العَسَسُ
فأخَذوه قَظِيلَ له : من أنتَ ؟ وما دِينُكَ ؛ فقال :

دِينِي عَلَى دِينِ بَنِي العَبَّاسِ مَاخُتِمَ الطِّينُ عَلَى القِرْطَاسِ
إِذَا اصْطَبَحْتَ أُرْبَاعًا بِالكَاسِ فَقَدْ أَدَارَ شُرْبُهَا بِرَاسِي

* فَهَلْ بِمَا قُلْتُ لَكُمْ مِنْ بَاسٍ *

فأخَذوه وَخَرَقُوا ثِيَابَهُ وَسَاجَهُ ^(٣) ، وَأَتَى بِهِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فَأَمَرَ بِمَجْنَسِهِ مَعَ
الدَّجَاجِ فِي بَيْتٍ ؛ فَلَمَّا أَفَاقَ جَعَلَ يَنَادِي غَلَامَهُ مَرَّةً ، وَجَارِيَتَهُ أُخْرَى ، فَلَا يَجِيبُهُ
أَحَدٌ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّجَاجِ ، وَزُقَاءً ^(٤) الدُّيُوكِ .

فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَ لَهُ السَّجَّانُ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَيْلَكَ ! مَنْ أَنْتَ ؟ وَأَيْنَ أَنَا ؟
قَالَ : أَنْتَ فِي الحَبْسِ ، وَأَنَا السَّجَّانُ . قَالَ : وَمَنْ حَبَسَنِي ؟ قَالَ : أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ . قَالَ :
وَمَنْ خَرَقَ طَيِّلسَانِي ؟ قَالَ : الحَرَسُ .

فَطَلَبَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ ، فَفَعَلَ ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ المَنْصُورِ
يَقُولُ :

أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَدَتِكَ نَفْسِي عِلَامَ حَبَسْتَنِي وَخَرَقْتَ سَاجِي !

* نِهَاجَةُ الأَرَبِ : ٤ - ٤٢ ، الأَغَانِي : ١١٠ - ٢٥١ ، (طَبْعَةُ دَارِ الكُتُبِ) .
(١) هُوَ زَنْدُ بَنِ الجُونِ شَاعِرٌ مَطْبُوعٌ مِنْ أَهْلِ الظَّرْفِ وَالدَّعَابَةِ ، أَسْوَدُ اللُّونِ ، نَشَأَ فِي الكُوفَةِ
وَاتَّصَلَ بِالحُلَفَاءِ مِنْ بَنِي العَبَّاسِ ، فَكَانُوا يَسْتَلْطَفُونَهِ ، وَيَقْدِرُونَ عَلَيْهِ صِلَاتَهُمْ ، وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ .
تُوفِيَ سَنَةَ ١٦٦ هـ (٢) الحَانَاتُ : المَوَاضِعُ الَّتِي تَبَاعُ فِيهَا الحُجُورُ (٣) السَّاجُ : الطَّيِّلسَانُ
الأَخْضَرُ أَوْ الأَسْوَدُ (٤) زُقَاءُ الدَّيْكِ : صِيَاحُهُ .

أمن صهباء^(١) صافية المزاج كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى لقد صارت من النطف^(٢) النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها إذا برزت تترقق في الزجاج
أقاد إلى السجون غير جرم كأي بعض عمال الخراج
فلو معهم حبست لكان سهلا ولكني حبست مع الدجاج
وقد كانت تحببني ذنوبي بأني من عقابك غير ناخ
على أنى - وإن لاقيت شرا - لخيرك بعد ذاك الشر راج
فاستدعاه المنصور ، وقال : أين حبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج !
قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أقوق^(٣) إلى الصباح . فضحك وخطى سبيله ،
وأمر له بمجازة .

فلما خرج قال له الربيع : إنه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ! أما سمعت قوله :
« وقد طبخت بنار الله » - يعنى الشمس - فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ! شربت الخمر ؟
قال : لا ، قال : أفلم تقل : طبخت بنار الله - تعنى الشمس ؟ قال : لا ، والله
ما عانيت إلا نار الله الموقدة التى تطلع على فؤاد الربيع ! فضحك المنصور ، وقال :
خذها يا ربيع ، ولا تعاود التعرض له .

(١) الصهباء : الخمر (٢) النطف : ج نطفة ، وهى الخمر (٣) أقوق : أصبح .

١٠٧ — ما ضرّه لو أن ذنوب العالمين على ظهري ! ؟

قال أيوب المورياني لأبي جعفر — وكان يشنأ^(١) أبا دُلّامة : إن أبا دُلّامة معتكف على الحجر ، فما يحضر صلاة ولا مسجداً ؛ وقد أفسد فتیان المسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لآجرت^(٢) فيه وفي غيره من فتیان عسكرك بقطعهم عنهم .
فلما دخل عليه أبو دُلّامة قال له : ما هذا الجون الذي يبغني عنك ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ ما أنا والجون ، وقد شارفتُ بابَ قبري ! قال : دغني من استكاتبك وتضرّعتك ، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي ؛ فلئن فاتتاك لأحسننَّ أدبك ولأطيلنَّ حبسك .

فوقع في شرِّه ، ولزم المسجد أياماً ، ثم كتب قصته ودفعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها :

ألم تعلمَا أن الخليفة لَزَنِي^(٣) بمسجده والقصرِ ، مالى وللقصرِ !
أصلّى به الأولى جميعاً وعصرها فويلي من الأولى وَوَيْلي من العصرِ !
أصليهما بالكُره في غير مسجدي فإلى في الأولى ولا العصر من أجرِ
لقد كان في قومي مساجد جمّة ولم ينشرح يوماً لعشيّانها صدرني^(٤)
يكلفني من بعد ما شبتُ خطّة^(٥) يحظ بها عنى الثقل من الوزرِ
وما ضرّه — والله يغفرُ ذنبه — لو أن ذنوب العالمين على ظهري !

* مهذب الأغاني : ٩ : ٣٣ ، الأغاني : ١٠ - ٢٤٦ ، ذيل زهر الآداب : ٩١
(١) يفضّه ويكرهه (٢) نالك الأجر والثواب (٣) الزنا : لزوم الشيء بالشئ
والزامة به (٤) الذهاب إليها (٥) الحطة : الأمر .

فقال : قد أعفيناك من هذه الحال على أن تصلّي في مسجد قبيلتك ، ولكن على ألا تدع القيامَ معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظَلَّ^(١) ؛ فقال : أفعل . قال : فإنك إن تأخرت لشرب الخمر علمتُ ذلك ، والله لئن فعلت لأحدنك^(٢) . فقال أبو دلامة : البليّةُ في شهرٍ أخفُّ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعة !

فلما حضر شهرُ رمضان لزم المسجد ، وكان المهديُّ يبعثُ إليه في كل ليلة حرسياً يجي به ، فشوقَ ذلك عليه ، وفزع إلى الخيزران ، وإلى أبي عبيد الله^(٣) ، وإلى كلِّ من يلوذ بالمهدي ليشفعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يجبهم ، فقال له أبو عبيد الله : الدالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شكرك ؟ قال : أتمّ شكر ، قال : عليك برِيطة^(٤) فإنه لا يخالفها . قال : صدقت ، ثم رفع إليها رُقعةً يقول فيها :

أَبْلِغَا رِيطَةَ أُنِي كَفْتُ عِبْدًا لِأَيِّهَا
فَضَى يَرْحَمُهُ اللهُ وَأَوْصَى بِي إِلَيْهَا
وَأَرَاهَا نَسِيتَنِي مِثْلَ نَسْيَانِ أَخِيهَا
جَاءَ شَهْرَ الصَّوْمِ يَمْشِي مِشْيَةً مَا أَشْتَهِيهَا
فَأَنْدَأُ لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ كَأَنِّي أَبْتَغِيهَا
وَلَقَدْ عَشْتُ زَمَانًا فِي فَيَافِي وَجِيهَا
فِي لَيَالٍ مِنْ شِتَاءٍ كَفْتُ شَيْخًا أَصْطَلِيهَا
قَاعِدًا أَوْقَدُ نَارًا لِضِبَابٍ^(٥) أَشْتَوِيهَا

(١) أظَلَّ : قرب وأشرف (٢) حده : أقام عليه الحد (٣) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله كان من رجالات النصور ثم المهدي (٤) رِيطَة : هي ابنة الخليفة أبي العباس ، وزوج المهدي (٥) الضب : دويبة من الحشرات ، تحرس العرب على صيده وأكله ، وجمه ضباب .

وَصَبُوحٍ وَغَبُوقٍ فِي عِلَابٍ^(١) أَحْسَبُهَا
مَا أَبَالِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَلَا تُسْمِعُنِيهَا
فَاعْطَلِبِي لِي فَرْجًا مِنْهَا وَأَجْرِي لَكَ فِيهَا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ، وأرسلت إليه : يصطبر حتى تمضي ليلة القدر
فكتب إليها : إني لم أسألك أن تكلميه في أعفائي عاماً قابلاً ، وإذا مضت ليلة
القدر فقدتني الشهر وكتب تحتها أبياتاً

خَافِي إِلَهَكَ فِي نَفْسٍ قَدْ احْتَضِرَتْ قَامَتْ قِيَامَتَهَا بَيْنَ الْمُصَلِّينَا
مَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ مِنْ هَمِّي فَأَطْلِبِهَا إِنْ أَخَافُ الْمُنَايَا قَبْلَ عَشْرِينَا
يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ قَدْ كَسَّرْتِ أَرْجَلَنَا يَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ حَقًّا مَا تَمْنِينَا !
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي خَيْرٍ أَوْمَلُهُ فِي لَيْلَةٍ بَعْدَ مَا قَمْنَا ثَلَاثِينَا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ، ودخلت على المهدي ، فشفت له إليه ، وأنشدته
الآبيات ، فضحك حتى استلقى ، ودعا به وربطة معه في الحجلة^(٢) ، فدخل فأخرج
رأسه إليه وقال : قد شفت ربيطة فيك ، وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم .

فقال : أما شفاعتُ سيدي فيّ حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار ، وأما السبعة
الآلاف فيما أن تمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير
خمسة آلاف ؛ فإني لا أحسنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال :
أعيدك بالله أن تختارَ أذني الحالمين ، وأنت أنت اثم تكلمت فيه ربيطة فأممها
له عشرة آلاف درهم .

(١) جمع علبة : وهي قدح ضخم من جلد الإبل أو من خشب يجلب فيه (٢) الحجلة : بيت
يزين بالثياب والأسرة والستور .

١٠٨ — لو أن لي مَهْجَةً أُخْرَى مُجِدَّتْ بِهَا*

قال أبو دُلَامة : أتى بي إلى المنصور وأنا سَكْران ؛ فحلف ليُخْرِجَنِي في
بَعَثِ حَرْبٍ ، فأخرجني مع رَوْحِ بنِ حاتم^(١) المَهْلَبِي لِقِتالِ الشُّرَاةِ^(٢) . فلما التقى
الجمعان ، قلت لرَوْحِ : أما والله لو أنَّ تحتي فرسك ، ومعى سلاحك لأثَّرت في عدوك
اليوم أثراً تر ترضيه .

فضحك وقال : والله لأدفعنَّ ذلك إليك ، ولأخذنك بالوفاء بشرطك ؛ ونزل
عن فرسه ، ونزع سلاحه . ودفعهما إليّ ودعا بغيرهما .

فلما حصل ذلك في يدي ، وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ،
هذا مقام العائذ بك ، وقد قلتُ بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشده :

إني استجرتك أن أقدم في الوغى لتطاعنٍ وتنازلٍ وضِرَابِ
فهبِ السيوفَ رأيتها مشهورةً فتركتها ومضيتُ في الهُرَابِ
ماذا تقول لما يجيء وما يرى من واردات الموت في النَّشَابِ^(٣) !
فقال : دَعَّ عنك هذا .

وبرز رجلٌ من الخوارج يدعو للبارزة . فقال : اخرج إليهِ يا أبا دُلَامة !
فقلت : أُنشِدُكَ الله أيها الأمير في دمي ! قال والله لتخرُجَنَّ . فقلت : أيها الأمير ،

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي إفريقية والبصرة وغيرها ، وكان
جليلاً شجاعاً (٢) الشُّرَاة : هم الخوارج ، وقد لزمهم هذا اللقب ، لأنهم زعموا أنهم شروا
دينام بالآخرة ، أي باعوا (٣) النَّشَاب : السهم .

فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ماشبعت منى جارحةً من الجوع ، فمَرُّ لى بشىء آكله ثم أخرج .

فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزتُ عن الصَّف . فلما رآنى الشَّارِى^(١) أقبل نحوى وعليه قَرَوٌ قد أصابه المطر فابتلَّ ، وأصابته الشمس فاقفعل^(٢) ، وعينه تَقْدَان ، فأسرع إلىَّ . فقلت له : على رِسْلِكَ^(٣) يا هذا كما أنت ! فوقف .

قلت : أنتقل من لا يُقَاتلك ؟ قال لا . قلت : أنتقلُ رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت : أفستحلُّ ذلك قبل أن تدعو من تقَاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، قال : فاذهب عنى إلى لعنة الله ! قلت : لا أفعل أو تسمع منى . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا فطَّة عداوة أو تِرَوة^(٤) ؛ أو تعرفنى بحال تَحْفِظُكَ عَلَى^(٥) ! أو تعلم بين أهلى وأهلك وتراً ؟ قال : لا ، والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا على جميل الرأى ، وإنى لأهواك ، وأنتَجِلُ مذهبك ، وأدينُ دينك ، وأريدُ سوء لمن أَرَادَه لك . قال : يا هذا ؛ جزاك الله خيراً فانصرفت .

قلت : إن معى زاداً أحبُّ أن آكلهُ معك ، وأحبُّ مواكمتك لتتأكَّد بمودة بيننا ، ويرى أهلُ العسكر هوانهم علينا : قال : فافعل . فتقدمت إليه حتى اختَلَفْتُ أعناقُ دوابنا ، وجمعنا أرجلنا على معارفها ، والناس قد غلبوا ضِحْكَاً ! فلما استوفينا ودَّعنى . ثم قلت له : إن هذا الجاهل - إن أقت - على طلب المبارزة - ندبني إليك فتتعبنى وتتعب . فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل - قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت .

(١) الخارجى (٢) اقفعل : تقبض (٣) تمهل (٤) نأر (٥) تفضبك .

فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قرني، فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما
كفيتك. فأمسك! وخرج آخر يدعو إلى المبارزة فقال لي: اخرج إليه. فقلت:

إني أعوذ بروح أن يقدمني إلى البراز^(١) فتخزي بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه
قد حافتك المنايا إذ صمدت لها
ما يفرق بين الروح والجسد
وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
وما ورثت اختيار الموت عن أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها
لكنها خلقت فرداً فلم أجِد
فضحك وأعفاني.

(١) المبارزة.

١٠٩ — يهجو نفسه *

دخل أبو دُلّامة على المهدي وعنده عيسى بن موسى ، والعبّاس بن محمد ،
وجماعة من بني هاشم ، فقال المهديّ : يا أبا دُلّامة . قال : لبيك يا أمير المؤمنين !
قال : لئن لم تهجّ واحداً ممن في هذا المجلس لأقطعنّ لسانك . فنظر إلى القوم ،
فكلّمنا نظر إلى واحدٍ منهم غمزه بأنّ عليه رضاه . فعلم أنه قد وقع ، وقال : أنا أحدٌ
منّ بالمجلس ثمّ أنشد :

الأبليغُ إليكَ أبا دُلّامةً فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لَبِسَ العمامةَ كان قِرْداً وخنزيراً إذا نَزَعَ العمامة
جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً كذاك اللؤمُ تتبعمه الدمامة
فإنّ تكُ قد أصبتَ نعيمَ دُنْيَا فلا تفرّحْ فقد دَنَتْ القيامةُ

فضحك المهديّ ومُرّ القومُ إذ لم يسبّ إلى أحدٍ منهم ، ثمّ قال له المهديّ :
تَمَنَّ . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ تأمر لي بكلب صَيِّد . فسبّه وقال : ما تصنعُ به ؟
فقال : الحاجةُ لي أم لك ؛ فقال : صدّقتُ ؛ أعطوه كلباً . فأعطيه . فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ لا بد لهذا الكلب من كَلَّاب^(١) . فأمر له بغلام مملوك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، أو يتهيّأ لي أن أصيدَ راجلاً ؟ فقال : أعطوه دابة . فقال : ومنّ
يسوسُ الدابة ؟ فقال : أعطوه غلاماً سائساً . فقال : ومن يَنَحْرُ الصيدَ ويصلحه ؟

* ذيل زهر الآداب : ٨٩ ، ٩٠ . مهذب الأغانى : ٩-٢٠ ، المستطرف : ١-٨٦ ، المحاسن
والساوى : ٢٨٧ ، طبع ليزج الأغانى : ١٠-٢٥٨
(١) الكلاب : من يرعى الكلاب .

فقال : أعطوه طَبَّاحًا . فقال : ومن يأويهم ؟ فقال : أعطوه داراً .
فبكى أبو دلامة وقال : ومن يمُونُ هؤلاء كلَّهم ؟ فقال : يُسكتب له بمائة
جَرِيب^(١) عامرة ، ومائتي جريب عامرة . فقال : وما العامرةُ ؟ قال : التي لا نبتاتَ
فيها . قال : فأبا أعطيك مائتي ألف جريب من فياني بنى أسد . فضحك وقال
ما تريد ؟ قال : بيتَ المال . قال : على أن أُخرجَ المالَ منه . قال : يصيرُ حينئذ
غامراً ، فاستفرغَ ضَحِكًا^(٢) وقال : اذهب فقد جعلتها لك كلها عامرة . فقال :
يا أمير المؤمنين ، انذرنى أن أُقبِلَ يدك . قال : أمّا هذه فدعها . فقال : والله
ما تمنعُ عيالي شيئاً أهون عليهم منها ! فناوله يدهُ فقبلها .

(١) الجريب : الزرعة (٢) بالغ في الضحك .

١١٠ — كلُّ امرئٍ يأكلُ من زادِهِ *

خرج المهدي وعلی بن سلیمان إلى الصيد ، فسَنَحَ لهما ^(١) قطعاً من ظباء ، فأرْسَلَتِ السِّكِّابُ ، وأجْرِيَتِ الخيلُ ، فرمى المهدي سَهْمًا ، فصرع ظبيًا ، ورمى علی بن سلیمان فأصاب كلبًا فقتله ؛ فقال في ذلك أبو دلّامة :

قد رمى المهديُّ ظبيًا شكًّا بالسهم فؤادَهُ

وعلى بن سلیمان رمى كلبًا فصادَهُ

فهيننا لهما كلُّ امرئٍ يأكلُ زادَهُ

فضحك المهدي حتى كاذ يسقط عن سرجِهِ ، وقال : صدق والله أبو دلّامة ،

وأمر له بجائزة ، ولُقِّبَ علی بن سلیمان بصائد الكلب ، فعَلِقَ اللقبَ به .

* معاهد التنصيص : ١ - ٢١٤ ، الأغانی : ١٠ - ٢٥٨

(١) عرض لهما .

١١١ — حماد والمفضل *

قال بعض الرواة :

كُنَّا فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَهْدِيِّ بِعَيْسَابَاذ^(١) ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهَا عِدَّةٌ مِنَ الرُّوَاةِ وَالْعُلَمَاءِ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَدَابِهَا وَأَشْعَارِهَا وَلُغَاتِهَا ، إِذْ خَرَجَ بَعْضُ أَصْحَابِ الْحَاجِبِ ، فَدَعَا بِالْمَفْضَلِ الضَّبِّيِّ الرَّوَايَةِ فَدَخَلَ ، فَكُتِبَ مَلِيًّا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَمَعَهُ حَمَّادُ وَالْمَفْضَلُ^(٢) جَمِيعًا ، وَقَدْ بَانَ فِي وَجْهِ حَمَّادِ الْإِنْكَسَارُ وَالنِّعْمُ ، وَفِي وَجْهِ الْمَفْضَلِ السَّرُورُ وَالنِّشَاطُ .

ثُمَّ خَرَجَ حُسَيْنُ الْخَادِمِ بَعْدَهَا ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُعَلِّمُكُمْ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ حَمَّادًا الشَّاعِرَ بَعْشَرِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، لِحُودَّةِ شِعْرِهِ ، وَأَبْطَلَ رِوَايَتَهُ لِزِيَادَتِهِ فِي أَشْعَارِ النَّاسِ مَا لَيْسَ مِنْهَا ، وَوَصَلَ لِلْمَفْضَلِ بِخَمْسِينَ أَلْفًا لَصِدْقِهِ وَصِحَّةِ رِوَايَتِهِ ؛ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ شِعْرًا جَيِّدًا مُحَدَّثًا فَلْيَسْمَعْ مِنْ حَمَّادٍ ، وَمَنْ أَرَادَ رِوَايَةً صَحِيحَةً فَلْيَأْخُذْهَا عَنِ الْمَفْضَلِ .

فَسَأَلْنَا عَنِ السَّبَبِ فَأَخْبَرْنَا أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَالَ لِلْمَفْضَلِ لِمَا دَعَا بِهِ وَخَدَّهَ : ابْنِي رَأَيْتَ زُهَيْرَ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ افْتَتَحَ قَصِيدَتَهُ بِأَنَّ قَالَ :

دَعَّ ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ^(٣)

* الأغانى : ٦ - ٩٠

(١) عيساباذ : محلة كانت شرق بغداد ، بنى بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام .
(٢) هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ؛ راوية عالم بالأدب من أهل الكوفة ، لزم المهدي ، وصنف له كتاب الفضليات ، توفي سنة ١٦٨ هـ (٣) هرم بن سنان : ممدوح زهير .

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المفضل : ما سمعتُ
يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً إلا أنى توهمتُه كان يفكر فى قولٍ يقوله ، أو يروى
فى أن يقول شعراً ، فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : « دَعْ ذَا ... » أو كان
مفكراً فى شىء من شأنه فتركه وقال : « دَعْ ذَا ... » أى دَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْفِكْرِ
وعَدُّ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ . فأمسك عنه .

ثم دعا حماداً فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضل فقال : ليس هكذا قال زهير
يا أمير المؤمنين ؛ قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لَمَنِ الدَّيَّارُ بِقَنْتَةِ ^(١) الحِجْرِ أَقْوِينَ ^(٢) مُذْ حَجَجَ وَمُذْ دَهْرٍ
قَفَرًا بِمُنْدَفَعِ النَّحَائِتِ مِنْ ^(٣) ضَفْوَى ^(٤) أُولَاتِ الضَّالِّ وَالسَّدْرِ ^(٥)
دَعْ ذَا وَعَدُّ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرِ الْكُهُولِ وَسَيِّدِ الْخَضِرِ

فأطرق المهدي ساعة ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك
خبراً لا بدَّ من استخلافك عليه ، ثم استخلفه بأيمان البيعة وكلَّ يميناً مُخرجة
ليصدِّقته عن كل ما يسأله عنه ، خلف له بما توثق منه .

ثم قال له : اصدقنى عن حال هذه الأبياتِ ومن أضافها إلى زهير ؛ فأقرَّ له
حينئذ أنه قائلها ، فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرها وكشفه .

(١) القنتة : أعلى الجبل ، والحجر : موضع باليمامة
موضع معين (٤) ضفوى : مكان دون المدينة
(٢) أقفرن (٣) النحائت : آبار فى
(٥) الضال والسدر : نوعان من الشجر
(اللسان مادة نحت) .

١١٢ — في خِباءِ الأعرابي *

خرج المهديُّ يَتَصَيَّدُ؛ فغارَ^(١) به فرسهُ ، حتى وقع في خِباءِ أعرابي ، فقال :
يا أعرابي ؛ هل من قِرْمَى ؟ فأخرج له قُرْصَ شعير فأكله ؛ ثم أخرج له فَضْلَةً من
لبن فسقاه ، ثم أتاه بنبِيذٍ في رِكَوَّةٍ^(٢) فسقاه .

فلما شرب قال : أتدرى من أنا ؟ قال : لا ! قال : أنا من خَدَم أمير المؤمنين
الخاصة . قال : بارك الله لك في موضعك ! ثم سقاه مرةً أخرى فشرِب ، فقال :
يا أعرابي ؛ أتدرى مَنْ أنا ؟ قال : زعمتَ أنك من خَدَم أمير المؤمنين الخاصة .
قال : لا ؛ أنا من قَوَّاد أمير المؤمنين .

قال : رَحِبْتُ بلادك ، وطابَ مُرادك ! ثم سقاه الثالثة ، فلما فرغ قال :
يا أعرابي ! أتدرى مَنْ أنا ؟ قال : زعمتَ أنك من قَوَّاد أمير المؤمنين . قال : لا ؛
ولكنني أميرُ المؤمنين ! فأخذ الأعرابي الرِّكَوَّةَ فأوكأها^(٣) . وقال : إليك عني !
فوالله لو شربتَ الرابعةَ لادَّعيتَ أنك رسولُ الله .

فضحك المهدي حتى غَشِيَ عليه . ثم أحاطت به الخليل ، ونزلت به الأمراء
والأشراف ؛ فطار قلبُ الأعرابي ؛ فقال له : لا بأس عليك ، ولا خوف ! ثم أصمر له
بِكَسْوَةٍ ، ومالٍ جزيل .

* المستطرف : ٢ - ٢٣٣

(١) غار : أتى النور ، وهو المظلم من الأرض (٢) الرِّكَوَّة : إناء صغير من جلد يشرب
فيه الماء (٣) أوكى على ما في سقائه : شدّه بالوكاء . والوكاء : ما يشد به رأس القربة ، والمراد
ربطها وكف عن سقيه منها .

١١٣ — دَعَا بِفِرَاقٍ مِّنْ تَهْوَى أَبَانَ!*

قال أَبَان بن عبد الحميد : نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيْسِ عَيْلان ، وكان فيهم بِيَّان وفصاحة ، فكان بَشَّار يَأْتِيهِمْ ، وَيُنشِدُهُمْ أشعارَه التي يمدح بها قَيْسًا ؛ فَيُجِئُونَهُ لذلك ، ويعظمونه ، وكان نساؤهن يجلسن معه ، ويتحدثن إليه ، وينشدهن أشعارَه في الغزل . وكنتُ كثيرًا ما آتَى في ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم .

فَأْتِيَهُمْ يوماً فإذا هم قد ارتحلوا ، فَجِئْتُ إلى بَشَّار ؛ فقلت : يا أبا معاذ ؛ أعلت أن القومَ قد ارتحلوا ؟ قال : لا . قلت : فاعلم ، قال : قد علمتُ لا علمتُ ! ومضيت .

فلما كان بعد ذلك بأيامٍ سمعتُ الناسَ ينشدون :

دَعَا بِفِرَاقٍ مِّنْ تَهْوَى أَبَانَ ففاض الدمعُ واحترق الجَنَانُ
كَأَنَّ شَرَارَةً وَقَعَتْ بقلبي لها في مقلتي ودِجِي اسْتِنَانٌ^(١)
إِذَا أَنْشَدْتُ أَوْ نَسَمْتُ عَلَيْهَا رياح الصيفِ هاجَ لها دخانُ

فعلتُ أنها لبشار ؛ فَأْتَيْتُهُ ، فقلت : يا أبا معاذ ؛ ما ذنبي إليك ! قال : ذنبي غُرَابُ البين . فقلت : هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال : لا . فقلت : أَنْشَدُكَ اللهُ أَلَّا تَزِيدَ ، فقال : امض لسألك فقد تركتك .

* عصر المأمون : ٢ - ٢٧٢

(١) استن الرجل : مضى على وجهه ، واستن السراب : اضطرب .

١١٤ — راوية أبي نواس والعتّابي *

كان كلثوم العتّابي ^(١) يَضَعُ من قَدْرِ أبي نواس ، فقال له راوية أبي نواس يوماً : كيف تضع من قَدْرِ أبي نواس وهو الذي يقول :

إذا نحن أُنذِينَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ الَّذِي نُذْنِي وَقَوَّ الَّذِي نُذْنِي
وإن جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمِدْحَةٍ لغيرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَبْنِي
قال العتّابي : هذا سَرَقَهُ ! قال : مِمَّنْ ؟ قال : من أبي دهبيل الجمحي
حيث يقول :

وإذا يقال لبعضهم : نِعَمَ الْفَتَى فَأَبْنُ الْمَغِيرَةِ ذَلِكَ النَّعْمُ
عَقِمَ النِّسَاءَ فَلَا يَجِئْنَ بِمِثْلِهِ إِنْ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عَقِمَ
قال : لقد أحسن في قوله :

فتمشّتُ في مفاصلهم كتمشّي السيرة في السقم
قال : سرقه أيضاً ! قال له : مِمَّنْ ؟ قال : من سوسة الفقعسيّ حيث يقول :
إذا ما سَقِيمٌ حَلَّ عَنْهَا وَكَاءُهَا تَصَعَّدَ فِيهِ بَرِّهَا وَتَصَوَّبَا
وإن خالطتُ منه الحشَى خِلْتِ أَنَّهُ عَلَى سَالِفِ الْأَيَّامِ لَمْ يُبْقِ مُوَهَّبَا
قال : فقد أحسن في قوله :

* المسعودي : ٢ - ٢٧٤

(١) هو الحسن بن هانئ ، رحل إلى بغداد ، واتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ، وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضريّة ، وأخرجه من اللهجة البدوية ، توفي سنة ١٩٢ هـ .

وما خُلِقَتْ إِلَّا لِبَدَلٍ أَكْفُهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لِأَعْوَادٍ مِنْ بَرٍّ
قال : قد سَرَقَهُ أَيْضًا ، قال : مَمَّنْ ؟ قال : من مروان بن أبي حفصة
حيث يقول :

وما خُلِقَتْ إِلَّا لِبَدَلٍ أَكْفُهُمْ وَالسُّنُّهُمُ إِلَّا لِتَحْبِيرِ مَنْطِقِ
قال : فسكت الراوية ، ولو أتى بِشَعْرِهِ كُلَّهُ لَقَالَ : سَرَقَهُ ا

١١٥ — أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ * ١

كان للمهلبى قبل انصاله بالسلطان حالٌ ضعيفة ، فبينما هو فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الحرث^(١) ، وأهل الأدب إذ أنشده :

أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ فهذا العيش ما لا خير فيه

أَلَا رَحِمَ الْمُهْمِيْمِينَ نَفْسَ حُرِّ تصدَّقْ بالوفاةِ على أخيه

فرثى له رفيقه ، وأحضر له بدرهم ، وما أمسك رَمَقَه ، وحفظ البيتين وتفرقا .

ثم ترقى المهلبى إلى الوزارة ، وأخنى الدهر على ذلك الرجل ؛ فتوصل إلى إيصال

رقعة مكتوب فيها :

أَلَا قَلَّ لِلْوَزِيرِ - فَدَتُهُ نَفْسِي - مقالا ذا كِرا ما قد نسيه

أَتَذَكَّرُ إِذْ تَقُولُ لِنَفْسِكَ عَيْشٍ : أَلَا مَوْتُ يُبَاعُ فَأَشْتَرِيهِ ا

فلما قرأها تذكَّرَ ما كان ؛ وأمر له بسبعائة درهم ، ووقع تحت رقعته : ﴿ مَثَلُ

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ

سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ . ثم قلدهُ عملا يرترقُ منه .

* المستطرف : ٢ - ٦٠

(١) الحرث : الزرع .

١١٦ — قد وجدناك ممتعاً *

قال الأصمعي^(١) : تصرّفت بي الأسبابُ على باب الرشيد مؤملاً الظفرَ به ،
والوصولَ إليه ؛ حتى إنى صرتُ لبعضِ حرّسه خديناً^(٢) . فإني في ليلةٍ قد نثرتُ السعادةَ
والتوفيقَ فيها الأرقَ بين أجفان الرشيد ، إذ خرج خادم فقال : أما بالحضرة أحد
يُحسِن الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ! ربّ قيّد مُضَيِّقٍ قد حلّه التيسير ! فقال لي
الخادم : ادخل ، فلعلمها تكون ليلة يُفْرَس في صباحها الغنى إن فُزْتَ بالخطوة
عند أمير المؤمنين .

فدخلتُ فواجهتُ الرشيد في مجلسه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بي
الخادم حيثُ يسمعُ التسليم ؛ فسلمتُ فردّ على السلام ، ثم قال : يا غلام ؛ أريحهُ
ليُفْرِخَ رُوعه^(٣) إن كان وجد للروعة حساً !

فدنوتُ قليلاً ثم قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إضاعةُ مجدك وبها كرمك مُجبران
لمن نظر إليك من اعتراض أذية ! فقال : اذنُ . فدنوتُ ، فقال : أشاعرُ أم
راوية ؟ فقلت : راوية لكلِّ ذي جدٍّ وهزلٍ ؛ بعد أن يكون محسناً ! فقال :
تالله ما رأيتُ ادعاءً أعظم من هذا ! فقلت : أنا على الليدان ؛ فأطلق من عناني
يا أمير المؤمنين !

* خزانة الأدب : ٤ - ٣٤٦ ، أمالي المرتضى : ٣ - ٩٦

(١) الأصمعي : عبد الملك بن قريب راوية العرب ، كان كثير التطواف في البوادي يقتبس علومها
ويبتلي أخبارها ويتحف بها الخلفاء ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٢) خليلاً وصديقاً (٣) يذهب خوفه .

فقال : أَنْصَفَ الْقَارَةَ^(١) مِنْ رَمَاهَا . ثم قال : ما المعنى في هذه الكلمة بَدِيئًا ؟ فقلت : القارة هي الحرّة من الأرض ؛ وزعمت الرواة أن القارة كانت رَمَاءً للتبابعة ، والملكُ إذ ذاك أبو حسان ، فواقف^(٢) عسكرُهُ عسكر السُّفْدِ^(٣) ، فخرج فارس من السُّفْدِ ، قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال : أين رماءُ العرب ؟ فقلت العرب ؛ قد أنصف القارة من رَمَاهَا . فقال لي الرشيد : أَصَبْتُ .

ثم قال : أتروي لرؤبة بنِ العجاجِ والعجاجِ شيئًا ؟ فقلت : هما شاهدان لك بالقوافي وإن غيبيًا بالأشخاص ، فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال : أنشدني :

* أرتقي طارقُ همَّ طارقًا *

فضيتُ فيها مضى الجواد في سننِ ميدانه تَهْدِرُ بها أشدائي ، فلما صرتُ إلى مديحه لبني أمية ، نثيتُ لساني إلى امتداحه لأبي العباس في قوله :

* قلتُ لزييرٍ لم تَصِلْهُ مَرِيْمُهُ *

فلما رأني قد عدلتُ من أرجوزة إلى غيرها قال : أعن حَيْرَةَ أم عن عمد ؟ قلت : عن عمد ، تركتُ كذبه إلى صِدْقِهِ فيما وصف به جدّك من مجده ! فقال

(١) في اللسان : زعموا أن رجلين النخيا ، أحدهما قارى (والقارة قبيلة) ، والآخر أسدى ، فقال : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال القارى : قد أنصفتني وأنشد :

قد أنصف القارة من راماهَا إنا إذا ما نقتة نلقاهَا

فرد أولاهَا على آخراهَا

(٢) الموافقة : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومه (٣) السُّفْدُ : بساين ترهمة وأما كن مشرة بسر قند .

الفضل : أحسنت ، بارك الله فيك ! مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس ! فلما أتيتُ على
آخرها قال لي الرشيد : أنروى كلمة عدى بن الرقاع :

* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُّمًا فَاعْتَادَهَا *^(١)

قلت : نعم . قال : هات ! فضيت فيها حتى إذا صرت إلى وصف الجمل قال
لي الفضل : ناشدتك الله أن لا تقطع علينا ما أمتعننا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة
جمل أجرب . فقال له الرشيد : اسكت فالإبل هي التي أخرجتكَ من دارك ،
واستلبت تاج ملكك ، ثم ماتت وعملت جلودها سياتاً ضربت بها أنت
وقومك !

فقال الفضل : لقد عوقبتُ على غير ذنب ، والحمد لله ! فقال الرشيد : أخطأت ،
الحمد لله على النعم ، ولو قلت : أستغفر الله كنت مُصيباً . ثم قال لي : امض في أمرك ،
فأنشدته ، حتى بلغتُ إلى قوله :

* تَزُجِي أُغْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ ^(١) *^(١)

استوى جالساً ثم قال : أتحفظ في هذا ذكراً ؟ قلت : نعم ذكرت الرواة أن
الفرزدق قال : كنتُ في المجلس ، وجريير إلى جانبي ، فلما ابتداء عدى في قصيدته
قلت لجريير مُسرّاً إليه : هلم نسخر من هذا الشامي ، فلما ذقنا كلامه يتسنا منه ،
فلما قال :

* تَزُجِي أُغْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *^(١)

(١) الروق : القرن ، والأغن من الغزلان : الذي في صوته غنة .

— وعدى كالمستريح — قال جرير : أما تراه يستلب بها مثلاً ؟ فقال الفرزدق :
يألكم ، إنه يقول :

✽ قلمٌ أصابَ من الدَّواةِ مِدَادَها ✽

فقال عديّ : قلم أصاب من الدواة مدادها .

فقال جرير : أ كان سمعك محبوباً في قلبه ؛ فقال له : اسكت ، شغلني سببك
عن جيد الكلام ! فلما بلغت إلى قوله :

ولقد أراد الله إذ ولّا كهاً من أمةٍ إصلاحها ورشادها

قال الرشيد : ما تراه حين أنشده هذا البيت ؟ قلت : قال كذاك أراد الله .
فقال الرشيد : ما كان في جلالته ليقولَ هذا ، أحسبه قال : ما شاء الله ! قلت : وكذا
جاءت رواية ؛ فلما أتيت على آخرها قال : أتروى لذي الرثمة شيئاً ؟ قلت : الأ أكثر ،
قال : فما أراد بقوله :

مُمرٌّ أمّرت فتله أسديّةٌ ذراعيّةٌ حلّالةٌ بالمصانع

قلت : وصف حمار وحشٍ أسمنه بقل روضةٍ توشجت أصوله ، وتشابكت
فروعه من مطر سحابة كانت بنوء الأسد ثم في الذراع من ذلك ، فقال الرشيد :
أرح ، فقد وجدناك مُمتعاً ، وعرفناك محسنًا .

ثم قال : أجد ملالة — ونهض — فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله —
وكانت عربية — فقال الرشيد : عقرتني يا غلام ! فقال الفضل : قاتل الله الأعاجم !
أما إنها لو كانت سنديّة لما احتجت إلى هذه الكلفة ، فقال الرشيد : هذه نعلي
ونعل آبائي ، كم تعارضُ فلا تُترك من جواب ممض .

ثم قال : يا غلام ، يُؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا
الرجل ، في ليلته هذه ، ولا يحجب في المستأنف ، فقال الفضل : لولا أنه مجلس
أمير المؤمنين ، ولا يأمر فيه غيره ، لأمرت لك بمثل ما أمر لك ، وقد أمرتُ لك به
إلا ألف درهم ، فتلق الخادم صباحاً .

قال الأصمعيّ : فما صلّيتُ من غدٍ إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف

درهم .

١١٧ — نَعَوَّذْتُ حَسَنَ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَتْهُ *

قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد لتركي الشعر ، وغلقت عليّ الأبواب ، فبعيت دَهْشًا كما يدَهَشُ مثل تلك الحال ؛ فنظرت فإذا رجلٌ جالس في جانب السجن وهو مقيد ، فجعلت أنظرُ إليه ساعة ، فتمثل بقوله :

نَعَوَّذْتُ حَسَنَ الصَّبْرِ حَتَّى أَلْفَتْهُ فَاسْأَلْنِي حَسَنَ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَصَبْرِي يَأْمِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا حَسَنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

فقلت له : أَعِدْ — أَعزك الله — هذين البيتين ، فقال لي : ويلك يا أبا العتاهية ! ما أسوأ أدبك ! وأقلّ عَقْلِكَ ! دخلت عليّ السجن فما سلمت تسليمَ المسلمِ على المسلم ، ولا سألت مسألةَ الحرِّ للحرِّ ، ولا توجَّعت توجعَ المبتلى للمبتلى ، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشعر الذي لا فضيلةَ فيك سواه لم تصبر عن استعادتهما ، ولم تُقدِّم قبل مسألتك عنهما عُذرًا لنفسك في طلبهما !

فقلت : يا أخي ؛ إني دَهَشْتُ من هذه الحال فلا تَعَذِّلْنِي وَاعْذُرْنِي مَتَفَضِّلًا ، فقال : أنا والله بالدَهَشِ والخيرة أولى منك ؛ لأنك حُبِستَ على أن تقول الشعر الذي به ارتفعت وبلغت ما بلغت ، وإذا قلتَ أَمِنْتَ ، وأنا حُبِستُ على أن أدلَّ على ابن رسول الله لِيُقْتَلَ أو أُقْتَلَ دونه ، والله لا أدلُّ عليه أبدًا ، والساعة يُدعى بي فأقتل ، فأينا أحقُّ بالدَهَشِ ؟

فقلت : أنت والله أولى ، سلمك الله وكفاك ! ولو علمتُ أن هذه حالك
ماسألتُك ، فقال : إذن لا أبجل عليك ، ثم أعادَ عليّ البيتين حتى حفظتهما ،
وأجزتهما بقولي :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكررتهُ منه طالَ عتبي على الدهر
ثم سألتُهُ عن اسمه ، فقال : أنا أبو حاضرة ، داعية عيسى بن زيد وابنه أحمد .
ولم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام ، فسكَبَ عليه ماءً من جرّةٍ
كانت عنده ، ولبس ثوباً نظيفاً ، ودخل الحرسُ ومعهم الشموع ، فأخرجونا جميعاً ،
وقدّم قبلي إلى الرشيد ، فسأله عن أحمد بن عيسى ، فقال : لا تسألني عنه ، وافعل
ما بدالك ، فلو أنه تحت ثوبي ما كشفتُ عنه ؛ فأمر به فضربتُ عنقه . ثم قال
لي : أظنك يا أبا إسماعيل ارتفت ، فقلت : دون ما رأيته تسيلُ منه النفوس ! فقال :
ردّوه إلى محبسه ، فردّوني .

١١٨ - مَلَّ كِتَابَهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ *

خرج الفضل^(١) بن يحيى للصيد والقنص، وبينا هو في موكبه إذ رأى أعرابيا على ناقه قد أقبل من صدر البرية، يرغض في سيره، فقال: هذا يقصدني فلا يكلمه أحداً غيري.

فلما دنا الأعرابي، ورأى المضارب تضرّب، والخيام تُنصب، والعسكر الكثير والجمّ الفقير، وسمع الفوغاء والضجة، ظن أنه أمير المؤمنين؛ فنزل وعقل راحلته، وتقدّم إليه، وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. قال: اخفيض عليك ماتقول. فقال: السلام عليك أيها الأمير، قال: الآن قاربت؛ اجلس، فجلس الأعرابي.

فقال له الفضل: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ قال: من قضاة، قال: من أذناها أو من أقصاها؟ قال: من أقصاها. فقال: يا أخا العرب؛ مثلك من يقصد من ثمانمائة فرسخ لأى شيء؟ قال: قصدت هؤلاء الأمجاد الأنجاد، الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد، قال: من من؟ قال: البرامكة!

قال الفضل: يا أخا العرب؛ إن البرامكة خلق كثير، وفيهم جليل وخاطر، ولكل منهم خاصة وعامة؛ فهل أفردت لنفسك منهم من اخترت وأنتيتّه

* المختار من نواحر الأخبار - مخطوط .
(١) وزير الرشيد، كان من أجود الناس، وله في هذا أخبار كثيرة، سجن في نكبة البرامكة، وتوفى في سجنه بالرقعة سنة ١٩٣ هـ.

لحاجتك؟ قال: أجل، أطولهم باعاً، وأسمحهم كفاً. قال: من هو؟ قال: الفضل ابن يحيى.

قال له الفضل: يا أخا العرب؛ إن الفضل جليل القدر عظيم الخطر، إذا جلس للناس مجلساً عامّاً لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء، والأدباء والشعراء، والكتّاب والمناظرون للعلم. أعلم أنت؟ قال: لا. قال: أفأديب أنت؟ قال: لا. قال: أعارف أنت بأيام العرب وأشعارها؟ قال: لا. قال: ورَدت على الفضل بكتاب وسيلة؟ قال: لا. فقال: يا أخا العرب غرتك نفسك؛ مثلك يقصد الفضل بن يحيى، وهو ماعرفتك عنه من الجلالة! بأي ذريعة أو وسيلة تقدّم عليه؟

قال: والله يا أمير؛ ما قصدته إلا لإحسانه المعروف، وكرمه الموصوف، وبيتين من الشعر قلتها فيه. فقال الفضل: يا أخا العرب؛ أنشدني البيتين، فإن كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه، وإن كانا لا يصلحان أن تلقاه بهما برزتك بشيء من مالي، ورجعت إلى باديّتك، وإن كنت لم تستحق بشعرك شيئاً. قال: أفتفعل أيها الأمير؟ قال: نعم. قال: فإني أقول:

ألم ترَ أنَّ الجودَ من عهدِ آدمٍ تحدّر حتى صار يمتصُّه الفضلُ
ولو أن أمّا مسها جوعٌ طفليها غدتهُ باسمِ الفضلِ لا غدداً الطُّفلُ

قال: أحسنت يا أخا العرب، فإن قال لك: هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر، وأخذ الجائزة عليهما فأنشدني غيرهما فما تقول؟ قال: أقول:

قد كان آدمُ حينَ حانَ وفاتهُ أوْصاك وهوَ يجودُ بالحوباءِ^(١)
ببنّيه أن ترعاهمُ فرعيتهمُ وكفيت آدمَ عوالةَ الأبناءِ

(١) الحوباء: النفس.

قال : أحسنت يا أخا العرب ؛ فإن قال لك الفضلُ - مُمتحنا : هذان البيتان
أخذتهما من أفواه الناس ، فأنشدني غيرها ، فما تقولُ وقد رمقتك الأدباء بالأبصار ،
وامتدت الأعناقُ إليك ، وأنت تحتاجُ أن تناضلَ عن نفسك ؛ قال : إذن أقول :
مَلَّتْ جِهَابِدُ^(١) فَضْلٍ وَزَنَ نَائِلِهِ وَمَلَّ كِتَابَهُ إِحْصَاءَ مَا يَهَبُ
وَاللَّهِ لَوْلَاكَ لَمْ يُمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ خَلَقَ وَلَمْ يَرْتَفِعْ بِحَدِّ وَلَا حَسَبُ
قال : أحسنت يا أخا العرب ! فإن قال لك الفضلُ : هذان البيتان مسروقان ،
أنشدني غيرها ، فما تقول ؟ قال : إذن أقول :

ولو قيل للمعروف نادِ أخا العُلا لنادى بأعلى الصوت يافضلُ يافضلُ
ولو أنفقت جدواك من رملِ عالج^(٢) لأصبح من جدواك قد نفذ الرملُ
قال : أحسنت يا أخا العرب ؛ فإن قال لك الفضل : هذان البيتان مسروقان
أيضاً : أنشدني غيرها فما تقول ؟ قال : أقول :

وما الناس إلا أنسان صبُّ وبادلُ وإني لَدَاكَ الصَّبُّ ، والبازلُ الفضلُ
على أن لي مثلاً إذا ذُكِرَ الوَرَى وليسَ لفضلٍ في سماحته مثلُ
قال : أحسنت يا أخا العرب ! فإن قال لك الفضلُ : أنشدني غيرها فما تقول ؟
قال : أقول أيها الأمير :

حكى الفضلُ عن يحيى سماحة خالدٍ فقامت به التَّقوى وقام به العدلُ
وقام به المعروفُ شرقاً ومغرباً ولم يكُ للمعروفِ بعدُ ولا قبيلُ
قال : أحسنت ؛ فإن قال لك : قد ضجرتنا من الفاضل والمفضول ، أنشدني
بيتين على الكنية لا على الاسم ، فما تقول ؟ قال : إذن أقول :

(١) جهابذ جمع جهبذ : وهو التقاد الحبير (٢) موضع به رمل .

أَلَا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ يَا وَاحِدَ الْوَرَى وَيَا مَلِكًا خَدَّ الْمَلُوكِ لَهُ نَعْلُ
إِلَيْكَ تَسِيرُ النَّاسُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فُرَادَى وَأَزْوَاجًا كَأَنَّهُمْ تَمَلُّ

قال : أحسنت يا أخا العرب ؛ فإن قال لك الفضل : أنشدنا غير الاسم والكنية .
قال : والله لئن زادني الفضل ، وامتحني بعد هذا لأقولن أربعة أبيات ما سبقني
إليها عربي ولا عجمي ، ولئن زادني بعدها لأجمعن قوائم ناقتي هذه وأجملها في فمه ،
ولأرجعن إلى قضاة خاسراً ولا أبالي .

فنكس الفضل رأسه ، وقال للأعرابي : يا أخا العرب ؛ أسمعني الأبيات
الأربعة ، قال : أقول :

ولأئمةٍ لامتِك يا فضلُ في النَّدى فقلت لها : هل يقدحُ اللومُ في البحر؟
أنتهينَ فضلاً عن عطاياه للورى فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطرِ
كانَ نوالَ الفضلِ في كلِّ بلدةٍ تحدرُ ماء المزنِ في مهمه قفرِ
كانَ وفودَ الناسِ في كلِّ وُجْهةٍ إلى الفضلِ لا قوا عنده ليلة القدرِ

فأمسك الفضل ثم سقط على وجهه ضاحكاً ! ثم رفع رأسه وقال :
يا أخا العرب ؛ أنا والله الفضل بن يحيى ، سل ما شئت ؛ فقال : سألتك بالله أيها
الأمير إنك لهو ! قال : نعم . قال له : فأقلني ، قال : أقالك الله ، إذ كره حاجتك .
قال : عشرة آلاف درهم . قال الفضل : ازدريت بنا وبنفسك يا أخا العرب ،
تُعطي عشرة آلاف في عشرة آلاف ، وأمر بدفع المال .

فلما صار المال إليه ، حسده بعض أتباع الفضل ، وقال : يا مولاي ؛ هذا إسراف ،
يأتيك جلفٌ من أجلاف العرب بأبياتٍ استرقها من أشعار العرب ، فتجزيه بهذا
المال ! قال : استحقه بحضوره إلينا من أرض قضاة .

قال : أفسمتُ عليكِ إلا أخذتَ سهمًا من كِنَانَتِكَ ، وركبتهُ في كَبِدِ قَوْسِكَ
وأومأتَ به إلى الأعرابي ، فإن ردَّ عن نفسه بيتَ من الشعر ، وإلا كان له في
بعضِ المالِ كفاية .

فأخذ الفضلُ سهمًا ، وركبه في كَبِدِ قَوْسِهِ ، وأومأَ به إلى الأعرابي وقال له :
وَدَّ سَهْمِي بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ ، فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

لقوسك قوسُ الجودِ والوترُ الندي وسهمك سهمُ العزِّ فارم به فقري
فضحك الفضل ، وأنشأ يقول :

إذا مَلَكْتَ كَفِّي مَفَالًا ولم أنلِ فلا انبَسَطْتَ كَفِّي ولا نهضتَ رجلي
عَلَى اللَّهِ إِخْلَافُ الَّذِي قد بذلتهُ فلا يَبْقُ لِي بُمُخْلِ ولا مُتَلَفِي بَدَلِي
أروني بِمُخِيلًا نالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ وهاتوا كَرِيمًا ماتَ من كَثْرَةِ البَدَلِ

ثم قال الفضل لتابعه : أعطِ الأعرابي مائة ألف درهم لقصده وشعره ، ومائة ألف
ليكفيها شرَّ قوائمِ ناقته .

فأخذ الأعرابي المالَ وانصرف وهو يبكي ، فقال له الفضل : مم بكائك يا أعرابي ؟
أستقللاً للمال الذي أعطيناك ؟ قال : لا ، ولكني أبسكي على مثلك يا أكله التراب
وتواريه الأرض ، وتذكَّرت قول الشاعر :

لعمرُك ما الرِّزِيَّةُ فَقَدُ مالٍ ولا فرسٌ يموتُ ولا بعيرُ
ولكنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدُ حُرِّ يموتُ لموتهِ خَلْقٌ كثيرُ

ثم انصرف الأعرابي .

١١٩ — اسْمِي مُشْتَقٌّ مِنْ اسْمِكَ *

قال عبد الله بن منصور : كنتُ يوماً في مجلس الفضل بن يحيى فأتاه الحاجب ، فقال : إنَّ بالباب رجلاً قد أكَثَرَ في طَلَبِ الإِذْنِ ، وزعم أنَّ له يداً يَمْتُ بها ، فقال : أَدْخِلْهُ .

فدخل رجل جميل رثُ الثياب ، فسلم وأحسن ؛ فأوماً الفضل إليه بالجلوس فجلس ، فلما علم أنه قد انطلق وأمكنه الكلام ، قال له : ما حاجتُك ؟ قال له : قد أعرَبتُ عنها رثائهُ هَيْئتي ، ووضَعف طاقتي ! قال : أجل ! فما الذي تمتُّ به ؟ قال : وِلادة تقربُ من ولادتك ، وجِوار يدنو من جِوارك ، واسمُ مُشْتَقٌّ من اسمك !

قال : أما الجِوار فقد يمكن أن يكونَ كما قلتَ ، وقد يوافق الاسمُ الاسمَ ، ولكن ما علمك بالولادة ؟ قال : أعلمتني أمي أنها لما وضعتني ، قيل : إنه ولد الليلة ليحيى بن خالد غلام ، وُسِّمى الفضل ، فسَمَّيتني فُضَيْلاً ، إعظاماً لاسمك أن تلحقني بك ؛ فتبسَّم الفضل ، وقال : كم أتى عليك من السنين ؟ قال : خمس وثلاثون . قال : صدقت ! هذا المقدار الذي أتيتُ عليه ، فما فعلتُ أمُّك ؟ قال : توفيتُ ، رحمها الله ! قال : فما منعك عن اللحاق بنا فيما مضى ؟ قال : لم أرضَ نفسي للقائك في حداثة تُعَدِّدني عن لقاء الملوك ! قال : يا غلام ؛ أعطه لكل عامٍ من سنينهِ ألفاً ، وأعطه من كُسُوتنا ومراكبنا ما يصلحُ له !

١٢٠ — بديهة قينة *

اعترض هارون الرشيد قينة ففنت :

ما نَقَمُوا من بني أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا
فلما ابتدأت به تغير وجه الرشيد ، وعلمت أنها قد غلِطت ، وأنها إن مرّت
فيه قُتِلت ، ففنت :

ما نَقَمُوا من بني أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا
وأنهم معدِنُ النَّفَاقِ فما تَقْسُدُ إلا عليهمُ العربُ^(١)

فقال الرشيد ليحيى بن خالد - وكان حاضراً : أسمعيت يا أبا علي ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ تبتاع ، وأسني^(٢) لها الجائزة ، ويعجل لها الإذن ليسكن قلبها ؛
قال : ذلك جزاؤها ، قومي فأنت مني بحيث تحبين . فقال يحيى :

جُرِيتَ أميرَ المؤمنينِ بِأمنِها من الله جناتٍ تفوزُ بعدنِها

* الأغانى : ٥ : ٨٥ .

(١) والشعر في الأصل :

ما نَقَمُوا من بني أمية إلا أنهم يَحْمَلُونَ إن غَضِبُوا
وأنهم سادة الملوك فما تصلح إلا عليهم العرب

(٢) تسنى الجائزة : تجزّل حتى تكون سنية .

١٢١ — لا أذوق المدام إلا شميماً*

حبس أبو نؤاس في شرب الخمر ، وكان للفضل بن الربيع خال يستعرض أهل السجون ويتعاهدهم ويتقدمهم ، ودخل في حبس الزنادقة ؛ فرأى فيه أبا نؤاس — ولم يكن يعرفه — فقال له : يا شاب ؛ أنت مع الزنادقة ! قال : ممآذ الله ! قال : فلعلك ممن يعبد الكبش ؟ قال : أنا آكل الكبش بصوفه ! قال : فلعلك ممن يعبد الشمس ؛ قال : إني لأتجنب القعود فيها بقضاً لها ! قال : فبأى جرّم حبست ؟ قال : حبست بتهمة أنا منها برىء ! قال : ليس إلا هذا ! قال : والله لقد صدقتك .

فجاء إلى الفضل فقال له : يا هذا ؛ أيحبس الناس بالتهمة ! قال : وما ذاك ؟ فأخبره بما ادعى من جرّمه . فتبسم الفضل ، ودخل على محمد الأمين فأخبره بذلك ، فدعاه ، وتقدّم إليه أن يحتب الخمر والسكر . فقال : نعم ، قيل له : فبعهد الله ! قال : نعم ! فأخرج .

فبعث إليه فتية من قريش ، فقال لهم : إني لا أشرب . قالوا : وإن لم تشرب فآنسنا بحديثك . فأجاب ، فلما دارت الكأس بينهم قالوا : ألم ترح لها ؟ قال : لا سبيل والله إلى شربها ، وأنشأ يقول :

أَيْهَا الرَّائِحَانَ بِاللَّوْمِ لَوْ مَا لَا أَذُوقُ الْمُدَامَ إِلَّا شِمِيمَا
بِنَاتِي بِالْمَلَامِ فِيهَا إِمَامٌ لَا أَرَى لِي خِلَافَهُ مُسْتَقِيمَا
فَاصْرِفَاهَا إِلَى سِوَايَ فَإِنِّي لَسْتُ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ نَدِيمَا
كَبْرَ حَظِّي مِنْهَا إِذَا هِيَ دَارَتْ أَنْ أَرَاهَا وَأَنْ أَشْمَّ النَّسِيمَا
فَكَأَنِّي وَمَا أَحْسَنُ مِنْهَا قَعْدِي ^(١) يَزِينُ التَّحْكِيمَا
كَلَّ عَنْ حَمَلِهِ السَّلَاحَ إِلَى الْحَرِّ بِفَاوْصَى الْمُطِيقَ إِلَّا يُقِيمَا

(١) القعدى من الحوارج : الذى يرى رأى القعدة الذين يرون التحكيم حقا ؛ غير أنهم قعدوا عن الحروج على الناس .

١٢٢ — إِنْ بَعَدَ الْعُسْرُ يَسْرًا*

قال مسلم بن الوليد^(١) : كنتُ جالساً عند خياط يإزاء منزلي ؛ فمرَّ بي إنسانٌ
أُعرفه ، فقامتُ إليه وسلمت عليه ، وجئت به إلى منزلي لأُضيِّفه^(٢) ، وليس معي
درهم ، بل كان عندي زوج أخفاف فأرسلتهما مع جاريتين لبعض معارف ، فباعهما
بتسعة دراهم ، واشترى بهما الخبز واللحم .

فجلسنا نأكل ، وإذ بالباب يُطرق ، فنظرت من شقّ الباب ، وإذا بإنسان يسأل :
هذا منزل فلان ؟ ففتحت الباب وخرجت ، فقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت :
نعم ، فأخرج لي كتاباً ، وقال : هذا من الأمير^(٣) ؛ فإذا فيه :

قد بمنالك بعشرة آلاف درهم لتكون في منزلك ، وثلاثة آلاف درهم
تتجمل بها لقدمك علينا .

فأدخَلتُه إلى داري وزدت في الطعام ، واشتريتُ فاكهة ؛ وجلسنا فأكلنا ،
ثم وهبتُ لضيِّف شيناً يشتري به هديةً لأهله .

وتوجهنا إلى الأمير بالرقّة^(٤) ، فوجدناه في الحمام ، فلما خرج استؤذن لي
عليه ، فدخلتُ فإذا هو جالس على كرمي ، ويده مُشط ، يسرِّح به لحيته ،

* المستطرف : ٢ - ٧٠

(١) أحد الشعراء المبدعين ، اتصل بالرشيد ، وعد من شعرائه ، ومدح البرامكة وحسن رأيهم
فيه ثم قربه الفضل بن سهل ، ومات سنة ٢٠٨ هـ بمرجان (٢) أضاف الرجل : أنزله ضيفاً
(٣) هو يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد (٤) الرقة : بلد على الفرات واسطة ديار ربيعة
وبلد آخر غربي بغداد .

فسلمت عليه فردّ أحسن ردّ ، وقال : ما الذى أفعذك عنا ؟ قلت : قلة ذات اليد ،
وأشدته قصيدة مدحته بها . قال : أتدرى لم أحضرتك ؟ قلت : لا أدرى ،
كنت عند الرشيد منذ ليل أحاديثه ، فقال لى : يا يزيد ؛ من القائل فيك :

سَلَّ الخليفة سيفاً من بنى مضرٍ يمضى فيخترقُ الأجسامَ والهَامَاً^(١)
كالدهرِ لا ينثنى عماسيهمُ به قد أوسع الناس إنعاماً وإرغاماً

فقلت : والله لا أدرى يا أمير المؤمنين ! فقال : سبحان الله ! أيقال فيك مثل
هذا ولا تدرى من قاله ؟ فسألت ؛ فقيل لى : هو مسلم بن الوليد !

فأرسلت إليك ، فانهض بنا إلى الرشيد . فسرنا إليه ، واستؤذن لنا ، فدخلنا
عليه ، فقبلت الأرض بين يديه ، وسلمت فرد على السلام ، فأشدته مالى فيه من شعره ،
فأمر لى بمائتى ألف درهم ، وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم ، وقال : ما ينبغي
أن أسأوى أمير المؤمنين فى العطاء .

(١) الهامة : الرأس ، والجمع هام .

١٢٣ — رَأْوِيَّةُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ*

كان داودُ بنُ يزيدِ بنِ حاتمِ المهلبِي (١) يَجْلِسُ للشعراءِ في السنةِ نَجْلِسًا واحدًا ،
فيقصدونه لذلك اليومِ وَيُنْشِدُونَهُ ، فوجهُ إليه مسلمٌ رَأْوِيَّتَهُ بقصيدته التي أولها :
لا تَدْعُ بِبِي الشوقِ إني غيرُ مَعْمُودٍ نَهَى النَّهْيَ عن هَوَى الهيفِ الرَّعَاديْدِ (٢)
فقدِمَ عليه يومَ جلوسه للشعراءِ ولحقه عقبُ خروجه عنه ، فتقدم إلى الحاجبِ
وَحَسَرَ لِثَامَهُ عن وجهه ، ثم قال : استأذن لي على الأميرِ ؛ قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال :
شاعرٌ ، قال : قد انصَرَمَ وَقَتِكَ وانصرف الشعراءُ وهو على القيامِ .

فقال له : ويحك ! إني قد وفدتُ على الأميرِ بشعري ما قالت العربُ مثله ، وكان
مع الحاجبِ أدبٌ يفهمُ به ما يسمعُ ، فقال : هاتِ حتى أسمعُ ، فإن كان الأمرُ كما
ذَكَرْتَ أو صَلَّيْتُكَ إِلَيْهِ ؛ فَأَنْشِدْهُ بعضَ القصيدةِ ، فسمعَ شيئاً يقصرُ عنه الوصفُ ؛
فدخل على داودِ فقال له : قدِمَ على الأميرِ شاعرٌ بِشعْرِ ما قالت العربُ مثله ، فقال :
أَدْخِلْ قَائِلَهُ ! فلما مَثَلَ بين يديه سَلَّمَ ، وقال : قدِمتُ على الأميرِ - أعزَّه اللهُ - بمدحٍ
بِسمعه ، فيعلمُ تقدمي على غيري بِمَنْ أمتدَّحَه ؛ فقال : هاتِ !

فلما افتتح القصيدة وقال : « لا تَدْعُ بِبِي الشوقِ .. » استوى جالساً ، وأطرق حتى

* عصر المأمون : ٢-٣٨١

(١) أمير من الشجعان العقلاء ولاة الرشيد السند فاستقت له أمورها واستمر إلى أن توفى فيها سنة ٢٠٥ هـ (٢) أي لا تدعني مشتاقاً ، وسأله دعبل عن معنى ذلك ، فقال : لا تدعني صريع الفواقي ، فليست كذلك ، وكان لهذا اللقب كارهاً . والمعمود : المشغوف عشقاً . والهيف : الضامرات المحصور . وامرأة رعيدة : يترجرج لئها من نعمتها . وكذلك الرخصة الناعمة .

أنى الرجل على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه ، فقال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم
أيها الأمير ! قال : فى كم قلته يافتى ؟ قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله . قال : لوقلته
فى ثمانية أشهر لكنت محسناً ، وقد اتهمتك ، لجودة شعرك وخول ذكرك ، فإن
كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثله ، وأمرت بالإجراء عليك ،
فإن جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا بحرمتك .

فقال : أو الإقالة - أعز الله الأمير . قال : قد أقلتك ، قال : الشعر لمسلم بن
الوليد وأنا راويته والوafd عليك بشعره . فقال : أنا ابن حاتم ! إنك لما افتتحت
شعره قلت : « لا تدع بى الشوق إنى غير معمود^(١) » سمعت كلام مسلم ينادينى ،
فأجبت نداءه واستويت جالساً ، ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ،
واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم .

(١) انظر القصيدة فى عصر المأمون : ٢ : ٢٨٢

١٢٤ — لَبَاقَةٌ*

قال محمد بن أيوب: كان بالبصرة رجلٌ من بني تميم، وكان شاعراً ظريفاً،
خبثاً ما كراً، وكنتُ أنا والى البصرة، آنس به وأستَحْلِيهِ^(١)، فأردت أن
أخذعه؛ فقلتُ له: أنت شاعر ظريف، وللمؤمن أجودُ من السحاب الخافل^(٢)
والريح العاصف، فما يمنحك منه؟

قال: ما عندي ما يُقْنِي^(٣). قلت: فأنا أعطيك نجيباً^(٤) فارهاً، ونفقةً
سابقة، وتخرجُ إليه وقد امتدحتَه، فإنك إن حظيتَ ببقائه صرْتَ إلى
أمنيتك.

قال: والله آتيا الأمير، ما إخالك أبعدت، فأعدَّ لي ما ذكرت. فدعوت له
بنجيبٍ فارِهِ، وقلت له: شأنك به فامتطِه، قال: هذه إحدى الحسينين، فما بال
الأخرى؟ فدعوتُ له بثلمائة درهم، وقلت: هذه نفقتك، قال: أحسبك أيها الأمير
قصرْتَ في النفقة، قلت: لا، هي كافية إن قصرْتَ^(٥) عن السرف، قال: ومتى
رأيتَ في أكبر سعدٍ سرفاً حتى تراه في أصاغرها!

فأخذ النجيب والنفقة، ثم عمِلَ أرجوزةً ليست بالطويلة، فأنشدَ فيها وحذف
منها ذِكْرِي والثناء على، وكان ماردًا^(٦)، فقلت له: ما صنعتَ شيئاً، قال:

* الطبري: ١٠: ٢٩٧

(١) أستحليه: أستخفه (٢) السحاب الخافل: كثير الماء (٣) أقله: حمله (٤) النجيب
من الإبل: القوي الخفيف السريع؛ فارهاً: نشيطاً حاداً قويا (٥) قصر عن السرف: امتنع
عن الإسراف (٦) المارد من الرجال: العاقب الشديد.

وكيف ؟ قلت : تأتي الخليفة ولا تُثني على أميرك ! قال : أيها الأمير ؛ أردت أن
تجدني فوجدتني خداعاً ! أما والله ما ليكرامتي حملتني على نجيبك ، ولا جدت لي
بمالك الذي ما رامه أحدٌ قطَّ إلا جعل الله خدّه الأسفل ، ولكن لأذكرك في
شعري ، وأمدحك عند الخليفة .

قلت : قد صدقت ؛ فقال : أما إذا أبديت ما في ضميرك ، فقد ذكرتك
وأثبتت عليك ؛ قلت : فأنشدني ما قلت ، فأنشدني ، فقلت : أحسنت ، ثم
ودّعني وخرج .

وأتى الشام وإذا المأمون بسلعوس .

قال : فأخبرني ، قال : بينا أنا في غزاة قرية ، قد ركبتُ نجيبى ذاك ، ولبست
مقطعاتي ^(١) ، وأنا أرموم العسكر ، إذا أنا بكهملٍ على بغلٍ فارِه ، ما يقرُّ قراره ،
ولا تدرك خطاه ؛ فتلقاني مكافحةً ^(٢) ومواجهة ، وأنا أردد نشيد أرجوزتي ،
فقال : سلامٌ عليكم ، بكلام جهوري ولسان بسيل ؛ فقلت : وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته ! قال : قف إن شئت ، فوقفت ، فتضوّعتُ منه رائحة العنبر
وللمسك الأذفر ، فقال : ما أولئك ! قلت : رجل من مضر ، قال : ونحن من
مضر . قال : ثم ماذا ؟ قلت : رجل من بني تميم . قال : وما بعد تميم ؟ قلت :
من بني سعد ، قال : هيه ! فما أقدمك هذا البلد ؟ قال : قصدتُ هذا الملك الذي
ما سمعتُ بمثله أندى رائحةً ، ولا أوسع راحةً ، ولا أطول باعاً ، ولا أمدَّ يفاعاً ^(٣) !

(١) المقطعات : التصار من الثياب (٢) المكافحة : مصادفة الوجه بالوجه مفاجأة

(٣) يفاع في الأصل : اللص من الأرض والجبل .

قال : فما الذي قصده به ؟ قلت : شعراً طيباً يلذ على الأفواه ، وتقتفيه الرواة ،
ويحلو في آذان المستمعين ؛ قال : فأنشده ، ففضبت وقلت : ياركيك^(١) ! أخبرتك
أني قصدت الخليفة بشعراً قلته ، ومدح حبرته ، تقول : أنشده ! فتغافل والله
عنها ، وتطمأن لها .

قال : وما الذي تأمل منه ؟ قلت : إن كان على ما ذكر لي عنه فألف دينار ،
قال : فأنا أعطيك ألف دينار إن رأيت الشعر جيداً والكلام عذبا ؛ وأضع عنك
العناء ، وطول التردد ، ومتى تصل إلى الخليفة ، وبينك وبينه عشرة آلاف راميح
ونابيل^(٢) !

قلت : فلي الله عليك أن تفعل ! قال : نعم ، لك الله على أن أفعل ؛ قلت :
ومعك الساعة مال ؟ قال : هذا بغلي ، وهو خير من ألف دينار ، أنزل لك
عن ظهره .

ففضبت أيضاً ، وعارضني نزيق سعدٍ وخيفة أحلامها ، فقلت : ما يساوي هذا
البغل النجيب ! قال : فدع عنك البغل ، ولك الله على أن أعطيك الساعة
ألف دينار ! فأشده :

مأمون إذا المن الشريفه	وصاحب المرتبة المنيفه ^(٣)
وقائد الكتبية ^(٤) الكثيفه	هل لك في أرجوزة ظريفه ؟
أظرف من فقه أبي حنيفه	لا والذي أنت له خليفه
ماطلت في أرضنا ضعيفه	أميرنا مؤنته خفيفه

(١) الركيك من الرجال : الضعيف في عقله ورأيه (٢) الرامح : ذو الرمح ، والنابل : صاحب
النبيل ، وهي السهام (٣) النيفة : العالية المرتفعة (٤) الكتبية : الجيش .

وما اجتبي شيئاً سوى الوظيفة فالذئبُ والنعجةُ في سقيفة

* واللصُّ والتاجرُ في قطيفة^(١) *

فوالله ما عدا أن أنشدته، فإذا زُهاه^(٢) عشرة آلاف فارس قد سدوا الأفق،
يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته! فأخذني أفكلك^(٣)،
ونظر إلى تلك الحالة، فقال: لا بأس عليك أي أخي؛ قلت: يا أمير المؤمنين؛
جعلني الله فداءك! أتعرف لغات العرب؟ قال: إي لعمر الله! قلت، فمن جعل
الكاف منه مكان القاف^(٤)؟ قال: هذه حمير؛ فقلت: لعننا الله ولعن من
استعمل هذه اللغة بعد اليوم!

فضحك المأمون وعلم ما أردت، والتفت إلى خادمٍ إلى جانبه، فقال: أعطه
ما معك، فأخرج إلى كيساً فيه ثلاثة آلاف دينار، فقال: هاك، ثم قال:
السلام عليك ومضى، فكان آخر العهد به!

(١) أصل القطيفة: دثار مخمل (٢) زهاه: قدر (٣) أفكلك كأحد: رعدة وقشعريرة
(٤) يشير إلى قوله له أولاً: ياركك.

١٢٥ — لولا حمقه وحمق صاحبه لمت جوعاً*

قال المأمون يوماً لأحمد بن أبي خالد^(١) : اغدُ عليّ باكرًا لأخذ القصص التي عندك ، فإنها قد كثرت لنقطع في أمور أصحابها ، فقد طال انتظارهم إياها .
فبكر ، وقعد له المأمون ، فجعل يمرضها عليه ويوقع عليها ، إلى أن مرَّ بقصة رجل من اليزيديين يقال له فلان اليزيدي؛ فصَحَّف^(٢) وكان جائعاً فقال : الثريدُ ؛ فضحك المأمون ، وقال يا غلام ، تريدةٌ ضخمة لأبي العباس ، فإنه أصبح جائعاً !
فخجل أحمد ، وقال : ما أنا بجائع يا أمير المؤمنين ، ولكنَّ صاحبَ هذه القصة أحمقٌ ، وضع فوق نسيبته ثلاث قطع ، قال : دَعْ هذا عنك ، فالجوعُ أضرَّ بك حتى ذكرت الثريد ؛ فجاءوه بصحفة عظيمة ، كثيرة العراق والودك^(٣) ؛ فاحتشم أحمد ، فقال المأمون : بحياتي عليك ، لما عدلتَ نحوها . فوضع القِصص ومال إلى الثريد ، فأكل حتى انتهى والمأمون ينظر إليه ، فلما فرغ دعا بطستٍ فغسل يده ، ورجع إلى القِصص ، فمرت به قصة فلان الحمصي فقال : فلان الخبيص ، فضحك المأمون وقال : يا غلام ، جاماً^(٤) فيه خبيص ، فإن غذاء أبي العباس كان مبتوراً^(٥)

* عصر المأمون : ١ - ٣٠٦

(١) أحمد بن أبي خالد وزير المأمون بعد الفضل بن سهل وكان شرها (٢) المصحف : الذي يروى الخطأ عن قراءة الصحف بأشياء الحروف - مولدة (٣) الودك : الدم ، والعراق جمع عرق : وهو القطعة من اللحم (٤) الجام : إناء من فضة . الخبيص : المعمول من التمر والسنن (٥) بتره : قطعه قبل الإتمام .

فخجل أحمد وقال : يا أمير المؤمنين ؛ صاحبُ هذه القصة أحمق ، فتح الميم فصارت كأنها سنتان ، قال : دَعْ عنك هذا ، فلولا حمقه وحمقُ صاحبه لمت جوعاً ، فجاءوه بجام خبيص ، فخجل ، فقال له المأمون : بجياتي عليك إلامت إليها ! فانحرف فانثنى عليه ، وغسل يده ، ثم عاد إلى القصص ، فما أسقط حرفاً حتى أتى على آخرها .

١٢٦ — إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ

نصيبٌ ولا حظٌ تمنى زوالها*

أشرف المأمون يوماً على قصره فرأى رجلاً يكتب بفحمةٍ على حائط قصره . فقال المأمون لبعض خدَمِهِ : اذهب إلى ذلك الرجل ، فانظر ما كتب وأنتني به . فبادر الخادم إلى الرجل مسرعاً ، وقبض عليه ، وقال له : ما كتبت ؟ فإذا هو قد كتب هذا البيت :

يا قصرُ جَمَعَ فيك الشؤمُ واللؤمُ متى يُعشَّشُ في أركانك البومُ !

ثم إن الخادم قال له : أجب أمير المؤمنين . فقال الرجل : سألتك بالله لا تذهب بي إليه ، فقال الخادم : لا بد من ذلك ، ثم ذهب به .

فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين ، وأُعلم بما كتب ، قال له المأمون : ويحك ! ما حَمَلَكَ على هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه لا يخفى عليك ما حوَّاه قصرُك هذا ؛

من خزائن الأموال والحلى والحلل ، والطعام والشراب والفُرُش والأواني ، والأمتعة
والجوارى ، والخدم وغير ذلك ، مما يقصُرُ عنه وصفي ، ويعجزُ عنه فهمي . وإني
قد صررتُ عليه الآن وأنا في غاية من الجوع والفاقة ؛ فوفقتُ مُفكرًا في أمرى ،
وقلتُ في نفسى : هذا القصر عامر عال ، وأنا جائع ، ولا فائدة لى فيه فلو كان خراباً
وممرت به لم أعدم رُخامةً أو خشبةً أو مسباراً أبيعهُ وأتقوتُ بثمنه ؛ أو ما علمَ أميرُ
المؤمنين رعاه الله قولَ الشاعر :

إذا لم يكن للمرء في دولةِ امرئٍ نصيبٌ ولا حظٌ تممى زوالها
وما ذاك من بفضٍ لها غيرَ أنه يرجى سواها ، فهو يهوى انتقامها
فقال المأمون : يا غلام ؛ أعطه ألفَ درهم . ثم قال : هى لك فى كل سنة ،
مادام قصرُنا عامراً بأهله مسروراً بدولته .

١٢٧ — خُلِقَ دِعْبِلُ *

قال محمد بن موسى الضَّبِّي ، وكان نديماً لعبد الله بن طاهر : بينا نحن عند عبد الله بن طاهر ذات ليلة ، يُذاكرنا بالأدب وأهله ، وشعراء الجاهلية ، إذ بلغ إلى ذكرِ المحدثين حتى انتهى إلى ذِكْرِ دِعْبِلِ ^(١) فقال : وَيَحْكُ يَا ضَبِّي ! إني أريد أن أحدثك بشيء على أن تسترّه طولَ حياتي ؛ فقلت له : أصلحك الله ، أنا عندك في موضعِ ظَنِّتِه ؟ قال : لا ، ولكن أَطِيبُ لِنَفْسِي أن توثق لي بالأيمان ؛ لأركن إليها ، ويسكن قلبي عندها ، فأحدثك حينئذ .

قلت : إن كنتُ عند الأمير في هذه الحال فلا حاجةَ به إلى إفشاء سره إلى ، واستعفيته مراراً فلم يعفني ؛ فاستعفيتُ من مراجعته ، وقلت : فليَرَ الأميرُ رأيَه ؛ فقال لي : يا ضَبِّي ؛ قل : والله ، قلت : والله ، فأمرها عليّ نَعْموساً ^(٢) مؤكدةً بالبتينة والطلاق وكلُّ ما يَحْلِفُ به مسلم .

ثم قال : أشعرت أن دِعْبِلًا مَدْخُولُ النَّسَبِ ؟ وأمسك ، فقلت : أعزَّ الله الأمير ، أفي هذا أخذتَ العهود والمواثيق ومغلظَ الأيمان ! قال : إي والله ، فقلتُ : ولم ؟ قال : لأنني رجلٌ لي في نفسي حاجة ، ودعبل رجلٌ قد حمل نفسه على المهالك ، وحمل جِدْعَهُ على عنقه ، فليس يجد مَنْ يَصْلِبُهُ عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول

* الأغاني : ١٧ - ٥٦ .

(١) هو دعبل بن علي بن رزين ؛ شاعر مطبوع هجاء ، لم يسلم من لسانه أحد من عاصره من الخلفاء والوزراء والولاة ، ولا ذى نباهة ، أحسن إليه أو لم يحسن ، توفي سنة ٢٤٦ هـ .
(٢) اليمين النعوس : التي تقسم صاحبها في الإثم .

فِي مَا يَبْقَى عَلَى عَارِهِ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقُصَّارَايَ إِن ظَفَرْتُ بِهِ ، وَأَسْلَمْتَهُ الْيَمِينَ - وَمَا
أَرَاهَا تَفْعَلُ ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ شَاعِرُهَا ، وَالذَّابُّ عَنْهَا ، وَالْحَامِي لَهَا دُونَهَا - أَنْ أَضْرِبَهُ
مِائَةَ سَوْطٍ ، وَأَثْقَلَهُ حديدًا ؛ وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عِوَضٌ عَلَى مَا سَارَ فِي مِنَ الْمَجَاءِ وَفِي
عَقْبِي مِنْ بَعْدِي .

قُلْتُ : مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ وَيُقَدِّمُ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لِي : يَا عَاجِزُ ؛ أَتَرَاهُ أَقْدَمَ عَلَى
الرَّشِيدِ وَالْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَعَلَى أَبِي وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى - قُلْتُ : فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ
قَدْ وَفَّقَ الْأَمِيرُ فِيمَا أَخَذَهُ عَلَى .

وَكَانَ دَعْبِلُ صَدِيقًا لِي ، قُلْتُ : هَذَا شَيْءٌ قَدْ عَرَفْتَهُ ، فَمِنْ أَيْنَ قَالَ الْأَمِيرُ
إِنَّهُ مَدْخُولُ النَّسَبِ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مِنْ خُرَازْمِةَ ؟ فَقَالَ : اسْمِعْ ، إِنَّهُ كَانَ أَيَّامَ
تَرْغَرِخَ خَامِلًا لَا يُؤَبِّهَ لَهُ ، وَكَانَ يَنَامُ هُوَ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ لَا يَمْلِكَانِ
غَيْرَهُ ، وَمُسْلِمٌ أَسْتَاذُهُ ، وَهُوَ غَلَامُهُ يَخْدُمُهُ ، وَدَعْبِلٌ حِينَئِذٍ لَا يَقُولُ شِعْرًا يَفْكَرُ فِيهِ ،
حَتَّى قَالَ :

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبِكَي

وَعَنِّي فِيهِ بَعْضُ الْمَغْنِينِ وَشَاعٍ ، فَغَنِّي بِهِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ ، فَطَرِبَ ، وَسَأَلَ
عَنْ قَائِلِ الشَّعْرِ ، فَقِيلَ لَهُ : دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَهُوَ غَلَامٌ نَشَأَ مِنْ خُرَازْمِةَ ، فَأَمَرَ
بِإِحْضَارِ عَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَخِلْعَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَحْضَرَ ذَلِكَ ، فَدَفَعَهُ مَعَ خَادِمٍ مِنْ
خَاصَّتِهِ ، وَقَالَ لَهُ : إِذْهَبْ بِهَذَا إِلَى خُرَازْمِةَ ، فَاسْأَلْ عَنِّ دَعْبِلَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَإِذَا
دُلَّتْ عَلَيْهِ فَأَعْطِهِ هَذَا ، وَقُلْ لَهُ : لِيَحْضُرَ إِنْ شَاءَ ، وَإِنْ لَمْ يُحِبَّ ذَلِكَ فَدَعَهُ ،
وَأَمَرَ لِلْمَغْنِيِّ بِجَائِزَةٍ .

فسار الغلام إلى دِعْبَل، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه . فلما دخل عليه وسلم أمره بالجلوس فجلس ، واستنشد الشعر فأنشده إياه فاستحسنه ، وأمره بملازمته ، وأجرى عليه رزقاً سنياً ، فكان أولَ مَنْ حَرَّضَهُ على قول الشعر ؛ فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العطاء السنِّي ، والغنى بعد الفقر ، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة ، وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت وهجا الرشيد :

ليس حتى من الأحياء نعلمه	من ذى يمان ومن بكرٍ ومن مُضَرٍ
إلا وهم شركاء في دماهم	كما تشارك أيسارٌ على جزر ^(١)
قتل وأسروا وتحريقاً ومتهبة	فعل الغزاة بأرض الروم والخرز ^(٢)
أرى أمية معذورين إن قتلوا	ولا أرى لبني العباس من عذرٍ
اربع بطوس على قبر الزكي إذا	ما كنت ترنع من دين على وطر ^(٣)
قبران في طوس : خير الناس كلهم	وقبر شرهم ؛ هذا من المبرأ
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا	على الزكي بقرب الرجس من صرر
هيئات كل امرئ رهن بما كسبت	له يدها فخذ ما شئت أو فذر

فهذه واحدة ، وأما الثانية فإن المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى

دس إليه قوله :

(١) أيسار : جمع ياسر ، وهو الذي يلى قسمة الجزور ، والجزر : نوق تذبح وتقسم أقساماً للمقامرة (٢) الخزر : جيل من الترك ، بلادهم شمال فارس . (٣) طوس : مدينة عظيمة بخراسان تعرف الآن بمشهد ، دفن بها الرشيد وعلي بن موسى الرضا . واربع : أقم . والوטר : الحاجة .

أَنَّى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقٍ
إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) مُضْطَلَعًا بِهَا فَلْتَصَلِحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ ^(٢)

فلما قرأها للمأمون ضحك وقال : قد صفتُ عن كل ما هجانا به ؛ إذ قرن
لإبراهيم بمخارق في الخلافة ، وولاه عهده وكتب إلى أُنَى أن يكتبه بالأمان ،
ويحمل إليه مالاً ، وإب شاء أن يقيمَ عنده أو بصيرَ إلى حيث شاء فليفعل .
فكتب إليه أبي بذلك ، وكان واثقاً به ، فصار إليه ، فعمله وخلع عليه ، وأجازه
وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المأمون ففعل ، فلما دخل وسلم عليه تبسّم في وجهه ،
ثم قال : أنشدني ^(٣) :

مدارسُ آياتٍ خلتُ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مُقْرِ العَرَصَاتِ ^(٤)
فجَزِعَ ، فقال له : لك الأمان فلا تخف ، وقد رويتها ولكني أحب سماعها
مِنْ فِيكَ ، فأنشده :

مدارسُ آياتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزَلُ وَحْيٍ مُقْرِ الْعَرَصَاتِ
لآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى وَبِالرَّكْنِ وَالتَّعْرِيفِ وَالجَمَرَاتِ ^(٥)
دِيَارُ عَلِيٍّ وَالحُسَيْنِ وَجَعْفَرٍ وَحَمْزَةُ وَالسَّجَادِ ذِي الثَّنَائَاتِ ^(٦)
دِيَارُ عَفَاها ^(٧) كُلُّ جَوْنٍ مُبَادِرٍ ^(٨) وَلَمْ تَعْفُ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ

(١) يريد إبراهيم بن المهدي ، وهو عم المأمون ، وقد اشتهر بالفناء وأتقى من قدره .
(٢) مخارق : مفعول معروف (٣) من التصانيد المشهورة في مدح آل البيت (٤) المقفر :
الحالي من الناس ، والعرصات : ساحات الدار (٥) أسماء مواضع بمكة (٦) الثفنة : الركبة
ويجتمع الساق والثفخذ ، والسجاد ذو الثفات : علي بن الحسين لأن طول السجود أثر في ثفناته
(٧) عفاها : عفاها (٨) الجون المبادر : السحاب الماطر .

قفا نسأل الدار التي خَفَّ أهلها متى عَهدُها بالصوم والصلواتِ !
وأين الألى شَطَّتْ بهم غُرْبَةُ النوى أفابن (١) في الآفاقِ مُفترقاتِ
وما الناسُ إلا حاسدٌ ومكذَّبٌ ومُضْطَفِنٌ (٢) ذو إحنةٍ وتِراتِ
ومضى فيها حتى أتى على آخرها .

والمأمون يبكي حتى اخضَلَّتْ لحيته بدمعه . فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له
آياتٌ يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به ، حتى كان أول داخل وآخر
خارج من عنده (٣) .

(١) الأفابن : الأنواع أو الأحوال (٢) مضغن : حاقد ، والإحنة : العداوة والحقد ،
والترات : جمع ترة : التار (٣) كان مما قاله في المأمون :

أيسومني المأمون خطة جاهل أو ما رأى بالأمس رأس محمد
لأني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذك من الحضيض الأوهد

وكان المأمون إذا أنشد هذه الآيات يقول :

قبح الله دعبلًا ، فما أوقعه ! كيف يقول عني هذا ، وقد ولدت في حجر الخلافة ، ورضعت
ثديها ، وربيت في مهدها .

١٢٨ -- دِيكُ دِعْبِلُ *

قال أحمد بن خالد : كنا يوماً بدار صالح بن علي ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على سطح البيت ديك طار من بيت دِعْبِلُ ، فلما رأيناه قلنا : هذا صيدنا ، فأخذناه .

فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه وشوينا . وخرج دعبيل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فجدناه ؛ وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبيل ، فصلى الغداة ، ثم جلس في المسجد ، وكان ذلك المسجد يجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء ، وينتابهم الناس . وقال :

أَسْرَ الْمُؤَذِّنَ صَالِحٌ وَضِيوفُهُ أَسْرَ الْكَمِيِّ هَفَاخِلَالِ الْمَأْقِطِ^(١)

بَعَثُوا إِلَيْهِ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِهِمْ مِنْ بَيْنِ نَاتِقَةٍ وَأَخْرَسَامِطِ^(٢)

يَتَنَازَعُونَ كَأَنَّهُمْ قَدْ أوثَقُوا خَاقَانَ أَوْ هَزَمُوا قِبَائِلَ نَاعِطِ^(٣)

نَهْشُوهُ فَانْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ

فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لي أبي - وقد رجع إلى البيت - ويحكم ! ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبيل ، ثم أنشد الشعر وقال : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته ، وبعثت به إليه وإلا وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك !

* مهذب الأغاني ٢ : ٢٥٥

(٢) المآط : موضع القتال ، والكمي : الشجاع (٢) سمطه : قناه مما عليه من الريش .

(٣) ناعط : قبيلة من ممدان .

١٢٩ — بين البادية والحضر* ١

قدم على بن الجهم^(١) على المتوكل - وكان بدويًا جافياً - فأنشده قصيدةً
قال فيها :

أنت كالكلب في حِفَاظِكَ لِلوُدِّ وكالتيس في قِرَاعِ الخُطُوبِ
أنت كالذَّوِ لا عَدِمْنَاكَ دَلْوًا من كِبَارِ الدَّلَا كثيرَ الذَّنُوبِ^(٢)

فعرف المتوكل قوته ، ورقة مقصده ، وخشونة لفظه ، وأنه ما رأى سوى
ماشبه به لعدم المخالطة وملازمة البادية ، فأمر له بدارٍ حسنة على شاطئ دجلة ،
فيها بستانٌ حسن ، يتخلله نسيم لطيف يفضي الأرواح ، والجسرُ قريب منه ،
فيخرج إلى محلات بغداد ، فيرى حركة الناس ومظاهر مدينتهم ويرجع
إلى بيته .

فأقام ستة أشهر على ذلك ، والأدباء والفضلاء يتعاهدون مجالسته ومحاضراته ،
ثم استدعاه الخليفة بعد مدة لينشده ؛ فحضر وأنشد :

عيونَ لها بين الرِّصَافَةِ^(٣) والجسرِ جَلْبَنَ الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

فقال المتوكل : لقد خشيتُ عليه أن يذوب رقةً ولطافة .

* محاضرات الأبرار : ٢ - ٣

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع ، خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ، ثم أبغضه به
ذلك ونفاه إلى خراسان بعد أن حبسه مدة ، وذلك لكثرة سعايته بندمائه ، مات سنة ٢٤٩ هـ .

(٢) يطلق الذنوب على ما في الدلو من الماء (٣) الرصافة : محلة ببغداد .

١٣٠ — الجاحظ في مرضه *

قال بعض البرامكة : كنت أتقلد السنذ ؛ فاتصل بي أن صُرفتُ عنها وكنت
كسبتُ ثلاثين ألف دينار. ؛ فحقت أن يفجأ بي الصارف ، ويسعى إليه بالمال ؛
فصفتُهُ عشرة آلاف إهليلجة^(١) ، في كل أهليلجة ثلاثة مثاقيل ، وجعلتها في
رحلي ، ولم أبعدها أن جاء الصارف ؛ فركبتُ البحر ، وانحدرت إلى البصرة ،
فخبرتُ أن بها الجاحظ^(٢) وأنه عليل .

فأحببت أن أراه قبل وفاته ، فصرت إليه ، فأفضيت إلى باب دار لطيف
فقرعته ؛ فخرجت إلى خادم صفراء ؛ فقالت : من أنت ؟ قلت : رجل غريب ،
يحب أن يدخل إلى الشيخ ، فيسرى بالنظر إليه !

فأدت ما قلت - وكانت المسافة قريبةً لصغر الدهليز والحجرة - فسمعته يقول :
قولي له : وما تصنع بشقي مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل^(٣) ! فأخبرتني ،
قلت : لا بدّ من الوصول إليه . فقال : هذا رجل قد اجتاز البصرة ؛ فسمع بي
وبلتي ؛ فقال : أراه قبل موته ؟ ليقول قد رأيت الجاحظ !

ثم دخلت فسلمت ؛ فردّ ردّاً جميلاً ، واستدانني ، وقال : من تكون أعزّك
الله ! فانسبت له ، فقال : رحم الله أباك وقومك الأسخياء الأجواد الكرام الأنجاد

* زهر الآداب : ٢ - ١٨٦ ، ذيل زهر الآداب : ١٦٥

(١) الإهليلج : ثمر ، والواحدة بهاء ، ويظهر أنه صاغها على شكل هذا الثمر (٢) هو عمرو بن
بحر ، والجاحظ لقبه ، كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ألف كثيراً ، وعاش
طويلاً ، وتوفى سنة ٢٥٥ هـ (٣) حال لونه : تغير .

فقد كانت أيامهم رَوْضَ الأُزْمَنَةِ ، ولقد انجَبَرَ بهم قوم كثير ، فسَقِيًا لهم
ورَعِيًا ^(١) ! فدعوت له ، وقلت : أنا أسأل الشيخ أن ينشدني شيئًا من الشعر ؛
أذكره به ، فأشدني :

لئن قُدِّمَتْ قِبَلِي رِجَالٌ فَطالَمَا مشيت على رِسْلِي فكنت المقدَّمَا ^(٢)
ولكنَّ هَذَا الدهر تَأْتِي صرُوفُهُ فَتَبْرِمُ منقوضًا وتَنْقُضُ مُبرِمًا
ثم نهضت ، فلما قاربت الدهليز صاح بي فقال : يا فتى ؛ أرايت مفلوجًا ينفعه
الإهليلج ؟ فقلت : لا ! قال : فأنا ينفعني الإهليلج الذي معك ! فأهد لنا منه ،
فقلت : السمع والطاعة .

وخرجت مُفْرِطَ التعجب من وقوعه على خبري ، حتى كان يعض أحبابي كاتبه
بخبزي حين صفته ، وأنفذتُ إليه مائة إهليلجة .

(١) سقيا لهم ورعيا : دعاء لهم بالخير (٢) رسل : مهلى .

١٣١ — ظبي مذبوح ، ورجل ميت جريح ، وفتاة ميتة *

قال موسى بن هارون : كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزبير بن بكار^(١) فأعلمه أن المعتز بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزبير بن بكار : قد بلغت هذه السن وأتوتلى القضاء! أو بعد ما رويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين! فقال له : فتلق بأمير المؤمنين بسر من رأى ، فقال له : أفعل .

فأمر له بمال يُنفقه ، وبظهيرٍ يحمله ويحمل ثقله . ثم قال له : إن رأيت يا أبا عبد الله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ؟ قال : نعم! انصرفت من عمرة المحرم ، فبيعت أنا بأثاية العرج ، إذا أنا بجماعة مجتمعة ، فأقبلت إليهم وإذا رجل كان يقنص الظباء ، وقد وقع ظبي في حبالته فذبجه ، فانتفض في يده فضرب بقرنيه صدره ، فنسب القرن فيه فمات . وأقبلت فتاة كالمهاة ، فلما رأته زوجها ميتاً شهقت ثم قالت :

يا حُسنُ لو بطلُ لكنه أجلُ على الأثاية ما أودى به البطلُ
يا حُسنُ جمعُ أحشائي وأقلقها وذاك يا حُسنُ لولا غيرهُ جَلَلُ

* الأغانى ٩ - ٤٢ ، معجم الأدباء : ١١ - ١٦٢

(١) الزبير بن بكار ، كان علامة نسابة إخبارياً ، ثقة ، توفي سنة ٢٥٦ هـ

(٢) جمع أحشائي : جعلها منضمة إلى بعضها ، وجلل : يسر ، إذ المراد أن الأمر الذى كان يسير لولا غيره مما هو مترتب عليه من العظام .

أضحت فتاة بني نهدٍ علانيةً^(١) وبعلمها بين أيدي القوم محتَمَلُ
ثم شهقت فماتت ، فما رأيتُ أعجبَ من الثلاثة : الطَّبِي مذبوح ، والرجل
جريح ميت والفتاة ميتهُ .
فأمر له عبيد الله ببال آخر . ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج
الزبير ، فقال : إن الذي أخذناه من الفائدة في خبره أكثرُ عندي مما أعطينا من
الحِباءِ^(٢) والصلوة .

(١) علانية : ظاهرة (٢) الحِباء : العطاء .

١٣٢ — جوائزُه الصَّلَاةُ *

كان ابن المدبر إذا مدحه شاعر فلم يرضَ شعره قال لعلامة : امض به إلى المسجد الجامع ، فلا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله .
فتحاماه الشعراء إلا الأفراد الجيدين ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصرى ، فاستأذنه فى النشيد ، فقال : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم ! وأنشده :

أردنا فى أبى حسنٍ مديحاً كما بالمدح يُنتجعُ الولايةُ
فقلنا : أكرمُ الثقلين طراً ومن كفاه دجلةُ والفراتُ (٢)
فقلوا : يَقْبَلُ المدحَاتِ ليكن جوائزُه عليهن الصَّلَاةُ
فقلتُ لهم : وما تُغْنِي صلاتي عيالى ، إنما الشأنُ الزكاةُ
فيأمر لى بكسر الصاد منها فتصبح لى الصَّلَاةُ هى الصَّلَاتُ
فضحك واستظرفه ، وقال : من أين أخذت هذا ؟ قال . من قول أبى تمام الطائى :

هذا الحمام فإن كسرت عيافة (٣) من حائهن فإيهن حجام (٤)
فأحسن صلته .

* زهر الآداب : ٢ - ١٨١

(١) انتجع فلاناً : أنه يطلب معروفه (٢) الثقلين : الإنس والجن (٣) عفت الطير عيافة : زجرتها ، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فتتسمد أو تتشامم . (٤) الحمام : الموت .

١٣٣ — مامعى إلا قفأى*

كان رجل ببغداد يعرف بابن المغازلى يتكلم على الطريق ، ويقصُّ على الناس أخباراً ونوادِر ومضحك ، وكان فى نهاية الحدق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه إلاَّ يضحك .

قال : وقت يوماً فى خلافة المعتضد^(١) على باب الخاصة ، فخر حلقتي بمضُ خدم المعتضد ، فأخذت فى حكاية الخدم ، فأعجب خادم بحكايتي وشُف بنوادرى ثم انصرف عنى .

فلم يلبث أن عاد إلىَّ وأخذ بيدي ، وقال : إني لما انصرفت عن حلقتك دخلت : فوقفتُ بين يدي المعتضد أمير المؤمنين ، فذكرت حكايتك ، وما جرى من نوادرِكَ فاستضحكت ، فرآنى أمير المؤمنين ، فأنكر ذلك منى ، وقال : ويحك ، مالك ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ على الباب رجل يعرف بابن المغازلى يضحك ويحاكى ، ولا يدع حكاية أعرابى وتركى ومكِّ ونحوى وزنجى وخادم إلاَّ حكاها ، ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثأكل وتُصبى الحليم ، وقد أمرنى بإحضارك ، ولى نصف جائزتك . فقلت له ، وقد طمعت فى الجائزة السنوية : يا سيدى ؛ أنا ضعيف وفقير ، وقد منَّ الله علىَّ بك ، فما عليك إن أخذت بعضها ؛

* السعوى : ٢ - ٢٤٤

(١) بويغ بالخلافة بعد وفاة عمه المعتضد سنة ٢٧٩ هـ ، وظهر بمظهر الخلفاء العاملين ، وكان عارفاً بالأدب موصوفاً بالحلم ، توفى سنة ٢٨٩ هـ .

سُدَّ سَهَا أَوْ رُبْعَهَا ، فَأَبَى إِلَّا نَصْفَهَا ، فَطَمَعْتُ فِي النِّصْفِ ، وَقَنَعْتُ بِهِ .
فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَدخَلَنِي عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ وَأَحْسَنْتُ ، وَوَقَفْتُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي أَوْقَفْتُ
فِيهِ ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، وَقَدْ كَانَ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ فِي أَكْثَرِهِ أَطْبَقَهُ ،
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ ، وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ :
قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَحْكِي وَتُضْحِكُ ، تَأْتِي بِحِكَايَاتٍ عَجِيبَةٍ وَنَوَادِرٍ ظَرِيفَةٍ ، قُلْتُ : نَعَمْ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ الْحَاجَةُ تَفْتُقُ الْحِيلَةَ ؛ أَجْمَعُ بِهَا النَّاسَ ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَى قُلُوبِهِمْ
بِحِكَايَاتِهَا أَلْتَمِسُ بِرَّيِّهِمْ ، وَأَعِيشُ بِمَا أَنَالُهُ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ ، وَخُذِي
فَنِّكَ ، فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْزِئُكَ بِخَمْسِمِائَةِ دَرَاهِمٍ ، وَإِنْ لَمْ أَضْحَكْ فَسَالِي عَلَيْكَ ؟
قُلْتُ : مَا مَعِيَ إِلَّا قَتَايَ ، فَاصْفَعْنِي مَا أَحْبَبْتَ ، وَكَمْ سَنَتْ وَبِمَا سَنَتْ ! فَقَالَ لِي :
قَدْ أَنْصَفْتَ ؛ إِنْ ضَحِجْتُ فَلَكَ مَا ضَمَنْتَ ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَضْحَكْ صَفَعْتِكَ بِهَذَا
الْجِرَابِ عَشْرَ صَفَعَاتٍ .

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْفَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ يَسِيرٍ خَفِيفٍ هَيْنَ ؛ ثُمَّ التَفْتُ ، وَإِذَا
أَنَا بِجِرَابٍ أَدَمٍ نَاعِمٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا أخطأ حَزْرِي (١) وَلَا أَخْلَفَ
ظَلْمِي ، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ جِرَابٍ فِيهِ رِيحٌ ! إِنْ أَضْحَكْتَهُ رَجَحْتُ ، وَإِنْ أَنَا لَمْ
أَضْحَكْ فَأَمْرٌ عَشْرَ صَفَعَاتٍ بِجِرَابٍ مَنْفُوخٍ هَيْنَ .

ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النُّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ ، فَلَمْ أَدَعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ
وَلَا قَاضٍ ، وَلَا عِبَارَةَ وَلَا نَادِرَةَ ، وَلَا حِكَايَةَ ، إِلَّا أَحْضَرْتُهَا ، وَأَتَيْتُ بِهَا حَتَّى نَفِدَتْ
جَمِيعُ مَا عِنْدِي ، وَتَصَدَّعَ رَأْسِي ، وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ إِلَّا هَرَبٌ ، وَلَا غِلَامٌ إِلَّا
ذَهَبَ لَمَّا اسْتَفْزَمَ الضَّحْكَ .

(١) الحزر : التقدير والظن .

قلت : قد نَفِدَ - والله يا أمير المؤمنين - مامعي ، وتصدع رأسي ، وذهب معاشي ، وما رأيتُ قطّ مثلك ، وما بقيت لي إلا نادرة واحدة ، فقال : هاتها انقلت : يا أمير المؤمنين ؛ وعدتني أن تصفني عشراً ، وجعلتها مكان الجائزة ؛ فأسألك أن تضعف الجائزة ، وتضيف إليها عشراً ؛ فأراد أن يضحك ، فاستمسك ، ثم قال : نَقَلَ . يا غلام ؛ خذ بيده ، فأخذ بيدي ، ومددتُ قفائي ؛ فصفت بالجراب صفقة ، فكأنما سقطَ على قفائي قلعة ، وإذا فيه حصي مدور ، كأنه صنجات ، فصُفِّعت به عشراً ، كادت أن تنفصل رقبتى ، وينكسر عنقي ، وطنتُ أذناي ، وقدح الشعاع من عيني .

فلما استوفيت العشرة صِحتُ : يا سيدي ؛ نصيحة ، فرفع الصفع عني ، فقال : ما نصيحتك ؟ قلت : يا سيدي ؛ إنه ليس في الدنيا أحسنُ من الأمانة ، ولا أقبحُ من الخيانة ، وقد ضمنيت للخادم الذي أدخلني عليك نصفَ هذه الجائزة على قتلها أو كثرتها . وأميرُ المؤمنين - أطال الله بقاءه - بفضله وكرمه قد أضعفها ؛ وقد استوفيت نصفها ، وبقى لخادمك نصفها .

فضحك حتى استلقى ، واستفزّه ما كان قد سمعه مني أولاً ، وتحامل له ، وصبر عليه ؛ فما زال يضرب برجليه ، ويمسك بمرأق^(١) بطنه ، حتى إذا سكن ضحكُه ، ورجعت إليه نفسه قال : عليّ بفلان الخادم ، فأتى به - وكان طوّالاً - فأصر بصفحة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شيء قضيتي ؟ وأى جناية جنابتي ؟ قلت له : هذه جائرتي ، وأنت شريكى ، وقد استوفيت نصفها ، وبقى نصيبك منها ، فلما أخذه

(١) المرأق : ما رُق من أسفل البطن ولان ، ولا واحد لها ، أو جم مرق .

الصَّعْق ، وطرق قَفَاهُ الصَّافِعَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ أَقُولُ لَهُ : أَقُولُ لَكَ : إِنِّي ضَعِيفٌ فَقِيرٌ ،
وَشَكْوَتُكَ إِلَيْكَ الْحَاجَةُ وَالْمَسْكِنَةُ ، وَقُلْتُ لَكَ : يَا سَيِّدِي ؛ لَا تَأْخُذْ نِصْفَهَا ، لَكَ
سُدْسُهَا ، لَكَ رُبْعُهَا ، وَأَنْتَ تَقُولُ : مَا آخُذُ إِلَّا نِصْفَهَا ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -
أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ - جَوَائِزُهُ صَعْقٌ ، وَهَبْتُهُ لَكَ كُلَّهَا ؛ فَعَادَ إِلَى الضَّحِكِ .

فَلَمَّا اسْتَوْفَى صَفْعَهُ ، وَسَكَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ضَحْكِهِ أَخْرَجَ صُرَّةً كَانَتْ قَدْ أَعَدَّهَا
فِيهَا خَمْسَمِائَةَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ - وَقَدْ أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ - قِفْ ، هَذِهِ كُنْتُ أَعَدَدْتُهَا
لَكَ ، فَلَمْ يَدْعُكَ فَضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ لَكَ شَرِيكَاً فِيهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ ؟ وَدِدْتُ أَنْكَ تَدْفَعُهَا كُلَّهَا إِلَيْهِ وَتَصْفَعُهُ مَعَ الْعَشْرَةِ عَشْرَةَ أُخْرَى ،
وَتَدْفَعُ لَهُ الْخَمْسَمِائَةَ الدِّرْهَمَ . فَحَسَمَ الدِّرَاهِمَ بَيْنَنَا وَانْصَرَفْنَا .

١٣٤ — قد شفى منه صدورنا *

قال أبو علي الحاتمي ^(١) : كان أبو الطيب المتنبى ^(٢) عند وروده مدينة السلام
التحف رداء الكبر ، وأذال ^(٣) ذيول التيه ، وصعر خده ، ونأى بجانبه ؛ وكان
لا يلتقى أحداً إلا نافضاً ^(٤) مذرّوياً ، رافلاً من التيه في بُرديه . يخيلُ إليه أن
العلم مقصورٌ عليه ، وأن الشعر بحرٌ لم يفترّف نيمر مائه غيره ، وروضٌ لم يروع
فؤاره سواه ، فدلّ بذلك مُديدةً أجرته رَسَن ^(٥) الجهل فيها ، فظلَّ يمرحُ في
تَنخِيلِهِ . حتى تخيلَ أنه القريع ^(٦) الذي لا يُقارع ، والنزيع ^(٧) الذي لا يُجارى ولا
يُنازع ، وأنه ربُّ القلبِ وما لكُ القصبِ ، وتقلتْ وطأته على أهلِ الأدب
بمدينة السلام .

فطأطأ كثيرٌ منهم رأسه ، وخفضَ جناحه ، وطمأن على التسليم له جأشه ^(٨) ،
وتخيلَ أبو محمد المهلبى أن أحداً لا يقدرُ على مُساجلتِهِ ومُجارَاتِهِ ، ولا يقوم
لتتبعِهِ بشيء من مطاعينِهِ ، وساء مُعزُّ الدولة أن يردَّ عن حضرةِ عدوِّه رجلٌ ،

* معجم الأدياء : ١٨ - ١٥٩

(١) هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي من أهل اللغة والأدب . مات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة
(٢) هو أحمد بن الحسين ، أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمختصرة ،
ولد بالكوفة ونشأ بها ، وتأدب بفصاحة أهل البدو ، ومدح سيف الدولة من أهل الشام ، ومدح
كافوراً بمصر ، ومدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، وقتل قرب بغداد
سنة ٣٥٤ هـ (٣) أذال : نبخر ، وجر ذبله على الأرض نهباً (٤) نافضاً : محرّك ،
والمذرون : ناحيتا الرأس (٥) الرسن : الحبل (٦) القريع : الذي يقارعك ، والمفارقة :
المضاربة بالسيوف (٧) النزيع : الشريف من القوم الذي نزع إلى عرق كريم (٨) الجأش :
النفس ، وقيل القلب .

فلا يكون في مملكته أحدٌ يماثله في صناعته ، ويساويه في منزلته .

فهدت^(١) حينئذٍ مُتَّبِعًا عُوَارَه ، ومتعقبًا آثارَه ، ومُطْفِئًا نَارَه ، ومُهتِكًا أَسْتَارَه ، ومقلماً أظْفَارَه ، وناشراً مطاويَه ، وممزقاً جلبابَ مساويَه ، متحِينًا أنْ تَجْمَعْنَا دَارُ ، فأجرى أنا وهو في مِصْمَارٍ يُعْرَفُ فِيهِ السَّابِقُ مِنَ الْمَسْبُوقِ ؛ حتى إذا لم أجد ذلك قصدتُ موضعه الذي كان يُحُلُّهُ فِي رَبَضِ حَمِيدٍ^(٢) .

فوافقَ مَصِيرِي إِلَيْهِ حُضُورَ جَمَاعَةٍ تَقْرَأُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ عَلَيْهِ ، فحين أُوذِنَ بِحُضُورِي ؛ واستُوذِنَ عَلَيْهِ لِدُخُولِي نَهَضَ عَنْ مَجْلِسِهِ مُسْرِعًا ، ووَارَى شَخْصَهُ عَنِّي مُسْتَخْفِيًا ؛ فنزلتُ عن بَغْلَةٍ كَانَتْ تَحْتِي ، وهو يراني نازلاً عنها ؛ لَاتِيهَانِي بِهَا إِلَى أَنْ حَادَيْتُهُ ، فجلستُ في موضعه ، وإذا تحته قطعة من « زيلو »^(٣) مُخَلَّقَةٍ ، قد أكلتها الأيامُ ، وتعاورتها السنون ؛ فهي رسوم خافية ، وسلوكٌ^(٤) بادية ، حتى إذا خرج إلى نهضتُ إليه فوفيته حق السلامِ ، غير مُشَاحٍ^(٥) له في القيام ؛ لأنه إنما اعتمد بنهوضه ألا ينهض لي عند موافاتي .

وإذا هو قد لبس سبعة أقبية ؛ كلَّ قَبَاءٍ^(٦) منها لون ، وكان الوقتُ آخر أيام الصيف ، وأخلفها بتخفيف اللبس ؛ فجلستُ وجلس ، وأعرضتُ عن ساعةٍ لا يُعِيرُنِي فِيهَا طَرْقَه ، ولا يسألني عما قصدتُ له ، وقد كذتُ أتميزُ^(٧) غيظًا ، وأقبلتُ أسخفُ رأيي في قصده ، وأفندتُ نفسي في التوجهِ نحو مثله ، ولَوَى عِذَارَه عني مقبلًا على تلك الزعنفَةِ^(٨) التي بين يديه ، كلَّ واحدٍ يومئذٍ إليه ، ويوحى

(١) نهد : نهض ، وعواره : عيبه (٢) ربض حميد : موضع (٣) زيلو : معناها لحاف بالفارسية .
(٤) السلوك : جمع جمع لسلكة ، وهي الحيط الذي يحاط به الثوب (٥) منازع (٦) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب (٧) أتميز : أتقطع (٨) الزعنفه : الطائفة من القبيلة تفرد أو تنضم إلى غيرها ، وكل جماعة ليس أسلمهم واحداً .

بطرفه ، ويشير إلى مكاني بيده ، ويوقفه من سِنَّةٍ جهلِهِ ؛ وهو يأبى إلا ازوراراً
ونفاراً ، وجرياً على شاكلةٍ خلقِهِ المشكلة .

ثم رأى أن يثني رأسه إلى^(١) ؛ فوالله ما زادني على أن قال : أى شيء خبرك ؟
قلت : أنا بخير ، لولا ما جنيتُ على نفسي من قَصْدِكَ ، وكَلَّفْتُ قَدَمِيَّ في المصير
إلى مثلك ؛ ثم تحدّرتُ عليه تحدّرتُ السيلِ إلى القَرَارِ ، وقلتُ له : أبن لي -
عفاك الله - مِمَّ تِهَكَ وخيلاؤك وعُجْبُك ؟ وما الذي يوجبُ ما أنتَ عليه من
التجبرِ والتنمرِ^(٢) ؟ أنسبُ فرَعَتِ سماءِ المجدِ به ! أم عَلِمْتُ أصبحتَ علماً يقعُ الإيماءُ
إليك فيه ! هل أنتَ إلا وَتِدٌ بِقَاعِ^(٣) في شرِّ البقاعِ ؟ وجفَاءً^(٤) سيلِ دَقَاعِ !
يا لله ! استنَّتِ الفِصَالُ حتى القرَعَى^(٥) ؛ وإني لأسمعُ جَمِجَمَةً^(٦) ولا
أرى طِحْنًا .

فامْتَقِعَ لونه عند سماعِ كلامي ، وعَصِبَ^(٧) ريقه ، وجَحَظَتِ عيناه ، وسَقِطَ
في يده ، وجعل يلبسُ في الاعتذارِ لينا ، كاد يَمْطِفُ عليه عِظْفَ صَفْحِي عنه .
ثم قلت : يا هذا ؛ إن جاءك رجلٌ شريفٌ في نسبه تجاهلتَ نسبه ، أو عظيمٌ
في أدبه صغرتَ أدبه ، أو مُتَقَدِّمٌ عند سلطانِهِ لم تَعْرِفْ موضعه ؛ فهل العِزُّ تُرَاثٌ
لك دون غيرك ؟ كلا والله ؛ لكنك مددتَ الكِبَرَ سِترًا على نَقْصِكَ وضربتهُ
رِوَاقًا دون جَهْلِكَ .

فعاد إلى الاعتذارِ ، وأخذتِ الجماعةُ في تليينِ جانبي ، والرغبةُ إلىّ في قبولِ

(١) التنمر : التشبه بالتمر ، والتمر لا يلقى إلا متنكراً غضبان (٢) القاع : أرض سهلة مطمئنة
(٣) ما نفاه السيل من الزبد (٤) مثل يضرب للرجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم ، والقرعى
من الفصال : الذي أصابها قرع ، وهو بئر ، والاستنان : النشاط (٥) مثل يضرب للذي يكثر
الكلام ولا يعمل ، وللذي يعد ولا يفي ، والجمجمة : صوت الرحي ونحوها ، والطحن : الدقيق -
(٦) عصب : جف .

عُذْره ، واعتماد مِيَّاسِرَتِهِ ، وأنا آبَى إِلا اسْتِشْرَاءً^(١) واجْتِرَاءً ، وهو يُوَكِّدُ الأَقْسَامَ ويواصلها أنه لم يعرفني ؛ فأقول له : يا هذا ؛ أَلَمْ يُسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْكَ بِاسْمِي وَنَسْبِي ! أما في هذه العصابة مَنْ يُعْرِفُكَ بِي لو كُنْتَ جِهَلْتَنِي ! وَهَبْ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ أَلَمْ تَرْنِي مُمْتَطِيًا بِغَلَّةٍ رَائِعَةٍ يعلوها مَرْكَبٌ ثَقِيلٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْ عِدَّةٍ مِنَ الْفُلْمَانِ ؟ أما شَاهَدْتَ لِبَاسِي ؟ أما شَمَمْتَ نَشْرَ عَطْرِي ؟ أما رَاعَكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي أَمَيَّزُهُ بِه فِي نَفْسِكَ عَنْ غَيْرِي ؟ وَهُوَ فِي أَثْنَاءِ مَا أَكَلَهُ يَقُولُ : خَفَّضَ عَلَيْكَ ، أَرْفُقُ ، اسْتَأْنِ^(٢) ؛ فَأَصْحَبَ^(٣) جَانِبِي بَعْضَ الإِصْحَابِ ، وَلَانَ شِمَاسِي^(٤) بَعْضَ اللَّيَّانِ ؛ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ سَاعَةً .

ثم قلت : أشياء تخرج في صدري من شعرك أحبُّ أن أراجعك فيها ، قال :
وما هي ؟ قلت : خبرني عن قولك :

فإن كان بعضُ الناس سيفًا لدولةٍ ففي الناسِ بوقات لها وطبُولُ
أهكذا يمدحُ الملوك ! وعن قولك :

ولا مَنْ في جَنَازَتِهَا تِجَارٌ يكون وداعها نَفْضُ النُّعَالِ
أهكذا تُؤَبِّنُ أخوات الملوك^(٥) ! والله لو كان هذا في أدنى عبيدها لكان قبيحًا .
وأخبرني عن قولك :

خَفَّ اللهُ وَاسْتَرُ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْقُعٍ فَإِنْ لَحَّتْ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ^(٦)

(١) استشراء : لجانة وعنادا (٢) استأن : لا تعجل (٣) أحبب جاني : انقاد
(٤) شماسي : امتناعي وإبائي (٥) المعروف أن هذا البيت من قصيدة النبي في رثاء والده
سيف الدولة وأولها :

نعد المشرفية والعرالي وتقتلنا النون بلا قتال

(٦) العواتق ، جمع عاتقة : الجارية أول ما أدركت ، والخدور : الستور .

أهكذا تنسبُ بالمحبوبين ! وعن قولك :

وإذا أشار محدثاً فكانه
قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذي ينفر عنه كل طبع ، ويمجّه كل سمع ! وعن قولك :

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً
أفتعلم مرثياً يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء ! وما أراك نظرت إلا إلى
قول جرير :

مازلت تحسب كل شيء بعدهم
خيلاً تكره عليهم ورجالاً

فأحلت المعنى عن جهته ، وعبرت عنه بغير عبارته ؛ وعن قولك :

أليس عجيباً أن وصفك معجز
وأن ظنوني في معاليك بظلم^(١)

فاستعرت الظلم لظنونك ، وهي استعارة قبيحة ! وتعجبت من غير متمعجب ،
لأن من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون وتحيرها في معاليه ، وإنما نقلته
وأنشدته من قول أبي تمام :

ترقت مناه طود عز لو ارتقت
به الريح فقرأ^(٢) لا ننت وهي ظالم

وعن قولك تمدح كافوراً :

فإن نلت ما أملت منك فربما
شربت بماء يعجز الطير وزده

إنها مدح أو ذم ! قال : مدح ! قلت : إنك جعلته بخيلاً لا يوصلك إلى خيره
من جهته ، وشبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه منه بشربك من ماء
يعجز الطير وزده لبعده وترامى موضعه .

(١) الظلم : الغمز في المعنى (٢) الفتر : ما بين طرف الإبهام وطرف المشيرة .

وأخبرني أيضا عن قولك في صفة كلبٍ وظبي :

وصارَ ما في جلدهِ في المرَجَلِ فلم يَصِرْنا معه فَقَدُ الأَجْدَلِ (١)

فأى شيء أعجبك من هذا الوصف؟ أعذوبة عبارته؟ أم لطف معناه؟ أما قرأتَ رَجَزٍ (٢) ابن هاني وطَرَدٍ (٣) ابن المعتز؟ أما كان هناك من المعاني التي ابتدعها هذا الشاعران وغرر المعاني التي اقتصصاها ما تشاغل به عن بُنَيَاتِ صَدْرِكَ هذه؟ والأاقتصرت على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم، ولم تُسِفْ إلى هذه الألفاظ القليقة والأوصاف المختلفة!

فأقبل على، ثم قال: أين أنت من قولي:

كان الهام (٤) في الهيجا عيونٌ وقد طبعت سيفك من رقادٍ
وقد صفت الأسننة من همومٍ فما يخطرُن إلا في الفؤاد

وأين أنت من قولي في صفة جيش:

في فيلقٍ (٥) من حديد لورميت به صرف الزمان لما دارت دوائرُهُ

وأين أنت من قولي:

لو تعقلُ الشجرُ التي قابلتها مدت محييةً إليك الأغصنا

وأين أنت من قولي:

(١) الضمير في جلده للظبي، والرجل: القدر من النحاس، والضمير في معه للكلب، والأجدل: الصقر (٢) الرجز: ضرب من الشعر ووزنه مستفعلن ست مرات (٣) الطرد: مزاولة الصيد، وهو يريد ما قيل فيه من الشعر (٤) الهام: جمع هامة، والهيجاء من أسماء الحرب، وطبع السيف: طرقة (٥) الفيلق: الجيش. وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع، وصرف الزمان: حدثانه..

أَيَدْحُ^(١) فِي الْخِيْمَةِ الْعَذْلُ وَتَشْمَلُ مِنْ دَهْرَهَا يَشْمَلُ !
وَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا^(٢) وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفَعَّلُ

وَفِيهَا أَصِفُ كِتَابِيَّةً :

وَمَلْعُومَةٌ^(٣) زَرَدٌ ثَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَاءِ مُحْمَلُ

وَأَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَوْلِي :

الْفَاسُ مَالٌ يَرَوُّكَ أَشْبَاهُ وَالدهرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ
وَالجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالبأسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ

أَمَا يُلِيهِكَ إِحْسَانِي فِي هَذِهِ عَنْ إِسَاءَتِي فِي تِلْكَ !

قلت : ما أعرفُ لك إِحْسَانًا فِي جَمِيعِ مَا ذَكَرْتَهُ ؛ إِنَّمَا أَنْتَ سَارِقٌ مُتَّبِعٌ ،
وَأَخَذْتُ مَقْصَرٌ ، وَفِيمَا تَقْدُمُ مِنْ هَذِهِ الْعَانِي الَّتِي ابْتَكَّرَهَا أَصْحَابُهَا مَنْدُوحَةٌ عَنْ
التَّشَاغُلِ بِقَوْلِكَ . فَأَمَا قَوْلِكَ :

كَانَ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيونٌ وَقَدْ طُبِعَتَ سِيوْفُكَ مِنْ رُقَادٍ

فَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ بَيْتِ مَنْصُورِ النَّمِيرِيِّ :

فَكَأَنَّمَا وَقَعُ الْحَسَامُ بِهَامِهِ خَدَرَ الْمَنِيَّةِ أَوْ نَعَّاسُ الْهَاجِمِ

وَأَمَا قَوْلِكَ :

فِي قَيْلَتِي مِنْ حَدِيدٍ لَوْ رَمَيْتَ بِهِ صَرَفَ الزَّمَانَ لِمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ

فَنَقَلْتَهُ نَقْلًا لَمْ تُحْسِنْ فِيهِ ، مِنْ قَوْلِ النَّاجِمِ :

(١) ضربت خيمة لسيف الدولة فسقطت من ربح هبت (٢) تقويضها : هدمها ، واعتمد
الأمر : قصده (٣) ملعومة : مجموعة مضمونة . والمحمل : ما جعل له خل ، وهو هذب القطفية ونحوها .

ولى فى حامدٍ أملٌ بعيدٌ ومدحٌ قد مدحتُ به طريفٌ
مديحٌ لو مدحتُ به الليالى لما دارتُ علىٰ لها صروفٌ

والناجمُ إنما نظمه من قول أرسطاليس ، قد تكلمت بكلام لو مدحتُ به الدهر
لما دارتُ علىٰ صروفه :

وأما قولك :

لو تعقلُ الشجرُ التى قابلتها مدتٌ محييةٌ إليك الأغصنا
فهذا معنى متداول ، تساجلته^(١) الشعراء ، وأكثرت فيه ؛ فمن ذلك قول

الفرزدق :

يكاد يُمسكه عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ماجاء يستمُ
ثم تكررَ فى أفواه الشعراء ، إلى أن قال أبو تمام :

لو سعت بقعة لإعظام أخرى لَسَعَىٰ نحوها المكان الجديبُ
وأخذهُ البحترى فقال :

لو أن مُشتاقاً تكلفَ فوق ما فى وسعهِ لمشىٰ إليك المنبرُ
وأما قولك :

وما اعتمد الله تقويصها وليكن أشار بما تفعلُ
قد نظرت فيه إلى قول رجلٍ مدح بعض الأسماء بالموصل ، وقد كان عزم على
السَّيرِ فاندق لَوَاؤُهُ ، فقال :

ما كان مُندقَ اللواء لريبةٍ تُخشى ولا أمرٍ يكون مزيبلاً^(٢)

(١) تساجلته : تبارت فيه (٢) زيله : فرقه .

لَكُن لَأَنَّ الْمُودَ ضَعْفَ مَتْنَهُ صِغَرُ الْوَلَايَةِ فَاسْتَقَلَّ الْمُؤَصِّلَا
وَأَمَّا قَوْلُكَ :

وملومة زردت ثوبها ولكنه بالقنا محمل
فمن قول أبي نواس .

أَمَامَ خَيْسٍ ^(١) أَرْجُوَانٍ كَأَنَّهُ قَيْصٌ مُحَوِّكٌ مِنْ قَنَاءٍ وَجِيَادٍ ^(٢)
وَأَمَّا قَوْلُكَ :

الناس مالم يروك أشباهه والدهر لفظ وأنت معناه
فمن قول علي بن نصر بن بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه :

قد استوى الناس ومات الكمال وصاح صرف الدهر : أين الرجال !
هذا أبو القاسم في نعتيه قوموا انظروا كيف نزول الجبال !

فقوله : « قد استوى الناس ومات الكمال » هو قولك : « الناس مالم يروك
أشباهه » .

فقال بعض الحاضرين : ما أحسن قوله ! « قوموا وانظروا كيف نزول الجبال ! »

فقال أبو الطيب : اسكت ؛ ما فيه من حسن ، ألم يسرقه من قول

الناطقة الديباني :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن الجبال جنوحاً !

قال الحاتمي : فقلت : قد سرقه الناطقة من أوس حين قال :

ألم تكسف الشمس شمس النهار والبدر للقمر الواجب ^(٣)

(١) الخميس : الجيش .

(٢) جمع خيد : المدرعة الصغيرة

(٣) الواجب : الغائب .

لقد فضالة لا يستوي الـ تمؤد ولا خلة الذهب
ثم قلت : والله لئن كان أخذه فقد أحسن ، وأخفى الأخذ .

فقال الرجل : أجل ، فقال المنبي : يا محسد ؛ خذ بيده ، وأخرجه - يريد
بمحسد ابنه - فراجعته إلى أن ترآكه ، ثم قلت له : وأما قولك : « والدهر لفظ
وأنت معناه » فنقول من قول الأخطل - إن كان البيت له - في عبد الملك بن مروان :
وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر ، لا عار بما فعل الدهر
وقد قال جرير :

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد
فجئني بمنل الدهر شيئاً تطاوله
حين قال له الفرزدق :

فإني أنا الموت الذي هو نازل
بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله
أفترى أن جريراً أخذ قوله : « يفنى الموت » من أحد ؟ وأن أحداً شريكه
في إفناء الموت ؟ ففكر طويلاً ، ثم قال : لا ! قلت : بلى ، عمران بن حطان
حيث يقول :

لن يُعجز الموت شئاً دون خالقه
والموت فإن إذا ما ناله الأجل
وكل كروب أمام الموت متضع
بالموت والموت فيما بعده مجلس
فأمات الموت ، وأحياء ، وما سبقه إلى ذلك أحد .

ثم قلت له : أترى أن البيت المتقدم ، الذي يقول فيه :
وإن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر
مأخوذ من أحد ؟ فأطرق هنيهة ، ثم قال : وما تصنع بهذا ؟ قلت : يستدل

على موضعك ، ومواقع أمثالك من سرقة الشعر ! فقال : الله المستعان ؛ أساء سمعاً
فأساء إجابة ! ما أردتُ ما ذهبتَ إليه . قلت : فإنه أخذه من قول النابغة ، وهو
أول من ابتكره :

وَعَيَّرْتَنِي بِنُو ذُبْيَانَ خَشِيَّتَهُ وما على بآن أخشاك من عار
ثم أخذه أبو تمام فأحسنَ بقوله :

خَشِعُوا لَصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ فِيهِمْ كالموتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ يُعَارِ
قال : ومنَ أبو تمام ؟ قلت : الذي سرقَ شِعْرَهُ ، فَأَنْشَدْتَهُ . قال : هذه
خلائقُ الشُّهْمَاءِ ، لا خلائقُ العلماءِ . قلت : أجل ، أنتَ سَفَهْتَ رَأْيِي وَلَمْ يَكُنْ
سَفِيهاً ، أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَعْلَوْنَ مَنْ تَعَالَى هكذا هكذا وإلا فلا لا
شرفٌ يَنْطَحُ الثَّرِيًّا بِرَوْقِيهِ هـ^(١) وَفَخَرُّ يُقْلِقُلُ الْأَجْبَالَ
قال : بلى ، قلت : فَإِنَّكَ أَخَذْتَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ بَيْتِ بَكْرِ بْنِ النَّطَّاحِ :
يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَبِي وَصُدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِ وَقَاحِ
هكذا هكذا تكون المعالي طُرُقُ الْجِدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمِزَاحِ
وأخذتَ الْبَيْتَ فَأَنْشَدْتَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ الثَّرِيًّا وَجَدُّ أَلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضُ
قال : وبأيِّ شيءِ أفسدته ؟ قلت : بآنِ جَمَلْتِ لِلشَّرَفِ قَرْنًا . قال : وَأَتَى لَكَ
بِذَلِكَ ؛ قلت : أَلَمْ تَقُلْ : يَنْطَحُ السَّمَاءُ بِرَوْقِيهِ ، وَالرُّوقَانُ : الْقَرْنَانُ ؟ قال : أَجَلْ !
إِنَّمَا هِيَ اسْتِعَارَةٌ . قلت : نَعَمْ ، هِيَ اسْتِعَارَةٌ خَبِيثَةٌ .

(١) الروتان : القرنان .

قال : أقسمتُ غير مُحرَجٍ في قسَمي إنني لم أقرأ شعراً قطُّ لأبي تمامكم هذا !
فقلت : هذه سوءةٌ لو سترتها كان أولى ! قال : السوءةُ قراءةُ شعرٍ مثله ؛
أليس هو القائلُ :

خَشِنْتُ عَلَيْهِ أَخْتَ بَنِي خُشَيْنٍ وَأُنَجِّحُ فِيكَ قَوْلُ الْعَازِلَيْنِ
والذي يقول :

لعمري ، لقد حرَّرتُ يومَ لَقِيتهُ لو انَّ القضاءَ وحده لم يُرَدِّ
والذي يقول :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يَجْنُ جُنُونَهَا إِذَا لَمْ يَمُودَّهَا ^(١) بِنِعْمَةِ طَالِبِ
والذي يقول :

تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى ^(٢) نَضِجَتْ أَعْمَارُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التَّيْنِ وَالْعَنَبِ
والذي يقول :

وَلَيْ وَلَمْ يَظْلَمْ وَهَلْ ظَلَمَ امْرُؤٌ حَتَّى النَّجَاءِ ^(٣) وَخَلَفَهُ التَّنِينُ
والذي يقول :

كَانُوا رِدَاءَ زَمَانِهِمْ فَتَصَدَّعُوا فَكَأَنَّمَا لِبَسَ الزَّمَانُ الصُّوفا
والذي يقول :

أَقُولُ لَمَقْرَحَانَ مِنَ الْبَيْنِ لَمْ يُصِيبْ رَسِيسَ ^(٤) الْهَوَى بَيْنَ الْحِشَا وَالتَّرَائِبِ
مَا قْرَحَانَ الْبَيْنِ ؟ أَخْرَسَ اللَّهُ لِسَانَهُ ! فَأَحْفَظُنِي ^(٥) ذَلِكَ وَقَلْتُ : يَا هَذَا ؛ مِنْ

(١) يعوذها : يحفظها (٢) الشرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بها المثل (٣) النجاء :
السرعة في المشي (٤) رسيس الهوى : بيقته وأثره (٥) فأحفظني : فأغضبني .

أدَلَّ الدليلِ على أنك قرأتَ شعرَ هذا الرجلِ تتبُّعُك مساويه ؛ فهل في الدلالةِ على
اختلافِك إنكارَه أوضحُ مما ذكرته ؟ وهل يَصِمُ أبا تمامٍ أو يَسْمُهُ بِمِيسَمِ
القصيدةِ ماعدته من سقطاته ، ونحوته (١) من أبياته ، وهو الذي يقول في
النونية :

نوالك ردَّ حُسَّادِي فُلُولاً وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِي
فَهَلَّا اغْتَفَرْتَ الْأَوَّلَ لِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهِ !
وأما قوله :

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب (٢)
فلهذا البيت خبرٌ لو استقرتِ صحفه لأقصرت عمّا تناولته بالطعن فيه .
ثم قصصت الخبر ، وقلت : في هذه القصيدة ما لا يستطيع أحدٌ من متقدمي
الشعراء وأمرء الكلام وأرباب الصناعة أن يأتي بمثله .

قال : وما هو ؟ قلت : لو قال قائل : إن أحداً لم يتبدى بأوجز ولا أحسن
ولا أخصر من قوله :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حده الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ
لَمَّا عُنْفَ في ذلك ، وفيها يقول :

(١) نخوته : تنقصته (٢) أى أن جيش العدو كان تسعين ألفاً حل أجلهم قبل أن ينضج
التين والعنب ، وفي هذا تهكم بالنجمين والبيت من قصيدته التي ابتدأها بقوله :
السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حده الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ
وقد حكوا أن النجمين كانوا حذروا المعتصم فتح عمورية في هذا الأوان ، وقالوا : لانا نجد في
الكتب أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب فلم يسمع المعتصم لقولهم ، وسار بجيشه
ففتحها .

رمى بك الله بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا ولورمى بك غيرُ الله لم يُصِبْ
وفيها يقول :

فتَحُّ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وتبرزُ الأرضُ في أتوابها التُّسْبِ
وفيها يقول :

يَكْرَهُ فَا فَا فَرَعَتَهَا كَفَ حَادِثَةٍ ولا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هَمَةُ النَّوْبِ
وفيها يقول :

غَادَرَتْ فِيهَا بِهِمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضُحَى يشله^(١) وَسَطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حتى كأن جلايب الدُّجَى رَغَبَتْ عن لونها ، وكانَ الشمس لم تَقِبْ
وفيها يقول :

أَجَبْتُهُ^(٢) مَعْلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا ولو أَجَبْتَ بغيرِ السَّيْفِ لم تجب
وأما قوله :

أقول لقرحان من البين . . . فإنه يريد رجلاً لم يقطعهُ أحبابه ، ولم يبينوا
عنه قبل ذلك ، إذا كانت حاله كذلك كان موقعُ البين أشدَّ عليه ، وأفت في
عضده ، والأصلُ في هذا : أن القرحان الذي لم يُجَدِّرْ^(٣) قط ، وقد
قال جرير :

✽ وكفتُ من زَفَرَاتِ البينِ قُرْحَانًا ✽

وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة ، والتشبيهات الواقعة ، والاستعارات

(١) يشله : يطرده ، يقول : إن الليل المظلم صار نهراً باشتعال النيران التي كانت تطارد الظلام

(٢) المراد صوت المرأة التي استغاثت به (٣) يجدر : يصب بالجدري .

البارعة ما يفتنر^١ معه هذا البيت وأمثاله . على أنا أبناً عن صحة معناه وعن أمثاله ،
فمن ذلك :

إذا العيس لآقت بي أبا دلفٍ فقد تقطع ما بيني وبين النوائب
يرى أقبج الأشياء أوبةً أميلٍ كسبه يد المأمول حلة خائب
وأحسن من نورٍ يفتحهُ الندى بياض العطايا في سواد المطالب
ولو كان يفنى الشعرُ أفناه ماقرت^(١) حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه فيضُ العقولِ إذا انجلت سحابُ جودٍ أعقبت بسحابِ

فبهره ما أوردته وقصر عنان عبارته ، وحبس بنيات صدره ، وعقل عن
الإجابة لسانه ، وكاد يشغب^(٢) لولا ما تخوفه من عاقبة شغبه ، وما عرفه من
مكاني في تلك الأيام ، وأن ذلك لا يتم له ، فما زاد على أن قال : قد أكرت في
أبي تمام ، لا قدس الله أبا تمام وذويه !

قلت : ولا قدس السارق منه والواقع فيه ! ثم قلت له : ما الفرق في كلام
العرب بين التقديس والقداس والقداس والقادس ؟ فقال : وأي شيء غرضك في
هذا ؟ قلت : المذاكرة . فقال : بل المهارة^(٣) ! ثم قال : التقديس : التطهير في
كلام العرب ؛ ولذلك سمي القدس قدساً ، لأنه يشتمل على الذي به الطهور ، وكل
هذه الأحرف تؤول إليه .

قلت : ما أحسبك أنعمت النظر في شيء من علوم العرب ، ولو تقدمت
منك مطالعة لها لما استجزرت أن تجمع بين معاني هذه الكلمات مع تباينها ،

(١) ماقرت : ما جمعت (٢) يشغب : يهيج العر (٣) المهارة : المسابة بالبيع من القول .

وذلك لأن «القدّاس» بتشديد الدال : حَجْرٌ يُلْتَقَى فِي الْبَيْرِ لِيُعْلَمَ بِهِ غَزَارَةُ مَائِهَا مِنْ قَلْبِهِ ، حَكَى ذَلِكَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ . وَالْقَدَّاسُ ، الْجُمَانُ ، حَكَى ذَلِكَ الْخَلِيلُ ، وَ « الْقَادِس » : السَّفِينَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ نَاقَةَ :

وَتَهْفُو بِهَا لَهَا مُتَلِيعٌ ^(١) كَمَا اقْتَحَمَ الْقَادِسَ الْأَرْدَمُونَ ^(٢)

فَلَمَّا عَلُوهُ بِالْكَلَامِ قَالَ : يَا هَذَا ، مَسَلَمَةٌ إِلَيْكَ اللَّغَةُ . قُلْتُ : وَكَيْفَ تَسَلَّمُهَا ، وَأَنْتَ أَبُو عُدْرَاهَا ^(٣) وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْتَحَقُّقِ بِهَا وَالتَّوَشُّعِ فِي اشْتِقَاقِهَا ، وَالْكَلَامِ عَلَى أَفَانِيهَا ! وَمَا أَحَدٌ أَوْلَى بَأَنْ يُسْأَلَ عَنْ لَفْتِهِ مِنْكَ . فَشَرَعَتِ الْجَمَاعَةُ الْحَاضِرَةُ فِي إِعْفَائِهِ وَقَبُولِ عُدْرِهِ ، وَالتَّوَاطُؤِ ^(٤) لَهُ ، وَقَالَ كُلٌّ مِنْهُمْ : أَنْتَ أَوْلَى بِالْمَرَاجِعَةِ وَالْمِيَاسِرَةِ لِمِثْلِ هَذَا الرَّجُلِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ .

وَكَانَتْ قَدْ بَلَغَتْ شِفَاءَ نَفْسِي ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي اتَّهَيْتُ إِلَيْهِ ضَرْبٌ مِنَ الْبَغْيِ لَا أَرَاهُ فِي مَذْهَبِي ، وَرَأَيْتُ لَهُ حَقَّ الْقَدَمَةِ ^(٥) فِي صِنَاعَتِهِ ، فطَاطَاتُ لَهُ كَتِفِي ، وَاسْتَأْنَفْتُ جَمِيلًا مِنْ وَصْفِهِ ، وَنَهَضْتُ .

فَنَهَضْتُ لِي مَشِيْعًا إِلَى الْبَابِ ، حَتَّى رَكِبْتُ ، وَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَمُودَ إِلَى مَكَانِهِ ، وَتَشَاغَلْتُ بَقِيَّةِ يَوْمٍ بِشُغْلٍ عَنِّي لِي ، تَأَخَّرْتُ مَعَهُ عَنِ حَضْرَةِ الْمُهَلَّبِ ، وَانْتَهَى إِلَيْهِ الْخَبْرُ ، وَأَتَنَّنِي رَسَلُهُ لَيْلًا ، فَأَتَيْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ ؛ فَكَانَ مِنْ سُرُورِهِ وَابْتِهَاجِهِ بِمَا جَرَى مَا بَعَثَهُ عَلَيَّ بِمَبَاكِرَةِ مُعَزِّ الدَّوْلَةِ ، قَائِلًا لَهُ : أَعْلَمْتَ مَا كَانَ مِنْ فُلَانٍ وَالْمُتَنَبِّيِّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَدْ شَفِنِي مِنْهُ صُدُورُنَا !

(١) من باب قعد : حزل .
(٢) راجع هذا الشعر في صفحة ١١٢ من الجزء الثاني من فتح الطبيب ، وقد حذفناه لما فيه من
(٣) من أتلع فلان : مد عنقه متطاولا الجزء (٢) الأردمون . جمع أردم : وهو الملاح الحافق
(٤) أبو عذرها : يريد بمهد سبيلها (٤) أي موافقته (٥) القدمة : التقيم .

١٣٦ — نقد شعر امرئ القيس *

وصل إلى حَضْرَةِ سيف الدولة رجل من أهل بغداد ، وكان يَنْقُرُ^(١) العلماء
والشعراء بما لم يدْفَعه . ولا يفكره الوَهم .

فلقاه سيفُ الدولة باليمن ، وأعجِبَ به إعجاباً شديداً ، فقال يوماً : أخطأ
لهروُ القيس في قوله :

كأنِّي لم أَرْكَبْ جَوَاداً لِلذَّةِ ولم أتبطنْ كاعباً^(٢) ذاتِ خَلخالِ

ولم أَسْبَأْ^(٣) الزَّقَّ^(٤) الرَوِيَّ^(٥) ولم أقلِ خَلِيلِي كَرْمِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ^(٦)

وهذا معدول عن وجهه ، ولا شك فيه .

ف قيل : وكيف ذلك ؟ إنما سبيله أن يقول :

كأنِّي لم أركبْ جواداً ولم أقلِ خَلِيلِي كَرْمِي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ

ولم أَسْبَأْ الزَّقَّ الرَوِيَّ لِلذَّةِ ولم أتبطنْ كاعباً ذاتِ خَلخالِ

فيقترن ذكر الخيل بما يشاكلها في البيت كله ، ويقترن ذكر الشراب واللهو

بالنساء ، ويكون قوله : « للذة » في الشراب أطبع منه في الركوب .

فبُهِتَ الحاضرون ، واهتز سيف الدولة ، وقال : هذا التَهْدِيُّ وحقّ أبي !

فقال له بعض الحاضرين من العلماء : أنت أخطأت وطعنت في القرآن إن

كنتَ تَعَمَّدْتَ .

* ذيل زهر الآداب : ٢٥٩ .

(١) قر الرجل : عابه (٢) الكاعب : من نهّد نديهاها (٣) سبأ الخمر : شراها

(٤) الزق : السقاء (٥) الروى : المروى (٦) أجفل : أسرع وذمب .

فقال سيف الدولة : وكيف ذلك ؟ فقال : قال الله تعالى : ﴿ إِنْ لَكَ إِلَّا
تَجَمُّعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ، وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ ، وعلى قياسه يجب أن
يكون : وإن لك ألا تجمّع فيها ولا تنظّم ، ولا تعرى فيها ولا تضحى ! وإنما عطفه
بـ « امرؤ القيس بالواو التي لا تُوجب تعقيماً ، ولا ترتّبُ ترتیباً ^(١) .
فجبل وانقطع !

(١) روى مثل هذا عن النبي مع سيف الدولة إذ أنشده قصيدته التي مطلعها :
على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
إلى أن قال :

وقفت وماق الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلّى مزعجة ووجهك وضاح ونفرك باسم
فأنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزيهما على صدريهما ، وقال : ينبغي أن تطبق عجز الثانى على
الأول ، وعجز الأول على الثانى ، وأنت فى ذلك مثل امرئ القيس فى قوله :
كأنى لم أركب الخ

فقال له أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ! إن صح أن الذى استدرك هذا على شعر امرئ القيس
أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس ، وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن البراز لا يعرف الثوب
معرفة الحائك . . . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن الساحة فى
شراء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته
بذكر الردى ليجانسه ، ولما كان وجه المهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون
باكية قلت : « ووجهك وضاح » ؛ لأجمع بين الأضداد فى المعنى . فأعجب سيف الدولة ووصله
بمئة دينار .

وكت أحسب أني لا أضيق به ذرعاً فأحان حتى فت في عضدي

ثم اشرفت على كره مرمي (١) فكأن فرقة من الروح الجسد

١٣٥ — لا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ابْنُ مَعْمَرٍ *

صاكن أن تلافوا باللنا رمي فليس لي مهجة تقوى على الكبد

قال الرياشي: اشترى بصرى جاريةً على أرفع ماتكون من الجمال والصباحة،
فكلفت بها - وكان مُزَيَّاً - فأنفق عليها مافي يده حتى أُمْلَقَ (١)؛ فأشارت عليه
ببيعها شفقةً عليه .

فلما حَضَرَ بها السوق أُخِذَتْ إلى ابن مَعْمَرٍ - وكان عاملاً على البصرة -
فاشترها بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال ومَّ بالانصراف أُنشِدَتْ :

هينتك المال الذي قد حويته ولم يبق في كفي غير التذكر
أقول لنفسي وهي في غشي كربة أقلّ فقد بان الحبيب أو اكثري
إذا لم يكن للأمر عندي حيلة ولم تجدى شيئاً سوى الصبر فاضبري
فاشدد بكاء مولاها ، وأنشد :

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاضبري
أروح بهم في الفوائد مبرج أناجي به قلباً طويل التفكير
عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن مَعْمَر

فقال ابن معمر: قد شئت ، خذها ولك المال ، فانصرفا راشدين ، فوافقه

لا كنت سبياً لفرقة محبين ا رة إلى زيارته بعد أيام خوف التفتيل ، فعدت إليه

بعد ثلاثة أيام ، ففترت الباب ، فكلمتني المرأة بلسان عليه أثر الحزن ، وقالت :

إن الشيخ قد خرج إلى الغزو ، وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ، ناله كالجنون ،

* تزيين الأسواق : ١٣١

(١) أُمْلَقَ : افتقر . (٢) المسا : اللق .

قلت له : ما شأنك ؟ فقال : إني أريد أن أموت شهيداً وهؤلاء جيران لي قد
عزموا على الغزو ، وأنا ماض معهم ، ثم احتال في سيف ورمح ، وتوجه معهم ،
وقال : نفسي هي التي قتلتني بهواها ، أما أقتل منها فأعطيها ، قلت لها : من

١٣٦ - الشعر بضاعة تجدي *

قال إبراهيم السويقي مولى المهالبة : تتابعت على سنون ضيقة ، وألح على
المسرُّ وكثرة العيال وقلة ذات اليد ؛ وكنت مُشْتَهراً بالشعر أقصدُ به الإخوان
وأهل الأقدار وغيرهم ، حتى جفاني كلُّ صديق ؛ وملئني من كنت أقصدُه ،
فأضرتني ذلك جدا .

فبينما أنا جالس مع امرأتي في يوم شديد البرد ، إذ قالت : يا هذا ؛ قد طال
علينا الفقرُ ، وأضرت بنا الجهد ^(١) ، وقد بقيت في بيتي كأنك زمن ^(٢) ؛ هذا مع
كثرة الولد ؛ فأخرج عنى واكفني نفسك ، ودعني مع هؤلاء الصبيان ، أقوم بهم
مرّة ، وأقعد بهم أخرى ؛ ثم ألتح على في الخوصومة ، وقالت : يا مشثوم تعلمت
صناعة لا تجدي عليك شيئاً .

قال : فضجرتُ منها ومن قولها ، وخرجتُ على وجهي في ذلك البرد والريح ،
وليس على إلا فروّ خلقت ، ليس فوقه دثار ، ولا تحته شعار ، وعلى عنفي إزار ، لو
قد جاءت ريح شديدة ذهبت به من بلاه وكثرة رقاعه ؛ فخرجتُ متحيراً لا أدري
أين أقصد ، ولا حيث أذهب .

فبينما أنا أجيل الفكرة إذ أخذتني سماء بقطرٍ متدارك ، فدفعت ^(٣) إلى دار

* المقد الفريد : ٤ -

(١) الجهد : المشقة (٢) الزمن : المتبل (٣) دفعت إلى مكان كذا : انتهت إليه .

على بابها رَوْشَنٌ ^(١) مُطَلٌّ ، ودكان ^(٢) لطيف ، وليس عليه أحد ، فقلت : أَسْتَبْرِ
بالرَّوْشَنِ إلى أن يسكن المطر .

فقصدت قَصْدَ الدار فإذا بجارية قاعدة ، قد جلست على باب الدار كالحافظة
عليه ، فقالت لي : إليك يا شيخُ عن بابنا ، فقلت : أنا - ويحك ! لستُ بسائل ،
ولا أنا ممن تُتَخَوَّفُ نَاحِيَّتَهُ . فجلست على الدُّكَّانِ ، فلما سكنتُ نفسي سمعت
نعمة رخيمة من وراء الباب تدلُّ على نعمة امرأة فأصغيتُ ، فإذا بكلام يدلُّ على
عتاب ، ثم سمعت نعمة أخرى مثل ذلك وهي تقول : فعلتِ وفعلتِ ، والأخرى
تقول : بل أنت فعلتِ وفعلتِ ، إلى أن قالت إحداها : أنا - جعلتُ فداك - إن
كنتُ أسأتُ فاغفري ، واحفظي بيتين لمولانا إبراهيم السويقي ، فقالت الأخرى :
وما قال ؟ فإنه ييلغني عنه أشعارٌ ظريفة ، فأنشدتها تقول :

هيني يا معذِّبتي أسأتُ وبالهِجْرانِ قبلِكُم بدأتُ
فأين الفضلُ منك ، فدتك نفسي على إذا أسأتِ كما أسأتُ !
فقلت : ظُرفٌ والله وأحسن .

قال إبراهيم : فدا سمعتُ ذكري ، وذكر مولانا ، علتُ أمهما من بعض نساء
المهالبة ، فلم أتمالك أن دفعت الباب ، وهجمتُ عليهما فصاحتا : وراءك يا شيخ عنا
حتى نستتر . وتوهمتا أني من أهل الدار ، فقلت لهما : جعلتُ فداكما لا تحشما
مني ، فإني أنا إبراهيم السويقي ، ثم قلت لإحداها : بحق حرمتي إلا شفعتني فيها ،
وهبت لي ذنبا ، واسمعي مني ، فأنا الذي أقول :

(١) الروشن : الرف ، والمراد الظلة (٢) الدكان : الدكة البنية للجلوس عليها .

خذى ييدى من الحزن^(١) الطويل فقد ينفو الخليل عن الخليل
فقلت : قد فعلتُ ، و صفحتُ عن زلتها ؛ ثم قانت : يا أبا إسحاق ؛ مالى
أراك بهذه الهيئة الرثة ، والبرزة الخلق^(٢) ! فقلت : يا مولاتى ، تعدى على الدهر ،
ولم ينصفنى الزمان ، وجفانى الإخوان ، وكسدت بضاعتى ، عزّ على ذلك !
وأومات إلى الأخرى ، فضربت بيدها على كُمها ، فسلت دُمُججاً^(٣) من ساعدها ،
ثم ثنت باليد الأخرى فسلت منها دُمُججاً آخر ، فقلت : يا أبا إسحاق ؛ خذ هذا ،
واقعد على الباب مكانك وانتظر الجارية حتى تأتيك ، ثم قالت : يا جارية ، سكن
المطر ؟ قالت : نعم ، فقامتا .

وخرجت وقعدت مكانى ، فما شعرت إلا والجارية قد وافت بمديل فيه خمسة
أثواب ، وصرّة فيها ألف درهم ، وقالت : تقول لك مولاتى : أنفق هذه فإذا احتجت
فصرّ إلينا حتى نزيديك إن شاء الله .

فأخذت ذلك وقتت ، وقلت فى نفسى : إن ذهبت بالدمُججين إلى امرأتى
قالت : هذا لبناتى وكأثرتنى^(٤) عليهما ، فدخلت السوق ، فبعتهما بخمسين ديناراً ،
وأقبلت .

فلما فتحت الباب صاحت امرأتى وقالت : قد جئت أيضاً بشوئمك ، فطرحت
الدنانير والدرام بين يديها والثياب ، فقلت : من أين لك هذا ؟ قلت : من الذى
تشاءمت به ، وزعمت أنه بضاعتى التى لا تجدى ، فقلت : قد كانت عندى فى غاية
الشؤم ، وهى اليوم فى غاية البركة !

(١) الحزن : ضد السرور (٢) يستوى فيه المذكر والمؤنث (٣) الدمجج : ما على الساعد
من الحلى (٤) كآثرته : غلبه بالكثرة .

١٤٤ — ١٣٧ — حديث جويرية*

قال متم العبدى : خرجتُ من مكة زائراً قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فإني لبسوق الجحفة^(١) إذا جويرية^(٢) تسوق بعيراً ، وتترنم بصوتٍ مליح طيب
حلو في هذا الشعر :

الأأيها البيتُ الذي حيلَ دونه بنا أنت من بيتٍ وأهلك من أهل
بنا أنت من بيتٍ وحولك لذة وظلك لو يسطاع بالبارد السهل
ثلاثة آياتٍ : فبيتٌ أحبهُ ، وبيتان ليساً من هواى ولا شكلي
فقلت : لمن هذا الشعر يا جويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكوة الموقاة
بالكَلَّةِ^(٣) الحمراء ! قلت : أراها ، قالت : من هناك نهض هذا الشعر ؛ قلت :
أو قائله في الأحياء ؟ قالت : هيها ! لو أن لميت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ؛
فأعجبني فصاحة لسانها ، ورقّة ألفاظها : فقلت لها : ألك أبوان ؟ فقالت : فقدتُ
خيرهما وأجأهما . ولى أمّ ، قلت : وأين أمك ؟ قالت : منك بمرأى ومسمع .
فنظرتُ فإذا امرأة تبيعُ الخرز على ظهر الطريق بالجحفة ، فأتيتها فقلت :
يا أمّاه ، استمعى منى ، فقالت لها : يا أمّاه ، فاستمعى من عمى ما يلقىه إليك ،
فقلت : حيّاك الله ! هيه ، هل من خبر ؟ قلت : أهذه ابنتك ؟ قالت :
كذا كان يقول أبوها ، قلت : أفزوجينها لى ؟ قالت : ألعلة رغبتَ فيها ! والله
ما عندها جمال ولا لها مال ، قلت : لحلاوة لسانها ، وحسن عقلها ، فقالت :

* الأغانى : ٢٠ - ٦

(١) الجحفة : قرية على اثنين وثمانين ميلاً من مكة (٢) جويرية : تصغير جارية (٣) الكلة :
السر الرقيق .

أيتنا أملكُ بها ، أنا أم هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها . قالت : فإياها فخطب ،
قلت : لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا ! فقالت : ما ذاك عندها ،
أنا أخبرُ بها . قلت : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أمك ؟ قالت : قد سمعت .
قلت : فما عندك ؟ قالت : أو ليس حسبك أن قلت : إني أستحي من الجواب في
مثل هذا ؟ فإن كنت أستحي من شيء فلم أفعله ؟ أتريد أن يكون سلطانك على ؟
لا والله ، لا يشدّ على رجل حواء^(١) وأنا أجد مذقة^(٢) لبن أو بقلة ألين
بها معاً .

فورد علىّ والله أعجبُ كلام على وجه الأرض ، قلت : أتزوّجك والإذنُ
فيه إليك ؛ وأعطى الله عهداً ألا أصدر في أمرك شيئاً إلا عن إرادتك ، قالت :
إذن والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد ! قلت :
فقد رضيت بذلك ، وتزوجتها وحماتها وأمتها معي إلى العراق . وأقامت معي حتى
قارقت الدنيا .

(١) الحواء اسم السكان الذي يحوى الشيء ويجمعه (٢) مذق اللبن : خلطه ، والمذقة : الطائفة
من اللبن المذوق .

١٣٨ — أحلف وأنا في هذه السنّ ! *

باع مَزِيدَ المديني دابّةً ، فلما كان من الغد أتاه النخّاسون ^(١) طمعاً ، فلما نظر إليهم قد أقبلوا نحوه قام يصلي ، فأطال الصلاة ، فقالوا له ؛ وهمّ لا يعرفونه : يا عبدَ الله ؛ قد ذهب يومنا - وأطمعهم طولُ قيامه ، وكان أحسنَ الناس سمّاً ، وأظهرهم هدياً - فانقتل ^(٢) عن صلّاته ، وقال : ما بالكم ؟ قد قطعتم عليّ صلاتي !

فقالوا له : قد ظهر بالدابة عيب ، قال : وما عيبه ^(٣) ؟ قالوا : يخلع الرّسن ^(٤) ! قال : لا أعرفه بهذه الصفة ؛ فماذا تريدون ؟ قالوا : خصلة من ثلاث : إما الحطيطة ^(٥) ، وإما ردّ الثمن وأخذ الدابة ، وإما اليمين بالله إنك ما تعرف هذا فيه .

قال : أما الثمن فقد فرقناه ، وأما الحطيطة فاستمكننا ، وأما اليمين فإني ما حلفت قطّ على حقّ ولا على باطل ؛ فأعزوني منها ، فإنها أصعبُ الخلط ^(٦) عندي . قالوا : ما من ذلك بدّ ؛ فانطلق بنا إلى الوالي .

فقام معهم ، فلما بصر به الوالي ضحك ، وقال : ما جاء بك يا أبا إسحاق ؟ فقصّ عليه القصة ، فقال : قد أنصفك القوم : فقال : أعزّ الله الأمير ، أحلف وأنا في هذه السنّ

* ذيل زهر الآداب : ١٥٧

(١) النخّاس : بائع الدواب (٢) انقتل عن صلّاته : انصرف (٣) الدابّة تقع على المذكر أيضاً (٤) الرسن : الحبل ، وما كان من زمام على أنف (٥) الحطيطة : ما يحيط من الثمن (٦) الحطة : الطريقة .

السن ! وضرب يده على لحيته وبكى ! وقال : ما حلفتُ على حقٍ ولا على باطل والتوى ^(١) .

قال : لا بد ! فالتوى ساعة ، ثم قال ، أصلح الله الأمير ؛ فإن حملتُ نفسي على اليمين وحلفتُ وأَعْتَتُونِي ^(٢) بعد ! قال : أوجعهم ضرباً وأجسهم !
فلما سمع ذلك استقبل القبلة ، وأقسم بأغلظ الأيمان . وقال : لقد كان عندي، دواب كلها تَخَلَعُ أَرْسَانَهَا ، فكان الحمار يقوم فيعيدها عليها ، ويصلحها بقمه قليلاً قليلاً ؛ فضحك الوالى حتى فَحَصَ الأرضَ برجليه ، وبُهِتَ الناخسون وعجبوا منه ؛ وانصرفوا عنه !

(١) التوى : تناقل ولم يفعل (٢) الإعنت : تكليف غير الطاقة .

أرسلت ، فإن أرتقموني طوعاً نزلت وحدثكم وآسيتكم^(١) في الرنقى والماء ،
وإن آيتهم أمت على كرمهم ، ثم لم ينزلوا من الإفضال ، ولا تشربوا إلا
رقيقاً^(٢) ، وإن قاتلتهم في قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم سيئات النساء ، وقتلت
الرجال ، ولم أترك منكم أحداً نزل الحرم أبداً .

١٣٩ - ضربتان *
تزوج رجل امرأة جديدة على امرأة قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمر على
بيت القديمة ، فتقول : نزله طوعاً ، ونهيات لقتاله ، فاقتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم

فيها الصبر ، ومنعوا النصر ، ثم انهزمت جرحهم ، فلم يُبقت منهم إلا الشبيبة ، وكان
وما يستوى الرجلان رجلٌ صحيحة وأخرى رمى فيها الزمان فثلثت
مصاص بن عمرو قد اعزل حريمهم ، ولم يصعب في ذلك وقال : قد كنت
أحذرهم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوبٌ به البلى نزل وثوبٌ بأيدٍ البائعين جديد

فمرت جارية القديمة على باب الجديدة يوماً وقالت : بنو إسماعيل - وقد كانوا
اعتزلوا حرب جرحهم وخزاعة ، فلما بدخوا في ذلك - فسألهم الشكني منهم وحولهم ،
مقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما أحب إلا للحبيب الأول
فأذنبوا لهم ، فلما رأى ذلك مصاص بن عمرو كان أصابه من العصابة إلى مكة أسرعظم -
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحينئذ أبداً لأول منزل
أرسل إلى خزاعة يستأمنها ، وقت إليهم براهه وتوزيره^(٣) قومه عن القتال ،
وسوء العشرة في الحرم ، واعتزله الحرب ، فأبت خزاعة أن يُقروهم وتقوم عن
الحرم وقالوا : من دخله منهم قدمه هدر^(٤) .

فزعجت بل لمصاص من قنوتى تويد مكة ، فخرج في طلبها حتى وجدها
قد دخلت مكة ، فمضى إلى الجبال نحو أجياد حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر

(١) آسيتكم : شارككنم
(٢) الرنقى : الكدر من الماء (٣) قنوتى : واد يصب
(٤) التوزير : الكف عن الشيء (٥) أى باطل ليس
* المتطرف : ٢ - ٢٢٣

الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تُنَحَّر وتؤكل لا سبيل له إليها ، تخاف إن
هبط الوادي أن يُقتل ، ١٤٠ — من كذب الأعراب *

كان لم يكن بين الخجول إلى الصفا — ليس ولم ينثر بمسكة سامر
تكاذب أعرابيان ؛ فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس لي ، فإذا بظلمة
شديدة فيمتهباً^(١) حتى وصلت إليها ، فإذا قطعة من الليل لم تذبته^(٢) ، فازلت
أجل فرسي عليها حتى أنبهتها ؛ فانبجبت^(٣) . الذئب يعوي والعدو المخامر
أقال الآخر : لقد رميت ظلياً مرة بسهم ، فعدل الظلي يمتن ، فعدل السهم
خلفه فتياسر^(٤) الظلي ، فتياسر السهم خلفه ، ثم علا ، فعلا السهم خلفه ، وانحدر
فانحدر خلفه ، حتى أخذه !

فهل فرج أت بشيء نخبه وهل جزع منجيك مما تحاذر !

* الكامل : ١ - ٣٥٧

(١) قصدتها (٢) لم تستيقظ (٣) انجابت : انكشفت (٤) تياسر : يسار يساراً .

١٤١ — قَسَمَ فَأَحْسَنَ الْقِسْمَةَ*

حدّث أعرابيٌّ كان ينزلُ بالبصرة قال : قدِمَ أعرابيٌّ من البادية ، فأنزله
وكان عندي دجاج كثير ، ولى امرأً ، وابنان وابتنان منها ، فقلت لامرأتى : بادرى
واشوى لنا دجاجة وقدّمها إلينا نتغدّى .

فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتى وابنائى وابتنائى والأعرابيّ فدفعنا
إليه الدجاجة ، وقلنا له : اقسّمها بيننا - نريد أن نضحك منه - فقال : لا أحسنُ
القسمة ؛ فإن رضيتم بقسمتى قسمتها بينكم ، قلنا : فإننا نرضى ، فأخذ رأس الدجاجة
فقطعها فنأورَ لنيه ، وقال : الرأسُ للرأس - وقطع الجناحين - وقال : الجناحان
للإثنين - ثم قطع الساقين - فقال : الساقان للإبنتين ، ثم قطع الزمكى^(١) وقال :
العجز للمعجوز ؛ وقال : الزور للزائر ، وأخذ الدجاجة بأمرها وسخر بنا .

فلما كان من الغد قلت لامرأتى : اشوى لنا خمس دجاجات ، فلما حضر الغداء
قلت : اقسّم بيننا . قال : إني أظنّ أنكم وجدتم^(٢) فى أنفسكم ، قلنا : لا ، لم نجد
فى أنفسنا ؛ فاقسم ! قال : أقسم شفعاً أو وترّاً^(٣) ؟ قلنا : اقسّم وترّاً ، قال : أنت
وامراتك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إلينا بدجاجة ، ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة ،
ورمى إليهما بدجاجة ، ثم قال : وابنتك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة ، ثم
قال : أنا ودجاجتان ثلاثة ، وأخذ دجاجتين ، وسخر بنا !

* نهاية الأرب : ١ - ١٧ ، الحيوان : ٢ - ١٣٠

(١) الزمكى : ذنب الطائر (٢) وجد : جزن (٣) الوتر : الفرد ، والشفع ضده .

ثم رأنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه ؛ فقال : ما تنظرون ؟ لعلكم كرهتم قسمة
الوتر ، لا يجيء إلا هكذا ؛ فهل لكم في قسمة للشنع ؟ قلنا : نعم ؛ فضمن إليه
ثم قال : أنت وابنك ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا بدجاجة ، ثم قال : والمعجوز
وابنتها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة ، ثم قال : أنا وثلاث دجاجات
أربعة ، وضم إليه الثلاث ، ورفع يديه إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد أنت
فهمتنيها !

١٤٢ — زهد وأدب *

قال محدث : قصدت منزل ابن بكّار المرواني في أشبونة^(١) ونشرت الباب ،
فنادى : من هذا ؟ فقلت : رجلٌ ممن يتوسّلُ لروّيك بقراءة ، فقال : لا قرابة إلا
بالتقى ؛ فإن كنت من أهله فادخل ، وإلا فتنح عني .

فقلت : أرجو في الاجتماع بك والاقْتِباسِ منك أن أكون من أهل التّقى ،
فقال : ادخل ، فدخلت عليه ، فإذا به في مُصَلَّاه ، وسُبْحَةَ أمامه ، وهو يعدُّ حبوبها
ويسبح ، فقال لي : أمهلني حتى أتمّ وظيفتي من هذا التسبيح ، ثم أفضى حثك ؛
فعدت إلى أن فرغ .

فلما قضى شغله عطف عليّ ، وقال : ما القرابة التي بيني وبينك ؟ فانتسبت له
فعرف أبي ، وترحم عليه ، وقال لي : لقد كان نعم الرجل ، وكان لديه أدبٌ ومعرفة ،
فهل لديك أنت مما كان لديه شيء ؟ فقلت له : إنه كان يأخذني بالقراءة وتعلّم
الأدب ، وقد تعلقتُ من ذلك بما أتميّزُ به ، فقال لي : هل تنظم شيئاً ؟ قلت : نعم !
وقد أُلجأتني الدهر إلى أن أرتزق به . فقال : يا ولدي ، إنه بئسما يُرتزق به ، ونعم
ما يتحلّى به إذا كان على غير هذا الوجه ، ولكن تحلّ المئتمّة عند الضرورة !
فأنشدني - أصلحك الله - مما على ذِكرك من شعرك .

* فتح الطيب : ٢ : ١١٢

(١) أشبونة : بلد بالمغرب .

فطلبتُ بخاطري شيئاً أقابله به مما يوافق حاله ، فوافق لي إلا فيما لا يوافقه
من مجون ووصف خمر وما أشبه ذلك . فأطرتُ قليلاً ، فقال : لملك تنظم !
قلتُ : لا ، ولكني أفكر فيما أقابلك به ، فقوئلي أكثره فيما حملني عليه الصبا
والشخف ، وهو غيرُ لائق بمجلسك .

فقال : أنشدني ما وقع لك غير متكلف ، فلم يمدني خاطري إلا بشعر أجنبي^(١)
فيه ، فقال : أما كان في نظمك أظهر من هذا ؟ قلت له : ما وقفتُ لغيره^(٢) ، فقال :
لا بأس عليك ، فأنشدني غيره ، ففكرت إلى أن أنشدته قولي :

ولما وقفتُ على رَبِّهمْ تجرعتُ وَجدي بالأجرع^(٣)
وأرسلَ دَمي شِرَارَ الدُموع لنارٍ تَأججُ في الأضلع
فقام عدولي لَمَـأرأى بكائي وَقفاً على الأذمع
قلت له : هذه سنَّة لمن حفظ العهدَ في الأربع^(٤)

فرايت الشيخ قد اختلط ، وجعل يحى ويذهب ؛ ثم أفاق ، وقال : أعدتُ
بحقِّ آبائك الكرام . فأعدتُ فأعاد ما كان فيه ، وجعل يردد . قلت له : لو علمتُ
أن هذا يجرِّك ما أنشدتُك إياه ، فقال : وهل حرك مني إلا خيراً وعِظَةً ! يا بُني ؛
إن هذه القلوب الخلالة لله كالأوراق التي جفت ، وهي مستعدةٌ لهبوبِ الرياح ،
فإن هبَّ عليها أفلُّ ريحٍ لعب بها كيف شاء ، وصادف منها طوعه .

(١) مجن من باب قعد : هزل .

(٢) راجع هذا الشعر في صفحة ١١٢ من الجزء الثاني من نوح الطيب ، وقد حذفناه لما فيه من
المجون (٣) الأجرع : الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل (٤) الأربع ، جمع ربيع : الدار
بينها .

فأعجبني منزعه ، وتأنستُ به ، ولم أر عنده ما يُعتَادُ من هؤلاء المتديّنين
من الانكاش ؛ بل ما زال يحدثني بأخبارٍ فيها هزلٌ ، ويذكر لي من تاريخ بني
أمية وملوكها ما أرتاحُ له ، ولا أعلم أكثره .

فلما كثرتَ تأنسي به ، أهويتُ إلى يده كي أقبلها ، فضمها بسرعة ، وقال :
ما شأنك ؟ قلت : أرغب في أن تنشدني شيئاً من نظمك ؛ فقال : أمّا نظمي في
زمان الصبا فكان له وقتٌ ذهب ، ويجب للنظم أن يذهبَ معه ، وأمّا نظمي في
هذا الوقت فهو فيما أنا بسبيله ؛ وهو يثقل عليك ، قلت له : إن أنصفَ سيدي
أنشدني من نظمِ صباه ، ومن نظمِ شيخوخته ، فيأخذُ كلانا بحظه . فضحك ، وقال :
ما أعصيك وأنتَ ضعيفٌ ، ولك حرمةُ أدب ، ووسيلةُ قصد ، ثم أنشدني وقد بدا
عليه الخشوع وخنفته العترة :

ثق بالذي سواك من عدمٍ فإياك من عدمٍ
وانظر لنفسك قبل قرء ع السن من قرطِ الندم
واحذر- وقيت- من الوري واصحهم أعمى أصم
قد كنتُ في تيهٍ إلى أن لاح لي أهدي علم
فأقنتُ نحو ضيائه حتى خرجتُ من الظلم
لكن قناديلُ الهوى في نورِ رشدي كالحم (١)

فو الله لقد أدركني فوق ما أدركه ، وغلب على خاطري بما سمعت من هذه
الآيات ، وفلمتُ بي من الموعظة غاية لم أجد منها التخلص إلا بعد حين ، فقال لي
الشيخ : إن هذه يقظة يرحى معها خيرك ، والله مرشدك ومنقذك ، ثم قال لي :

(١) الحم : الرماض والنعم ، وكل ما احترق من النار .

يابني ؛ هذا ما نحنُ بسبيله الآن ، فاسمع ما قلته فيما مضى ، والله وليُّ المغفرة ،
وأشد :

أطلَّ عِدَارٌ عَلَى خَدِّهِ فَظَنُوا سُؤْيَ عَن مَذْهَبِي
وقالوا : غراب لوشكِ النَّوَى قُلتُ : اِكْتَسَى الْبَدْرُ بِالْفَيْهَبِ (١)
وناديتُ قَلْبِي : أَيْنَ الْمَسِيرُ وَبَدْرُ الدَّجِي حَلَّ بِالْمَقْرَبِ (٢)
فقال : ولو رُمْتُ عَن حَبِّهِ رَحِيلاً عَصِيتُ وَلَمْ أَذْهَبِ

فسمعت منه ما يقصر عنه صدور الشعراء ، وشهدت له بالتقدم ، وقلت له :
لم أر أحسنَ من نظمك في جدِّ ولا هزل . ثم قلت له : أأرويه عنك ؟ فقال : نعم ؛
ما أرى فيه بأساً بعد اطلاع من يَعْلَمُ السرائرَ على ما في الضمائر ، قُلتُ له : فإِزْ
أصبغتَ على النعمةَ بزيادة شيء من هذا الفنِّ فملت ما تملك به قلبي آخر الدهر .
فقال يابني ؛ لا مَلَكَ قلبك غيرُ حبِّ الله تعالى ، ثم قال : ولا أجمع عليك رَدَّ قول
ومنعاً ، ثم أشد :

أَيُّهَا الشَّادِنُ الَّذِي حُسْنُهُ فِي الْوَرَى غَرِيبٌ
لِحَطِّ ذَاكَ الْجَمَالِ يُطُّ فِي مَابِي مِنَ الْهَيْبِ
وَعَلَيْهِ أَحُومُ دَهْ رِي وَلَكِنِّي أَخِيبُ
كَلَّا رُمْتُ زَوْرَةَ قَيْضِ اللَّهِ لِي رَقِيبُ

فأزجَ قلبي من الرقة واللطافة لهذا الشعر ما أعجزُ عن التعبير عنه ، قُلتُ له :
زدني زادك الله خيراً ، فأنشدني :

مَا كَانَ قَلْبِي يَدْرِي قَدْرَ حُبِّكُمْ حَتَّى بَعْدْتُمْ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْجَلْدِ

(١) الفيهب : الظلمة (٢) المقرب : برج في السماء

وكنت أحسب أنى لا أضيق به ذرعاً فما حان حتى فتّ في عضدى
ثم استمرت على كرهٍ مَرِيرَةٍ (١) فكاد يفرق بين الروح الجسد
صا كم أن تلافوا باللقا رَمَقِي فليس لى مهجة تقوى على الكمد
ثم قال : حسبك ، وإن كلفتنى زيادة ، فالله حسبك ، قلت له : قد وُكِّلتنى
إلى كريم غفور ، فبالله إلا ما زدتنى ؛ وأكْبَدْتُ لأقْبَلِ رجليه ، فضمهما وأنشدنى
شعراً رقيقاً ؛ ملا سمعى عجائب ، وبسط أنسى ، وكتبت كل ما أنشدنى ، ثم قلت
له : لولا خوفى من التثقيب عليك لم أزل أستدعى منك الإنشاد حتى لا تجرد
ما تنشده . فقال : إن عدت إلى هنا تذكريت وأنشدتك ، فما عندى مما أضيفك به
غير ما سمعته وما تراه .

ثم قام وجاء من بيت آخر فى داره بصحفة فيها حساً (٢) من دقيق وكسور
باردة ، فجعل يفتُّ فيها ، ثم أشار إلى أن أشرب ، فشربت ، ثم شرب إلى أن
أتينا على آخرها ، ثم قال : هذا غداء عمك نهارة ، وإنه لنعمة من الله تعالى ، أستديم
بشكرها اتصالها .

قلت له : يا عم ؛ ومن أين عيشك ؟ فقال : يا بنى ؛ عيشتى بتلك الشبكة أصطادُ
بها فى سواحل البحر ما أفتأتُ به ، ولى زوجة و بنت يعود من غزلها مع ذلك ما نجد
به معونة ؛ وهذا مع العافية والاستغناء عن الناس خيرٌ كثير .

فتركته ، وفى نيتى أن أعودَ إلى زيارته بعد أيام خوف التثقيب ، فعدتُ إليه
بعد ثلاثة أيام ، فنقرتُ الباب ، فكلمتنى المرأة بلسان عليه أثر الحزن ، وقالت :
إن الشيخ قد خرج إلى الغزو ، وذلك بعد انفصالك عنه بيوم ، ناله كالجنون ،

(١) المريرة : القوة (٢) الحسا : اللزق .

فقلت له : ما شأنك ؟ فقال : إني أريد أن أموت شهيداً وهؤلاء جيران لي قد عزموا على الغزو ، وأنا ماضٍ معهم ! ثم احتال في سيف ورمح ، وتوجه معهم ، وقال : نفسى هي التي قتلتني بهواها ، أفلا أقتصُّ منها فأقتلها ! فقلت لها : من خَلَفَ للنظر في شأنكم ؟ فقالت : ليس ذلك لك ؛ فالذى خلفنا له لا نحتاج معه إلى غيره ، فأدركني من جوابها روعة ، وعلمتُ أنها مثله زهداً وصلاحاً .

فقلت : إني قريبه ، ويجب عليّ أن أنظرَ في حالكم بعده ؛ فقالت : يا هذا ؛ إنك لستَ بذى محرّم ، ولنا من العجائز من ينظرُ لنا ، ويبيعُ غزْلنا ، ويتفقد أحوالنا ؛ فجزاك الله عنا خيراً . انصرف عنا مشكوراً !

فقلت لها : هذه دراهم خذوها لتستعينوا بها ، فقالت : ما اعتدنا أن نأخذ من غير الله ، وما كان لنا أن نخلّ بالعادة .

فانصرفت نادماً على ما فاتني من الاستكثار من شعر الشيخ . ثم عدت بعد ذلك لداره سائلاً عنه ، فقالت لى المرأة : إنه قد قبله الله تعالى ؛ فعلمت أنه قتل ؛ فقلت لها : أقتل ؟ فقرات : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ .

فانصرفتُ معتبراً من حاله .

١٤٣ — تشابه خاطرين*

قال ابنُ ظافر : صرنا في بعض العسايا على البساتين ، فرأينا فيها بئراً عليها
دولابان متحاذيان ، وهما ينفان أنين الأشواق ، ويفيضان ماء أغزر من دموع
العشاق ، والروضُ قد جلا للأعين زبرجده ، والأصيل قد راقه حسنه ، فنثر عليه
عسجده ، والزهرُ قد نظم جواهره في أجياد الفصون ، والسواقي قد أزالت من
سلاسل فضتها كل مصون ، والنبات قد اخضر شاربه وعارضه ، وطرف النسيم
قد ركضه في ميادين الزهر راکضه ، ورضاب الغيث قد استقر من الطين في
لمى ، وحيات المجارى حائرة تخاف من زمرد النبات أن يدركها العمى ، والبحر قد
صقل النسيم ذرعه ، وزعفران العشى قد ألقى في ذيل الجوِّ ذرعه ؛ فأوسع ذلك
المكان قلوبنا استحواداً ، وملأ أبصارنا وأسماعنا مسرّة والتذاذاً ، وجلسنا نتذاكر
ما في تركيب الدواليب من الأعاجيب ، وبتناشد ما وُصفت به من الأشعار الغالية
الأسعار ، فأفضى بنا الحديث الذى هو ذو شجون إلى ذكر قول الأعمى^(١) الطليطلى
في أسد نحاس يقذف الماء :

أسدٌ ولو أتى أنا قشه الحساب لقلت : صخرة
فكأنه أسدُ السما يميحُ من فيه الحجره

* نفع الطيب : ٢ - ٢٩٢

(١) هو أبو جعفر الأعمى الطليطلى ، وقال عنه في مطمح الأنفس : له ذهن يكشف الغامض الذى
يخفى ، ويعرف رسم المشكل ، وإن كان قد عفا ، . . . ص ٢٨٥ من مطمح الأنفس .

فقال القاضي أبو الحسن على بن المؤيد : يتولد من هذا في الدولار معنى يأخذ بمجامع السامع ويُطربُ الرائي والسامع ؛ فتأملت ما قاله بعين بصيرتي البصيرة ، واستمددت مادةَ غَرِيْبَتِي الفزيرة ؛ فظهر لي معنى ملائي إطراباً ، وأوسعني إعجاباً ؛ وأطرق كلُّ منا ينظّم ماخاش به مدُّ محره ، وأنباه به شيطان فكره ، فلم يكن إلا كنفرة العصفور ، الخائف من الناطور^(١) ، حتى كمل ما أردناه من غير أن يقف واحدٌ منا على ما صنعه الآخرُ ، فكان الذي قال :

حَبِّذا ساعة العشاء والدُّو لَابٌ يُهْدِي إلى النفوسِ المسرَّة
أدْهَمٌ لا يزال يعدو ولكن ليس يعدو مكانه قَدْرَ ذرَّة
ذو عيونٍ من القوادسِ يبكي كلَّ عينٍ من فائضِ الدمعِ ثرَّة
فَلَكٌ دائرٌ يُرِينا نجومًا كلُّ نَجْمٍ يُبْدِي لنا المجرَّة
وكان الذي قلت :

ودولابٍ يئنُّ أنينَ تَكَلِّي ولا قَدْرَ دَأْشِ كاهٍ ولا مَصْرَّة
ترى الأزهارَ في ضحكٍ إذا ما بكى بدموعِ عينٍ منه ثرَّة
حكى فَلَكَ تدورُ به نجومٌ تؤنرُ في سرائرنا المَسْرَّة
يظلُّ النجمُ يُشرقُ بعد نَجْمٍ ويضربُ بعد ما تجرى المجرَّة
فمجبنا من اتفاقنا ، وقضى العجبَ منه سائرُ رفاقنا .

(١) الناطور : حافظ الكرم .

١٤٤ — إنما توجد في قعر البحار الفصوص *

ألف أبو العلاء صاعد^١ كتاب الفصوص ، وانتفق أن أبا العلاء دفعه - حين
كَمَل - لغلام له يحمله بين يديه ، وعبر النهر - نهر قرطبة - فخانت الغلام رجله ؛
فسقط في النهر هو والكتاب !

فقال في ذلك بعض الشعراء بيتاً بحضرة المنصور هو :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص^٢ وهكذا كل ثقيـلٍ يغوص
فضحك المنصور والحاضرون .

فلم يرُع ذلك صاعداً ، ولا هالاً ، وقال مرتجلاً مجيباً :

عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص^٣ !

الباب الرابع

في القصص التي تؤرّخُ مذكورَ أيامهم وتفصّلُ مشهور
وقائعهم، ومقتل كبرائهم، وتصف الحروب والمنازعات التي
كانت تدور بين قبائلهم أخذاً بالثار، أو حماية للذمار.

[اقتصرنا في هذا الباب على القصص الأدبي ، أما تفصيل الأيام وتاريخها فقد
أفردنا لها كتابي « أيام العرب في الجاهلية » و « أيام العرب في الإسلام »]

١٤٥ — كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيسٌ ولم يسهر بمكة سامرٌ*

حدث بعض أهل العلم ، أن سيلاً جاء فدخل البيت فأنهدم ، فأعادته جُرم
على بناء إبراهيم ، ثم استخفت جرم بحق البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظيماً ،
وأحدثوا فيه أحداثاً قبيحة ، وكانت للبيت خزانة ، وهي بئر في بطنه يلقى فيها المتاع
الذي يهدى له ، وهو يومئذ لا سقف عليه ، فتواعد خمسة من جُرم أن يسرقوا
كل ما فيها ، فقام على كل زاوية من البيت رجلٌ منهم ، واقتحم الخماس ، فجعل
الله عز وجل أعلاه أسفله ، وسقط منكساً فهلك ، وفر الأربعة الآخرون .

فلما كثر بنى جُرم بمكة قام فيهم مضاض بن عمرو فقال : يا قوم ؛ احذروا
البنى فإنه لا بقاء لأهله ، وقد رأيتم من كان قبلكم من العاليق استخفوا بالحرم ،
ولم يعظموه ، وتنازعوا بينهم ، واختلفوا حتى سلطكم الله عليهم فاجتحتتموم ، فتفرقوا
في البلاد ، فلا تستخفوا بحق الحرم وحرمة بيت الله ، ولا تظلموا من دخله ، وجاءه
معظماً حرّماته ، أو خائفاً ورغب في جواره ، فإنكم إن فعلتم ذلكم تخوفت أن
تخرجوا منه خروج ذلٍ وصغار ، حتى لا يقدر أحدٌ منكم أن يصل إلى الحرم ، ولا
إلى زيارة البيت الذي هو لكم حرزٌ وأمن ، والطيرُ تأمن فيه .

فقال قائل منهم : ومن الذي يُخرجنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العرب واكثر مالا
وسلاحاً ! فقال مُضاض : إذا جاء الأمر بطل ما تذكرون ، فقد رأيتم ما صنع الله
بالباليق ... بَعَثَ في الحرم فسَلَطَ اللهُ عليهم الذرَّةَ ^(١) فأخرجهم منه ، ثم رُموا
بالجذب من خلفهم حتى ردهم الله إلى مساقط رؤسهم . ثم أرسَلَ عليهم
الطوفان .

فلما رأى مُضاض بن عمرو بَغْيَهُمْ ومقامهم عليه عَمِدٍ إلى كنوز الكعبة وهي
غَزَا لَانٍ من ذهب ، وأسياف قلعية ^(٢) فخر لها ليلاً في موضع زمزم ودقها .

فبينما هم على ذلك إذ سارت القبائل من أهل مَأْرِبِ ، وعليهم مُزَيْقِيَاءُ ، وهو
عَمْرُو بن عامر ، فلما اتَّهَمُوا إلى مكة وأهلها أرسل إليهم ابنته ثعلبة فقال لهم :
يا قوم ؛ إنا قد خرجنا من بلادنا ، فلم نزل بلدة إلا أفسح أهلها لنا ، فنقيم معهم
حتى نرسل رُوَاداً فيرتادوا لنا بلداً يحملنا . فأفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيمَ قَدْرَ
ما نستريح ، ورسَل رُوَاداً إلى الشام وإلى الشرق فحيثما بلغنا أنه أمثل لَحِقْنَا به ،
وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً .

فأبَتْ ذلك جُرْمُهم إِياءَ شديداً ؛ واستكبروا في أنفسهم ، وقالوا : لا والله ،
ما نحبُّ أن ينزلوا فيضيّقوا علينا سرايِعنا ومواردنا ، فازحَلُوا عنا حيث أحببتهم ،
فلا حاجة لنا بجواركم .

فأرسل إليهم : أنه لا بد من المقام بهذا البلد حولاً حتى ترجعَ إلى رُسُلِي التي

(١) النر : صغار النمل (٢) قلعية : نسبة إلى قلعة ، وهي بلد بالهند ، إليها ينسب الرصاص
والسيوف .

أرسلت ، فإن أنزلتموني طَوْعًا نزلت وحمدتكم وآسيتكم^(١) في الرغى والماء ،
وإن أبيتُم أمت على كُرهِكم ، ثم لم ترتعوا معي إلا فضلًا ، ولا تشربوا إلا
رَفَقًا^(٢) ، وإن قاتلتموني قاتلتكم ، ثم إن ظهَرْتُ عليكم سببَتُ النساء ، وقتلتُ
الرجال ، ولم أترك منكم أحدًا ينزل الحرم أبدًا .

فأبَت جُرْهُم أن تُنزلهُ طوعًا ، وتَهَيَّأت لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثة أيام أفرغ عليهم
فيها الصبر ، ومُنِعُوا النصر ، ثم انهزمت جُرْهُم ، فلم يُفَلت منهم إلا الشديد ، وكان
مُضَاض بن عمرو قد اعتزل حربهم ، ولم يعنهم في ذلك وقال : قد كنت
أحذرهم هذا .

ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا قنوني^(٣) وما حوله .

فلما حازت خُزاعة أمر مكة ، وصاروا أهلها جاءهم بنو إسماعيل - وقد كانوا
اعتزلوا حرب جُرْهُم وخُزاعة ، فلم يدخلوا في ذلك - فسألوهم الشكني معهم وحولمهم ،
فأذِنوا لهم ، فلما رأى ذلك مُضَاض - وقد كان أصابه من الصباية إلى مكة أمر عظيم -
أرسل إلى خُزاعة يَسْتَأْمِنُهَا ، ومَتَّ إليهم برأيه وتَوَرَّيْهِه^(٤) قومَه عن القتال ،
وسوء العِشْرَةِ في الحرم ، واعتزله الحرب ، فَلَبَّتْ خُزاعة أن يُقِرُّوهم ونَفَّوهم عن
الحرم وقالوا : مَنْ دخله منهم فدمُه هَدْر^(٥) .

فنزعت بل لمضاض من قنوني تريد مكة ، فخرج في طلبها حتى وجدها
قد دخلت مكة ، فضى إلى الجبال نحو أُجْيَاد حتى ظهر على أبي قُبَيْس يتبصر

(١) آسيتكم : شاركتكم .
في البحر في أوائل أرض اليمن
فيه قود .
(٢) الرنق : الكدر من الماء . (٣) قنوني : واد يصب
(٤) التوريع : الكف عن الشيء . (٥) أي باطل ليس

الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تُنَحَّر وتؤكل لا سبيل له إليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتل ، فوَلَّى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول :

كَانَ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحِجُونَ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ
وَلَمْ يَتَرَبَّعْ وَاسِطًا لِحَنُوبِهِ إِلَى الْمُنْحَى مِنْ ذِي الْأُرَاكَةِ حَاضِرُ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ^(١) الْعَوَائِرُ
وَأَبْدَلْنَا رَبِّي بِهَا دَارَ غَرْبِيَّةٍ بِهَا الذُّبُّ يَعْوِي وَالْعَدْوُ الْمُخَامِرُ
أَقُولُ إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أُنْمِ أَذَّا الْعَرْشِ لَا يَبْعُدُ سَهِيلٌ وَعَامِرُ^(٢)
وَبَدَّلْتُ مِنْهُمْ أَوْجَهًا لَا أُرِيدُهَا وَحَيْرٌ قَدْ بَدَّلَتْهَا وَالْيَحَابِرُ^(٣)

فهل فرج آتٍ بشيء تحبُّه وهل جزع منجيك مما تحاذرُ !

(١) الجدود : المخطوط (٢) أذا العرش : أى ياذا العرش (٣) يحابر : اسم قبيلة .

١٤٦ -- ألا من يشتري سَهراً بنوم *

تفرقت حمير على ملكها حسان ، وخالفت أمره ؛ لسوء سيرته فيهم ، ومألوا
إلى أخيه عمرو ، وحلوه على قتل حسان ، وأشاروا عليه بذلك ، ورغبوه في الملك ،
ووعده حسن الطاعة والموازرة ، فنهاه ذورعين من بين حمير عن قتل أخيه ،
وعلم أنه إن قتل أخاه نديم ونفر عنه النوم ، وانتقضت عليه أموره ، وأنه سيمأقب
الذي أشار عليه بذلك ، ويعرف غشهم له .

فلما رأى ذورعين أنه لا يقبل ذلك منه ، وخشى العواقب قال :

ألا من يشتري سَهراً بنوم سعيد من بيت قريز عين
فإما حمير غدرت وخانت فمذرة الإله لذي رعين

ثم كتب البيتين في صحيفة ، وختم عليها بخاتم عمرو ، وقال : هذه وديمة لي
عندك إلى أن أطلبها منك ؛ فأخذها عمرو ودفعها إلى خازنه ، وأمره برفعها إلى
الخزانة ، والاحتفاظ بها إلى أن يسأل عنها :

فلما قتل أخاه ، وجلس مكانه في الملك مُنِع منه النوم ، وسلط عليه السهر ؛
فلما اشتد ذلك عليه ، لم يدع باليمن طبيباً ولا كاهناً ، ولا مُنجماً ، ولا عرافاً
ولا عاتفاً ، إلا جمعهم ، ثم أخبرهم بقصته ، وشكا إليهم ما به . فقالوا له : ما قتل
رجل أخاه أو ذا رحم منه على نحو ما قتل أخاك إلا أصابه السهر ، ومُنِع
منه النوم !

فلما قالوا له ذلك أقبل على مَنْ كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من
أَقِيَالِ حَمِيرَ ، فقتلهم وأَفْنَاهُمْ .

فلما وصل إلى ذى رَعِين قال له : أيُّها الملك ؛ إنَّ لى عندك براءة مما تريد أن
تصنعَ بى . قال : وما براءتُك وأمانك ؟ قال : مُرْ خازِنك أن يُخرجَ الصحيفةَ التى
استودعتكها يوم كذا وكذا .

فأمر خازِنَه فأخرجها ، فنظر إلى خاتمه عليها ثم فضَّها ، فإذا فيها البيتان :

* ألا من يشتري سهرأ بنوم ^(١) *

ثم قال له : أيُّها الملك ؛ قد نهيتك عن قتل أخيك ، وعلمتُ أنك إن فعلتَ
ذلك أصابك الذى قد أصابك ، فكتبتُ هذين البيتين براءةً لى عندك مما علمتُ
أنك تصنعَ بمن أشار عليك بقتل أخيك !
فقبل ذلك منه وعفا عنه ، وأحسَنَ جائزته .

(١) ذهب مثلاً ، وبضرب لمن غمط النعمة وكره العافية .

١٤٧ — غُثْكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ*

كانت بين مذحج وحى من أحياء العرب حربٌ شديدة ، فرَّ مَعْنُ بن عَطِيَّة المذحجى في حَمَلَةٍ حملها برجل من أعدائهم صريعاً ؛ فاستغاثه وقال :
أَمُنُّ عَلَى كُفَيْتِ البلاء ! فأقامه مَعْنُ ، وسار به حتى بلغ مَأْمَنَه ، ثم عطف أولئك القوم على مَذْحِج فهِزَمُوهم وَأَسْرُوا مَعْنًا وَأَخَاهُ يقال له : روق ، وكان يَضَعِفُ وَيُحْمَقُ (١) .

فلما انصرفوا إذا صاحبٌ مَعْنُ الذى نجاه أخو رئيس القوم ، فناده
معن وقال :

يا خَيْرَ جازٍ بَيْدٍ أوليتها نَجِّ مُنْجِيكَ
هل من جزاء عندك اليوم لمن ردَّ عواديك

فعرفه صاحبه ، فقال لأخيه : هذا المانُّ على ، ومُنْقِذِي بعد ما أشرفتُ على الموت فهبه لى . فوهبه له : فخلّى سبيله ، وقال : إني أحبُّ أن أضعف لك الجزاء ، فاختره أسيراً آخر ؛ فاختر مَعْنُ أخاه رَوْقًا ، ولم يلتفت إلى سيِّدِ مَذْحِج وهو فى الأسارى .

ثم انطلق مَعْنُ وأخوه راجعَيْنِ ، فرَّ بأسارى قومهما ، فسألوا معنًا عن حال

* يجمع الأمثال : ٢ - ٤ .
(١) حمقه : نسبه إلى الحق . وضعفه : عده ضعيفا .

سيدهم ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا لمن : قبحك الله تدعُ سيد قومك وشاعرهم
لا تفكّه ، وتفكّ أخاك هذا الأنوك^(١) الفسل^(٢) الرذل^(٣) . فوالله ما تكأجر حماً
ولا أعمل رحماً ، ولا ذعر سرحاً^(٤) ؛ وإنه لقبيح المنظر سيّئ الخبر ، لثيم : فقال
معن : « غنك خيرٌ من سمين غيرك^(٥) » .

(١) الأنوك : الأحمق (٢) الفسل : الرذل الذي لا مروءة له (٣) الرذل : الدون
الحسيس . (٤) السرح : المال السأم (٥) ذهب مثلاً .

١٤٨ — مقتل كليب *

كان كليب^(١) قد عزَّ وساد في ربيعة؛ فبغى نفيًا شديدًا، وكان هو الذي ينزلهم منازلهم ويرحلهم، ولا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره؛ فضرب به المثل في العزَّ؛ فقيل: أعزُّ من كليب وائل! وكان لا يُجبر أحدٌ من بكر وتغلب إلا بإذنه، ولا يُجمَعى حمى إلا بأمره، وكان إذا حمى حمى لا يُقرب.

وكان لمرّة بن ذهل بن شيبان عشرة بنين، جساس أصغرهم، وكانت أختهم عند كليب.

وكان لجساس^(٢) خالة تُعرف بالبسوس؛ فجاءت فنزلت على ابن أختها جساس، فكانت جارة لبني مرة، ومعها ابن لها، ولها ناقة خوّارة^(٣)، ومعها فصيل، فرأى كليب الناقة فأنكرها، فقال: لمن هذه؟ قالوا: لخالة جساس، قال: أوقد بلغ من أمر ابن السعدية أن يُجبر على بغير إذنى الرزم ضرعها يا غلام، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة، فاختلط دمها بلبنها.

وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالأمر، فقال: احلبوا لها مكيالى لبن، ولا تذكروا لها من هذا شيئاً.

* الأغاني: ٥ - ٣٤، الأمثال: ١ - ٣٤١، العقد الفريد: ٣ - ٣٤٨، نهاية الأرب: ٥ - ٢١٤، الكامل لابن الأثير: ١ - ٣١٢
(١) كليب بن ربيعة، سيد الحيين: بكر وتغلب في الجاهلية، ومن الشجعان الأبطال وقتل نحو سنة ١٣٥ ق. هـ (٢) جساس بن مرة من بني بكر بن وائل، شجاع شاعر من أمراء العرب في الجاهلية، وقتل في أواخر الحرب نحو ٨٥ ق. هـ (٣) ناقة خوّارة: رقيقة حسنة.

وسكت جَسَّاسٌ ثم مرَّت بَكْرٌ عَلَى نَهْيٍ^(١) يقال له : شَبَّيْتُ ، فنفاهم كليب
عنه ، وقال : لا يذوقون منه قطرة . ثم مروا على نَهْيٍ آخر يقال له : الأَحْصُ ، فنفاهم
عنه ، ثم مروا على نَطْنِ الجُرَيْبِ^(٢) فننعمهم إياه ، حتى نزلوا الذَّنَّابَ^(٣) ، وتبعهم كليبٌ
وحيه حتى نزلوا عليه

ثم مرَّ عليه جَسَّاسٌ وهو واقف على غدير الذَّنَّابِ ، فقال : طردت أهلنا عن
المياه حتى كِدَّتْ تَقْتُلُهُمْ عَطْشًا ! فقال كليب : مامنعناهم من ماءٍ إلا ونحنُ له
شاغلون . فقال له جَسَّاسٌ : هذا كفعلك بِنَاقَةِ خَالَتِي ! فقال له : أَوْقَدْ ذِكْرَتَهَا !
أما إني لو وجدتها في غير إِبِلٍ مُرَّةٍ لاستحلتُ تلك الإِبِلَ بها !

فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسه ، فطعمه بَرْمُحٍ فَأَنْمَدَ حِضْنِيهِ^(٤) ، فلما تَدَاءَمَهُ^(٥)
الموتُ قال : يا جَسَّاسُ ؛ اسقني من الماء ، قال : ما عَقَلْتُ اسدَمَ قَاءُكَ المَاءُ مِنْذُ وَلَدْتُكَ
أَمْكٌ إِلَّا سَاعَتُكَ هذه ! ثم أمال يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله .

فقالَتْ أختُه - حين رَأَتْهُ - لأبيها : إن ذا جَسَّاسٌ ؛ أتى خارجةً رُكْبَتَاهُ ، قال :
والله ما خَرَجَتْ رُكْبَتَاهُ إِلَّا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ .

فلما جاء قال : ما وراءك يابني ؟ قال : ورأى أُنَى قد طعنتُ طَعْنَةً لِنُشْغَانٍ بِهَا
شيوخٌ وائلٌ زمنًا ؟ قال : أقتلت كليبًا ؟ قال : نعم ! قال : ودِدْتُ أَنْكُ وإخوتك
كنتم مُتُّمٌ قبل هذا ، ما لي إلا أن تَتَشَاءَمَ بي أبناء وائل ! فقال جَسَّاسٌ :
تأهبْ عنك أهبَّةَ ذِي امْتِنَاعٍ فَإِنَّ الأَمْرَ جَلٌّ عَنِ التَّلَاحِي^(٦)

(١) النهي : الغدير (٢) الجريب : واد عظيم (٣) الذناب : موضع بنجد (٤) الحِضْنُ :
مادون الإبط إلى الكشح (٥) تَدَاءَمَهُ الأمر : تراكم عليه (٦) التلاحى : المنازعة .

فإني قد جنيتُ عليك حرباً تُفصِّرُ الشيخُ بالماءِ القَراحِ
فأجابه أبوه :

فإنَّ تكُّ قد جنيتَ عليَّ حرباً فلا وانٍ ولا رثَّ السلاحِ
سألِبَسُ نوبها وأدْبُ عني بها يوم المذلةِ والفضاحِ^(١)

وكان هَمَّامٌ^(٢) بنُ مُرَّةَ أخى مهلهلاً^(٣) وعاقده ألا يكتمه شيئاً ، فجاءت
أمةٌ له فأسرَّت إليه قتلَ جساسِ كليباً ، فقال له مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره ، فذكره
العهد بينهما ، فقال : أخبرتني أن جساساً قتلَ كليباً ، فلم يصدق مهلهل الخبر .
واجتمع نساء الحى للمأتمِّ ، فقلن لأختِ كليب : رحلي جليلة - زوجِ كليبِ وأختِ
جساس - عن مأتمكِ ؛ فإن قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه ؛
أخْرِجِي عن مأتمنا ؛ فأنتِ أختُ وائرنا وشقيقةُ قاتلنا . فخرجت وهي تجرُّ أعطافها ،
فلقيها أبوها مُرَّةَ فقال : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت تُكَلُّ العددِ وحزنُ الأبدِ ،
وقد خليل ، وقتل أخٍ عن قليل ، وبين ذين غرسُ الأحقاد ، وتفتت الأكبَاد .
فقال لها : أويكفُ ذلك كرمُ الصفحِ وإغلاءِ الدِّيَاتِ ؟ فقالت جليلة : أمنيةٌ
مخدوعٍ ورب الكعبة ! أبا البُدنِ^(٤) تدعُ لك تغلبُ دمَ ربهَا ! .

ولما رحلت جليلة قالت أختِ كليب : رِحْلَةُ المعتدى ، وفراقِ الشامتِ ! ويلٌ
غداً لآلِ مرَّةَ ، من الكرَّةِ بعد الكرَّةِ . فبلغ قولها جليلة ، فقالت : وكيف تَشَمَّتِ
الحرَّةَ بهتِكِ سِتْرَها وترقُبِ وترها ! أسعد الله جدَّ أختي ، أفلا قالت : نفرة الحياه ،
وخوف الاعتداء ! ثم أنشأت تقول :

(١) فضحه : كشف مساوئه ، والاسم الفضح ، وفي الاغانى : إن هذا الشعر لأخيه نضلة
(٢) هم : أخو جساس (٣) مهلهل : أخو كليب (٤) المراد الإبل .

يا ابنة الأقبام إن شئتِ فلا
فإذا أنت تبينتِ الذي
إن تكن أخت امرئٍ ليمت علي
جلَّ عندي فعلٌ جَسَّاسٍ فيا
فعلٌ جَسَّاسٍ عليَّ وجدي به
لو بعينٍ فقتت عيني سوى
تحمل العين قذى العين كما
يا قتيلاً قوض الدهرُ به
هدم البيت الذي استحدثته
ورماني قتله من كذبٍ (٢)
يا نسائي دونكنَّ اليوم قد
خصني قتلاً كليب بلظي
ليس من يبكي ليومين كمن
يشتهي المذرك بالثار وفي
ليتاه كان دمي فاحتلبوا
إنني قاتلة مقتولة

تفجرت لي باللوم حتى تسألني
يوجب اللوم فلو مي واعدلي
شفقٍ منها عليَّ فافعلي
حسرتي عما أنجكت أو تنجلي
قاطع ظهري ومذن أجلي
أختها فانفقات لم أحفل
تحمل الأم أذى ما تفتلي (١)
سقف بيتي جميعاً من عل
وانثني في هدم بيتي الأول
رمية المصمى (٣) به المستأصل
خصني الدهر برزءٍ مفضل
من ورائي ولظي مستقملي
إنما يبكي ليومين ينجلي
دركي تارياً تُكلُّ المشكل (٤)
بدلاً منه دما من أكلتي (٥)
ولم الله أن يرتاح لي!

(١) تفتلي : تربي
(٢) كذب : قرب
(٣) أصماه : قتله في مكانه
(٤) المشكل :
التي لازمها الحزن
(٥) الأكل : عرق في الذراع يفسد .

ثم قال بنو تغلب بعضهم لبعض : لا تَعَجَلُوا على إخوانكم حتى تُعَذِّروا^(١)
بَيْنَكُمْ وبينهم ، فأطلق رَهْطٌ من أشرفهم وذوى أَسْنَانِهِمْ حتى أتوا مُرَّةَ بن
ذُهْل ، فعظَّموا ما بينهم وبينه وقالوا : اختَرْنَا مِنَّا خِصَالًا : إما أن تَدْفَعَ إلينا
جَسَاسًا فَنَقْتَلَهُ بصاحبنا ؛ فلم يَظَلِّمْ من قتل قاتله ، وإما أن تَدْفَعَ إلينا هَمَامًا ، وإما
أن تَقِيدَنَا من نَفْسِكَ .

فسكت وقد حضرته وجوهُ بنى بكر بن وائل ، فقاروا : تكلمْ غيرَ مُخَذول ،
فقال : أما جَسَاسٌ فغلامٌ حَدِيثُ السنِّ ركب رأسه ، فهرب حين خاف ، فلا عِلْمَ
لِي به ؛ وأما هَمَامٌ فأبو عَشْرَةَ ، وأخو عَشْرَةَ ، ولو دَفَعْتُهُ إليكم لصيِّح^(٢) بنوه في
وجهي ، وقالوا : دَفَعْتَ أبانا لِلْقَتْلِ بِحَرِيرَةِ غَيْرِهِ ؟ وأما أنا فلا أُنَعِّجُ الموت ، وهل
تزيدُ الخليل على أن تجولَ جَوْلَةً فأكون أولَ قَتِيل .

ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بَنِيّ ، فدوَنَكُم أحدَهم فاقتلوه به ،
وإن شِئْتُمْ فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل ، فغضبوا وقالوا : إنا لم نَأْتِكَ
لنُرْزِلَ^(٣) لنا بنيك ، ولا لتسومنا اللبن ؛ ففترقوا ووقعت الحرب .

(١) تعذروا : أى عملوا على ألا يكون بينكم وبينهم ما يوجب الاعتذار (٢) صيِّح : صاح .
(٣) لترذل لنا بنيك : أى تعطينا رذال بنيك .

١٤٩ - الهجرس بن كليب يثأر لأبيه *

ولدت جميلة زوج كليب غلاماً فسمته الهجرس ، ورباه خاله جساس ، فكان لا يعرف أباً غيره ، وزوجه ابنته . فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكري : ما أنت ممنته حتى نلحفك بأبيك ! فأمسك عنه ودخل على أمه كئيباً ، فسألته عما به ، فأخبرها الخبر .

فلما أوى إلى فراشه ، ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثديها ، فنفسَ تنفساً تنفطاً^(١) ما بين ثديها من حرارتها ، فقامت الجارية فرجةً ، قد أقلتها رعدةً حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس ، فقال جساس : نأثر ورب الكعبة !

وبات جساس على مثل الرضف^(٢) حتى أصبح ، فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : إنما أنت ولدي ومتي بالمكان الذي قد علمت ، وقد زوجتك ابنتي ، وأنت معي ، وقد كانت الحرب في أيسك زماناً طويلاً حتى كدنا تنناي ، وقد اصطلحنا وتماجزنا ، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل الناس فيه من الصلح ، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا .

فقال الهجرس : أنا فاعل ؛ ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلائمه وفرسه ، فحمله جساس على فرسه وأعطاه لأمه^(٣) ودرعاً ، فخرجا حتى أتيا جماعةً من

* الأغانى ٥١ - ٦١

(١) تنفط : قرح
(٢) الرضف : الحجارة التي حمت بالشمس أو النار يسخن بها اللبن ،
(٣) اللأمة : السلاح .
واحدتها رضفة

قومهما . فقصّ عليهم جسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ،
ثم قال : وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليُدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعقدَ ما عقدتم . فلما
قَرَّبوا^(١) الدمَ ، وقاموا إلى العَقْدِ أخذَ الهَجْرَسُ بوسَطِ رُحْمِهِ ، ثم قال : وفرّسى
وأذُنِيهِ ، ورحى ونَصْلِيهِ ، وسيفي وغَرِّيهِ^(٢) ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو
ينظر إليه ، ثم طعن جسّاساً فقتله ، ولحق بقومه ، فكان آخر قتيل في
بكر بن وائل .

(١) كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيباً أو دماً أو رماداً فيدخلوا فيه أيديهم عند
التحالف ليتم عقدهم باشتراكهم في شيء واحد . (٢) غر السيف : حده ، وكذلك غراره .

١٥٠ - قرَّباً مِرْبَطِ النِّعَامَةِ مِنِّي *

لَمَا قَتَلَ جَسَّاسُ الْبِكْرِيِّ كَلِيمًا تَغْلَبِيًّا ، وَهَاجَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ بَكْرِ وَتَغْلِبِ
ابْنِي وَائِلٍ - وَهِيَ حَرْبُ الْبَسُوسِ - اعْتَزَلَهُمَا الْحَارِثُ بْنُ عَبَّادٍ ^(١) وَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ
لَا نَاقَةَ لِي فِيهِ وَلَا جَمَلَ ؛ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ مَعْرُضًا بِهِ :

يَا بُوَيْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ ^(٢) أَرَاهُطَ فَاسْتَرَا حُوا
وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جَمَاهُ ^(٣) التَّخْيِيلُ وَالْمِرَاحُ
إِلَّا الْفِتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ ^(٤)
يَبْسُ الْخِلَافُ بَعْدَنَا أَوْلَادُ يَشْكُرَ وَالْقَاقُ ^(٥)
مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهِمَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ ^(٦)
الْمَوْتُ غَايَتُنَا فَلَا قَصْرَ ^(٧) وَلَا عَنَّا جِمَاحُ ^(٨)
وَكَاثِمًا وَرَدُّ الْمَنِيَّةِ عَنَّا مَا وَرَّاحُ

* الأمثال : ١ - ٣٤١ العقد : ٣ - ٣٤٨ ، خزنة الأدب : ١ - ٤٢٣ ، الكامل لابن الأثير : ١ - ٣٢٣

(١) الحارث بن عباد : من بكر ، حكيم جاهلي ، كان شجاعاً من السادات ، شاعراً ، وانتهت إليه لمرّة بني ضبيعة وهو شاب مات نحو سنة ٥٠٠ ق . ه . ^(٢) وضعت : حطت وأسقطت ، وأراهط : جمع أراهط الذي هو جمع رهط ، والرهط : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة ^(٣) جامها : مثبرها وموقدها ، والتخييل : التكبر من الخيلاء ، والمراح : النشاط والبطر ، أي أن الحرب تكف خدة البطر النشيط ، وهو تعريض بالحارث ^(٤) الصبار : مبالغة صابر ، والنجدة : الشدة ، والوقاح : الفرس الذي حافره صلب شديد ^(٥) أي إذا ذهبنا وبقيت يشكر وحنيفة فيبس الخلائف هم منا ، لا يحمون حريماً ، ولا يأبون ضيماً ، وكانت بنو حنيفة تلقب : اللقاح لأنهم لم يدينوا للملك ، وهو يذم الحين لعمودهما عن بكر في حروبهم ^(٦) لا برّاح : لا ريب . ^(٧) القصر : الحبس ^(٨) الجراح : الهروب .

ولكن الحارث لم يحفل بذلك ، وتنجى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه ، ولم يزل مُعْتَزِلاً ، حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابنُ أخيه بِجَيْرٍ^(١) بن عمرو ابن عباد في إثر إبلٍ له نَدَّتْ يَطْلُبُهَا ، فعرض له مهلهل في جماعة يطلبون غِرَّةَ بكر بن وائل . فقال لمهلهل امرؤ القيس بنُ أبان - وكان من أشرف بني تغلب ، وكان على مُقَدِّمَتِهِمْ زماناً طويلاً : لا تفعل ؛ فوالله لئن قتلتَه لَيُقْتَلَنَّ به منكم كَبْشٌ لا يُسألُ عن خاله : من هو ! وإياك أن تحقر البغي ؛ فإن عاقبتَه وخيمة ، وقد اعتزلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه . فأبى مهلهل إلا قتله ، فطعنه بالرمح فقتله وقال : « بُوَيْشِيعِ نعل كليب^(٢) » .

فبلغ فعلُ مهلهل عمَّ بِجَيْرٍ - وكان من أحلم أهل زمانه ، وأشدَّهم بأساً - فقال الحارث : نعم القتيل قتيل أصلح بين ابني وائل ! فقيل له : إنما قتله بِشِيعِ نعل كليب ، فلم يقبل ذلك ، وأرسل إلى مهلهل : إن كنت قتلت بجيراً بكليب ، وانقطعت الحربُ بينكم وبين إخوانكم فقد طابت نفسي بذلك . فأرسل إليه مهلهل : إنما قتلتَه بِشِيعِ نعل كليب ! فغضب الحارث ، ودعا بفرسه - وكانت تسمى النعامة - فجزَّ ناصيتها . وهَلَبَ^(٣) ذَنبَهَا ، وقال :

قرباً مِرْبَطُ^(٤) النعامة منى لِقِحْتِ^(٥) حربُ وائلٍ عن حِيَالِ

(١) قيل هو ابن الحارث (٢) يقال : أبأت فلاناً بفلان فبأه به : إذا قتلتَه به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كفاء له ، والشسم : السير الذي يدخل بين الإصبعين (٣) هلب الذنب : تنف شعره ، ويقولون : إن الحارث هو أول من فعل ذلك (٤) المربط : ما ربطت به الدابة ، والنعامة : اسم فرس كانت للحارث بن عباد (٥) لقحت : حملت ، وعن بمعنى بعد ، والحِيَالِ : أن يضرب الفحل الناقة فلا تحمل ، وهذا مثل ضربه ، وإنما يعظم أمر الحرب لما تولد عنها من الأمور التي لم تكن تختبئ ، والمراد أن حرب وائل هاجت بعد سكون .

لا بحيرٌ أغنى قتيلا ولا رهطٌ كليب تزأجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها علم الله وإني بجرها اليوم صالي
قربا مربوط النعمة مني إن قتل الغلام بالشسع غالي

ثم ارتحل الحارث مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ
الحارث بن همام بن مرة ، فقال الحارث بن عباد له : إن القوم مستقلون قومك ،
وذلك زادهم جراءة عليكم ، فقَاتِلْهُم بالنساء ، قال له الحارث بن همام : وكيف قتالُ
النساء ! قال : قَدْ كل امرأة إِدَاوَةَ من ماء ؛ وَأَعْطِهَا هِرَاوَةَ ؛ واجعل جمعهن من
ورائكم ؛ فإن ذلك يزيدكم اجتهادا ؛ وعلموا أنفسكم بعلامات يعرفنها ؛ فإذا مرت
امرأة على صريع منكم عرفته بعلامته ، فسقته من الماء ونمشته ، وإذا مرت على
رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته ، وأنت عليه .

فأطاعوه ، وحلقت بنو بكر يومئذ رؤوسها استنبسالا للموت ، وجعلوا ذلك
علامةً بينهم وبين نساءهم ، واقتتل الفرسان قتالا شديداً ، وانهمزت بنو تغلب ،
وحلقت بالظعن بقية يومها وليلتها ، وأتبعهم سرعان^(١) بكر بن وائل ، وتحلف
الحارث بن عباد ، فقال لسعد بن مالك : أتراني ممن وضعت^(٢) ؟ قال : لا ، ولكن
لا نجبا لعطرٍ بعد عروس^(٣) .

ثم إن الحارث بن عباد أسر مهلهلا ، وهو لا يعرفه ، فقال له : دُلِّي على

(١) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر (٢) يشير إلى قوله :

ياؤس للحرب التي وضعت أراهم فاستراحوا

(٣) يريد : إن لم تنصر قومك الآن ، فلن تدخر نصرك ؟

المهلل ؛ قال : ولي دمي ؟ قال : ولك دمك ؛ قال : ولي ذممتك وذمة أبيك ؟ قال :
نعم ذلك لك . قال : فأنا مهلل . قال : دلتني على كفة لبجير ، قال : لا أعلمه إلا
امراً القيس بن أبان ، هناك علمه ؛ فجز ناصيته ، وقصد قصده امرئ القيس فشد
عليه فقتله ، وقال الحارث في ذلك :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِيٍّ وَلَمْ أَعْرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمَكَنْتُنِي الْيَدَانِ
طَلَّ^(١) مِنْ طُلٍّ فِي الْحُرُوبِ وَلَمْ أَوْ تَرَّ بِجَيْرًا أَبَانَهُ^(٢) ابْنَ أَبَانَ
فَارِسٌ يُضْرَبُ الْكُتَيْبَةَ بِالسَّيِّفِ فِ تَسْمُو أَمَامَهُ الْعَيْنَانِ

(١) طل دمه : ذهب مدراً (٢) أباء القتل بالقتيل : قتله به .

١٥١ — ضيعة صغيرة، وحملى دمه كبيراً*

كان حُجْرٌ في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة، فغَبِرَ (١) ذلك دهرًا، ثم بعث إليهم جابية الذي كان يجنيهم، فنعوه ذلك - وحُجْرٌ يومئذ بتهمته - وضر بوا رسله، وضر جُوم (٢) ضرًا شديدًا قبيحًا.

فبلغ ذلك حُجْرًا فسار إليهم بجند من ربيعة وقيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سراتهم، فجعل يقتلهم (٣) بالعصا، وأباح الأموال، وصيرهم إلى تهمته، وآلى بالله ألا يسأكنوهم في بلد أبدًا، وحبس منهم عمرو بن مسعود الأسدي، وكان سيداً وعميد بن الأبرص الشاعر، فسارت بنو أسد ثلاثاً.

ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال: أيها الملك؛ اسمع مقالتي:

يا عَيْنُ فابْكِ ما بنى أسدٍ فهم أهلُ الندامة
أهل القبابِ الحمرِ والذ هم المؤبِّل (٤) والمُدَّامَةُ
وذوى الجيادِ الجردِ والأ أصلُ المُثَقِّفَةِ المُقامِ
حِلاً (٥) أبيت اللعن حِلاً إن فيما قلتَ آمة (٦)
في كلِّ وادٍ بين يث رب فالقصور إلى اليمامة
تَطْرِبُ عانٍ أو صيباً ح مُحَرِّقٍ أو صوتُ هامة

* الأغانى : ٩ - ٨٧

(١) غير : لبث وبقي (٢) ضرجه : أدماه (٣) سموا لذلك عبيد العصا (٤) المؤبِّل
المقتنى (٥) حلا : أى تحلل من يمينك (٦) الآمة : العيب .

ومنعتهم نجداً فقد حلوا على وجل تهمته
برمت بنو أسد كما برمت بييضتها الحمامة
جعلت لها عودين من نشم وآخر من نمامة^(١)
إما تركت تركت عفة وأو قتلت فلا ملامه
أنت اللايك عليهم وهم العبيد إلى القيامة
ذلوا السوطك مثل ما ذل الأشيقر^(٢) ذوا الخزامه

فرق لهم حجر حين سمع قوله ؛ فبعث في أثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم^(٣) فقال لبي أسد : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الربرب^(٤) ، لا يعلق رأسه الصخب ! هذا دمه ينثعب^(٥) ، وهذا غداً أول من يسلب .

قالوا : من هو ؟ قال : لولا أن تجيش نفس جاشية ، لأخبرتكم أنه حجر ضاحية .

فركبوا كل صعب وذلول ، فمأثرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر فهجموا على قبته ، وهزموا أصحابه وأسروه فحبسوه ، وتشاور القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حسوه لبروا رأيهم فيه : أى قوم ! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم .

فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله ؛ فلما رأى ذلك علباء بن الحارث

(١) النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي ، والنمامة : نبت بالبادية (٢) الأشيقر : تصغير الأشقر : الأحمر من الدواب ، والخزامة : حلقة من شعر تجعل في وثرة أنف البعير يشد بها الزمام (٣) هو عوف بن ربيعة (٤) الربرب : القطيم من بقر الوحش (٥) ينثعب : يجرى .

الكاهليّ خشى أن يتواكلوا في قتله ، فدعا غلاماً من بني كاهل - وكان ابن أخته ^(١) - فقال : يا بنيّ ؛ أعنك خير فتتأّر بأبيك ، وتنال شرف الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك !

فلم يزل بالغلام حتى حرّبه ^(٢) ، ودفع إليه حديدة قد شحذها ، وقال : ادخلْ عليه مع قومك ، ثم اطعمه في مَقْتَله .

فعمد الغلامُ إلى الحديدة فخبأها ، ثم دخل على حُجْر في قَبْتِه التي حُبِس فيها . فلما رأى الغلام غفلةً وثب عليه فقتله ، فوثب القوم على الغلام فقالت بنوكاهل : ثأرنا وفي أيدينا !

فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبي ، فخلّوا عنه .

وأقبل كاهنهم المزدجِر فقال : أي قوم ! قتلتموه ! ملّك شهر ، وذُلّ دهر ، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبداً .

ولما طعن الغلام حُجْراً ولم يجهز عليه أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له : انطلق إلى ابني نافع - وكان أكبر ولده - فإن بكى وجزع فآلهُ عنه ، واستقرهم واحداً واحداً ، حتى تأتي امرأ القيس ^(٣) - وكان أصغرهم - فأيّهم لم يجزع ، فادفع إليه سلاحي وخيلى وقُدُورى ووصيتي ، وبين في وصيته مَنْ قتلته ، وكيف كان خبره .

فانطلق الرجلُ بوصيته إلى نافع ابنه ، فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم

(١) كان حجر قد قتل أبا زوج أخت علباء ، وقيل بل كان حجر قتل أبا علباء نفسه .
(٢) حربته : حرشه (٣) أشهر شعراء العرب ، وكان أبوه ملك أسد وخطافان ، وقال الشعر وهو غلام ، وجعل يشب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب ، ومات سنة ٨٠ ق . ه .

استقرأهم واحداً واحداً ، فكلهم فعل ذلك ، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع
نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالترد ؛ فقال له : قُتِل حُجْر ؛ فلم يلتفت إلى قوله ،
وأمسك نديمه . فقال له امرؤ القيس : اضرب فضرب ، حتى إذا فرغ قال :
ما كنت لأفسد عليك دسنتك .

ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله ، فأخبره ، فقال : الخمر على والنساء حرام ،
حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز (١) نواصي مائة .

وكان امرؤ القيس قد طرده أبوه حُجْر ، وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله
الشعر - وكانت الملوك تأنف من ذلك - فكان يسير في أحياء العرب ومعه
أخلاق من شذاذ (٢) العرب ، من طيئ وكلب وبكر بن وائل ؛ فإذا صادف
غديراً أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج إلى
الصيد فتصيد فأكل وأكلوا معه ، وشرب الخمر وسقاهم وغننه قيانه .

ولا يزال كذلك حتى ينقد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه إلى غيره . فأتاه
خبر أبيه ومقتله وهو بدثون من أرض اليمن ، فقال :

تطاول الليل على دثون دثون إنا معشر يمانون

* وإنا لأهلنا محبون *

ثم قال : ضيعني صغيراً ، وحماني دمه كبيراً . لا صحو اليوم ، ولا سُكر غداً ،
اليوم خمر ، وغداً (٣) أمر . ثم قال :

خليلى لا فى اليوم مصحى لشارب ولا فى غدٍ إذ ذاك ما كان يُشرب

(٢) شذاذ العرب : الذين لم يكونوا في حبيهم

(١) يريد حتى أقتل منهم مائة وأسر مائة

ومنازلهم (٣) ذهب مثلاً .

ثم شرب سبباً ، فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمرأ ، ولا
يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة حتى يدرك بثأره ؛ فلما جنه الليل رأى
برقاً ، فقال :

أرقت لبرقٍ بليلى أهلٌ يضىء سنأه بأعلى الجميل
أتانى حديثٌ فكذبته بأمر تززع^(١) منه القليل
بقتل بنى أسدٍ ربهم ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلٌ^(٢)
فأين ربيعةٌ عن ربها وأين تميمٌ وأين الخولُ^(٣)
ألا يحضرون لدى بابهِ كما يحضرون إذا ما أكلُ

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكراً وتغلب ، فسألهم النصر ، وبعث العيون
على بنى أسد ، فلما كان الليل قال لهم غلباءه : يامعشر بنى أسد ، تعلمون والله أن
عيون امرئ القيس قد أتتكم ، ورجعت إليه بخبركم ، فازحلوا بليلى ولا تعلموا
بنى كنانة . ففعلوا .

وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب ، حتى انتهى إلى بنى كنانة ، وهو
يحسبهم بنى أسد ، فوضع السلاح فيهم ، وقال : يالثرات الملك ! يالثرات الهمام !
فخرجت إليه مجوزاً من بنى كنانة فقالت : أبيت اللعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من
كنانة ، فدونك ثأرك فاطلبهم ، فإن القوم ساروا بالأمس .
فتبع بنى أسد ، ففاتوه ليلتهم تلك ، فقال :

(١) أصله : تززع : هين (٢) جلال : هين (٣) الخول : جمع خولى : وهو الراعى الحسن
القيام على المال

أَلَا يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا
وَقَامَ جَدُّهُمْ بَيْنَ أَبِيهِمْ وَبِالْأَشْقَيْنِ (١) مَا كَانَ الْعِقَابُ
وَأَفْلَتْنِيَّ عِلْبَاءَ جَرِيضًا (٢) وَلَوْ أَدْرَكْنَهُ صَفِيرُ الْوِطَابِ (٣)

وأدرکهم ظهراً ، وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم المطش ، وبنو أسد جامون (٤) على المساء ، فهد إليهم فقاتلهم ، حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد .

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم ، وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشثوم ، وكرهوا قتالهم ، وانصرفوا عنه ، فمضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير .

فاسعأجر من قبائل العرب رجلاً ، فسار بهم إلى بني أسد ، ومرت بتبالة (٥) ، وبها صنم للعرب تُعظَّمه ، فاستقسم (٦) عنده بقدأحه ، وهي ثلاثة : الأمر ، والناهي والمتبرئ . فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، فجمعها فكسرها وضرب بها وجه الصنم ، وقال : لو أبوك قُتل ما عُتيتي ، ثم خرج فظفر بيني أسد .

وألح المنذر (٧) في طلب امرئ القيس ، ووجه الجيوش في طلبه من إباد

(١) الجد : الحظ ، والأشقين : جمع أشقي ، ويقصد بهم بني كنانة (٢) أي بعد جهد ومشقة والضمير في «أفلتني» و«أدركنه» للخيال التي كروا بها عليهم (٣) صفر الوطاب ، أي لو أدر كره فقلوه وساقوا إليه فصرفت وطابه من اللبن (٤) أي مجتمعون مستريحون (٥) موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة (٦) الاستقسام : طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم (٧) كانت في نفس المنذر مودة على آل امرئ القيس ؛ لأن الحارث جد امرئ القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النبابة عنه على ملك الحيرة ، وقت أن شجر الخلاف بين المناذرة وكسرى قباذ .

وبهزاء وتنفوخ ، وأمدّه أنوشروان بجيشٍ من الأساورة فسرحهم في طلبه ، فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقةٌ ، وتفرقت حمير ومن كان معه عنه ، فنجا في عصابةٍ من بني آكل المرار ، ونزل ببعض رؤساء القبائل يستجير بهم ، وصار يتحول عنهم إلى غيرهم ، حتى نزل برجل من بني فزارة ، يقال له : عمرو بن جابر ابن مازن ، فطلب منه الجوار ، حتى يرى ذات عينه (١) .

فقال له الفزاريّ : يا ابن حُجر ، إني أراك في خللٍ من قومك ، وأنا أنفس (٢) بمنلك من أهل الشرف ، وقد كدت بالأمس تؤكل في دار طيبي ، وأهل البادية أهل وبر ، لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمين ذؤبانٌ من قيس ، أفلا أدلك على بلد ! فقد جئت قيصراً ، وجئت النعمان ؛ فلم أر لضيفٍ نازل ولا لمتدٍ (٣) مثله ولا مثل صاحبه .

قال : من هو وأين منزله ؟ قال : السموءل بدَيِّماء ، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك ، وهو في حصن حصين وحسبٍ كبير .

فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه .

فصحبته إلى رجلٍ من بني فزارة يقال له : الربيع بن ضبُع الفزاريّ ، ممن يأتي السموءل فيحمله ويعطيه .

فلما صار إليه قال له الفزاريّ : إن السموءل يُعجبه الشعر ، فتعال نتناشد له أشعاراً ؛ فقال امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع :

(١) أي ينظر في أمره ، ويصلح من شأنه (٢) أنفس بك : أضن بك (٣) طالب عطاء .

قل للمنية أى حين نلتقى بقاء بيتك في الحضيض المزلق^(١)
ولقد أتيتُ بنى المصاضِ مفاخرأ وإلى السموءل زُرته بالأبلىق^(٢)
فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمل حاجةً إن جثته في غارمٍ أو مرهق
عرفت له الأقوامُ كلَّ فضيلة وجوى المكارم سابقاً لم يسبق
فقال امرؤ القيس :

طرتكَ هندٌ بعد طول تجنّب وهنأ ولم تكُ قبل ذلك تطرُق^(٣)
ثم مضى القومُ حتى قدموا على السموءل ، فأنشده الشعر ، وعرف لهم حقهم ،
ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسانی ليوصله
إلى قيصر .

ومضى حتى انتهى إلى قيصر ، فقَبِلَهُ وأكرمه ، وكانت له عنده منزلة .
ثم إن قيصر ضمَّ إليه جيشاً كثيراً ، فيه جماعةٌ من أبناء الملوك ، فلما فصل^(٤)
قال لقيصر قومٌ من أصحابه : إن العرب قومٌ غدر ، ولا تأمن أن يظفر بما يريد ،
ثم يغزوك بمن بهت معه .

فبعث إليه حينئذ بحلّة وشي مسمومٍ منسوجة بالذهب ، وقال له : إنى
أرسلتُ إليك بحلّتي التي كنت ألبسها تكريماً لك ؛ فإذا وصلت إليك فالبسها
باليمن والبركة ، واكتب إلى مخبرك من منزل منزل .

فلما وصلت إليه لبسها ، واشتدَّ سروره بها ؛ فأسرع فيه السّمّ وسقط جلده
فقال :

(١) المزلق : الموضع الذي لا تثبت عليه قدم . (٢) الأبلىق : حصن السموءل . (٣) يقول
صاحب الأغاني : أظن أن هذه القصيدة منحوّلة . (٤) فصل : رحل .

لقد طمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِمَّا يَلْبَسُ أَبُو سَأْ
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا

فلما صار إلى بلدةٍ من بلاد الروم تدعى أنقرة احتضرت بها فقال :

رَبِّ جَفْنَةٍ مُتَعَجِّرَةٍ (١) وَطَعْنَةٍ مُسْحَنَفَةٍ (٢)

تَبْقَى غَدًا بِأَنْقَرَةَ

ورأى قَبْرَ امْرَأَةٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مَاتَتْ هُنَاكَ ، فَذُفِنَتْ فِي سَفْحِ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ :

عَسِيبُ ، فَسَأَلَ عَنْهَا ، فَأُخْبِرَ بِقِصَّتِهَا ، فَقَالَ :

أَجَارَتْنَا إِنَّ الزَّارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مَقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

ثم مات فدُفِنَ هُنَاكَ .

(٢) مسحنفرة : متسعة .

(١) المتعجرة من الجفان : التي يفيض ودكها

١٥٢ — ما كان لولا غيرة الليل يغلب *

ورد شأس بن زهير من عند النعمان بن المنذر ، وقد حباه أفضل الحبوّة :
مِسْكَاً وَكِسْماً وَقُطْفًا^(١) وَطَنَافِسَ ؛ فَأَنَاحَ نَاقَتَهُ فِي يَوْمِ شِمَالٍ^(٢) وَقُرّاً^(٣) عَلَى
رَذْهَةٍ^(٤) فِي جَبَلِ رِيَّاحِ بِنِ الْأَسْكَ الْفَنَوِيِّ ، وَلَيْسَ عَلَى الرَذْهَةِ غَيْرُ بَيْتِهِ بِالْجَبَلِ ،
فَأَلْقَى ثِيَابَهُ بَفَنَائِهِ ، ثُمَّ قَعَدَ يَهْرَبِقُ^(٥) عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَامْرَأَةٌ رِيَّاحٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ ، وَإِذَا هُوَ
مِثْلُ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، فَصَالَ رِيَّاحٌ لَامْرَأَتِهِ : أَعْطِينِي قَوْمِي ، فَجَدَّتْ إِلَيْهِ قَوْمَهُ
وَسَهْمًا ، وَانْتَزَعَتِ الْمَرْأَةُ نَصْلَهُ لثَلَا يَقْتُلَهُ ، فَأَهْوَى عَجْلَانًا إِلَيْهِ ، وَوَضَعَ السَّهْمَ فِي
مُسْتَدَقِّ الصَّلْبِ ، بَيْنَ قَقَارَتَيْنِ^(٦) فَفَصَلَّهْمَا ، وَخَرَّ سَاقِطًا ، وَحَفَرَ لَهُ حَفْرًا ، فَهَدَمَهُ
عَلَيْهِ ، وَنَجَرَ جَمْلَهُ وَأَكَلَهُ ، وَأَدْخَلَ مَتَاعَهُ فِي بَيْتِهِ .

وَقُدِّ شَاسٌ ، وَقُصَّ أَثَرُهُ وَنُشِدَ؛ وَرَكَبُوا إِلَى الْمَلِكِ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :
حَبِوْتُهُ وَسَرَّخْتُهُ . فَقَالُوا : وَمَا مَتَّعْتَ^(٧) بِهِ ؟ قَالَ : مَسْكًَ وَنُطُوعًا وَقُطْفًا ،
فَأَقْبَلُوا يَقْضُونَ أَثَرَهُ ، فَلَمْ تَتَّضِحْ لَهُمْ سَبِيلُهُ ، فَكَشَرُوا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى
انْقَطَعَ ذِكْرُهُ .

* الأغانى : ٨ - ١٠ ، ابن الأنير : ١ - ٣٣٧ ، مهذب الأغانى : ٢ - ٨

(١) القطيفة : دثار مخمل ، جمعه قطف (بضمين) (٢) الشمال : الريح التي تهب بين مطلع
الشمس وبنات نعل ، ويكون اسما وصفة (٣) القر : البرد (٤) الردهة : النقرة يجتمع
فيها ماء السماء (٥) دراق الماء : أراقه (٦) الفقرة والفقارة : ما اتضد من عظام الصلب
(٧) متع الرجل : جاد .

قال الراوى : ثم إن الناس أصابتهم جائحةٌ وجُوع ، فنحر زهير^(١) بن جذيمة - أبو شأس - ناقته ، فأعطى امرأةً من شحمها وسنماها ، وقال : اشترى لى الهدب والطيب ، فخرجت بذلك الشحم والسنام تبيعه حتى دفعت إلى امرأة رياح ، فقالت : إن معى شحماً أبيعهُ فى الهدب والطيب ، فاشترت المرأة منها ، ثم أتت المرأة زهيراً بذلك ، فعرف الهدب ، وذهب إلى غنى ، فقالوا : نعم ، قتله رياح بن الأسك ونحن برآء منه ، وقد لحق بخاله من بنى الطمّاح .

ولما تبين زهير أن رياحاً نأره قال يرئى شأساً :

بكيتُ لِشأسٍ حينَ خُبرتُ أنه بماءِ غنىٍ آخِرَ اللَّيْلِ يُسَلِّبُ
لقد كان مأتاه الرِّدَاةَ^(٢) لَحْتِفِهِ وما كان لولا غِرَّةُ اللَّيْلِ يُفْلِبُ
قتيل غنىٍ ليس شكلٌ كَشْكَلِهِ كذاك لعمري الحَيْنُ^(٣) للمرءِ يُجْلِبُ
سأبكي عليه إن بكيتَ بعبرةٍ وحقَّ لِشأسٍ عِبْرَةٌ حينَ تَسْكِبُ
وحزنٌ عليه ما حيتُ وعوالةٌ على مثلِ ضوءِ البدرِ أو هو أَعْجِبُ
إذا سيمَ ضيماً كان للضيمِ مُنْكَرًا وكان لدى الهيجاءِ^(٤) يُخْشَى وَيُرْهَبُ
وإن صوتَ الداعى إلى الخيرِ مرةً أجاب لما يدعُو له حينَ يَكْرَبُ
ففرَّجَ عنه ثم كان وليَّه فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ

ثم انصرف إلى قومه من بنى عبس ، فكان لا يقدر على غنوىٍ إلا قتله .

(١) هو زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، أمير عبس ، وأحد سادات العرب المدودين فى الجاهلية ، قتله خالد بن جعفر العامزى نحو سنة ٥٠ ق . هـ (٢) الرداة : الصخرة (٣) الحين : الهلاك (٤) الهيجاء : الحرب .

وتجهز بنو عبس لغزو غني قبل أن يطلبوا قوداً أو ديةً، وتولى رياستهم الحصين ابن زهير، أخو شأس، والحصين بن أسيد بن جذيمة، ابن أخي زهير، فقيل ذلك لغني، فقالت لرياح: انج لعلنا نصلح على شيء أو نرضيهم بدية وفداء.

فخرج رياح رديفاً^(١) لرجل من بني كلاب، فبينما هما سائران إذاهما بالقوم أدنى ظلام^(٢)، وقد كانا يظنان أنهما خالفاً وجهة القوم، قال صاحب رياح: اذهب فإني آتي القوم أشاغلمهم عنك، وأحدثهم حتى تعجزهم، ثم أنا ماض إن تركوني. فانتحدر رياح عن عجز الجمل فأخذ أذراجه، وعدا إثر الراحة حتى أتى ضفة، فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب، فوآج فيه، ثم أخذ نعليه، فجعل إحداها على سرته، والأخرى على صفته^(٣)، ثم شد عليهما العمامة، ومضى صاحبه حتى لقي القوم، فسألوه، فحدثهم، وقال: هذه غني كاملة، وقد دنوت منهم، فصدقوه وخلوا سربة^(٤).

فلما ولي رأوا مرگب الرجل خلفه، فقالوا: من هذا الذي كان خلفك؟ قال: لا مكذبة! ذلك رياح في الأول من السمرات، فقال الحصينان لمن معهما: قفوا علينا حتى نعلم علمه، فقد أمكننا الله من ثأرنا ولم يريدا أن يشركهما فيه أحد، فضيا ووقف القوم عنهما، فلما رأها رياح رمى الأول منهما فبتر صلبه، وطعنه الآخر قبل أن يرميه، وأراد الشرة فأصاب الريلة^(٥)، ومرّ الفرس يهوى به، فاستدبره رياح بسهم رشق به صلبه فانفقر منحني الأوصال، ونذت فرسها فلاحقتا بالقوم، وانطلق رياح حتى ورد رذهة، عليها بيت أثمار بن بغيض، وفيه امرأة، ولها ابنان

(١) الرديف: الذي تحمله خلفك على ظهر الدابة (٢) أدنى ظلام: أدنى شيء (٣) الصفن: وعاء الحصى (٤) خلوا سربه: أي طريقه (٥) الريلة: أصل الفخذ.

قريبان منها ، وجمل لها راتع في الجبل ، وقد مات رباح عطشاً ، فلما رأته يستدمني (١)
طمعت فيه ، ورجت أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأسر ، فقال لها : دعيني
- وَيَمَكِّ - أشرب ! فأبت ، فأخذ حديدة فجذم بها رواهشها (٢) ، وعب في
الماء حتى نهل ، ثم قال فيها وفي الحصينين :

قالت لي استأسر لتكنفني (٣) حيناً ويملأ قولها قولي
ولأنت أجراً من أسامة أو مني غداة وقفت للخيل
إذ الحصين لدى الحصين كما عدل الرجّازة (٤) جانب الميل

(١) استدمني الرجل : طأطأ رأسه يقطر منه الدم (٢) جذم : قطع . الرواهش : عروق ظاهر الكف (٣) كنفه : أحاط به وآواه (٤) الرجّازة : شيء يكون مع المرأة في هودجها فإذا مال أحد الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل .

١٥٣ — لَأَقْتُلَنَّه ولو كان في حِجْرِ النعمان *

لما قتل خالدُ بن جعفر بن كلاب زهيرَ بن جذيمة العبسي ضاقت به الأرضُ ،
وعلم أن غطفانَ غيرُ تاركيه ؛ فخرج حتى أتى النعمانَ فاستجار به فأجاره ، ومعه
أخوه عُبَيْتَةُ بنُ جعفر .

ونهب قيس بن زهير فتهايأ لمحاربة بني عامر ، وهجم الشتاء ؛ فقال الحارثُ
ابن ظالم : يا قيسُ ؛ أتم أعلم وحربكم ، وأنا راحلٌ إلى خالد حتى أقتله ، قال قيس :
قد أجاره النعمان ، قال الحارثُ : لَأَقْتُلَنَّه ولو كان في حِجْرِه !
وكان النعمان قد ضرب على خالد وأخيه قُبَّةً ، وأمرهما بحضور طعاميه
ومُدَامِهِ (١) .

فأقبل الحارثُ ومعه تابعٌ له من بني محارب فأتى بابَ النعمان ، فاستأذن فأذن له
النعمان وفرح به . فدخل الحارثُ ، وكان من أحسن الناس وجهاً وحديثاً ، وأعلم
الناس بأيام العرب ؛ فأقبل النعمانُ عليه بوجهه يحدُّه ، وبين أيديهم تمرٌ يأكلونه .
فلما رأى خالدٌ إقبالَ النعمان على الحارث غاظه ذلك ، فقال : يا أبا ليلى ؛ ألا
تشكرني ! قال : عَلَامَ ؟ قال : قتلتُ زهيراً فصرتَ بعده سيِّدَ غطفان - وفي يد
الحارث تمراتٌ ؛ فاضطربت يده ، وجعل يُرْعِد ويقول : أنت قتلتَه !! والتمرُ يسقط
من يده .

* الأمثال : ٢ - ٢٣٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٨٣

(١) اللدَام : الخمر .

ونظر النعمان إلى مابه من الزمّع^(١) ، فنخس خالداً بعصاه ، وقال : هذا يقتلك !
فقال : آيت اللعن ! فوالله لو كنت نائماً ما أيقظني ! وافترق القوم ، وبقي الحارثُ
عند النعمان ، وأشرح^(٢) خالدٌ قُبته عليه وعلى أخيه ونأماً .

وانصرف الحارثُ إلى رَحله ، فلما هدأتِ العيون خرج بسيفه حتى أتى قُبته
خالد فهِتَكَ شَرَجها^(٣) بسيفه ، فدخل فرأى خالداً نائماً وأخوه إلى جنبه ، فأيقظ
خالدًا فاستوى قائماً ، فقال له الحارثُ : يا خالد ! أظننت أن دم زهير كان سائناً
لك ! وعلاه بسيفه حتى قتله . وانتهى عتبه ، فقال له الحارثُ : لئن نبست^(٤)
لأُحِقنَكَ به !

وانصرف الحارثُ ، وركب فرسه ومضى على وجهه ، وخرج عتبه صارخاً حتى
أتى باب النعمان ، فنادى : ياسوء جواراه ! فأجيب : لارزوع عليك ! فقال : دخل
الحارثُ على خالد فقتله ، وأخفر^(٥) الملك .

فوجه النعمانُ فوارسَ في طلبه فلحقوه سحرًا ، فمطف^(٦) عليهم ، فقتل جماعةً
منهم وكثروا عليه ، فجعل لا يقصد لجماعة إلا فرقها ، ولا لفارس إلا قتله .
فارتدع القوم عنه ، وانصرفوا إلى النعمان .

فقال عمرو بن الإطنابة :

عَلَّلَانِي وَعَلَّأ صَاحِبِيَا وَاسْقِيَانِي مِنَ الْمُرُوقِ رِيَا
إِنَّ فِينَا الْقِيَانَ يَعْرِفُنَ بِالضَّرِّ بَ لِفِتْيَانِنَا وَعَيْشَانَا رَضِيَا
يَتْنَاهِينَ فِي النِّعَمِ وَيَضْرِبُ نَ خِلَالَ الْقُرُونِ مِسْكَادَ كِيَا

(١) الزمّع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان (٢) أشرح الحيمة : أدخل بعض عراها في بعض بين
أشراجها (٣) الشرج : عرا الحيمة (٤) نبس : أقل الكلام (٥) أخفر الملك : قض
عهده وغدره . (٦) عطف : مال .

أَبْلَغًا الْحَارِثَ بْنَ ظَالِمِ الرَّءِ (١) دِيدَ وَالنَّاذِرَ النَّذُورَ عَلِيًّا :
إِنَّمَا تَقْتُلُ النَّيَّامَ وَلَا تَقْتُلُ مِثْلَ يَقْظَانَ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا (٢)
وَكَانَ عَمْرُو قَدْ آلَى (٣) أَلَّا يَدْعُوهُ رَجُلٌ بَلِيلٌ إِلَّا أَجَابَهُ ، وَلَا يَسْأَلُهُ عَنْ اسْمِهِ .
فَأَتَاهُ الْحَارِثُ لَيْلًا فَهَتَفَ بِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا تَرِيدُ ؟ قَالَ : أَعِنِّي عَلَى إِبْلِ
لِبْنِي فَلَانَ ، وَهِيَ مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدٍ ، فَأَيُّهَا غَنِيمَةٌ بَارِدَةٌ !

فَدَعَا عَمْرُو بِفَرَسِهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ حَاسِرًا ، فَقَالَ لَهُ : الْبَسْ عَلَيْكَ سِلَاحَكَ ،
فَإِنِّي لَا أَمْنُ امْتِنَاعَ الْقَوْمِ ، فَاسْتَلَّامٌ (٤) وَخَرَجَ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا بَرَزَا قَالَ لَهُ الْحَارِثُ :
أَنَا أَبُو لَيْلَى فَخُذْ حِذْرَكَ يَا عَمْرُو ، فَقَالَ لَهُ : أَمْنُنْ عَلَيَّ . فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ ، وَقَالَ :

عَلَّلَانِي بِلَذِّي قَيْنَتِيًّا قَبْلَ أَنْ تَبْكِيَ الْعَيُونَ عَلَيَّا
قَبْلَ أَنْ تَذْكَرَ الْعَوَازِلُ أُنِي كُنْتُ قَدِمًا لِأَمْرَهِنَّ عَصِيًّا
مَا أَبَالِي إِذَا اصْطَبَحْتُ ثَلَاثًا أَرْشِيدًا دَعَوْتَنِي أَمْ غَوِبًا
غَيْرَ أَلَّا أُسِيرَ لِلَّهِ إِنَّمَا فِي حَيَاتِي وَلَا أُخُونَ صَفِيًّا
بَلَفْتَنِي مَقَالَةَ الْمَرْءِ عَمْرُو بَلَفْتَنِي وَكَانَ ذَاكَ بَدِيًّا
فَخَرَجْنَا لِمَوْعِدِ فَالتَّقِينَا فَوَجَدْنَاهُ ذَا سِلَاحٍ كَمِيًّا
غَيْرَ مَا نَأْمُرُ يَرْوَعُ بِاللَّيْلِ مُعِدًّا بِكَفِّهِ مَشْرِفِيًّا
فَرَجَعْنَا بِالْمَنْ مَنَا عَلَيْهِ بَعْدَ مَا كَانَ مِنْهُ مَنَا بَدِيًّا

(١) الرعيد : الجبان (٢) الكمي : الشجاع (٣) آلى : حاف (٤) استلام : لبس
اللامه : الدرع .

١٥٤ — وفاء وغدر*

سار المنذر بن ماء السماء ملك العرب بالحيرة في مَعَدٍ كُلِّهَا حتى نزل بَعَيْنِ أَبَاغٍ ،
وأرسل إلى الحارث ^(١) بن أبي شَمِرٍ ملك العرب بالشام ، وقال له : إما أن تُعْطِيَنِي
الفِدْيَةَ فَأَنْصِرَفَ عَنْكَ بِجُنُودِي ، وإما أن تَأْذَنَ بِمَحْرَبٍ .

فأرسل إليه الحارث : أَنْظِرْنَا نَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا . وجمع عَسَاكِرِهِ ، وسار نحو
المنذر ، وأرسل إليه يقول له : إنا شيخان فلا تَهْلِكْ جنودي وجنودك ، ولكن
يُخْرِجْ ولدًا من ولدي ورجل من ولدك فمن قُتِلَ خَرَجَ عِوَضَهُ آخِرُ ، وإذا فِئِي
أولادنا خرجت أبا إليك ، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك ، فتعاهدوا على ذلك .

فعمد المنذر إلى رجل من شُجْعَانَ أَصْحَابِهِ ، فأمره أن يخرج فيقف بين
الصفين ، ويظهر أنه ابن المنذر ، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كَرِبٍ ،
فلما رآه رجع إلى أبيه ، وقال : إن هذا ليس بابن المنذر ، إنما هو عبده أو بعض
شُجْعَانَ أَصْحَابِهِ ، فقال : يا بني ، أجزعت من الموت ! ما كان الشيخ ليغدر ^(٢) !
فعاد إليه وقتلته فقتله الفارس ، وألقى رأسه بين يدي المنذر وعاد .

* الكامل لابن الأثير : ١ - ٣٢٦

(١) في كتاب الأعلام للزركلي أن الحارث لقب عام للملك الفسانيين ، كقيصر عند الروم ، وكسرى
عند الفرس ؛ وهو أشهر ملوك غسان ذكراً ، وكان جواداً كثير الهبات دام ملكه نحو ٣٠ عاماً ،
ومات نحو سنة ٤٠ ق . هـ (٢) يغدر : ينقض العهد .

فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه ، فخرج إليه ، فلما واقفه ^(١) رجع إلى أبيه ؛ وقال : يا أبت ؛ هذا والله عبدُ المنذر ، فقال : يا بني ؛ ما كان الشيخ ليعدر ! فعاد إليه ، فشدّ عليه فقتله .

فلما رأى ذلك شمر بن عمر ، وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر ، قال : أيها الملك ؛ إن الغدرَ ليس من شيمِ الملوك ولا الكرام ، وقد غدرتَ بابن عمك دفعتين ، فغضبَ المنذر ، وأمر بإخراجه ، فلحق بعسكر الحارث فأخبره ، فقال له : سل حاجتك ، فقال له : حُلَّتْكَ وخُلَّتْكَ .

فلما كان الغد عبي الحارث أصحابه وحرّضهم ، وكانوا في أربعين ألفاً واصطفوا للقتال ، فاقتلوا قتلاً شديداً ؛ فقتلَ المنذر وهزمت جيوشه ، فأمر الحارث بابنيه القتيلين فحُمِلَا على بعير بمنزلة المدلين ، وجعلَ المنذر فوقهما فردا ، وقال : « يالعلّوة ^(٢) دُونَ المدلينِ ! » وسار إلى الحيرة فَأَنهَبَهَا ^(٣) وأحرقها ، ودفن ابنيه بها ، وفي ذلك يقول الشاعر :

كم تركنا بالعين عَيْن أباغ من ملوك وسوقة أ كفاء
أمطرهم سحاب الموت تترى إن في الموت راحة الأشقياء
ليس من مات فاستراح بميتٍ لِمَا الميتُ ميتُ الأحياء

(١) الموافقة : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة (٢) العلاوة : ما يحمل على البعير وغيره ، وهو ما وضع بين المدلين (٣) أَنهَبَهَا : أباحها لمن شاء .

١٥٥ — يثأر لأبيه وجدّه *

كان من حديث قيس بن الخطيم^(١) أن جدّه عدى بن عمرو قتل رجلاً من بني عمرو بن عامر يقال له : مالك ، وقتل أباه الخطيم بن عدى رجل من عبد قيس ممن يسكن هجر ، وكان قيس يوم قتل أبوه صبياً صغيراً ، وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدى ، فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدّه قتهلك .

فعمدت إلى كومة من تراب عند باب الدار ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلت تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجدك ، فكان قيس لا يشك في ذلك .

ونشأ أيداً^(٢) شديد الساعدين ؛ فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر ؛ فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيراً لك من أن تُخرجها على ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدى ؟ قال : سل أمك تخبرك .

فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض ، وذبابه^(٣) بين يديه ؛ وقال لأمه : أخبريني من قتل أبي وجدى ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس ، وهذان قبراها بالفناء . فقال : والله لتخبريني من قتلها ، أو لأتحامكن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ! فقالت : أما جدك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له : مالك ، وأما أبوك فقتله رجل من عبد قيس ممن يسكن هجر .

* الأغاني : ٣ - ٣

(١) قيس بن الخطيم : شاعر الأوس ، وأحد صناديدها في الجاهلية ، أدرك الإسلام وترث في قبوله ، ثم قتل قبل أن يدخل فيه نحو سنة ٢ ق . هـ (٢) أيدا : شديدا قويا (٣) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به .

(٢٥ - قصص - ثالث)

قال : والله لا أنتهي حتى أقتلَ قاتلَ أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بني ؛ إن مالكاً قاتلَ جدّك من قوم خِدَاشِ بنِ زُهَير ، ولأبيك عند خِدَاشِ نعمةٌ هو لها شاكر ، فأتته فاستشِرّه في أمرِك واستعنه يُعينك .

فخرج قيسٌ من ساعته حتى أتى ناضِحه ^(١) وهو يسقي نخله ، فضربَ الجرير ^(٢) بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلو في البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين ^(٣) من تمر ، وقال : من يكفيني أمرَ هذه العجوز ؟ يعني أمه - فإن متَّ أنفقَ عليها من هذا الحائط ^(٤) حتى تموتَ ثم هو له ، وإن عشتُ فمألي عائِد إلى وله منه ماشاء أن يأكل من ثمره ؟ فقال رجلٌ من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائط .

ثم خرج يسأل عن خِدَاشِ بنِ زُهَير حتى دُلَّ عليه بمَرِّ الظَّهران ^(٥) ، فسار إلى خبائه فلم يجده ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه ، ثم نادى امرأة خِدَاشِ : هل من طعام ؟ فأطلمت إليه ، فأعجبها جماله ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نزلٍ ^(٦) نرضاه لك إلا تمرأ ؛ فقال : لا أبالي ، فأخرجني ما عندك ؛ فأرسلت إليه ، بقُبَاعٍ ^(٧) فيه تمر ، فأخذ منه تمره فأكل شِقها وردَّ شِقها الباقي في القُبَاعِ ، ثم أمر بالقُبَاعِ فأدخل على امرأة خِدَاشِ بنِ زُهَير ، ثم ذهب لبعض حاجاته .

ورجع خِدَاشِ فأخبرته امرأته خبرَ قيس ، فقال : هذا رجلٌ متَّحَرِّمٌ ^(٨)

(١) الناضح : البعير يستقى عليه الماء (٢) الجرير : الجبل (٣) الفرارة : الكيس .
(٤) الحائط : البستان (٥) الظهران : واد قرب مكة عند قرية يقال لها « مر » نضاف إليه فيقال مر الظهران (٦) النزل : ما يهيا للضيف من قري (٧) القُبَاع : المكيال الضخم
(٨) متَّحَرِّمٌ : له عندنا حرمة وذمة .

وأقبل قيس راجعاً . فلما رأى خِدَاشَ رِجْلَهُ وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفك؟ قالت : نعم ؛ قال : كأن قدمه قدم الخطيم صديق اليتيمى ؛ فلما دنا منه قرع طُنْبَ (١) البيت بسنان رحمة ، واستأذن ، فأذن له خِدَاش ، فدخل إليه ، فنسبه (٢) فانتسب ، وأخبره بالذى جاء له ، وسأله أن يُعِينَهُ ، وأن يُشِيرَ عليه في أمره ، فرحب به خدش ، وذكر نعمة أبيه عنده ، وقال : إن هذا الأمر مازلت أتوقَّعه منذ حين . فأما قاتلُ جدك فهو ابن عمِّ لي وأنا أُعِينُكَ عليه ، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جانبه وتحدثتُ معه ، فإذا ضربتُ فخذه فنبَّ إليه فاقتله .

قال قيس : فأقبلتُ معه نحوه حتى قمتُ على رأسه لما جالسه خِدَاش ، فحين ضرب فخذه ضربتُ رأسه بسيف يقال له : ذُو الخِرَصَيْنِ ؛ فنار إلى القوم ليقتلوني ، فجال خدش بينهم وبينى ، وقال : دَعُوهُ فإنه والله ماقتلَ إلا قاتلَ جدّه .

ثم دعا خدش بجملٍ من إبله فركبه ، وانطلق مع قيس إلى العَبْدِيِّ الذى قتل أباه ، حتى إذا كانا قريباً من هَجَرَ ، أشار عليه خدش أن ينطلق حتى يسألَ عن قاتل أبيه ، فإذا دُلَّ عليه قال له : إن لصاً من لصوص قومك عارضنى فأخذ منى متاعاً لي . فسألت : مَنْ سَيِّدُ قومه ؟ فَدُلِّتُ عليك ؛ فانطلق حتى تأخذ متاعى منه ، فإن أتبعك وحده فستنال ما تريد منه ؛ وإن أخرج معك غيره فاضحك ، فإن سألكَ نِمَّ ضحكتَ ؟ فقل : إنَّ الشريف عندنا لا يصنعُ كما صنعتَ إذا دُعِيَ إلى اللص من قومه ، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللص أعطى كل شيء أخذهُ ، هيبَةً له ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فذلك خير لك ، وإن أبى إلا أن يمضوا معهُ فأتنتى به ، فإنى أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه .

(١) الطنب بضمين وسكون الثانى لفة : الحبل تشد به الحيمة ونحوها ، والجمع أطناب .

(٢) نسبه : طلب إليه أن ينتسب .

ونزل خِدَاشَ تحت ظل شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العَبْدِيَّ ، فقال له : ما أمره خدَاش فأحفظه^(١) ؛ فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس ؛ فلما طلع على خِدَاش ، قال له : اختر يا قيس ؛ إما أن أُعِينَكَ وإما أن أكَفِيكَ ، قال : لا أريدُ واحدةً منهما ، واسكن إن قتلتني فلا يُفْلِتَنَّكَ ؛ ثم نار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر ؛ فمات مكانه .

فلما فرغ منه قال له خِدَاش : إنا إن فررنا الآن طلبنا قومهُ ، واسكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مَقْتَلِهِ ، فإن قومهُ لا يظنون أنك قَتَلْتَهُ ، وأقت قريباً منه ؛ ولكنهم إذا افتقدوه^(٢) اتفقوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كل وجه ، فإذا يسوا رجعوا .

قال : فدخلا في دَارَاتِ من رمالٍ هناك ، وفقد العَبْدِيَّ قومهُ فاتفقوا أثره فوجدوه قتيلاً ، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خِدَاش ، وأقاما مكانهما أياماً ثم خرجا ، حتى أتيا منزلَ خِدَاش فقارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله ، ففي ذلك يقول قيس :

تذكر ليلى حسنها وصفاءها وبانت فـانـ إن يستطيع لقاءها
ومثلك قد أصيبتُ ليست بكِنَّةٍ^(٣) ولا جارةٍ أفضتُ إلى خبائها
إذا ما اصطبحتُ أربعا خط مِزْرِي^(٤) وأتبعْتُ دَلْوِي في السماحِ رشاءها^(٥)
ثارتُ عدياً والخطيمَ فلم أضِغْ وصيئةَ أشياخٍ جعلتُ إزاءها

(١) أحفظه: أغضبه (٢) افتقدوه: طلبوه عند غيبته (٣) الكنة: امرأة الابن أو الأخ
(٤) يريد أنه إذا شرب أربعا اختال حتى جر ثوبه من الخيلاء (٥) يريد أنه بلغ في السماح
منتهاه ، يقال : أتبع الدلو رشاءها ، وأتبع الفرس لجامها ، إذا بذل آخر مجهوده .

١٥٦ — بعد طعن عمر بن الخطاب *

خرج عمر^(١) بن الخطاب يوماً يطوف في الشوق ، فلقى أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه - وكان بصراً نياً - فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أعدني^(٢) على المغيرة ابن شعبه ، فإن عليّ خراجاً كثيراً . قال : وم خراجك ؟ قال : درهمان في كل يوم . قال : ما صناعتك ؛ قال : نجار ، نقاش ، حدّاد ، قال : فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال ، قد بلغني أنك تقول : لو أردت أن أعمل رحاً تطحن بالريح فعلت ، قال : نعم ، قال : فاعمل لي رحاً . قال : لئن سلمت لأعملنّ لك رحاً يتحدث بها من بالشرق والمغرب ، ثم انصرف عنه .

فقال عمر : لقد توعدّني العبد آتفاً ، ثم انصرف عمر إلى منزله ، فلما كان من الغد جاءه كعب الأخبار فقال له : يا أمير المؤمنين ؛ اعهد ، فإنك ميّت في ثلاثة أيام ، قال : وما يُدريك ؟ قال : أجده في كتاب الله عز وجل ، التوراة . قال عمر : الله ! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة ! قال : اللهم لا ؛ ولكني أجد صفتك وحليمتك ، وأنه قد فني أجلك - وعمر لا يحس وجعاً ولا ألماً .

فلما كان من الغد جاء كعب ، فقال : يا أمير المؤمنين : ذهب يوم ، وبقى يومان ، ثم جاءه من غد ، فقال : ذهب يومان ؛ وبقى يوم وليلة ، وهي لك إلى صبيحتها .

* تاريخ الطبري : ٥ - ١٢ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٥٦

(١) عمر بن الخطاب : ثاني الخلفاء الراشدين ، المضروب بعمله المثل ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر ، وقتل سنة ٢٣ هـ (٢) أعداه : أعانه .

فلما كان الصبحُ خرج عمر إلى الصلاة ، وكان يوكل بالصفوف رجالا ، فإذا استوت جاء هو فكبر ، ودخل أبو لؤلؤة في الناس ، في يده خنجر له رأسان ، نصابه^(١) في وسطه ، فضرب عمر ست ضربات ؛ إحداهن تحت سُرته ، وهي التي قتله .

فلما وجدَ عمر حرَّ السلاح سقط وقال : أفي الناس عبدُ الرحمن بن عوف ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ؛ هو ذا . قال : تقدّم فصلّ بالناس . فصلّى عبد الرحمن ابن عوف ، وعمر طريح ، ثم احتلم ، فأدخل داره .

ولما أحسَّ الناسُ قربَ موته قالوا له : يا أمير المؤمنين ؛ لو استخلفت ! قال : إن تركتكم فقد ترككم من هو خيرٌ مني ، وإن استخلفتُ فقد استخلف عليكم من هو خيرٌ مني ، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته ، فإن سألتني ربي ، قلت : سمعتُ نبيك يقول : « إنه أمينُ هذه الأمة » . ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته ، فإن سألتني ربي قلت : سمعتُ نبيك يقول : إن سالماً يحب الله حباً ، لو لم يخف ماعصاه^(٢) .

قيل له : فلو أنك عهدتَ إلى عبد الله بن عمر ؛ فإنه لذلك أهل ؛ لدينه وفضله وقديم إسلامه ، فقال : بحسب آل الخطاب أن يحاسبَ منهم رجلٌ واحد عن أمة محمد ، ولوددت أني نجوتُ من هذا الأمر كفافاً^(٣) ، لا لي ولا على .

(١) نصاب السكين : ما يقبض عليه (٢) هذه الجملة تدل على تقرير عدم العصيان على كل حال ، وعلى أن انتفاء العصية مع ثبوت الخوف أولى (المنع ص ٢٠٢ ج ١) (٣) الكفاف : الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه ، وهو نصب على الحال ، وقيل : أراد مكفوفه عن شرها .

ثم راحوا فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ لوعهدت ! فقال : قد كنتُ أُجَمِّعُ^(١) بعد مقاتلي لكم أن أوَّلِي رجلاً أمرَكم أرجو أن يحميكم على الحق - وأشار إلى علي - ثم رأيتُ ألاَّ أتحمَّلها حياً وميتاً . فعليكم بهؤلاء الرهط الذين تُوفِّي رسول الله وهو عنهم راضٍ : سعدُ بن أبي وقاص ، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وعليُّ بن أبي طالب ؛ وعثمانُ بن عفان ، والزبيرُ بن العوام ؛ وطلحةُ الخير .

وقال لعبد الرحمن ادعُ علياً وعثمان والزبير وسعداً وقال : انتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً - وكان غائباً - فإن جاء وإلا فاقضوا أمرَكم . أنشدك الله يا علي إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بني هاشم على رقاب الناس ! أنشدك الله يا عثمان إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ بني أبي مُعيط على رقاب الناس ! أنشدك الله يا سعد إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحملَ أقاربك على رقاب الناس ؛ قوموا فتشاوروا ، ثم اقضوا أمرَكم ، وليُصلِّ بالناس صهيب .

ثم دعا أبا طلحة الأنصاري ، فقال : قمْ علي بابهم فلا تدعُ أحداً يدخلُ إليهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان : أن يحسنَ إلى مُحسنهم ، وأن يعفوَ عن مسيئهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بالعرب ؛ فإنهم مادةُ الإسلام ؛ أن يأخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في قفرائهم ، وأوصي الخليفة من بعدى بدمَّة محمد رسول الله ؛ أن يُوفِّي لهم بعهدهم ، اللهم هل بلغت ! تركتُ الخليفة من بعدى علي أنثق من الراحة .

يا عبد الله بن عمر ؛ اخرج فانظر مَنْ قتلني ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قتلك أبو لؤلؤة غلامُ المغيرة بن شعبة ، قال : الحمد لله الذي لم يجعل مَنِّي بيد رجل

(١) أجمعت : عزمت .

سجدَ اللهُ سَجْدَةً واحدةً ، يا عبدَ اللهِ بنَ عمر ؛ اذهبِ إلى عائشةَ ، فسألها أن تأذنَ لي
أنَّ أدفنَ مع رسولِ اللهِ وأبي بكرِ ، يا عبدَ اللهِ بنَ عمر ؛ إن اختلفَ القومُ فكُنْ مع
الأكثرِ ، وإن كانوا ثلاثةً وثلاثةً فاتَّبِعِ الحزبَ الذي فيه عبدُ الرحمنِ ، يا عبدَ اللهِ ؛
أُتِذِنُ للناسِ .

فجعلَ يدخلُ عليه المهاجرونَ والأنصارُ فيسألونَ عليه ويقولُ : أَعَنَ مَلَأُ (١)
منكم كان هذا ؟ فيقولونَ : معاذَ اللهِ ! ودخلَ في الناسِ كعبُ ، فلما نظرَ إليه
عمرُ قال :

فأوعدني كعبٌ ثلاثاً أعدّها ولا شكَّ أن القولَ ما قال لي كعبُ
وما بي حذارُ الموتِ إني لميتٌ ولكن حذارُ الذنبِ يتبعه الذنبُ
ثم فاضت روحه ، رحمه اللهُ .

(١) أي مشاورة من أشرفكم وجماعتكم .

١٥٧ — المؤتمرون بعلي ومعاوية وعمرو*

لما قتلَ عليُّ أهلَ النَّهرِوانِ ، وكان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب ، وقومٌ ممن استأمنَ^(١) إلى أبي أيوب الأنصاري ؛ فتجمَّعوا وأمروا عليهم رجلاً من طيِّبٍ ؛ فوجَّه إليهم عليُّ رجلاً وهم بالنَّخِيلَةِ^(٢) فدعاهم ورتق بهم فأبوا ، فعاودهم فأبوا ، فاقتتلوا جميعاً .

فخرجت طائفةٌ منهم نحو مكة ؛ فوجَّه معاوية من يقيمُ للناس حجَّهم ؛ فقاوشه هؤلاء الخوارج ؛ فبلغ ذلك معاوية ؛ فوجَّه بسرَّ بن أرطاة أحد بني عامر ابن لؤي فتوقفوا وتراضوا بعد الحرب بأن يصلِّي بالناس رجلٌ من بني شيبه ؛ لثلاث يفوت الناس الحجَّ .

فلما انقضى نظرت الخوارجُ في أمرها فقَالوا : إن علياً ومعاوية قد أفسدا أمرَ هذه الأمة ، فلو قتلناها لعاد الأمرُ إلى حقه .

وقال رجلٌ من أشجع : والله ما عمرو ودونهما ؛ وإنه لأصلُ هذا الفساد ! فقال عبد الرحمن بن ملجم . أنا أقتل علياً ! فقالوا : وكيف لك به ؟ قال : أغتاله !

فقال الحجاج بن عبد الله الصريميُّ : وأنا أقتل معاوية ! وقال زاذويه مولى بني العنبرِ : وأنا أقتلُ عمرأ !

* السعدي : ٢ - ٤٠ ، ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٢ ، ٢ - ١٤٤ ، الكامل : ٢ - ١٢٥
رغبة الآمل : ٧ - ١١٨

(١) رفع علي راية الأمان مع أبي أيوب ، فنادى : من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة أو إلى المدائن فهو آمن (١) النخيلة : موضع قرب الكوفة .

فَاجْمَعُ رَأْيَهُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَتْلُهُمْ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَعْمَلُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

فَخَرَجَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى نَاحِيَةٍ : فَاتَى ابْنَ مُلْجَمِ الْكُوفَةَ ، فَأَخْفَى نَفْسَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا قَطَامٌ . بِنْتُ عُلْقَمَةَ ؛ وَكَانَتْ تَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ ^(١) ؛ فَقَالَتْ لَهُ : لَا أَقْنَعُ مِنْكَ إِلَّا بِصَدَاقٍ أُسْمِيَهُ لَكَ وَهُوَ ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ وَعَبْدٌ وَأَمَةٌ ، وَأَنْ تَقْتَلَ عَلِيًّا ! فَقَالَ لَهَا : لَكَ مَا سَأَلْتِ ! فَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَتْ : تَرُومُ ذَلِكَ غِيْلَةً ؛ فَإِنْ سَلِمْتَ أَرَحْتَ النَّاسَ مِنْ شَرِّ وَأَقْتَمْتَ مَعَ أَهْلِكَ ، وَإِنْ أُصِيبَتْ صِرْتَ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمٍ لَا يَزُولُ ! فَانْتَمَّ ^(٢) لَهَا ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا وَهُوَ يَقُولُ :

وَلَمْ أَرَ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدٌ وَقَيْنَةٌ وَضَرْبٌ عَلَى الْبُحْسَامِ الْمَصْمَمِ ^(٣)
فَلَا مَهْرَ أَعْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتَكَ إِلَّا دُونَ فَتِكَ ابْنِ مُلْجَمِ

ثُمَّ أَقَامَ ابْنُ مُلْجَمٍ ؛ فَلَامَتَهُ امْرَأَتُهُ ، وَقَالَتْ : أَلَا تَمُضِي لِمَا قَصَدْتِ ! لِشَدِّ مَا أَحْبَبْتَ أَهْلَكَ ! قَالَ : إِنِّي قَدْ وَعَدْتُ صَاحِبِيَّ وَقَتًّا بَعِينًا .

ثُمَّ وَاطَأَ رَجُلًا مِنْ أَشْجَعٍ يُقَالُ لَهُ شَيْبِ بْنِ بَحِيرَةَ عَلَى ذَلِكَ .

فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ خَرَجَ ابْنُ مُلْجَمٍ وَشَيْبِ
الْأَشْجَعِي فَاعْتَوَرَا ^(٤) الْبَابَ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَغْلَسًا ^(٥) وَيُوقِظُ

(١) كَانَ عَلَى قَتْلِ أَبِيهَا وَأَخَاهَا يَوْمَ التَّهْرَوَانِ ، وَكَانَتْ أَجَلَ أَهْلِ زَمَانِهَا (٢) أَنْتَمَ لَهَا : قَالَ لَهَا : نَعَمْ (٣) الْمَصْمَمُ مِنَ السِّيُوفِ : الَّذِي يَمُرُّ فِي الْعِظَامِ (٤) اعْتَوَرُوا الشَّيْءَ : تَدَاوَلُوهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ (٥) التَّغْلِيسُ : السِّرُّ بِفِلْسٍ ، وَالْفِلْسُ : ظِلْمَةٌ آخِرُ اللَّيْلِ .

الناس للصلاة ؛ فخرج كما كان يفعل ، فضربه شبيب فأخطأه ، وأصاب سيفه
الباب ، وضربه ابن ملجم على صلته وهو يقول : لله الحكم لالك يا علي .
فقال علي : قُرْتُ^(١) ورب الكعبة ! شأنكم بالرجل !

وحمل ابن ملجم على الناس بسيفه ، فأفرجوا له ، وتلقاه المغيرة بن نوفل بن
الحارث بن عبد المطلب بقطيفة ، فرمى بها عليه ، واحتمله فضرب به الأرض - وكان
المغيرة أيدياً^(٢) - فقعده على صدره .

وأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضر موت ، وصرعه ، وقعد على
صدره ؛ وكثر الناس ، فجعلوا يصيحون : عليكم صاحب السيف ؛ فخاف الحضرمي
أن يُكَبِّوا عليه ، ولا يسمعوا عذره ؛ فرمى بالسيف ، وانسل شبيب بين الناس .
فدخل علي علي رضي الله عنه ، فأمر فيه فاختلف الناس في جوابه ، فقال
علي : إن أعش فالأمر إلى ، وإن أصب فالأمر لكم ، فإن آثرتم أن تقتصوا
فضربة بضربة ، وأن تعفوا أقرب للتقوى .

وأقام علي يومين ؛ فسمع ابن ملجم الرنة من الدار ، فقال له من حضره : أي
عدو الله ، إنه لا بأس على أمير المؤمنين ، فقال : أما والله لقد اشتريت سيفي بألف
درهم ، وما زلت أعرضه فما يعيبه أحدٌ إلا أصلحت ذلك العيب ، ولقد سقيته
السم حتى لفظه ، ولقد صرَبته ضرباً لو قُسمت علي من بالمشرق
لأنت عليهم .

ومات علي رضي الله عنه ، في اليوم الثالث .

(١) قار الشيء : قطعه من وسطه خرقاً مستديراً (٢) الأيد : التقوى .

فدعا به الحسنُ رضى الله عنه فقال ابنه مُلجم : إن لى عندك سرًّا ! فقال الحسن : أتدرون ما يريد منى ؟ يريد أن يقرب من وجهى فيعضُّ أذنى فيقطعها ! فقال : أما والله لو أمكنتنى منها لا قتلعتها من أصلها ! فقال الحسن : كلا والله لأضربنك ضربة تؤدى بك إلى النار ! فقال : لو عملتُ أن هذا فى يديك ما اتخذت إلهاً غيرك ! فقال عبد الله بن جعفر : يا أبا محمد ؛ ادفعه إلىَّ أشفِ نفسى منه ؛ فأحى له ميلين وكحله بهما فجعل يقول : إنك يا ابن أخى لتكحلُّ عمك بمؤولين^(١) مضاضين^(٢) . ثم قتله .

وأما الحجاجُ بن عبد الله الصَّريمى فإنه ضرب معاوية مُصلباً ، فأصاب ما كَمته^(٣) ، وكان معاوية عظيم الأوزاكِ فقطع منه عِرْقاً ، فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة ، فقال : إن السيف مسموم ، فاخترتُ إما أن أحى لك حديدة فأجعلها فى الضربة ، وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك ! فقال : أما النار فلا أطيقها ، وأما النسل فى يزيدي وعبد الله ما تقرُّ به عينى ، وحسبى بهما . فسقاه الدواء ، فعوفى وعالج جرحه حتى التأم ، فلم يُولدْ لمعاوية بعد ذلك ولد .

فلما أخذَ قال : الأمان والبشارة ؛ قُتِلَ علىَّ فى هذه الصبيحة ، فاستؤننى^(٤) به حتى جاء الخبر ، فقطع معاوية يده ورجله ؛ فأقام بالبصرة ؛ فبلغ زياداً أنه قد ولد له ، فقال : أيولده وأميرُ المؤمنين لا يولد له فقتله .

وأما زاذويه فإنه أُرصدَ لمعرو ، واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة^(٥) ، فضربه زاذويه فقتله .

(١) الملول : المكحل
(٢) مض الكحل العين : ألمها
(٣) المأ كمة :
لحة على رأس الورك (٥) استأنى : تأنى وثبت (٥) هو خارجة بن خذافة أحد بنى عامر ابن لؤى .

فلما دُخِلَ به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالإمرة ، قال : أو ما قتلتُ عمراً !
قيل : لا ؛ إنما قتلت خارجة . قال : أردتُ عمراً . وأراد الله خارجة !
وأوقفَ الرجل بين يدي عمرو فسأله عن خبره ، فقصَّ عليه القصة ، وأخبره أن
عليًّا ومعاوية قُتِلَا في هذه الليلة ، فقال : لا بد من قتلك ؛ فبكى ، فقيل له : أجزعاً
من الموت مع هذا الإقدام ! فقال : لا والله ؛ ولكن غمًّا أن يفوزَ صاحبي بقتل علي
ومعاوية ، ولا أفوز أنا بقتل عمرو ! ف ضرب عنقه وصُلب .

١٥٨ — بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد*

لما أراد عبدُ الملك بن مروان الخروجَ إلى العراق لقتال مُصعب ^(١) بن الزبير ،
وأخذ في جهازه أبلت عاتكة ابنة يزيد بن معاوية ، امرأته ، في جواريسها ، وقد
تزينت بالحلي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ لو قعدت في ظلال مُلكك ، ووجهت
إليه كلباً من كلابك لكفأك أمره ، فقال : هيهات ! أما سمعت قول الأول :

قومٌ إذا ما غزوا شدوا مازرهم دون النساء ولو باتت بأطهار
فلما أبى عليها وعزم ، بكت وبكى معها جواريسها ، فقال عبد الملك : قاتل الله
ابن أبي ربيعة ؛ كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم يثن همهُ حَصَانٌ عليها نظمٌ دُرٌّ يزِينُها
نَهْتُهُ فلما لم ترَ النهى عاقهُ بكتٌ فبكى مما دهاها قطينُها ^(٢)

ثم خرج يُريد مُصعب ، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق
عمرو بن سعيد دمشق ، وخالف عليه ، فقيل له : ما تصنع ؟ أتريدُ العراق وتدعُ
دمشق ؟ أهلُ الشام أشدُّ عليك من أهل العراق . فرجع مكانه ، وحاصر أهل
دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ، وأن له مع كل عامل عاملاً
ففتح له دمشق ، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد ، فأرسل إليه عبد الملك :

* القعد الفريد : ٣ - ١٥٣ ، الأملال : ١ - ١٤

(١) انظر صفحة ١٦٨ (٢) الجهاز - بالفتح والكسر - للمسافر : ما يحتاج إليه

(٢) القطين : الخدم .

أن أخرج للحرس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حرس فإن لنا حرساً أيضاً ، فقال عبد الملك : أخرج للحرس أرزاقهم .

فلما كان يوم من الأيام أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف النهار . أن اتنى أبا أمية حتى أدبر معك أموراً ، فقالت امرأته : يا أبا أمية ؛ لا تذهب إليه ، فإنني أتحوف عليك منه ، فقال : والله لو كنت نائماً ما أيقظني ! قالت : والله ما آمنه عليك ، وإني لأجد ریح دم مسفوح ؛ فإزالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها .

فخرج وخرج معه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين لا يقدر على مثلهم ، مسلحين ، فأحدقوا بمخضراء دمشق ، وفيها عبد الملك ، فقالوا : يا أبا أمية ؛ إن رابك ريب فأنسمنا صوتك ، ثم دخل ، فجعلوا يصيحون : يا أبا أمية ؛ أنسمنا صوتك - وكان معه غلام أسحم^(١) شجاع - فقال له : اذهب إلى الناس فقل لهم : ليس عليه بأس ؛ فقال له عبد الملك : أمكراً عند الموت أبا أمية ! خذوه ، فأخذوه ثم قال له عبد الملك : إنى أقسمت إن أمكنتني منك يد أن أجعل في عنقك جامعة^(٢) ، وهذه جامعة من فضة ، أريد أن أبر بها قسماً ، وطرح رقبته في الجامعة ، ثم نثره^(٣) إلى الأرض بيده ، فانكسرت نتيته^(٤) ، فجعل عبد الملك ينظر إليه ، فقال عمرو : ولا عليك يا أمير المؤمنين ، عظم انكسر .

وجاء المؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين - لصلاة الظهر - فقال لعبد العزيز ابن مروان : اقتله حتى أرجع إليك من الصلاة ، فلما أراد عبد العزيز أن يضرب

(١) الأسحم : الأسود (٢) الجامعة : النل (٣) النثر : الجذب بجفاء (٤) الثنية من الأربع التي في مقدم الفم ، ثنتان من فوق ، وثنان من أسفل .

عنقه ، قال له عمرو : نَشَدْتِكَ ^(١) الرَّحِيمِ يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ أَلَا تَقْتُلُنِي مِنْ يَدِهِمْ ، فِجَاءَ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَرَأَاهُ جَالِسًا . فَقَالَ : مَا لَمْ تَقْتُلْهُ ؟ لَعْنُكَ اللَّهُ ، وَلَعْنُ أُمَّا وَلَدَتِكَ ! ثُمَّ
قَالَ : قَدَّمُوهُ إِلَيَّ ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ بِيَدِهِ فَقَالَ : فَعَلِمْتَهَا يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ ، فَقَالَ لَهُ
عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَبِيقُ وَيَصْلِحُ لِي مَلِكِي لَفَدَيْتُكَ بِدَمِ النَّاضِرِ ، وَلَكِنْ
قَلِمَا اجْتَمَعَ فِخْلَانِ فِي ذَوْدِ ^(٢) إِلَّا عَدَا أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، ثُمَّ رَفَعَ إِلَيْهِ الْحَرْبَةَ فَقَتَلَهُ
وَقَعَدَ يَرْعَدُ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُذِرْجَ فِي بَسَاطٍ وَأُدْخَلَ تَحْتَ السَّرِيرِ .

وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ قَبِيصَةٌ ^(٣) بِنِ ذُوَيْبِ الْخُرَاعِيِّ فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : كَيْفَ رَأَيْتُكَ
فِي عَمْرٍو بْنِ سَعِيدِ الْأَشْدَقِ ، فَقَالَ - وَقَدْ أَبْصَرَ قَبِيصَةً رَجُلًا عَمْرٍو تَحْتَ السَّرِيرِ :
أَضْرَبَ عُنُقَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَطْرَحَ رَأْسَهُ ، وَأَثَرَ عَلَى النَّاسِ الدَّنَانِيرَ يَتَشَاغَلُونَ
بِهَا ، فَفَعَلَ ، وَافْتَرَقَ النَّاسُ .

(١) نَشَدْتِكَ : سَأَلْتِكَ (٢) الذَّوْدُ مِنَ الْإِبِلِ : مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى الْعَشْرِ (٣) صَحَابِي مِنَ
الْفُقَهَاءِ الْوُجُوهِ ، كَانَ عَلَى خَاتَمِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالشَّامِ ، وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٨٦ هـ .

١٥٩ — الأخطل يفرق من الجحاف *

كان الجحافُ بن حكيم السلمي^(١) من فُتاك العرب ، وكان من خبر ابن عمه
مُعمِر بن الحباب السلمي أنه نهض في الفِتنَة التي كانت بالشام بين قيس وكنب
بسبب الزبيرية والروائية ، فلقى في بعض تلك المُعاورات^(٢) خيلاً لبني تغلب ؛
فقتلوه ؛ فلما اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ، ووضعت تلك الحرب أوزارها
دخل الجحاف على عبد الملك والأخطل عنده ، فالتفت إليه الأخطل فقال :

ألا سائل الجحاف هل هو نائرٌ لِقَتَلَى أُصِيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامرٍ !
فقال الجحاف مجيباً له :

بلى ، سوف أبكيهم بكلّ مُهنّدٍ وأبكي عميراً بالرّماح الخواطرِ^(٣) .
ثم قال : يا بن النصرانية ؛ ما ظننتك تجترى علىّ بمثل هذا ولو كنتُ
مأسوراً ! فحمّ الأخطل فرقا^(٤) من الجحاف ، فقال عبد الملك : لا ترع ، فإني جارك
منه . فقال الأخطل : يا أمير المؤمنين ؛ هَبِكَ تُجبرني منه في اليقظة ، فكيف تجبرني
في النوم !

ثم نهض الجحاف من عند عبد الملك يسحبُ كِسَاهه ، فقال عبد الملك : إن
في قفاه لغدرة ، ومرّ الجحافُ لطيبته^(٥) ، وجمع قومه وأنى الرصافة ، ثم سار إلى بني

* جمع الأمثال : ٢ - ٢٤ ، معجم البلدان : ٢ - ١٨٦

(١) فانك ، نائر ، شاعر كان معاصراً لعبد الملك بن مروان ، توفي نحو سنة ٩٠ هـ (٢) غاورم :
أغار عليهم وأغاروا عليه ، والمعاورة مفاعلة (٣) المهند : السيف . خطر الرمح : اهتر .
(٤) فرقا : خوفا (٥) يقال : مضى لطيبته ، أي لوجهه الذي يريده ، ولطيبته التي اتواها .
(٢٠٦ - قصص - ثالث)

تَغْلِبُ فِصَادِفٍ فِي طَرِيقِهِ أَرْبَعِينَ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُمْ ، وَمَضَى إِلَى الْبِشْرِ ^(١) فِصَادِفٍ عَلَيْهِ جَمْعًا مِنْ تَغْلِبٍ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَمْسًا عَشْرَةَ رَجُلًا ، وَتَعَدَّى الرِّجَالَ إِلَى قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ^(٢) ، فَنَادَتْهُ عَجُوزٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَتْ : يَا جِحَافُ ؛ أَتَقْتُلُ النِّسَاءَ ! فَانْحَذِلْ وَرَجِعْ .

فَبَلَغَ الْخَبْرُ الْأَخْطَلَ ، فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَالَ :
لَقَدْ أَوْقَعَ الْجِحَافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُسْتَكْبَى وَالْمَعْوَالُ
فَأَهْدَرَ ^(٣) عَبْدُ الْمَلِكِ دَمَ الْجِحَافِ . فَهَرَبَ إِلَى الرُّومِ ، فَكَانَ بِهَا سَمِعَ سَنِينَ ،
وَمَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، وَقَامَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَاسْتَبْرَأَ لِلْجِحَافِ ، فَأَمَّنَهُ ،
فَرَجِعَ .

(١) البشير . ماء لبني تغلب . (٢) الوليد . المولود ، والصبي والعبد ؛ جمعه الولائد والولدان
(٣) أهدر دمه : أبطله ؛ أي أباح قتله .

١٦٠ — قد أُخِرْتُ الإِذْنَ عَلَيْهِ لِتَقْتُلُوهُ فَلَمْ تَفْعَلُوا *

قال عُبَيْدُ اللَّهِ بنِ قَيْسِ الرُّقَيْيَاتِ ^(١): خَرَجْتُ مَعَ مُصْعَبِ بنِ الزَّيْرِ حينَ بَلَغَهُ شُخُوصُ عَبدِ المَلِكِ بنِ مِروانِ إِلَيْهِ . فَلما نَزَلَ مُصْعَبُ بِمَسْكِنِ ^(٢) ، وَرَأَى مِعالِمَ الفَدْرِ مِن مَعِهِ ، دَعَانِي وَدَعَا بِمَالِ وَمَنَاطِقِ ^(٣) ، فَلأَ المَنَاطِقِ مِنَ ذَلِكِ المَالِ وَاللَّبْسِ مِنها ، وَقَالَ لِي : انطَلِقْ حَيْثُ شِئْتَ فَإِنِّي مَقْتُولٌ ؛ قُلتُ لَهُ : وَاللَّهِ لا أَرِيِمَ ^(٤) حَتَّى أَرى سَبِيلَكَ ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ .

ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأول بيت صرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأةٌ لها ظَبْيَتَانِ ، فَرَقَيْتُ فِي دَرَجَةٍ لَهَا إِلَى مَشْرَبَةٍ ^(٥) ، فقمعدتُ فيها ، فأمرتُ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء ، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حَوْلٍ ، تُقِيمُ لِي ما يَصلِحُنِي ، وتُغِدُّ عَلَيَّ فِي كُلِّ صَبَاحٍ فَتَسْأَلُنِي بِالصَّبَاحِ وَالْحَاجَةَ ^(٦) ، وَلا تَسْأَلُنِي مِنَ أَنَا ، وَلا أَسأَلُها مِن هِيَ ! وَأنا فِي ذَلِكِ أَسْمَعُ الصَّبَاحَ فِي وَالْجَمَلِ .

فلما طال بي المقام ، وفقدتُ الصَّبَاحَ فِي ، وَغَرَضْتُ ^(٧) بِمَكَانِي غَدَّتْ عَلَيَّ

* الأغانى : ٥ - ٧٦

(١) عبید الله بن قیس الرقیات : شاعر قریش فی الإسلام ، ولقب الرقیات لأنه شبب بثلاث نسوة سمین جیماً رقیة
(٢) مسکن : موضع علی نهر دجیل (شعب من دجلة) بالكوفة ، به كانت الوقعة بین عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزیر فی سنة ٧٢ هـ وبه قتل مصعب .
(٣) المنطقه : ما یشد علی الوسط (٤) لا أبرح (٥) المشربة : الفرقة والعلیة .
(٦) أى تقول : کیف أصبحت ؟ (٧) غرضت : مللت .

تسألني بالصبح والحاجة ، ففرقتها أني قد غرِضتُ وأحببتُ الشخوص إلى أهلي ؛
فقلت لي : نأتيك بما تحتاجُ إليه إن شاء الله تعالى .

فلما أمسيتُ ، وضرب الليل برواقه رَقِيتَ إلىَّ وقالتُ : إذا شئتُ ، فنزلت
وقد أعدتُ راحلتين عليهما ما أحتاجُ إليه ، ومعهما عبد ، وأعطتُ العبد نفقة الطريق ،
وقالت : العبدُ والراجلتان لك .

فركبتُ وركب العبد معي حتى طرقتُ أهل مكة ، فدقتُ منزلي ؛ فقالوا لي :
من هذا ؟ فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيات ، فولولوا وبكوا ، وقالوا : ما فارقتنا
طلبك إلا في هذا الوقت ؛ فأقت عندم حتى أسحرتُ (١) .

ثم نهضتُ ومعى العبد حتى قدِمتُ المدينة ، فحِئتُ عبد الله بن جعفر بن
أبي طالب عند المساء ، وهو يُعشى أصحابه ، فجلستُ معهم ، وجعلتُ أتعاجم وأقول :
ياريار (٢) ابن طيار (٣) ! فلما خرج أصحابه كشفتُ له عن وجهي ، فقال :
ابن قيس ؟ فقلت : ابن قيس ، جئتُك عائذاً بك ؛ قال : ويحك ! ما أجدّم في
طلبك ! وأحرصهم على الظفر بك ! ولكني سأكتبُ إلى أم البنين بنتِ
عبد العزيز بن مروان فهي زوجة الوليد بن عبد الملك ، وعبد الملك أرقُ شيء
عليها . فكتبُ إليها يسألها أن تشفعَ له إلى عمها ، وكتبُ إلى أبيها يسأله أن يكتبَ
إليها كتاباً يسألها الشفاعة .

فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعلُ وسألها : هل من حاجة ؟ فقلت : نعم

(١) أسحر: دخل في وقت السحر (٢) ريار: كلمة فارسية ، ومعناها : الصاحب والشفيق
والعين (٣) الطيار : لقب جعفر بن أبي طالب ، والد عبد الله هذا :

لى حاجة ؛ فقال : قد قضيتُ كلَّ حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات ؛ فقالت :
لا تَسْتَنْ عَلِيَّ شَيْئًا ! فَفَنَحَّ (١) بيده ، فأصاب خدَّها ، فوضعتُ يدها على خدَّها ؛
فقال لها : يَا بَنَّتِي ؛ ارفعى يدك ، قد قضيتُ كلَّ حاجة لك ، وإن كانت ابن قيس
الرقيات ؛ فقالت : إن حاجتي ابن قيس الرقيات تؤمنه ، فقد كتب إلى أبي يسألني
أن أسألك ذلك ؛ قال : فهو آمن فمرَّ به يحضر مجلسي العشية .

فحضر ابن قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك ، فأخرَّ الإذنَ ،
ثم أذن للناس ، وأخرَّ إذنَ ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ، ثم أذن له ؛
فلما دخل عليه قال عبد الملك : يَا أَهْلَ الشَّامِ ؛ أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال :
هذا عبيد الله بن قيس الرقيات الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما تـ شمل الشام غارة شعواه
تذهلُ الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام القيلة العذراء (٢)

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، اسقنا دمَ هذا المنافق ! قال : الآن وقد أمَّنته وصار
في منزلي وعلى بساطي ! قد أخرتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابن قيس
أن ينشده مديحه فأذن له ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

عاد له من كثيرة (٣) الطرب (٤) فعينه بالدموع تنسكبُ
كوفية نازح محلتها لا أم (٥) دارها ولا صب (٦)

(١) فح يده : ضرب بها ضربة خفيفة (٢) الخدم : جمع خدمة (بالتعريك) وهي
الخلخال : قال في اللسان : أراد وتبدي عن خدام القيلة ، وخدام هنا في نية عن خدامها ، وعدي
تبدي بعن لأن فيه معنى تكشف (٣) كثيرة هي التي تزل بدارها عبد الله بن قيس فأوته
وأصبح بعد ذلك يذكرها كثيراً في شعره (٤) الطرب هنا : الحزن (٥) لا أم دارها :
ليست قرية (٦) الصقب : الملاصقة .

والله ما إن صَبَتْ إِلَى ولا يُعْرِفُ بِنِي وبينها سَبَبُ
إلا الذي أَوْزَتْ كَثِيرَةً فِي القَلْبِ، وللحَبِّ سَوْرَةٌ (١) عَجَبُ
حتى قال فيها :

إن الأغرّ الذي أبوه أبو العاصي عليه الوقارُ والحجُبُ
يعتدل التاجُ فوق مَفْرِقِهِ على جبينِ كأنه الذهبُ (٢)

فقال له عبد الملك : يا بن قيس ؛ تمدحني بالتاج كأني من العجم ، وتقول
في مُصعب :

إنما مُصعبٌ شَهَابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ غِرَّةٍ ليس فيه نَجَبٌ ومِنه ولا كبرياءُ

أما الأمان فقد سبق لك ؛ ولكن لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبداً .

فذهب ابنُ قيس إلى عبد الله بن جعفر ، وقال له : ما نفعني أمانِي ، تُرِكَتْ
حياً كَمَيْتٍ ، لا آخذ مع الناس عطاءً أبداً !

فقال له عبد الله : كم بلغت من السن ؟ قال : ستين سنة . قال : فعمّر (٣)
نفسك ، قال : عشرين سنة من ذِي قَبَلٍ (٤) ، فذلك ثمانون سنة ، قال : كم عطاؤك ؟
قال : ألفا درهم ، فأمر له بأربعين ألف درهم ، وقال : ذلك لك عليّ إلى أن تموتَ
على تعميرِكَ نَفْسِكَ ، فعند ذلك قال عُبَيْدُ الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله
ابن جعفر :

(١) السورة : شدة الأمر (٢) وفي هذه القصيدة :

ما تقنوا من بني أمية إلا أنهم يحملون إن غضبوا
وأنهم سادة اللوك فما تصلح إلا عليهم العرب

(٣) عمر نفسه : قدر لها قدرًا محدوداً (٤) يقال : أفعل ذلك من ذِي قَبَلٍ : أي أفعل في

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ^(١) سَوَاءٌ عَلَيْهَا لَيْلٌ أَوْ نَهَارٌ هَا
تَزُورُ امْرَأَةً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودٌ لَهُ كَفٌّ قَلِيلٌ غِرَارُهَا^(٢)
أَتَيْتَاكَ نُثْنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا يُنْبِئُنِي عَلَى الرَّوْضِ جَارُهَا
فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ جَعْفَرٍ لَكَانَ قَلِيلًا فِي دِمَشْقَ قَرَارُهَا
إِذَا مَتَّ لَمْ يُوَصَّلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تُقَمَّ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا
ذَكَرْتِكَ إِنْ فَاضَ الْفَرَاتُ بِأَرْضِنَا وَفَاضَ بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ^(٣) بِحَارُهَا

(١) تقدت : أى سارت سراً ليس بعجل ولا مبطى ، ولزمت سنن الطريق (٢) قليل غرارها : أى أن منعها المعروف قليل ، وأصل الفرار أن تمنع الناقة درتها ، ثم يستعار في كل ما أشبه ذلك ، أو الفرار : المثال (٣) الرقتان : يراد بهما الرقة والرائقة ، وهما مدينتان ، والثنية من باب التثنية .

١٦١ — آبي الضيم*

قال الفضل الضبي:

كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن^(١) متوارياً عندي بالبصرة ، وكنت
أخرج وأتركه ، فقال لي : إذا خرجت ضاق صدري ، فأخرج إلي شيئاً من
كتيبك أتفرج به ، فأخرجت له كتباً من الشعر ، فاختر منها القصائد التي صدرت
بها كتاب المفضليات ، ثم أتمت عليها باقي الكتاب .

فلما خرج خرجت معه ، فلما صار بالمربد ، مر بد سليمان بن علي ، وقف
عليهم ، واستسقى ماء ، فأتي به ، فشرب ، فأخرج إليه صبيان من صبيانهم ،
فضمهم إليه ، وقال : هؤلاء والله منا ونحن منهم لحمنا ودمنا ، ولكن آباءهم انزوا^(١)
على أمرنا ، وابتزوا حقوقنا ، وسفكوا دماءنا ، ثم تمثل :

مهلاً بني عمنا ظلامتنا إن بنا سورة^(٣) من الغلق^(٤)
لمثلكم^(٥) نحمل السيوف ولا نغمز أحسابنا من الرقق^(٦)
إني لأنتمي^(٧) إذا انتميتُ إلى عزي عزيزٍ ومعشر صدق
بيض سباط^(٨) كأن أعينهم تكحل يوم الهياج بالعلق^(٩)

* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٢٤ ، الأغاني : ١٠٠ - ٥

(١) أحد الأشراف الشجعان ، خرج بالبصرة على المنصور العباسي ، وكانت بينه وبين جيوش
المنصور وقائع هائلة إلى أن قتل سنة ١٤٥ هـ (٢) انتزى إلى الشعر : تونب (٣) السورة :
الونوب (٤) الغلق : الضجر (٥) المراد : أننا نحمل لكم السيوف ، لأنكم أكفاؤنا
(٦) الرقق : الضعف (٧) أنسب (٨) السباط : جمع سبط ، وهو حسن القد والاستواء
(٩) العلق : الدم ، يريد أن عيونهم حمر لشدة القبط والغضب ، فكأنها كحلت بالدم .

فقلت له : ما أجود هذه الأبيات وأفحلها ! فلن هي ؟ فقال : هذه يقولها
ضرار بن الخطاب الفهرى يوم عَبَرَ الخندق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ،
وتمثل بها علي بن أبي طالب يوم صفين ، والحسين يوم الطف^(١) ، وزيد بن علي
يوم السَّبْحَةِ^(٢) ، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان^(٣) ، فتطيرت له من تمثله بأبيات
لم يتمثل بها أحدٌ إلا قُتِل .

ثم سرنا إلى باخرا^(٤) ، فلما قرب منها أتاه نعي أخيه محمد ، فتغير لونه ،
وجرى^(٥) بريقه ، ثم أجش باكياً ، وقال : اللهم إن كنت تعلم أن محمداً خرج
يطلب مرضاتك ، ويؤثر أن تكون كلمتك العليا ، وأمرُك المتبع المطاع ، فاغفر له ،
وارحمه وارض عنه ، واجعل ما نقلته إليه من الآخرة خيراً مما نقلته عنه من الدنيا ،
ثم انفجر باكياً ، ثم تمثل :

أنا المُنَازِلُ يا خَيْرَ الفوارسِ مَنْ يُفَجِّعُ بِمَثَلِكَ في الدنيا فقد فُجِّعَا
اللهِ بهِ — لم أتى لو خشيتهمُ أو آنسَ القلبُ من خوفٍ لم فزَعَا
لم يقتلوك ولم أسلمِ أَخِي لَمْ حَتَّى نعيشَ جميعاً أو نموتَ معَا

قال المفضل : فجلت أعزيبه وأعاتبه على ما ظهر من جزعه ، فقال : إني والله
في هذا كما قال دريد بن الصمة :

تقول : ألا تبكي أخاك وقد أرى مكان البكا، لكن بُنيت^(٦) على الصبرِ
لمقتل عبداً لله والمالك الذي على الشرف الأعلى قتيل^(٧) أبي بكر

(١) الطف : ضاحية الكوفة ، وبها قتل الحسن (٢) السبخة : موضع بالبصرة (٣) جوزجان :
كورة واسعة من كور بلخ بخراسان ، وبها قتل يحيى بن زيد (٤) باخرا : موضع بين الكوفة
وواسط (٥) جرى بريقه : ابتلعه بالجهد على مضض (٦) بنيت : خلقت (٧) قتيل أبي بكر
هو أخوه قيس ، قتله بنو أبي بكر بن كلاب يرأسهم عمرو بن سفيان الكلابي .

وعبد ينفوث^(١) أو خليلي خالد^(٢) وجلّ مصاباً حثو قبري على قبري ا
فإما تريناً لا تزال دماؤنا لدى واطر يسقي بها آخر الدهر
فإننا للحم السيف غير نكيرة^(٣) ونلجمه^(٤) طوراً وليس بذى نكر
يفار علينا واطرين فيشتني بنا إن أصينا، أو نسير على وتر
بذاك قسماً الدهر شطرين قسمةً فما ينقضى إلا ونحن على شطر

قال المفضل : ثم ظهرت لنا جيوش أبي جعفر مثل الجراد ، فتمثل إبراهيم :

إن يقتلوني^(٥) لا تصب أرماحهم ثأري ويسعى القوم سعيًا جاهدا
نبئت أن بني جذيمة أجمت أمرا تدبره لتقتل خالد
أزيمي^(٦) الطريق وإن رصدت بضيقه وأنزل البطل الكمي الحاردا^(٧)

قلت له : من يقول هذا الشعر يا بن رسول الله ؟ فقال : يقوله خالد بن جعفر
ابن كلاب يوم شعب جيلة .

ثم أقبلت عساكر أبي جعفر المنصور ، فطعن رجلاً وطعنه آخر ، فقلت له :
أتباشر القتال بنفسك ! وإنما العسكر منوط بك ، فقال : إليك يا أخا بني ضبة ،
فإني لكما قال عوبق القوافي :

ألمت سعاد ، وإلمأها أحاديث نفس وأعلامها
محجة من بني مالك تطاول في المجد أعلامها

(١) أخوه أيضاً قتله بنو مرة (٢) خالد أخوه أيضاً قتله بنو الحارث بن كعب (٣) التنكر :
التغير عن حال تسرك إلى حال تكبرها ، والاسم النكيرة (٤) ألحنته سبني : قتلته ، وأصل ألحنته :
أطعمه اللحم (٥) المعنى : أنهم إن قتلوني ، ثم حاولوا أن يصيبوا رجلاً آخر مثلي يصلح أن يكون
لي نظيراً وسعوا في ذلك سعياً جاهداً ، فإنهم لن يجدوا (٦) يقول : أسلك الطريق الضيق ،
ولو جعل لي فيه الرصد لقتلي (٧) الحاردا : المنفرد في شجاعته ، الذي لا مثل له .

وإن لنا أصلَ جرثومةٍ تردّ الحوادثَ أيامها
تردّ الكتيبةَ مفلولةً بها أفتها وبها ذامها^(١)

والتحمت الحرب واشتدت ، فقال يا مفضل : احكيني بشيء ، فذكرت أبياتاً
لعوف القوافي لما كان ذاك كرهه هو من شعره فأنشدته :

ألا أيها الناهي فزارة بعدما أجدت لسير ، إثم أنت ظالم
أبي كل حرٍ أن يبيت بوتره وتمنع منه النوم إذ أنت نائم
أقول لفتيان كرام تروحووا على الجرد في أفواههن الشكائم :
قفوا وقفةً ، من يحى لا يخز بعدها ومن يخترم لا تتبعه اللوام
وهل أنت إن باعدت قبلك عنهم لتسلم فيما بعد ذلك ، سالم !

فقال : أعد وتبينت من وجهه أنه يستقتل ، فانهيت وقلت : أو غير ذلك !
فقال : لا ، بل أعد الأبيات ، فأعدتها ، فتمطى في ركبته فقطعهما ، وحمل فغاب
عني ، وأتاه سهمٌ عائر^(٢) فقتله ، وكان آخر عهدي به .

(١) العائر من السهام : مالا يعرف راميته .

(٢) الأفن : النقص ، والذام : العيب

١٦٢ — مصرع الوليد بن طريف *

كان الوليدُ بن طريف الشيباني^(١) رأس الخوارج وأشدّهم بأساً وصولة ، واشتدّت شوكته ، وطالت أيامه ، فوجّه إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني^(٢) ، فجعل يخاصمه ويماركه - وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد - فأغروا به أمير المؤمنين ، وقالوا : إنما يتجافى عنه للرحم ، وإلا فسوّكّة الوليد يسيرة .

فوجّه إليه الرشيد كتاباً مُغضب يقول فيه : ولو وجّهت بأحد الخدم لقام بأكثر مما تقوم به ، ولكنك مُداهن مُتمصّب ؛ وأمير المؤمنين يُقسم بالله لئن أخرجت مناجزة الوليد ليؤججهنّ من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ..

فلقى الوليد عشية خميس في شهر رمضان ، وقال لأصحابه : فداكم أبي وأمي ! إنما هي الخوارج ولهم حَمَلَةٌ ، فاحلوا فإنهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، فكان كما قال : حملوا حَمَلَةٌ وثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ؛ ثم حمل عليهم فانكشفوا واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة وألقاه يقول :

أنا الوليدُ بن طريف الشاري^(٣) قسورة^(٤) لا يُصطلى بناري

* جوركم أخرجني من داري *

* الأغاني ١١ - ٩ ، معاهد التنصيص : ٥١ : ٢
(١) نائر من الأبطال ، خرج في خلافة الرشيد ، فأرسل إليه الرشيد جيشاً قائده يزيد بن يزيد الشيباني فقتله بعد - ، شديدة سنة ١٧٩ هـ . (٢) أمير من القادة الشجعان ، توفى سنة ١٨٥ هـ
(٣) الشاري : الخارجي ، وم الشراة (٤) القسورة : العزيز يقتسر غيره ، أي يقهره .

فأخذ يزيد رأسه . ولما سمعت بهذا أخته ليلي بنت طريف صبحتهم مستعدة
عليها الدرع والجوشن^(١) ، فجعلت تحمل على الناس ففرقت ، فقال يزيد :
دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالمرح قطة^(٢) فرسها ، ثم قال : اغرُبي^(٣) أغرَبِ
الله عينيك ، فقد فضحت العشيرة ، فاستحيت وانصرفت وهي تقول :

بتلُّ نبأى ^(٤) رسمُ قبرٍ كأنه	على علمٍ فوق الجبال مُنيفٍ
تضمنُ جوداً حاتماً ونائلاً	وسورةً مقدامٍ وقلبَ حصيفٍ
فإن يكُ أرداهُ يزيدُ بنُ مزيدٍ	فيأربُ خيلٍ فضها وصُفوفٍ !
ألا يالقي لالنواب والردى	ودهرٍ مُلحٍ بالكرام عنيفٍ !
وللبدر من بين الكواكب إذ هوى	وللشمس همت بعده بكسوفٍ
ولليث كلَّ الليث إذ يحمونه	إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيفٍ ^(٥)
أيا شجرَ الخابور ^(٦) مالكُ مورقاً	كأنك لم تجزعْ على ابنِ طريفٍ !
فتي لا يجبُ الزادَ إلا من التقي	ولا المالَ إلا من قنأ وسيقفٍ
فلا تجزعاً يا بني طريفٍ فإنتي	أرى الموت نزالاً بكلِّ شريفٍ
فقدناك فقدانَ الربيعِ وليتنا	فدينناك من دهمائنا بألوفٍ

ولما انصرف يزيد بالظفر حُجب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخطَ عليه ؛
فقال : وحقَّ أمير المؤمنين لأصيفنَّ وأشتونَّ على فرسى أو أدخل .

(١) الجوشن : الحديد الذي يلبس من السلاح ، وقيل : زرد يلبسه الصدر (٢) القطة : العجز

(٣) يقال : اغرب عنى أى تباعد ، ويقال غربت العين إذا ورم مآقها (٤) نبأى كسكارى :

موضع بالبصرة (٥) السقيف : السقف (٦) نيت ، ونهر ، وواد .

فارتفع الخبير بذلك إلى الرشيد ، فأذن له ، فدخل ؛ فلما رآه أمير المؤمنين
ضحك وسُرَّ ، وأخذ يصيح : مَرَّ حَبَابًا بِالْأَعْرَابِي حَتَّى دَخَلَ وَأَجْلَسَهُ وَأَكْرَمَهُ ،
وَعَرَفَ بِلَاءَهُ وَنَقَاءَ صَدْرِهِ (١) .

(١) ولما عفا عنه الرشيد مدحه الشعراء ، فكان ممن مدحه مسلم بن الوليد ، ومن أحسن
ما ورد في شعره قوله :

يفتر عند افتتار الحرب مبتسما	إذا تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج ، في يوم ذى رهج	كأنه أجل يسعى إلى أمل
ينال بالرفق ما يعيا الرجال به	كالموت مستعجلا يأتي على مهل
يقرى المنية أرواح العداة كما	يقرى الضيوف شخوم الكوم والبرل
يكسو السيوف رهوس الناكثين به	ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
إذا اتضى سيفه كانت مسالكه	مسالك الموت في الأبدان والقتل

البَابُ الْخَامِسُ

في القصص التي تحكى ما كان للجند من أحداث
وأحاديث ، في الغارات والغزوات والفتوح ، مصورة
نفسياتهم وأحوالهم ، واصفة تطواتهم العقلية والخلقية
بنشأة الدولة العربية وانفساح رقعتها ، مفصلة عُددهم
وآلاتهم وأسلحتهم في حياتهم الجديدة .

١٦٣ — كِلَابُ بنِ أُمَيَّةَ وَأَبَوَاهُ *

حَدَّثَ عُرْوَةُ بنُ الزَّيْدِ قَالَ : هَاجَرَ كِلَابُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ الأَسْكَرِ إِلَى المَدِينَةِ فِي خِلافةِ عَمْرِو بنِ الخُطَّابِ ، فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، ثُمَّ لَقِيَ ذَاتَ يَوْمٍ طَلْحَةَ بنَ عَبْدِ اللهِ وَ الزَّيْدَ بنَ العَوَّامِ ، فَسَأَلَهُمَا : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ فِي الإِسْلامِ ؟ فَقَالَا : الجِهَادُ . فَسَأَلَ عَمْرٌو فَأَغْرَاهُ فِي جَيْشِهِ ، وَكَانَ أبُوهُ قَدْ كَبِرَ وَضَعُفَ ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَخٌ لَهُ آخَرُ ؛ فَانْبَعَثَ أُمَيَّةُ يَقُولُ :

يَا أُمَّ هَيْمٍ ؛ مَاذَا قُلْتِ أَيْسَلَانِي	رَبِّبُ النَّوْنِ وَهَذَا نِ الْجَدِيدَانِ (١)
إِنَّمَا تَرَى حَجْرِي قَدْ رَكَ (٢) جَانِبُهُ	قَدْ يَسْرُكُ صُلْبًا غَيْرَ كَذَّانِ (٣)
إِنَّمَا تَرِينِي لَا أَمْضِي إِلَى سَفَرٍ	إِلَّا مَعِي وَاحِدٌ مِنْكُمْ أَوْ اثْنَانِ
يَابْنِي أُمَيَّةَ ، إِنِّي عَنكَ غَانِي	وَمَا لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُرْعَسٌ فَانِي
يَابْنِي أُمَيَّةَ ، إِلَّا تَشْهَدَا كِبْرِي	فَإِنَّ نَأْيَكُمَا وَالبُّشْكَلِ مِثْلَانِ
إِذْ يَحْمِلُ الفَرَسُ الأُخْوِي (٤) ثَلَاثَتَنَا	وَإِذْ فِرَاقُكُمَا وَالمَوْتُ سَيَّانِ
أَصْبَحْتُ هُرًّا لِرَاعِي الضَّانِ أُعْجِبُهُ	مَاذَا يَرِيْبُكَ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ !
انْفَقَ بِضَانِكَ فِي نَجْمٍ (٥) تُحْفَرُهُ	مِنَ الأَبَاطِحِ وَاحْبِسْهَا بِجُمْدَانِ (٦)
إِنْ تَرَوَعَ ضَانًا فَإِنِّي قَدْ رَعَيْتُهُمْ	بِيبْضِ الوُجُوهِ بَنِي عَمِي وَإِخْوَانِي

* المحاسن والمساوي : ٥٨٨ ، (طبع ليزج) ، ذيل الأمالي : ١٠٨
(١) الجديدان : الليل والنهار (٢) رك : ضعف (٣) الكذبان : الرخو
(٤) الأخوي : الأسود (٥) النجم : ما نجم من النبات على غير ساق (٦) جمدان : جبل بطريق مكة ، وواد .

فلما طالت غيبة كلاب عنه قال :

لمن شَيْخَانٍ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا (١)
فَنَفَضَ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ
وَاجْتَنَبَهُ أَبَاعِرْنَا (٢) الصَّعَابَا
عَلَى بَيْضَاتِهَا دَعَا كِلَابَا
وَأَمَّا مَا تُسْمِعُ لَهَا شَرَابَا
فَأَبَاكَ مُرَعَشَةً يَدَاهُ
فَلَا وَأَبَى كِلَابُ مَا أَصَابَا
إِذَا هَتَفَتْ حَمَامَةٌ بَطْنِ وَاوِي
لِيَتْرَكَ شَيْخَهُ ؛ خَطِيئًا وَخَابَا
وَأَمَّا لَا يَزَالُ لَهَا حَفِينُ
يُطَارِدُ أَيْنِقًا شُسْبَا (٣) طَرَابَا
إِذَا بَلَغَ الرَّسِيمُ (٤) فَكَانَ شَدَا (٥)
يَجْرُ ؛ فَخَالَطَ الذَّقْنُ التَّرَابَا

فبلغت أياته عمر ، ولم يرُدِّ كِلَابَا ، فاهتز أمية واختلط (٦) جزعاً عليه ، ونفنت
الرؤكبكان بشعر أبيه فبلغه ، فأنشأ يقول :

لعمرك ما تركتُ أبا كلابٍ
وأما لا يزالُ لها حفينُ
كبير السنِّ مُكْتَتِبًا مُصَابَا
لِكَسْبِ الْمَالِ أَوْ طَلَبِ الْمَعَالِي
تنادي بعد رقدتها كِلَابَا
ولكنني رجوتُ به الثوابَا

ثم أتاه يوما وهو في مسجد الرسول ، وحوله المهاجرون والأنصار ، فوقف
عليه ثم أنشأ يقول :

أعاذلُ قد عدلتِ بغيرِ علمٍ
ولا تدرين عاذلُ ما ألاقِي

(١) نشدا : طلبا (٢) الأباغر : جمع بهير (٣) الشسب : جمع شاسب وهو النحيف
اليابس . (٤) الرسيم : سير للابل . (٥) الشد هنا : العدو . (٦) اختلط : فسد عقله .

فإِذَا كُنْتَ عَازِلَتِي فِرْدَى كِلَابًا إِذْ تَوَجَّهَ لِلْعِرَاقِ
وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ كِلَابِ غِدَاةٍ غَدِيٍّ وَأَذَنْ بِالْفِرَاقِ
فَتَى الْفَتِيَانِ فِي عُسْرٍ وَيَسْرٍ شَدِيدِ الرُّكْنِ فِي يَوْمِ التَّلَاقِ
فَلَا وَاللَّهِ مَا بَالِيَتْ وَجَدِي وَلَا شَفَقِي عَلَيْكَ وَلَا اشْتِيَاقِي
سَأَسْتَعْدِي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا لَهُ حَجٌّ الْحَجِيجِ عَلَى اتِّسَاقِي
وَأَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا عَلَيْهِ بِيَطْنِ الْأَخْشَبِينَ^(١) إِلَى دُفَاقِ^(٢)

فلما أنشدها عمر بن الخطاب كتب إلى سعد بن أبي وقاص : أن رحل
كلاباً ، فرحله .

فلما قدم دخل إليه فقال : ما بلغ من برك بأبيك ؟ قال : كنت أبره
وأكفيه أمره ، وكنت أعتمد - إذا أردت أن أحلب لبناً - أغزر ناقة في إبله
وأسمها فأسقيه لبنها .

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه . فأدخله يتهادى ، وقد ضعف بصره
وانحنى . فقال له : كيف أنت يا أبا كلاب ؟ قال : كما تراني يا أمير المؤمنين ؛ قال :
فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم ، أشتهى أن أرى كلاباً ، فأشبهه شمةً ، وأضمه ضمةً
قبل أن أموت . فبكى عمر ثم قال : ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى .

ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة كما كان يفعل ، ويبعث إليه بلبنها . ففعل ،
فناوله عمر وقال : دونك هذا يا أبا كلاب . فلما أخذه وأدناه إلى فيه ، قال :
نعم والله يا أمير المؤمنين ، إنى لأشتم رائحة كلاب من هذا الإناء . فبكى عمر وقال :
هذا كلاب عندك حاضراً قد جئت بك به . فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله .

(١) الأخشابان : جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر ، وجبلا منى (٢) دفاق : موضع أوواد .

وجعل عمر يبكي ومن حضره ، وقال لكلاب : ازم أبويك فجاهد فيما
ما بقيا ، ثم شأنك بنفسك بعدها ؛ وأمر له بمطائه وصرفه مع أبيه .
ثم قتل كلاب مع علي بن أبي طالب بصيفين ، وعاش أبوه أمية دهرأ طويلا ،
حتى خرف ، فرر به غلام له كان يرعى غنمه ، وأمية جالس يثو على رأسه التراب ؛
فوقف ينظر إليه ، لما أفاق بصر بالغلام ، فقال :

أصبحتُ لهواً لراعي الضأنِ أُعجبهُ ماذا يرريكَ مني راعي الضأنِ !
انعق بضأنك إني قد قدقتهم بيض الوجوه بني عمي وإخواني

١٦٤ — في يوم اليرموك*

شهد اليرموك ألفُ رجلٍ من أصحاب رسول الله فيهم نحو مائة من أهل بدر،
وكان أبو سفيان يسير فيقفُ على الكَرَادِيسِ^(١) فيقول: اللهُ اللهُ؛ إنكم ذَاذَةٌ^(٢)
العرب وأنصارُ الإسلام، وإنهم ذَاذَةٌ الروم وأنصارُ الشرك؛ اللهم إن هذا يومٌ من
أيامك، اللهم أنزل نصرَك على عبادك.

وأمر خالد عِكْرِمَةَ^(٣) والقَعْقَاعَ^(٤)، فأنشَبَا القتال، وارتجز القَعْقَاعُ وقال:
يا ليتني ألقَيْتُكَ في الطَّرَادِ قبلَ اعْتِرَامِ^(٥) الجَحْفَلِ الوَرَادِ
* وَأَنْتَ في حَلْبَتِكَ الوَرَادِ^(٦) *

وقال عكرمة:

قد علمتْ بهِكْنَةُ^(٧) الجَوَارِي أُنِّي على مَكْرُمَةٍ أُحَامِي

فَنَشِبَ القتال، والتَّحَمَّ الناس، ونطارد الفرسان؛ فإنهم على ذلك إذ قدم
البريد من المدينة فأخذته الخيول، وسأله الخبر، فلم يجبرهم إلا بسلامة، وأخبرهم
عن إمداد؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله، وتأمير أبي عبيدة.

* الطبري: ٤ - ٣٤

(١) الكردوسة: القطعة العظيمة من الخيل (٢) ذادة: جمع ذائد، وهو المدافع
(٣) من صناديد قريش في الإسلام، كان هو وأبوه من أشد الناس على النبي، وأسلم في يوم
الفتح فشهد الوقائع، وولى الأعمال لأبي بكر واستشهد سنة ١٥ هـ (٤) أحد فرسان العرب
وأبطالهم شهد اليرموك، وكان شاعراً فجل مات نحو ٤٠ هـ (٥) الاعترام: الاشتداد وفي
حديث علي «على حين فترة من الرسل واعترام من الفتن» (٦) الحلبة: جماعة الخيل،
والوراد جمع ورد، وهو الفرس بين السكيت والأشقر (٧) البهكنة: الفتاة الفضة.

فأبلغوه خالداً فأخبره خبر أبي بكر أسره إليه ، وأخبره بالذي أخبر به الجند ؛ فقال : أحسنت قف ؛ وأخذ الكتاب ، وجعله في كِنَانَتِهِ ؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف حَمِيمَةَ بن زُنَيْمٍ - وهو الرسول - مع خالد وخرج جَرَجَةَ ^(١) حتى كان بين الصفين ، ونادى : ليُخْرَجْ إلى خالد .

فخرج إليه خالد ، وأقام أبا عبيدة مكانه ، فواقفه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما ، وقد آمن أحدهما صاحبه ؛ فقال جَرَجَةَ : يا خالد ؛ اصدقني ولا تكذبنني فإن الحُرَّ لا يكذب ، ولا تُخَادِعِ عني فإن الكريم لا يُخَادِع ، هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسلمه على قوم إلا هزمتهم ؟ قال : لا ! قال : فيم سُمِّيَت سيف الله ؟ قال : إن الله عز وجل بعث فينا نبيّه ، فدعانا فنقرنا عنه ؛ ونأينا جميعاً ؛ ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقتله ؛ ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ، ودعالي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ؛ فأنا من أشدّ المسلمين على المشركين ، قال : صدقتني ! ثم أعاد عليه جَرَجَةَ : يا خالد ؛ أخبرني إلأم تدعوني ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء من عند الله ؛ قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمعه ! قال : فإن لم يُعْطِها ؛ قال : نُؤذنه بحرب ثم نقاتله ! قال : فما منزلة من يدخل فيكم ويحببكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا .

ثم أعاد عليه جَرَجَةَ : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من

(١) جرجة : مقدم عسكر الروم يوم اليرموك .

الأجر والذخر؟ قال : نعم ، وأفضل ، قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه !
قال : إنا دخلنا في هذا الأمر ، وبايعنا نبينا وهو حتى بين أظهرنا تأتيه أخبارُ
السماء ، ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحُقّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا
أن يُسَلِّمَ ويُبَاعِ ، وإنكم أتممتم ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب
والحجج ، فمن دخل في هذا الأمر بحقيقة ونية كان أفضل منا .

قال جرجة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تآلفني . قال : بالله لقد
صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحدٍ منكم وخشة ، وإن الله لولى ما سألت عنه .
فقال : صدقتني ، وقلب التُّرسَ ومال مع خالد ، وقال : علمني الإسلام ؛ فقال به
خالدٌ إلى فسطاطه^(١) فشنّ عليه قربةً من ماء وصلى ركعتين !

(١) الفسطاط : الخيمة .

١٦٥ — في يوم القادسية *

كان أبو محجن الثقفي^(١) من المعاقرين للخضر ، الحدودين في شربها ، أقام عليه عمر بن الخطاب الحداً مراراً ، وهو لا يتهمى ؛ فنفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه حرسياً^(٢) ، فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص ، وهو في حربه مع الفرس وكانت حرب القادسية .

ولما بلغ ذلك عمر كتب إلى سعد بحبسِه ، فحبسه في القصر ، وتطلع أبو محجن إلى الحرب ، فرآها مشتعلةً ، فذهب إلى سلمى بنت أبي حفص - زوج سعد ، فقال لها: هل لك في خير؟ قالت : وما ذاك؟ قال : تُخلين عني وتُعيريني البلقاء^(٣) ؛ فقله على إن سلمى الله أن أرجع إليك حتى تَضِي رجلى في قيدي ؛ فقالت : وما أنا وذاك؟ فرجع يرُسِفُ في قيوده ، ويقول :

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قت عُناني الحديد وغلقت مصاريع من دوني نُصمُ المُنَاديا
وقد كنتُ ذا مال كثير وإخوةٍ فقد تركوني واحداً لا أخالياً

* مهذب الأغاني : ٢ - ٤٨ ، الخزانة : ٣ - ٥٥٣ ، الأغاني : ٢٠ - ١٣٨ ، الكامل لابن الأثير : ٢ - ٢٣٢ ، المسعودي : ١ - ٤٢٣
(١) أبو محجن اسمه وكنيته على المشهور ، أسلم سنة ٩ هـ ، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وكان جواداً كريماً من الفرسان المشهورين في الجاهلية والإسلام مات سنة ٣٠ هـ
(٢) الحرسى : واحد حرس السلطان (٣) البلقاء : فرس سعد بن أبي وقاص .

وقد شفّ جسمي أني كلّ شارقي^(١) أعالج كنبلاً^(٢) مُصمّماً قد برّانياً
فله دري يوم أترك موثقاً وتذهّل عني أسرتي ورجاليا!
حييساً عن الحرب العوان وقد بدتْ وإعمال غيري يومَ ذاك العواليأ
ولله عهدٌ لا أخيسُ^(٣) بعهدِه لئن فرجتْ ألا أزورَ الحوانيا^(٤)
فقلت له سلمي : إني استخرتُ الله ورضيتُ بعهدك ، وأطلقته .

فاقتاد أبو محجنَ الفرس ، وأخرجها ثم ركبها ، ودبّ عليها ، وفي ذلك اليوم
أظهر من شجاعته عجباً . ولما تحاجزَ أهلُ العسكرين أقبل أبو محجن حتى دخل
القصر ، ووضع نفسه عن الدابة ، وأعاد رجله في القيد وقال :

لقد علمتْ تبيفَ غيرِ فخرٍ بأنّا نحنُ أكرمهمُ سيوفاً
وأكثرهمُ دروعاً سابغاتٍ وأصبرهمُ إذا كرهوا الوقوفاً
فإن أُحبسَ فقد عرفوا بلأبي وإن أطلقَ أجرعهمُ حتوفاً

فقلت له سلمي : يا أبا محجن ؛ في أيّ شيء حبسك هذا الرجل ؟ فقال :
أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنني كنتُ صاحبَ شراب في
الجاهلية ؛ وأنا امرؤ شاعر ، يدبّ الشعر على لساني ، فينفثه أحياناً ، فحبسني
لأنني قلت :

إذا ميتَ فادفني إلى أصلِ كرميةٍ تروى عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني بالفلاة^(٥) فإنني أخافُ إذا ماتتُ ألا أدوقها

فذهبت إلى سعد وأخبرته خبر أبي محجن ، فدعا به وأطلقه ، وقال : اذهب
فأنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ؛ فقال : والله لا أجبت لساني إلى قبيح أبداً .

(١) أصل الشارق : اليوم الذي فيه الشمس ، والمراد كل يوم (٢) الكبل : القيد
(٣) خاس بالعهد : غدر ونكث (٤) الحانية : الذكان ، وهو يريد أمكنة بيع الخمر
(٥) الفلاة : الأرض المهلكة .

١٦٦ - في فتح نهاوند *

بعث عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه السائبَ بن الأقرع مولى ثَقِيفَ ، وكان رجلاً كاتباً حاسباً ، فقال : الحق بهذا الجيش - جيش المسلمين بنهاوند - فكن فيهم ، فإن فتح الله عليهم فاقسم على المسلمين فيهم ، وخذ خمسَ الله وخمسَ رسوله ، وإن هذا الجيشُ أُصيبَ فاذهب في سوادِ الأرضِ فبطنُ الأرضِ خيرٌ من ظهرها .

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نهاوند أصابوا غنائمَ عظماً ، فوالله إني لأقسِم بين الناس إذ جاءني عِلْجٌ من أهلها ، فقال : أتؤمنني على نفسي وأهلي وأهل بيتي على أن أدلك على كُنوز آل كسرى تكون لك ولصاحبك ولا يشرَكَك فيها أحد ؟ قلت : نعم ! قال : فابعث معي من أدله عليها ، فبعثت معه ، فأتى بسَظَطينَ عظيمين ليس فيهما إلا اللؤلؤُ والزَّبَرُ جَدُ والياقوت ،

فلما فرغت من قَسَمي بين الناس احتملتها معي ، ثم قدمتُ على عمر بن الخطاب فقال : ما وراءك ياسائب ؟ فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ؛ فتح الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان^(١) بن مقرن رحمه الله ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ثم بكى فنشج^(٢) .

* الطبري : ٤ - ٢٣٢

(١) صحابي فآخ من الأمراء القادة الشجعان ، فتح القادسية ، وولاه عمر لأمرة الجيش ففزا أسبهان ففتحها ، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة ٢١ هـ . (٢) نشج الباكي : غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

فلما رأيت ذلك قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل
يُعرف وجهه !

ثم قام ليدخل ، فقلت : إن معي مالاً عظيماً قد جئتُ به ، ثم أخبرته خبر
السفطين ، فقال : أدخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما ، والحق بجدك ،
فأدخلتهما بيت المال ، وخرجت سريعاً إلى الكوفة .

وبات تلك الليلة التي خرجتُ فيها ، فلما أصبح بعثَ في أثرِي رسولا ،
فوالله ما أدركني حتى دخلتُ الكوفة ، فأنحْتُ بعيري وأناخ بعيره على عُرقوبِي
بعيري ، فقال : الحق بأمير المؤمنين ؛ فقد بعثني في طلبك ، فلم أقدر عليك إلا الآن !
قلت : ويحك ! ماذا ؟ ولماذا ؟ قال : لا أدري والله .

فركبتُ معه حتى قدمتُ عليه ؛ فلما رأني قال : مالي ولا بن أم السائب ؟
بل ما لابن أم السائب ومالي ؟ قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك !
والله ما هو إلا نمتُ في الليلة التي خرجتُ فيها فباتت ملائكة ربي تسجني إلى
ذينك السفطين يشتعلان ناراً ، يقولون : لنكوينك بهما ، فأقول : إني سأقسمهما
بين المسلمين ، فخذها عنى لا أبالك ، والحق بهما فبعهما في أعطيات المسلمين وأرزاقهم !

فخرجتُ بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة ، فابتاعهما مني عمرو بن
حريث الخزوميّ بألفي درهم ، ثم خرج بهما إلى أرض الأعاجم فباعهما بأربعة
آلاف ألف .

١٦٧ — عمرو بن العاص وأحد كفار العجم*

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية^(١) سار حتى نزل غزوة؛ فبعث إليه عليّ بن أبي طالب^(٢) :
أن ابعث إلى رجلًا من أصحابك أكلّمه؛ ففكر عمرو وقال : ما لهذا
أحد غيري .

فخرج حتى دخل على العليّ فكلّمه؛ فسمع كلاماً لم يسمع قطّ مثله، فقال
العليّ : حدثني؛ هل في أصحابك أحدٌ مثلك؟ قال : لا تسأل عن هذا! إني
هين عليهم؛ إذ بعثوا بني إليّك، وعرضوني لما عرضوني له، ولا يدرون
ما تصنع بي .

فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب : إذا مرّ بك فاضرب عنقه،
وخذ ما معه .

فخرج من عنده؛ فمر برجل من نصارى غسان، فعرفه، فقال : يا عمرو :
قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج! فقطن عمرو لما أراه، فرجع! فقال له الملك :
ما ردك إلينا؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتني، فلم أجِدْ ذلك يسعُ بني عمي، فأردتُ
أن آتيك بعشرة منهم، تعطيمهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً

* المقعد الفريد : ١ - ١٤٦

(١) بلدة بفلسطين .

(٢) العليّ : الرجل من كفار العجم .

من أن يكونَ عند واحد! فقال: صدقتَ، أعجلُ بهم! وبعثَ إلى البواب:
أنْ خلَّ سبيله!

فخرج عمرو وهو يلتفتُ، حتى إذا أمِنَ، قال: لاعدتُ إلى
مثلها أبداً!

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العُججُ، قال له: أنت هو؟ قال: نعم، علي
ما كان من غدرك!

١٦٨ — عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين *

بعث عمرُ سلمة بن قيس الأشجعيّ إلى طائفةٍ من الأكراد كانوا على الشرك؛ فخرج إليهم في جيش أرسله معه من المدينة .

فلما انتهى إليهم دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الجزية ، فأبوا ، فقاتلهم فنصره الله عليهم ؛ فقتل المقاتلة ؛ وسبى الذرية ، ووجد حليةً وفصوصاً وجواهر ، فقال لأصحابه : أنطيبُ أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين ؛ فإنه غيرُ صالحٍ لكم ، وإنَّ على أمير المؤمنين لثبوتاً وأثقالاً ، قالوا : نعم ، قد طابت أنفسنا .

فجمل الجواهر في سَقَطٍ^(١) ، وبعث به مع واحد من أصحابه ، وقال له : سِرْ فإذا أتيتَ البصرةَ فاشترِ راحلتين فأوقِرهما^(٢) زاداً لك ولغلامك ، وسِرْ إلى أمير المؤمنين .

قال : ففعلتُ فأتيتُ عمر وهو يُعَذِّدُ الناس قائماً متكئاً على عصا كما يصنع الراعي ، وهو يدور على القصاع ؛ فيقول : يا يَرْقَا^(٣) ، زد هؤلاء لحماً ، زد هؤلاء خُبْزاً ، زد هؤلاء مَرَقَةً .

فجلستُ في أذني الناس ، فإذا طعامٌ فيه خُسُونَةٌ ، طعامي الذي معي أطيبُ منه . فلما فرغ أدبَرُ فاتبعتهُ ، فدخل داراً فاستأذنت ، ولم أعلم حاجبه من أنا ، فأذن لي ، فوجدته في صَفَّةٍ^(٤) جالساً على مِسْحٍ^(٥) متكئاً على وسادتين من

* ابن أبي الحديد : ٣ : ١٥٧

(١) السقط : كالجوارق أو كالكفة ، جمع أسقاط (٢) أوقر الدابة : حملها (٣) يرقاً : مولى عمر بن الخطاب (٤) الصفة من البنيان : شبه البهو الواسع (٥) المسح : نوب من الشعر غليظ .

أَدَمَ ^(١) مَحْشُوتَيْنِ لَيْفًا ، وَعَلَيْهِ سِتْرٌ مِنْ صُوفٍ ، فَنَبَذَ إِلَى إِحْدَى الْوَسَادَتَيْنِ ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِمَا .

فَقَالَ : يَا أُمَّ كَلْثُومَ ، أَلَا تُفْعِدُونَنَا ؟ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْهِ خُبْزَةً ^(٢) بَزِيَّتٍ فِي عَرَضِهَا مِلْحٌ لَمْ يَدُقْ ، فَقَالَ : يَا أُمَّ كَلْثُومَ ، أَلَا تَخْرُجِينَ إِلَيْنَا تَأْكُلِينَ مَعَنَا ؟ فَقَالَتْ : إِنِّي أَسْمَعُ عِنْدَكَ حِسَّ ^(٣) رَجُلٍ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَلَا أَرَاهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ . فَقَالَتْ : لَوْ أَرَدْتَ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى الرَّجَالِ لَكَسَوْتَنِي كَمَا كَسَا الزَّيْبُرُ امْرَأَتَهُ ، وَكَمَا كَسَا طَلْحَةَ امْرَأَتَهُ !

قَالَ : أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْتِ أُمَّ كَلْثُومَ ابْنَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَزَوْجَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؟ قَالَتْ : إِنْ ذَاكَ عِنْدِي لَقَلِيلُ الْغِنَاءِ ! ثُمَّ قَالَ : كُلِّي ، فَلَوْ كَانَتْ رَاضِيَةً لِأَطْعَمَتِكَ أَطْيَبَ مِنْ هَذَا . فَأَكَلَتْ قَلِيلًا ، وَطَعَامِي الَّذِي مَعِيَ أَطْيَبُ مِنْهُ . وَأَكَلْ ، فَمَا رَأَيْتِ أَحَدًا أَحْسَنَ أَكْلًا مِنْهُ ، مَا يَتَلَبَّثُ ^(٤) طَعَامُهُ بِيَدِهِ وَلَا فَمَهُ .

ثُمَّ قَالَ : اسْقُونَا ؛ فَحَاءُوا بِعُسٍّ ^(٥) مِنْ سُلْتٍ ^(٦) ، فَقَالَ : اشْرَبِي ، فَشَرَبْتُ قَلِيلًا ، وَإِنَّ سَوِيقِي الَّذِي مَعِيَ لِأَطْيَبُ مِنْهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ فَشَرَبَهُ حَتَّى قَرَعَ الْقَدْحُ جِبْهَتَهُ .

ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا فَأَشْبَعَنَا ، وَسَقَانَا فَأَرْوَانَا ؛ إِنَّكَ يَا هَذَا الضَّعِيفَ الْأَكْلَ ضَعِيفُ الشَّرْبِ .

(١) الأدم : جمع للأديم : وهو الجلد
والملة : الرماد والتراب الذي أوقد فيه النار
(٢) الخبزة : مجين يوضع في الملة حتى ينضج ،
(٣) الحس : الصوت الخفي (٤) لا يتوقف
(٥) العس : القدح العظيم
(٦) السلت : الشعير .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن لي حاجة ، قال : ما حاجتك ! قلت : أنا رسول سلامة ابن قيس قال : مرحباً بسلامة ورسوله ، فكأنما خرجت من صلبه - حدّثني عن المهاجرين كيف هم ؟ قلت : كما تحبُّ - يا أمير المؤمنين - من السلامة والظفر والنصر على عدوهم . قال : كيف أسعارهم ؟ قلت : أرخص أسعار ؛ قال : كيف اللحم فيهم فإنه شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا على شجرتها ؟ قلت : البقرة فيهم بكذا ، والشاة فيهم بكذا . ثم قلت : سرّنا يا أمير المؤمنين حتى لقينا عدوّنا من المشركين ، فدعوناهم إلى الذي أمرت به من الإسلام فأبوا ، فدعوناهم إلى الخراج فأبوا ؛ فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرية ، وجمعنا الثروة ، فرأى سلمة في الأموال حليةً ، فقال للناس : أنطيب أنفسكم أن أبعث بها إلى أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ! ثم استخرجت سقّطى ففتحتّه .

فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأخضر وأصفر ، وثب وجعل يده في خاصرته يصيح صياحاً عالياً ويقول : لا أشبع الله إذن بطن عمر - يُكْرَرُهَا !

فظنّ النساء أنّي جئت لأغتاله ، فجنّنت إلى الستر فكشفتّه ، فسمعه يقول : لفّ ما جئت به ، يا يرفأ ، جأ عنقه ^(١) ! فأننا أصلح سقّطى ، ويرفأ بجأ عنق !

ثم قال : النجاء النجاء ! قلت : يا أمير المؤمنين فاحلني ! فقال : يا يرفأ ، أعطه راحلتين من إبل الصدقة ، فإذا لقيت أحداً أفقر إليهما منك فادفعهما إليه .

(١) وجأت عنقه : ضربته .

وقال : أظنك سَتْبَطِيٌّ ، أما والله لئن تفرَّق المسلمون في مشاتهم قبل أن
يُقَسَّم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة^(١) !

قال : فارتحلتُ حتى أتيتُ إلى سلمة بن قيس ، فقلت : لا بارك الله فيما
اختصصتني به ! أقسم هذا في الناس قبل أن تصيبني وإياك فاقرة ، فقسّمه فيهم ،
فكان الفصُّ يُباعُ بخمسة دراهم وبستة وهو خير من عشرين ألفاً

(١) الفاقرة : الداهية .

١٦٩ — قد كاد أميركم يهلك *

لما تكامل للمسلمين فتوح الشام ؛ وأقاموا على دمشق شهراً ؛ جمع قائدهم -
أبو عبيدة - أمراء المسلمين واستشارهم في المسير إلى قيسارية^(١) أو إلى بيت المقدس ،
فقال معاذ بن جبل : أيها الأمير ؛ اكتب إلى أمير المؤمنين عمر ؛ فخيثُ أمرُك
فامتثلهُ . فقال له : أصببت الرأيَ يا معاذ !

ثم كتب إلى أمير المؤمنين عُمر يعلمه بذلك ، وأرسل الكتاب مع عرفة
ابن ناصح النخعي^(٢) ، فسار حتى وصل إلى المدينة ؛ فسلم الكتاب إلى عمر .
فقرأه على المسلمين واستشارهم ، فقال علي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين ،
مُرَّ صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس ، فإذا فتح الله بيت المقدس
صرف وجهه إلى قيسارية فإنها تفتح بعدها إن شاء الله .
فدعا عمر بدواة وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . من عُمر إلى عامله بالشام
أبي عبيدة .

« أما بعد ، فإنني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلى على نبيه . وقد
وصل إلى كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجّه ؟ وقد أشار ابنُ عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمسيرِ إلى بيت المقدس ، فإنَّ الله يفتحها على يديك ،
والسلام . »

* المستطرف : ٢ - ١٥

(١) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال فلسطين (٢) النخعي : نسبة إلى
نخع ، وهي قبيلة باليمن .

فلما وصل الكتابُ إلى أبي عبيدة قرأه على المسلمين ؛ ففرحوا بالمسير إلى
بيت المقدس وتقدّمه الجيشُ إليها ، وأقام المسلمون في القتال عشرة أيام ، وأهلُ
بيت المقدس يُظهرون الفرح وعدم الخوف .

فلما كان اليوم الحادى عشر أشرفت عليهم رايةُ أبي عبيدة ، وخالدٌ عن يمينه
وعبدُ الرحمن بن أبي بكر عن يساره ؛ فضجَّ الناس بالتهليل والتكبير ، ووقع
الرُّعبُ في أهل بيت المقدس فاجتمعوا بقمامة ، وهي البيعةُ ^(١) المعظمة عندهم .

فلما وقفوا بين يدي البطرِك ^(٢) قال لهم : ما هذه الضجة التي أسمعُ ؟ قالوا :
قد قدّمَ أميرُ المؤمنين بيقية المسلمين .

فلما سمع ذلك تربَّد ^(٣) وجهه ، وقال : إننا وجدنا في علمنا الذي ورثناه : أن
الذي يفتح الأرضَ هو الرجل الأحمر ، صاحبُ نبيهم محمد ؛ فإن كان قدّم عليكم
فلا سبيلَ إلى قتاله ، ولا بدّ أن أُشرفَ عليه ، وأنظرَ إلى صفته ؛ فإن كان هو
أجبتُهُ إلى ما يريد ، وإن كان غيره فلا بأس عليكم .

ثم وثب قائماً والقسس والرهبان من حوله ، وقد رفعوا الصليبان على رأسه ؛
فصعدوا إلى السور إلى أن ورد أبو عبيدة ، فناداهم رجل من الروم : يامعاشر المسلمين ؛
كفّوا عن القتال حتى نسألكم !

فأمسك المسلمون عنهم فناداهم بلسانٍ عربي : اعلموا أن الرجل الذي يفتحُ

(١) البيعة : متعبد النصارى ، وجمعها بيع ، وقامة : كانت كنيسة للنصارى بدمشق ، ولهم فيها
مقبرة يسمونها القيامة ، ويروون أن المسيح قامت قيامته فيها (٢) البطرِك : مقدم النصارى .
(٣) تربد . تغير .

بلدتنا هذه صِفَتُهُ عندنا ؛ فإن كانت في أميركم لم تقاتلكم ؛ بل نسلم إليكم
وإن لم تكن هذه صِفَتُهُ فلا نسلم إليكم أبداً .

فأعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك ؛ فخرج أبو عبيدة إليهم إلى أن حاذاهم ، فنظر
إليه البَطْرُكُ مَلِيًّا ، ثم قال : ليس هو الرجل ؛ فأبشروا وقاتلوا عن دينكم
وحرِّمكم .

وكان نزولُ المسلمين على بيت المقدس في فصل الشتاء والبردِ ، فأقاموا أربعة
أشهر في أشدِّ قتال .

فلما نظر أهلُ بيتِ المقدسِ إلى شدَّةِ الحصار ، ورأوا ما حلَّ بهم من المسلمين ،
وقفوا بين يدي البَطْرُكِ ، وقالوا : قد عَظُمَ الأمر ، ونريدُ منك أن تشرفَ على القوم
وتسألَ : ما الذي يريدون ؟ فإن كان أمراً صَعَباً فتحننا الأبوابَ ، وخرجنا إليهم ،
فإما أن نُقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا .

فأجابهم البَطْرُكُ إلى ذلك ، وصعد في السور ، واجتمع القسيسون والرهبانُ حوله
ونادى رجل : يامعشر الفُرْسَانِ ، عُمَدَةُ دين النصرانية قد أقبل يخاطبكم ، فليدُنْ
منا أميرُكم .

فقام أبو عبيدة يمشى ، ومعه جماعة من أصحاب رسول الله ، فلما وقف يباينهم
قال : ما الذي تريدون ؟ قال البَطْرُكُ : إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا
إلى فتح بلدتنا ، وإنما يفتحها رجلٌ ليس معكم !

قال أبو عبيدة : وما صفةُ من يفتحُ بلدكم ؟ قالوا : لا نخبركم بصفته ! ولكن

قرأنا أن هذا البلد يفتحه صاحبُ محمدٍ يعرف بالفاروق^(١) لاتأخذه في الله لومة لائم،
ولسنا نرى صفته فيكم .

فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال : فتحنا البلد ورب الكعبة اثم
أقبل على البطرك وقال : إن رأيت الرجل تعرفه ؟ قال : نعم ! وكيف
لا أعرفه .

قال أبو عبيدة : هو والله خليفتنا وصاحبُ نبينا . قال : فإذا كان الأمرُ على
ما ذكرت فاحقن الدماء ، وابعثْ إلى صاحبك ، فإذا رأيناه وتبيننا نعتَه ، فتحنا له
البلد ، وأعطيناه الجزية .

فانصرف أبو عبيدة وأمر الناس بالكف عن القتال ، وكتب إلى عمر يعلمه
بالخبر .

فلما وصل إليه الكتاب قرأه على المسلمين ، وقال : ما ترؤن - رحمكم الله -
فيما كتب إلينا أمين^(٢) الأمة ؟ فكان أول من تكلم عثمان بن عفان ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أذل الروم ، فإن أنت أقت ولم تسر إليهم علموا أنك بأمرهم
مستخف ، فلا يثبتون إلا يسيراً .

فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيراً ، وقال : هل عند أحدٍ منكم رأى
غير هذا ؟ فقال علي بن أبي طالب : نعم ، عندي غير هذا الرأي ، وأنا أبديه إليك .
فقال له عمر : وما هو يا أبا الحسن ؟ قال : إن القوم قد سألوك ، وفي سؤالهم ذل ،
وهو على المسلمين فتح ، وقد أصابهم جهد^(٣) عظيم ، من البرد والقتال ، وطول المقام

(١) لقب عمر بن الخطاب (٢) هو أبو عبيدة (٣) الجهد : المشقة .

وإن سرت إليهم فتح الله على يديك هذه المدينة ، وكان لك في مسيرك الأجر العظيم ،
ولست آمن منهم أنهم إذا يتسوا منك أن يأتيهم المدد من طاغيتهم ؛ فيحصل
للمسلمين بذلك الضرر . فالرأى أن تسير إليهم .

فقال عمر : لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو ، وأحسن علي النظر
للمسلمين ؛ جزاها الله خيراً ، ولست آخذ إلا بمشورة علي ؛ فاعرفناه إلا محمود
المشورة ، مئبون الطلعة .

ثم إن عمر أمر الناس أن يأخذوا الأهبة للمسير معه ، واستخلف على المدينة
علي بن أبي طالب ، وخرج على بعير له أحمر ، عليه غرارتان ^(١) ؛ في إحداهما
سويق ، وفي الأخرى تمر ، وبين يديه قرية ، وخلفه جفنة للزاد .

وسار إلى أن أقبل على بيت المقدس ، فتلقاه أبو عبيدة ؛ فلما رآه أناخ قلوصله ^(٢) ،
وأناخ عمر بعيره ، وترجلاً ، ومد أبو عبيدة يده ، وصافح عمر ، وأقبل المسلمون يسلمون
على عمر ، ثم ركبوا جميعاً إلى أن نزلوا ، فصلى عمر بالمسلمين صلاة الفجر ، ثم خطبهم ،
فلما فرغ من خطبته جلس وأبو عبيدة يحدثه بما أتى من الروم إلى أن حضرت
صلاة الظهر ، فأذن بلال في ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ! خشعت جوارحهم ،
واقشعرت أبدانهم ، وحينما قال : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً
رسول الله » بكى الناس بكاء شديداً عند ذكر الله وذكر رسوله ، فلما فرغ من
الأذان صلى عمر ، وجلس ، ثم أمرهم بالركوب .

وركب هو - وكانت عليه مرقعة الصوف - فقال المسلمون : يا أمير المؤمنين ،

(١) الفرارة : الجوالق (٢) القلوس من الإبل : الشابة .

لو ركبت غير بعيرك هذا جواداً ، ولبست ثياباً لكان أعظم لهيبتك في قلوب أعدائك ! وأقبلوا يسألونه ويتلفون^(١) إلى أن أجابهم إلى ذلك ، ونزع مرقعته ، ولبس ثياباً بيضا ، وطرح على كتفيه منديلان من الكتان دفعه إليه أبو عبيدة ، وقدم له برذوناً^(٢) أشهب من براذين الروم .

فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج^(٣) به ؛ فلما نظر عمر إلى ذلك نزل مسرعاً ، وقال : أَيْلُونِي ؛ أقال الله عثراتكم يوم القيامة ! لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر !

ثم إنه نزع ثيابه وعاد إلى لبس مرقعته ، وركوب بعيره ، فعلمت ضجة المسلمين ، فقال البطرک لقومه : انظروا : ما شأن العرب .

فأشرف رجل منهم ، فقال : يا معشر العرب ، ما شأنكم ؟ قالو : إن عمر بن الخطاب قد قدم إلينا . فرجع هذا وأعلم البطرک ، فأطرق ولم يتكلم . فلما كان الغد صلى عمرُ بالمسلمين ، ثم قال لأبي عبيدة : تقدم وأعلمهم أني قد أتيت .

فخرج أبو عبيدة وصاح بهم : إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى ، فما تصنعون ؟ قال البطرک : قل له يدنو منا ، فإننا نعرفه بصفاته ونعته ؛ وأفردوه من بينكم حتى نراه .

فرجع أبو عبيدة إلى عمر ، فأخبره بما قال ، فهمَّ عمر بالقيام فقال له بعض أصحابه : يُخشى عليك من الانفراد بلا عُدّة .

(١) تطفوا وتلاطفوا : رفقوا (٢) البرذون : الدابة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نجاج العراب (٣) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة .

فقال عمر : لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ثم لبس مرقعته وركب بعيره ، وأبو عبيدة سائر بين يديه إلى أن أتى بإزاء البطررك قريبا من الحصن .

فقال أبو عبيدة : هذا أمير المؤمنين ! فمدَّ البطررك عنقه ونظر إليه فزَعَقَ ^(١) ، وقال : هذا والله الذي صفته في كتبنا !

ثم قال : يا أهل بيت المقدس ، انزلوا إليه ، وخذوا منه الأمان والذمة ، فهذا والله صاحب محمد .

فنزّلوا مسرعين ، وكانت أنفسهم قد ضاقت من شدّة الحصار ، وفتحوا الباب ، وخرجوا إلى عمر يسألونه العهد .

فلما رآهم عمر على تلك الحالة خرَّ لله ساجداً على قتب ^(٢) بعيره ، ثم أقبل عليهم وقال : ارجعوا إلى بلدكم ولكم العهد .

فرجع القوم إلى البلد ولم يُغلقوا الأبواب ، ورجع عمر .

فلما كان الغد دخل عمر إليها ، وخطب بها محرّابا ^(٣) وأقر أهلها على عهدهم ، وأداء الجزية ^(٤) .

(١) زعق : صاح (٢) القتب : البرذعة على قدر سنام البعير (٣) المحراب : مقام الإمام من المسجد ، والموضع ينفرد به الملك فيتباعه عن الناس (٤) الجزية : خراج الأرض ، وما يؤخذ من الذي .

١٧٠ — عند ملك الصين *

أَوْغَلُ قُتَيْبَةَ^(١) بن مسلم حتى قَرُبَ من الصين . فكتب إليه ملكُ الصين .
أن ابعث إلينا رجلاً من أَشْرَفِ مَنْ مَعَكُمْ يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم .
فانتخب قُتَيْبَةً من عسكره اثني عشر رجلاً ، لهم جمال وأجسام والسُنَّ وشعور
وبأس ، فكلّمهم قُتَيْبَةَ وفأطنهم^(٢) ، فرأى عقولا وجمالا ؛ فأمر لهم بعدة حسنة من
السلح والمتاع الجيد من الوشَى والرقيق والنعال والعطر ، وحملهم على خيول مُطَهَّمة
تقَادُ معهم ودوابَّ يركبونها .

وكان هُبَيْرَةُ^(٣) بن المُشَمَّرَجِ الكلابي مفوّهاً ، فقال له : يا هُبَيْرَةُ ؛ ماذا أنت
صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قل ما شئت أَقْلُهُ وآخذ به ؛ قال : سيروا على
بركة الله وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمام عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه
فأعلموه أني قد خلفت ألا أنصرف حتى أطأ بلادهم وأجبي خراجهم .

فساروا وعليهم هبيرة بن المُشَمَّرَجِ ، فلما قدموا أرسل إليهم ملك الصين يدعومهم ،
فدخلوا الخِمْام ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً تحتها الغلائل ، ثم مسوا الغالية^(٤) ،
ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه ، وعنده عطاء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم
يكلمهم هو ولا أحدٌ من جلسائه ، فنهضوا .

* تاريخ الطبري : ٨ - ١٠٠

(١) أمير فاتح من رجال العرب ، اتصل بالوليد بن عبد الملك فولاه خراسان ، وغزا أطراف
الصين وضرب عليها الجزية ، واستمرت ولايته ١٣ سنة وقتل سنة ٥٩٦ هـ (٢) فاطنه في الكلام :
راجمه (٣) كان مع قُتَيْبَةَ حين غزا الصين وتوفى بفارس سنة ٥٩٦ هـ (٤) الغالية : الطيب .

فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ما هم إلا نساء ،
ما بقي منا أحدٌ حين رآهم إلا وجدناهم .

فلما كان الغد أرسل إليهم ، فلبسوا الوشَى وعمائم الخَزِّ والمطَّارِفَ ^(١) ، وغَدَّوا
عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا فقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا :
هذه الهيئة أشبهُ بهيئة الرجال .

فلما كان اليومُ الثالثُ أرسل إليهم فشدَّوا عليهم سلاحهم ، ولبسوا البِيضَ
والمغافِرَ ^(٢) ، وتقلدوا السيوف ، وأخذوا الرماح ، وتكَبَّروا ^(٣) القسَى ، وركبوا
خيولهم وغدوا ! فنظر إليهم صاحبُ الصين ، فرأى أمثال الجبال مقبلةً ، فلما دنوا
رَكَزُوا رماحهم ، ثم أقبلوا مشمرين ، فقيل لهم قبل أن يدخلوا : ارجعوا ، لما دخل
قلوبهم من خوفهم .

فانصرفوا فركبوا خيولهم وحملوا رماحهم ، ثم دفعوا خير لهم تأتهم يتطاردون بها ،
فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهاهم ؟ قالوا : ما رأينا مثل هؤلاء قط !

فلما أرسل إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، بعثوا إليه هبيرة ،
فقال له حين دخل عليه : قد رأيتم عظيمَ ملكي ، وأنه ليس أحدٌ يمكنكم مني
وأتم في بلادى ، وإنما أتم بمنزلة البِيضِ في كفى ، وأنا سألتك عن أمر فإن لم
تصدقني قتلتك . قال : سل ، قال : لم صنعتم ما صنعت من الزمى في اليوم الأول
والثاني والثالث ؟ قال : أما زينا الأول فلباسنا في أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا
الثاني فإذا أتينا أمراءنا ، وأما اليوم الثالث فزيُّنا لعدونا ، فإذا هاجنا هيَّج

(١) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام ، وجمه مطارف . (٢) البيضة : الحوزة ،
وجمه بيض ، والمغافر : جمع مفغر : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة ، أو حلق يتقنع بها للتسلح
(٣) تكب قوسه : ألقاه على منكبه .

وفزعُ كُنَّا هكذا . قال : ما أحسن ما دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ ! فانصرفوا إلى صاحبكم ،
فقولوا له ينصرف ؛ فإنني قد عرفتُ حِرْصَهُ وَقِلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وإلا بعثتُ عليكم مَنْ
يهلككم ويهلكه .

قال له : كيف يكون قليل الأصحاب مَنْ أولُ خيله في بلادك وآخرها في
منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً مَنْ خَلَّفَ الدنيا قادراً عليها وغزاًك ؟
وأما تخويفُك إيانا بالقتل فإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلسنا
نكرهه ولا نخافه .

قال : فما الذي يَرْضَى صاحبك ؟ قال : إنه قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ
أرضكم ويُعطى الجزية . قال : فإننا نخرجه من يمينه ونبعث إليه بتراب من تراب
أرضنا فيطوئه ، ونبعث إليه بجزية يرضاها ؛ ثم دعا بصِحَافٍ من ذهب فيها تراب ،
وبعث بحريز وذهب ، ثم جزاهم فأحسن جوائزهم ؛ فساروا فقدموا بما بعث به فقبل
قُتَيْبَةَ الْجَزِيَةِ وَوَطِئَ التُّرَابَ .

١٧١ — إنك ابني *

قال رجل من أهل الكوفة : كنا مع مسّلة^(١) بن عبد الملك ببلاد الروم ، فسبى سبياً كثيراً ، وأقام يبيع المنازل ، فعرض السبى على السيف ، فقتل خلقاً كثيراً ، حتى عرض عليه شيخ ضعيف ، فأمر بقتله .

قال : ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلي ؛ إن تركتني جئتك بأسيرين من المسلمين شابين . فقال : ومن لي بذلك ؟ قال : إني إذا وعدتُ أوفيتُ . قال : لستُ أثق بك . قال : فدعني أطوفُ في عسكري ، لعل أعرّف من يكفاني إلى أن أمضى وأجىء بالأسيرين . فوكل به من طاف معه في عسكريه ، والاحتفاظ به .

فما زال الشيخ يطوف ويتصفح الوجوه ، حتى مرّ بفتى من بني كلاب قائماً يحسن فرسه ، فقال : يا فتى ، اضمني من الأمير ؛ وقبص عليه قصته . قال : أفعل . وجاء الفتى معه إلى مسّلة فضمنه ، فأطلقه مسّلة . فلما مضى قال : أتعرفه ؟ قال : لا والله . قال : ولم ضمنته ؟ قال : رأيتُه يتصفح الوجوه ، فاختراني من بينهم ، وكرهت أن أخلف ظنه .

فلما كان من الغد عاد الشيخ ، ومعه أسيران من المسلمين شابان ، دفعهما إلى

* الفرج بعد الشدة : ١ - ٨٢

(١) أمير قائد من أبطال عصره ، ولاء أخوه يزيد لأمرة العراقيين ، ثم أرمينية ، ومات بالشام سنة ١٣٠ هـ .

مسلمة وقال : يَا ذَنْ الْأَمِيرِ فِي هَذَا الْفَتَى أَنْ يَصِيرَ مَعِيَ إِلَى حِصْنِي لِأَكْفَنَهُ عَلَى
فَعَلَهُ مَعِيَ . قَالَ مُسَلِمَةٌ : إِنْ شِئْتَ فَاْمُضْ مَعَهُ .

فَلَمَّا مَضَى وَصَارَ مَعَهُ إِلَى حِصْنِهِ ، قَالَ لَهُ : تَعْلَمُ وَاللَّهِ يَا فَتَى أَنْكَ ابْنِي ؟ قَالَ :
وَكَيْفَ أكونُ ابْنَكَ ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ مِنَ الرُّومِ نَصْرَانِي ؟
قَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ أُمَّكَ مَنْ هِيَ ؟ قَالَ : رُومِيَّةٌ . قَالَ : فَإِنِّي أَصْفُهَا لَكَ ، فَبِاللَّهِ إِنْ صَدَقْتُ
إِلَّا صَدَقْتَنِي . قَالَ : أَفْعَلُ .

فَأَقْبَلَ الرُّومِيَّ يَصِفُ أُمَّهُ مَا خَرَّمَ مِنْ صِفَتِهَا شَيْئًا . فَقَالَ : هِيَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ
عَرَفْتَ أَنِي ابْنُهَا ؟ قَالَ : بِالشَّبهِ وَتَعَارُفِ الْأَرْوَاحِ وَصِدْقِ الْفِرَاسَةِ . ثُمَّ أَخْرَجَ
إِلَيْهِ امْرَأَةً ، فَلَمَّا رَأَاهَا الْفَتَى لَمْ يَشْكُ فِي أَنَّهَا أُمَّهُ لِشَدَةِ شَبْهِهَا بِهَا ، وَخَرَجَتْ مَعَهَا
عَجُوزٌ كَأَنَّهَا هِيَ ، فَأَقْبَلْنَ يُقْبَلْنَ رَأْسَ الْفَتَى ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : هَذِهِ جَدَّتُكَ ،
وَهَذِهِ خَالَتُكَ .

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ حِصْنِهِ ، فَدَعَا بِشَبَابٍ فِي الصَّحْرَاءِ ، فَأَقْبَلُوا فَكَلَّمَهُم بِالرُّومِيَّةِ ،
فَجَعَلُوا يَقْبَلُونَ رَأْسَ الْفَتَى وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَخْوَالُكَ وَبَنُو خَالَتِكَ ،
وَبَنُو عَمِّ وَالِدَتِكَ ؛ ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيْهِ جَلْبًا^(١) كَثِيرًا وَثِيَابًا فَالْخَرَةَ ؛ فَقَالَ : هَذَا لَوْلَدَتِكَ
عِنْدَنَا مِنْذُ سُبَيْتٍ ، فَخَذَهُ مَعَكَ ، فَادْفَعَهُ إِلَيْهَا ، فَإِنَّهَا سَتَعْرِفُهُ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ لِنَفْسِهِ مَالًا
كَثِيرًا ، وَثِيَابًا جَلِيلَةً ، وَحَمَلَهُ عَلَى عِدَّةِ دَوَابٍ وَبِغَالٍ وَالْحَقَّ بِمُسْكِرٍ مُسَلِمَةٍ
وَانصَرَفَ .

فَأَقْبَلَ الْفَتَى قَافِلًا حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَأَقْبَلَ يَخْرُجُ الشَّيْءَ بَعْدَ الشَّيْءِ مِمَّا عَرَفَهُ
الشَّيْخُ أَنَّهُ لِأُمَّهُ ، فَتَرَاهُ فَتَبْكِي ، فَيَقُولُ لَهَا : قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ !

(١) الْجَلْبُ : كُلُّ مَا جَلِبُ مِنْ خَيْلٍ أَوْ غَيْرِهَا .

فلما أكثر هذا عليها ، قالت : يا بنيّ ؛ أسألك بالله ؛ من أى بلد صارت إليك
هذه الثياب ؟ وهل قتلت أحداً من أهل هذا الحصن الذى كان هذا فيه ؟ فقال لها
الفتى : صفة الحصن كذا وكذا ، وصفة البلد كذا وكذا ، ورأيت فيه قوماً من
حالم كذا وكذا ، ووصف لها أمها وأختها وأولادها وهى تبكى ، فقال لها :
ما يبكيك ؟ فقالت : الشيخ والله أبى ، والمجوز أمى ، وتلك أختى ! فقص عليها
الخبر ، وأخرج بقية ما كان معه مما أنفذه أبوها إليه ، فدفعه لها .

١٧٢ — خدعة*

لما ذهب الرشيد لغزو الروم أخذ يفتحُ المدن والحصون ويخربها ، حتى أناخ على هريرة^(١) ، وهي أوثقُ حصن وأعزُّه جانباً ، وأمنعه رُكناً ، فتحصن أهلها . وكان بابها يُطلُّ على وادٍ ، ولها خندق يُطيفُ بها . ولما ألحَّ عليهم بالمجانيق والسهام والعرادات^(٢) فُتِحَ الباب ، وإذا برجل من أهلها كأكل الرجال ، قد خرج في أكل السلاح فنادى : قد طالت مواقعتكم إيانا ، فليبرز إلى منكم رجالان . ثم لم يزل يزيده حتى بلغ عشرين رجلاً ، فلم يجبه أحدٌ ؛ فدخل وأغلق باب الحصن .

وكان الرشيدُ نائمًا فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ؛ فغضب ولام خدَمه وغلمانَه على ترَكهم إنباهه^(٣) ، وتأسف لقوته . فقيل له : إن امتناع الناس منه سيِّقويه ويطغيه ، وأخر به أن يخرج في غد ، فيطلب مثل ما طلب ؛ فطالت على الرشيد ليلته ، وأصبح كالمنتظر له ، ثم إذا هو بالباب قد فُتِحَ ، وخرج طالباً للمبارزة ، وذلك في يوم شديد الحر ، وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم .

فقال الرشيد : مَنْ له ؟ فابتدره جملةُ القواد كهرثمة ، ويزيد بن مزيد ، وعبد الله بن مالك وغيرهم ؛ فعزم على إخراج بعضهم ؛ فضجَّت المطوعة^(٤) حتى

* الأغانى : ١٧ - ٤٦

(١) مدينة ببلاد الروم (٢) المنجنيق والعرادة : آلتان من آلات الحروب ترمى بها الحجارة (٣) أنبهه : أيقظه من النوم (٤) المطوعة : الذين يتطوعون بالجهاد .

سمع ضجيجهم ، فأذن لعشرين منهم ، فاستأذنوا في المشورة ، فأذن لهم ، فقال قائلهم : يا أمير المؤمنين ؛ قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت ومدارسة الحروب ، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العليج ^(١) لم يكبر ذلك . وإن قتله العليج كانت وضيفة على العسكر عجيبة ، وثمة لا تسد . فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنخرجه إليه ! فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ومن أفناء ^(٢) الناس ، ليس ممن يؤهن قتله ولا يؤثر ، وإن قتل الرجل فإنما استشهد رجل ، ولم يؤثر ذهابه في العسكر ، ولم يثلمه ، وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يمضى إليه ماشاء .

قال الرشيد : لقد استصوبت رأيكم هذا ؛ فاختاروا رجلا منهم يعرف بابن الجزري ، وكان معروفاً في الثغر بالبأس والنجدة ، فقال الرشيد : أنخرج ؟ قال : نعم ! وأستعين الله . فقال : أعطوه فرساً ورُمحاً وسيفاً وترساً . فقال : يا أمير المؤمنين : أبا بفرسى أوثق ، ورمحي بيدي أشد ؛ ولكني قد قبلت السيف والترس .

فليس سلاحه ، واستدناه الرشيد فودعه واستتبعه الدعاء ، وخرج معه عشرون رجلا من المطوعة : فلما انفض في الوادي ، قال لهم العليج وهو بعد ثم : إنما كان الشرط عشرين وقد زدتم رجلا . ولكن لا بأس ، فنادوه : ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد . فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي ، وقد أشرف أكثر الروم من الحصن ، يتأملون صاحبهم والقرن ، حتى ظنوا أنه لم يبق في الحصن أحد إلا أشرف . ثم أخذوا في شأنهما فاطعنا ^(٣) حتى طال الأمر بينهما ، وليس يחדش واحد منهما صاحبه .

(١) العليج : الرجل من كفار العجم (٢) لا يعلم من هو (٣) تطاعنا .

ثم تحاجزا بشيء فرج كل منهما برُحْمِه ، وأُصَلَّتْ ^(١) سَيْفَه ، ففتحالدا
مَلِيًّا ، واشتد الحُرُّ عليهما وتبلد ^(٢) الفَرَسَان ، وجعل ابن الجزرى يضرب الرومى
الضربة التي يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومى ، وكان ترسُه حديدًا ، فيسمع
لذلك صوت، مُنْكَر .

فلما ينس كل واحد منهما من الوصول إلى صاحبه انهزم ابنُ الجزرى فدخلت
المسلمين كآبةٌ لم يكتبوا مثلها قط ، وعَطَطَ الروم ^(٣) اختيالًا وتطاولا ، وإنما كانت
هزيمته حيلةً منه . فاتبعه العنّج وتمكّن منه ابنُ الجزرى فرماه بُوَهَق ^(٤) ، فوقع
في عنقه وما أخطأه ، ورَكَضَ فألقاه عن فرسه ، ثم عطف عليه ، فما وصل إلى
الأرض حيًّا حتى فارقه رأسه . فكبر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل الروم ،
وبادروا الباب يُملقونه ، واتصل الخبيرُ بالرشيد فصاح بالقوَاد : اجعلوا النار في
المجانيق ، وارموا فليس عند القوم دَفْع . ففعلوا وجعلوا الكتان والنّفظ على
الحجارة وأضرموا فيها النار ، ورموا بها السور فكانت النار تلتصق به ، وتأخذ
الحجارة وقد تصدعت قهافتت . فلما أحاطت بها النيران فتحو الباب الباب
مستأمنين ومستقبلين .

(١) أصلت السيف : جرده من غمده (٢) التبلد : ضد التجلد (٣) الطلعة : تتابع
الأصوات واختلاطها في الحرب وغيرها (٤) الوهق بفتح الهاء وإسكانها: الحبل يرمى أنشوطه ،
فتؤخذ به الدابة .

١٧٣ — وامعتصماه * ١

وقف رجلٌ على المعتصم^(١) فقال: يا أمير المؤمنين؛ كنت بمعمورية^(٢) وجارية^٣
من أحسن النساء سيرةً، قد لطها عالج^(٣) في وجهها، فنادت: وامعتصماه! فقال
العالج: وما يقدرُ عليه المعتصمُ! يحيى على أبلقٍ وينصرك! وزاد ضربها.
فقال المعتصم: وفي أي جهة معمورية؟ فقال له الرجل - وأشار إلى جهتها:
هاهي ذى؛ فردَّ المعتصم وجهه إليها، وقال: كَبَيْكِ أيتها الجارية، كَبَيْكِ؛ هذا
المعتصم بالله أجابك، ثم تجهَّز إليها في اثني عشر ألف فرس أبلق، وحاصرها.
ولما طال مقامه عليها جمع المنجِّمين فقالوا له: إننا نرى أنك ما تفتحها إلا في
زمان نُضج العنب والتين، فشقَّ عليه ذلك واغتمَّ، وخرج ليلةً مع بعض حشمه
متجسساً في العسكر يسمع ما يقول الناس، فرَّ بحميمة حدَّاد يضرب نعال الخيل،
وبين يديه غلام أفرعُ قبيحُ الصورة، وهو يضرب على السندان ويقول: في رأس
المعتصم! فقال له معلمه: اترُكنا من هذا، مالك والمعتصم! فقال: ما عنده
تذبير، له كذا وكذا يوماً على هذه المدينة مع قُوَّته ولا يفتحها! لو أعطاني الأمر
مابات غداً إلا فيها.

فتعجب المعتصمُ مما سمع، وترك بعض رجاله موكِّلاً به، وانصرف إلى خبائه،
فلما أصبح جاءوا به، فقال: ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك؟ فقال الرجل:

* محاضرات الأبرار: ٢ - ٦٣

(١) خليفة من أعظم خلفاء الدولة العباسية وهو فاتح معمورية توفي سنة ٢٢٧ هـ (٢) معمورية:
بلدة من بلاد الروم. (٣) العالج: الواحد من كفار العجم

(٢٩ - قصص - ٣٠)

الذي بلغك حقّ ، ولو وليتني الحرب فإني أرجو أن يفتح الله عليك . فقال : قد وليتُك ، وخلع عليه وقدمه على الحرب ، ففتح الله عليه ، ودخل المعتصم المدينة ، ولم يثبت قول المنجمين .

ثم دعا بالرجل الذي بلغه حديث الجارية ، فقال له : سرّني إلى الموضع الذي رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية ، هل أجابك للمعتصم ؟ ثم ملكها العليج الذي لطمها ، والسيد الذي كان يملكها وجميع ماله^(١) .

(١) وفي هذه يقول أبو تمام قصيدته :

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في	متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماع لامة	بين الخمسين لافي السبعة الشهب
وخوفوا الناس من دهياء داهية	إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة	ليست بنبع إذا عدت ولا غرب
عرض بتاريخ المنجمين في التين والعنب فقال :	
تسعون ألفاً كآساد الثمرى فضجت	جلودهم قبل نضج التين والعنب

فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تعرب عما يقع بين العامة والملوك ، والقواد والرؤساء والقضاة ومن إليهم ، من كل ذى صلة بالحكم والحكام ، مما يتناول حيلهم في المنازعات والخصومات ، ويوضح طرائقهم في رفع الظلمات ورجع الحقوق وما يجرى هذا الجرى :

العنوان	رقم القصة	رقم الصفحة
متى تعبدتم الناس ؟	١	٨
أحب الولاية إلى عمر بن الخطاب	٢	٩
عمر يتفقده رعيته	٣	١١
عمر بن الخطاب يحاسب نفسه	٤	١٣
جئتك من عند أزهدي الناس	٥	١٤
تأديب عمر بن الخطاب لعماله	٦	١٦
أخطأت في ثلاث	٧	١٨
تنصرت الأشراف من عار لكمة	٨	١٩
بصيرة العباس	٩	٢٥
أثر المعروف	١٠	٢٧
في البيعة ليزيد بن معاوية	١١	٢٩

العنوان	رقم القصة	رقم الصفحة
ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً	١٢	٣٣
الحجاج وأهل العراق	١٣	٣٤
نصيحة	١٤	٣٩
من حيل الحجاج	١٥	٤١
لا أحد إلا الله	١٦	٤٣
لا أسألكم عليه أجراً	١٧	٤٥
خليفة بين يدي قاض	١٨	٤٧
العهد لعمر بن عبد العزيز	١٩	٤٩
عمر بن عبد العزيز يحمل الناس على الحق	٢٠	٥٢
لا تلوموا إلا أنفسكم	٢١	٥٤
ذكرتني الطعن وكنت ناسياً	٢٢	٥٥
الولد سر أبيه	٢٣	٥٧
أوارث أنت بنى أمية	٢٤	٥٩
حذر عيسى بن موسى	٢٥	٦١
يقظة المنصور	٢٦	٦٣
المنصور في ساحة القضاء	٢٧	٦٥
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى	٢٨	٦٧
همداني بين يدي المنصور	٢٩	٦٩
أمير في مجلس القضاء	٣٠	٧١
قاضٍ يطلب الإقالة من القضاء	٣١	٧٤
أبو ذلامة وابن أبي ليلى القاضى	٣٢	٧٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
صاحب شرطة المهدي مع الهادي	٧٦	٣٣
لا أفلح قاض لا يقيم الحق	٧٨	٣٤
الغادر مخذول	٨٠	٣٥
رجل يقاضى المأمون	٨١	٣٦
لا يخلو أحد من شجن	٨٣	٣٧
كيف يعتذر إنسان من كلام تكلم به!	٨٥	٣٧
غرس يدي وإلف أدبي	٨٨	٣٩
غسان بن عباد وعلى بن عيسى	٩٠	٤٠
فطنة	٩٢	٤١
لا تتبع الهوى	٩٣	٤٢
هشام بن عبدالرحمن الداخل وأحد صنائعه	٩٤	٤٣
قاضٍ لا يقبل شهادة خليفة	٩٦	٤٤

الباب الثاني

في القصص التي تصوّر احتفاظهم بأنسابهم واعتزازهم بقبائلهم ، وتمجيدهم للأسلاف ، وتعديدهم ما تركوا من مآثر ، وما أدّى إليه ذلك من مفاخرات ومنافرات:

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خاطرت على حسبي وحسبك	١٠٠	٤٥
لا تجعلن هوازنا كمدحج	١٠٣	٤٦
يتنازعان الزعامة	١٠٥	٤٧

رقم القصة	رقم الصفحة	الفتوان
٤٨	١١١	أنت له
٤٩	١١٦	أنت اليوم ذوجدين
٥٠	١١٨	إن البلاء موكل بالمنطق
٥١	١٢٠	معاقرة
٥٢	١٢٢	قد كان يسوءنى أن تكون أميراً
٥٣	١٢٤	لترجن بأكثر مما آب به معدى
٥٤	١٢٧	ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل
٥٥	١٣٤	لولا ما جعل الله لنا فى يدك ما أتيناك
٥٦	١٣٧	ذهبت قريش بالمكارم والعلا
٥٧	١٤٠	لو ترك القطا لنا ما
٥٨	١٤٥	مفاخرة ربيعة
٥٩	١٤٨	أراك عالماً بقومك
٦٠	١٥٠	لقد خفت أن تفخر على
٦١	١٥١	بين عبد الله بن جعفر والحجاج
٦٢	١٥٣	إنها قريش يقارع بعضها بعضاً
٦٣	١٥٤	تستجير بقبر أبيه
٦٤	١٥٥	الفرزدق والأنصار
٦٥	١٥٨	الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك
٦٦	١٥٩	الباهلى
٦٧	١٦١	كلثوم الفتاوى

الباب الثالث

في القصص التي تنقل ما كانوا يتفكّهون به من أسمار ومطايبات ، ومناقذات
وأفاكيه ، مما نال به المحدثون والقدماء سنيّ الجوائز والخِلمع من الخلفاء والوزراء ،
وما ارتفعت به فكاتهم عند السادة والوجوه في المجتمعات والمننديات :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
يبيع اسمه	١٦٦	٦٨
أنا كنت أولى بهذا الشعر من أيك	١٦٧	٦٩
عبد الرحمن بن الحكم يترضى زياداً	١٦٩	٧٠
أنا كم غريب الدار مظلوم	١٧١	٧١
أرى فيك موضعاً للصنعة	١٧٢	٧٢
الرّقية	١٧٣	٧٣
ظرف عباد الحجاز	١٧٥	٧٤
جرير وجارية الحجاج	١٧٦	٧٥
أرادت عرّارا بالهوان	١٧٨	٧٦
قد نجوت	١٧٩	٧٧
ما أنا بيارح أو يرضى أمير المؤمنين	١٨٢	٧٨
آكل !	١٨٦	٧٩
نزل أم حنينب	١٨٧	٨٠
امرأة تحاور كثيراً	١٨٨	٨١
إخام	١٩٠	٨٢

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
بين كثير وعزة	١٩١	٨٣
حوار بين شعراء	١٩٣	٨٤
احتال حتى أقرأها رسالته	١٩٧	٨٥
من لي بمثلك يُعتبني إذا استعتبتته	٢٠٠	٨٦
ها قرا السماء وأنت نجم	٢٠٣	٨٧
نقى الأحوص	٢٠٥	٨٨
شهادة	٢٠٨	٨٩
ففض الطرف إنك من مُبِير	٢١٠	٩٠
لا أهجو شاعراً هذا شعره	٢١٣	٩١
جارية	٢١٥	٩٢
فضحت شيخاً من قريش وعذبني!	٢١٦	٩٣
في دار هشام بن عبد الملك	٢١٨	٩٤
هروب السكيت	٢٢١	٩٥
وشاية	٢٢٦	٩٦
أشعب يبلغ رسالة	٢٣٠	٩٧
رُعتني راعك الله	٢٣٢	٩٨
كادت تموت فرحاً	٢٣٣	٩٩
هلم إليّ أ كافئك	٢٣٤	١٠٠
بوزع	٢٣٧	١٠١
المنصور يطلب من يسليه بالشعر	٢٣٩	١٠٢
صر إلى متى شئت	٢٤١	١٠٣
أتذكر إذ لحافك جلد شاة!	٢٤٣	١٠٤

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
لقد كان ذلك الرجل شؤماً	٢٤٥	١٠٥
حُبِسْتُ مع الدجاج	٢٤٧	١٠٦
مأخره لو أن ذنوب العالمين على ظهري	٢٤٩	١٠٧
لو أن لي مهجة أخرى لجدتُ بها	٢٥٢	١٠٨
يهجو نفسه	٢٥٥	١٠٩
كل امرئٍ يأكل زاده	٢٥٧	١١٠
حماد والمفضل	٢٥٨	١١١
في خِباء الأعرابي	٢٦٠	١١٢
دعا بفراق من تهوى أبان	٢٦١	١١٣
راوية أبي نواس والعتابي	٢٦٢	١١٤
ألا موت يُباع!	٢٦٤	١١٥
قد وجدناك ممتعاً	٢٦٥	١١٦
تعوّدتُ حسن الصبر حتى ألفتُهُ	٢٧٠	١١٧
ملّ كُتّابي إحصاء ما يهَبُّ	٢٧٢	١١٨
اسمى مشتق من اسمك	٢٧٧	١١٩
بديهة قَيْنَة	٢٧٨	١٢٠
لا أذوق المدام إلا شمياً	٢٧٩	١٢١
إن بعد العسر يسراً	٢٨١	١٢٢
راوية مسلم بن الوليد	٢٨٣	١٢٣
لباقة	٢٨٥	١٢٤
لولا حمقه وحق صاحبه لمت جوعاً	٢٨٩	١٢٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ	٢٩٠	١٢٦
نصيب ولا حظ تمنى زوالها		
خلق دعبل	٢٩٢	١٢٧
ديك دعبل	٢٩٧	١٢٨
بين البادية والخصر	٢٩٨	١٢٩
الجاحظ في مرضه	٢٩٩	١٣٠
ظبي مذبوح ، ورجل جريح ، وفتاة ميتة	٣٠١	١٣١
جوائز الصلاة	٣٠٣	١٣٢
مامعى إلا قفاى !	٣٠٤	١٣٣
قد شفى منه صدورنا !	٣٠٨	١٣٤
نقد شعر امرئ القيس	٣٢٤	١٣٥
لا وصل إلا أن يشاء ابن معمر	٣٢٦	١٣٦
الشعر بضاعة تجدى	٣٢٧	١٣٧
حديث جويرية	٣٣٠	١٣٨
أحلف وأنا في هذه السن !	٣٣٢	١٣٩
ضرتان	٣٣٤	١٤٠
من كذب الأعراب	٣٣٥	١٤١
قسّم فأحسن القسمة	٣٣٦	١٤٢
زهدي وأدب	٣٣٨	١٤٣
تشابه خاطرين	٣٤٤	١٤٤
إنما توجد في قعر البحار الفصوص	٣٤٦	١٤٥

الباب الرابع

في القصص التي تؤرخ مذكور أيامهم ، وتفصّل مشهور وقائهم ، ومقتل
كبرائهم ، وتصف الحروب والمنازعات التي كانت تدور بين قبائلهم ، أخذاً بالنار ،
أو سحابة للذمار :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمسكة سامر	٣٤٨	١٤٦
ألا من يشتري سَهراً بنوم	٣٥٢	١٤٧
غثك خير من سمين غيرك	٣٥٤	١٤٨
مقتل كليب	٣٥٦	١٤٩
الهجرس بن كليب يثأر لأبيه	٣٦١	١٥٠
قربا مر ببط النعامة منى	٣٦٣	١٥١
ضيغنى صغيراً ، وحملنى دمه كبيراً	٣٦٧	١٥٢
ما كان لولا غرة الليل يفلب	٣٧٦	١٥٣
لأقتلنه ولو كان في حجر النعمان	٣٨٠	١٥٤
وفاء وغدر	٣٨٣	١٥٥
يثأر لأبيه وجده	٣٨٥	١٥٦
بعد طعن عمر بن الخطاب	٣٨٩	١٥٧
المؤتمرون بعلى ومعاوية وعمرو	٣٩٣	١٥٨
بين عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد	٣٩٨	١٥٩
الأخطل يفرق من الجحاف	٤٠١	١٥٠

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
قد أخرجت الإذن عليه لتقتلوه	٤٠٣	١٦١
آبي الضميم	٤٠٨	١٦٢
مصرع الوليد بن طريف	٤١٢	١٦٣

الباب الخامس

في القصص التي تحكى ما كان للجند من أحداث وأحاديث في الغارات والغزوات والفتوح ، مصورة نفسياتهم وأحوالهم ، واصفة تطوراتهم العقلية والخلقية بنشأة الدولة العربية وانفساح رقعتها ، مفصلة عددهم وآلاتهم وأسلحتهم في حياتهم الجديدة :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
كلاب بن أمية وأبواه	٤١٦	١٦٤
في يوم اليرموك	٤٢٠	١٦٥
في يوم القادسية	٤٢٣	١٦٦
في فتح نهاوند	٤٢٥	١٦٧
عمرو بن العاص وأحد كفار الأعاجم	٤٢٧	١٦٨
عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين	٤٢٩	١٦٩
قد كاد أميركم يهلك	٤٣٣	١٧٠
عند ملك الصين	٤٤٠	١٧١
إنك ابني .	٤٤٣	١٧٢
خدعة	٤٤٦	١٧٣
وامتعصماه !	٤٤٩	١٧٤

فهرس الأعلام

- | | |
|--------------------------------------|------------------------------------|
| أبو أيوب الأنصاري : ٣٩٣ | (١) |
| أبو بكر الصديق ١١٨ ، ٤٢٠ | أبان بن عبد الحميد : ٢٦١ |
| أبو تمام : ٤٥٠ | أبان بن عثمان : ٢٦٤ |
| أبو جزء بن عمرو بن سعيد : ١٥٩ | أبان بن الوليد البجلي : ٢٢٢ |
| أبو جهل بن هشام : ١٠٧ | إبراهيم السويقي : ٣٢٧ |
| أبو دلالة : ٢٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨ ، ٧٥ | إبراهيم بن عبد الله بن الحسين : ٦٤ |
| ٢٥٨ ، ٢٥٥ | إبراهيم بن عثمان : ٧٩ |
| أبو ذؤيب الهذلي : ٢٣٩ | إبراهيم بن محمد بن سعد : ١٥٥ |
| أبو السائب الخزومي : ٢١٦ | إبراهيم بن محمد بن طلحة : ٤٧ ، ٣٩ |
| أبو سفيان بن حرب : ١٠٧ ، ٢٥ ، ٤٢٠ | ابن أبي ليلى : ٧٥ |
| ٤٢٠ | ابن بشير القاضي : ٩٦ |
| أبو طلحة الأنصاري : ٣٩١ | ابن الجزري : ٤٤٧ |
| أبو الطيب التنبي : ٣٠٨ | ابن زبنج : ٢٣٤ |
| أبو عبيدة عامر بن الجراح : ٤٢٠ ، ٤٣٤ | ابن ظافر : ٣٤٤ |
| أبو العتاهية : ٢٧٠ | ابن المدبر : ٣٠٣ |
| أبو العلاء صاعد : ٣٤٦ | ابن معمر : ٣٢٦ |
| | ابن المغازلي : ٣٠٤ |

أمية بن الأسكر الكنانى : ١٠٣
إياد (قبيلة) : ٣٧٢
إياس بن قبيصة : ١٠١
أيوب بن سليمان بن عبد الملك : ٤٩
أيوب الموريانى : ٢٤٩
(ب)
بجير بن عمرو : ٢٦٤
بديح (مولى عبد الله بن جعفر) : ٢٧٣
بسر بن أرطاة : ٣٩٣
البسوس : ٣٥٦
بشار بن برد : ٣٦١
بكر بن وائل : ١٨٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣
بنو آكل المرار : ٣٧٣
بنو أسد : ٣٦٧
بنو أمية : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٢٧٨
بنو تميم : ١٢٠
بنو حرام : ٢١٣
بنو حية : ١٠١
بنو الديان : ١٠٣
بنو عامر : ٣٨٠

أبو على الحاتمي : ٣٠٨
أبو لؤلؤة المجوسى : ٣٨٩
أبو محجن النقفى : ٤٢٣
أبو موسى الأشعري : ١٠
أبو نواس : ٢٧٩ ، ٢٦٢
أحمد بن أبي خالد : ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩
الأحنف بن قيس : ١٣ ، ٣١
الأحوص : ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٣
الأخطل : ١٣٨ ، ٤٠١
أزهر السمان : ٢٤١
إسحاق بن الصباح : ٧٢
إسماعيل بن إسحاق القاضي : ٩٣
إسماعيل بن جعفر بن محمد : ٣٣٢
أشعب بن جبير : ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
٢٣٤ ، ٢٣٣
الأصمى : ٢٦٥
الأعشى : ١٠٩
امرؤ القيس بن أبان : ٣٦٤
امرؤ القيس بن حجر الكندى : ٢٦٩
أم عمرو ابنة منظور : ١٤٠
أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب :
١١ ، ٤٣٠

جفنة (قبيلة) : ١٩

جليلة بنت مرة : ٣٥٨ ، ٣٦١

جندل بن عبيد بن الحصين : ٢١٠

(ح)

حاتم بن عبد الله الطائي : ٩٩

جاجب بن زرارة : ١١٦ ، ١٥٨

الحارث بن أبي شمر : ٣٧٣

الحارث بن ظالم : ٣٨٠

الحارث بن عباد : ٣٦٣

حبي بنت نكيف : ٢٢٢

حبيب بن بديل : ٢٢٢

الحجاج بن عبد الله الصرمي :

٣٩٣

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٩٤ ، ٣٩٩

٤١ ، ٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٧٥ ،

١٧٨ ، ١٨١

حجر الكندي : ٣٦٧

حرملة بن الأشعر المري : ١٠٧

حربش بن عبد الله السعدي : ١٥٨

حسان بن ثابت : ٢٣ ، ١٥٥

بنو عبس : ٣٨٧

بنو لام : ١٠٠

بنو هاشم : ٢٣٩

بهراء : ٣٧٣

(ت)

تأبط شرأ : ١٦٦

تقلب (قبيلة) : ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٤٠١

تميم بن زيد القيني : ١٥٤

تنوخ (قبيلة) : ٣٧٣

(ج)

الجاحظ : ٢٩٩

الجارود بن بشر بن العلاء : ١٤٦

جبله بن الأيهم : ١٩

الجحاف بن حكيم السلمي : ٤٠١

جرم (قبيلة) : ٣٤٨

جرير بن عطية الخطفي : ١٧٦ ، ١٨٢ ،

٢١١

جساس بن مرة : ٣٥٦ ، ٣٦١

جعفر بن أبي جعفر المنصور : ٢٣٧ ،

٢٣٩

الخطيم بن عدى : ٣٨٥

(د)

داود بن يزيد بن هاشم : ٢٨٣

دريد بن الصمة : ٤٠٩

دعبل بن علي الخزاعي : ٢٩٢ ،

٢٩٧

دغفل بن حنظلة : ١١٨

ذكين الراجز : ٢٠٨

(ذ)

ذورعين : ٣٥٢

(ر)

الراعي : ٢١٠

الربيع بن زياد الحارثي : ٩

الربيع بن زياد العبسي : ١١١

الربيع بن يونس : ٦٨ ، ٦٥ ، ٥٩

ربيعة (قبيلة) : ٣٦٧

رجاء بن حيوة : ٤٩

رملة بيت الزبير : ١٣٧ ، ١٥٣

روح بن حاتم : ٢٥٢

روق بن عطية المذحجي : ٣٥٤

حسان بن جبلة : ١٠٠

الحسن بن علي : ٣٩٦

حسين بن عبد السلام المصري : ٣٠٣

الحسين بن علي : ٣١

الحصين بن أسيد : ٣٧٨

الحصين بن زهير : ٣٧٨

الحكم بن أبي العاص : ١٠٠

حكيم بن جبلة : ١٤٥

حكيم بن عباس الكلابي : ٢٢١

حماد الراوية : ٢١٨ ، ٢٣٧

حمزة بن بيض : ١٠٠

حمير : ٣٥٢

(خ)

خالد بن جعفر بن كلاب : ٣٨٠ ، ٤١٠

خالد بن الوليد : ٤٢٠ ، ٤٣٤

خالد بن يزيد : ١٥١

خداش بن زهير : ٣٨٦

خزاعة (قبيلة) : ٣٥٠

خزيمة بن خازم : ٨٠

خزيمة بن عمرو : ١٠٧

سلمة بن قيس : ٤٢٩

سليمان بن عبد الملك : ٤٩ ، ٥٥٥ ،

١٨٦ ، ١٥٨

السموئل : ٣٧٣

سيف الدولة بن حمدان : ٣٢٤

(ش)

شاس بن زهير : ٣٧٦

شبيب الأشجعي : ٣٩٤

شريك بن عبد الله : ٧١

شمر بن عمر : ٣٨٤

(ص)

صالح بن علي : ٢٩٧

صعصعة بن صوحان : ١٢٢ ، ١٤٦ ،

(ض)

الضحاك بن قيس : ٢٩

ضرار بن الخطاب : ٤٠٩

(ط)

طارق بن ديسق : ١٢٠

طاهر بن الحسين : ٨٣

(٣٠ - قصص - ٢)

رياح بن الأسك : ٣٧٤

ريطة بنت أبي العباس : ٢٥١

(ز)

زاذية : ٣٩٣

الزبير بن بكار : ٣٠١

الزبير بن العوام : ٣٩١ ، ٤١٦ ،

زهير بن جذيمة : ٣٧٦ ، ٣٨٠ ،

زياد بن أبيه : ١٢٧ ، ١٦١ ،

(س)

السائب بن الأقرع : ٤٢٥

السائب (راوية كثير) : ١٩٢

سحيم بن وثيل الرياحي : ١٢٠

سعد بن أبي وقاص : ٣٩١ ، ٤٢٣ ،

سعد بن مالك : ٣٦٣

سعدة (زوج أتوليد بن يزيد) : ٢٢٩

سعيد بن خالد : ٥٠

سعيد بن عبد الرحمن الداخل : ٩٦

سعيد بن العاص : ١٢٧

سعية بن غريض : ١٦٧

سلمى بنت أبي حفص : ٤٢٣

عبد الله بن طاهر : ٨٦

عبد الله بن عباس : ١٥ ، ١٢٧

١٤٠

عبد الله بن علي : ٦١

عبد الله بن عمر بن الخطاب : ٣٩١

عبد الله بن عمر العمري : ١٧٥

عبد الله بن عمرو بن عثمان : ٢٠٣

عبد الله بن مالك : ٧٦ ، ٤٤٦

عبد الله بن وهب : ٣٩٣

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز :

٥٧

عبد الملك بن مروان : ٣٤ ، ٣٩ ،

١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٧٣ ،

١٧٨ ، ١٨٢ ، ٣٦٨ ، ٤٠١ ،

٤٠٣

عبيد بن الأبرص : ٣٦٧

عبيد بن طيبان : ٧٨

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ٣٠٢

عبيد الله بن قيس الرقيّات : ٤٠٣

عتاب بن ورقاء الرياحي : ١٥٨

طريح بن إسماعيل الثقفي : ٤٢٦

طلحة بن عبد الله : ٤١٦

(ع)

عاتكة بنت يزيد بن معاوية :

٣٩٨

عاقبة بن يزيد : ٧٤

عامر بن جوين : ١٠٢

عامر بن الطفيل : ١٠٣ ، ١٠٥

عباس بن عبد المطلب : ٣٥

عبد الرحمن بن أبي بكر : ٢٦

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

١٣٧

عبد الرحمن بن الحكم : ١٢٧ ،

١٦٩

عبد الرحمن بن عوف : ٣٩٠ ، ٣٩٣

عبد العزيز بن مروان : ٣٩٩

عبد الله بن جعفر : ١٤٥ ، ١٧٣ ،

٤٠٤

عبد الله بن الحسن : ٦٣

عبد الله بن الحصين : ١٤٠

عبد الله بن الزبير : ٣١ ، ١٤٠

عبد الله بن سوار : ١٤٦

عمر بن حفص : ٦٣
عمر بن الخطاب : ١٣٠ ، ١١٠ ، ٩٠ ، ٨٠ ،
٤١٦ ، ٣٨٩ ، ١٨٠ ، ١٦٠ ، ١٤٠
٤٢٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٣
عمر بن عبد العزيز : ٤١ ، ٤٩ ، ٥٢ ،
٢٠٥ ، ٢٠٣ ، ١٨٦ ، ٥٥ ، ٥٤
٢٠٨
عمرو بن الإطناية : ٣٨٠
عمرو بن جابر : ٣٧٣
عمرو بن حريث : ٤٢٦
عمرو بن سعيد : ٢٩
عمرو بن سعيد الأشدق : ٣٩٨
عمرو بن العاص : ٨٠ ، ١٢٧ ، ١٣٤ ،
١٨٦ ، ٤٢٧
عمرو بن عتبة : ١٥٢
عمرو بن مسعود : ٣٦٧
عمير بن حباب السلمي : ٤٠١
عمير بن سعد : ١٤
عمير بن ضابي الجرهمي : ٩
عنبسة بن سعيد بن العاص : ٥٥ ،
٢٢٤ ، ١٧٦

عتبة بن أبي سفيان : ١٢٥ ، ١٦٩
عتبة بن جعفر : ٣٧٨
عثمان بن عفان : ٢٤ ، ٣٨٩
عدي بن الفرج : ١٧٩
عدى بن زيد : ٢١٩
عدى بن عمرو : ٣٨٥
عرار بن عمرو بن شاس الأسدي :
١٧٨
عزة (صاحبة كثيرة) : ١٩٠ ، ١٩١
عطاء بن أبي رباح : ٤٥
عفير بن ذي يزن : ١٢٦
عك (قبيلة) : ١٩
عكرمة بن أبي جهل : ٤٢٠
علقمة بن علاثة : ١٠٥
علي بن أبي طالب : ٢٥ ، ١٢٠ ،
٣٩٣ ، ٣٩١
علي بن الجهم : ٢٩٨
علي بن سليمان : ٢٥٥ ، ٢٥٧
علي بن عيسى : ٨٨
عمر بن أبي ربيعة : ١٩٣ ، ١٩٧ ،
٢٠٥

قطام بنت علقمة : ٣٩٤

الققعاق بن عمر : ٤٢٠

قيس بن الخطيم : ٣٨٥

قيس بن زهير : ٣٨٠

قيس بن عاصم : ١٥٨

قيس عيلان (قبيلة) : ٣٦٧ ، ٢٦١

٤٠١

قيس بن مسعود : ١١٦

قيصر : ٣٧٤

(ك)

كثير بن عبد الرحمن : ١٨٨ ، ١٥٥

١٩٣ ، ١٩١ ، ١٩٠

كعب الأحبار : ٣٨٩

كعب بن جعيل : ١٣٧

كلاب بن أمية بن الأسكر : ٤١٦

كلب (قبيلة) : ٤٠١

كلم بنت سعد الخزومية : ١٩٧

كلثوم بن عمرو العتابي : ٢٦٢ ، ١٦١

كليب بن ربيعة : ٣٥٦

الكमित : ٢٢٢ ، ٢٢١

عوف القوافي : ٤١٠

عيسى بن جعفر : ٧٨

عيسى بن موسى : ٦١

عيننة بن حصن : ١٠٧

(غ)

غاضرة (أم ولد لبشر بن مروان) :

١٨٩

غالب بن صعصعة : ١٢٠

غسان بن عباد : ٩٠

غنى (قبيلة) : ٣٧٧

غيلان بن سلمة الثقفي : ١٠٧

(ف)

الفرزدق : ١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٢٠

٢١٣ ، ٢١٠ ، ٢٠٣

الفضل بن الربيع : ٢٧٩

الفضل بن يحيى : ٢٧٧ ، ٢٧٢ ، ٢٦٥

(ق)

القاسم بن إبراهيم بن طباطبا : ٨٨

قبيصة بن ذؤيب الخزاعي : ٤٠٠

قتيبة بن مسلم : ٤٤٠ ، ٤٣

مخلد بن يزيد بن المهلب : ٢٠٠
مذحج (قبيلة) : ٣٥٤
مرة بن ذهل : ٣٥٦
مروان بن الحكم : ١٦٩
مزامح (مولى عمر بن عبد العزيز) :
٥٧ ، ٥٢
مزيد المدني : ٣٣٢
مسلم بن الوليد : ٢٨٣ ، ٢٨١
مسلمة بن هشام : ٢٢٤
مصعب بن الزبير : ٤٠٣ ، ٣٩٨ ، ١٧٢
مصقلة بن رقية العبدي : ١٤٥
مطيع بن اياس : ٢٣٧
مضاض بن عمرو بن الحارث : ٣٤٩
معاوية بن أبي سفيان : ٣١ ، ٢٧
١٦٧ ، ١٣٤ ، ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٢٢
٣٩٣ ، ١٦٩
معاوية بن هشام : ٢٢٤
معبد بن خالد : ١٤٨
المعتمصم : ٤٤٩
المعتضد (الخليفة العباسي) : ٩٢ ،
٣٠٤

كفانة (قبيلة) : ٣٦٧
(ل)
ليلي بنت طريف : ٤٠٣
(م)
المأمون (الخليفة العباسي) : ٨١ ،
٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٢٨٩ ،
٢٩٠ ، ٢٩٤
متمم العبدي : ٣٣٠
المتوكل (الخليفة العباسي) : ٢٩٨
محمد بن جعفر : ٦٧
محمد بن الحجاج : ١٨٢
محمد بن عبد الله بن الحسن : ٦٥ ،
٤٠٩
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
(الرسول ﷺ) : ١١٨
محمد بن عمران الطلحي : ٦٥
محمد المهلب : ٢٦٤
محمد بن موسى الضبي : ٢٩٢
محمد بن هارن الرشيد الأمين
(الخليفة العباسي) : ٨٠ ، ٢٧٩
حمية بن زنيم : ٤٢١

(هـ)

الهادي (الخليفة العباسي) : ٧٦
هارون الرشيد (الخليفة العباسي) :
٧٨ ، ١٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٨ ،
٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٤٠٣ ، ٤٤٦
هاني بن عروة المرادي : ٢٧
هبيرة بن المشمرج : ٤٤٠
الهجرس بن كليب : ٣٦١
هرثمة : ٤٤٦
هرقل : ١٦
هرم بن قطبة : ١٠٧
هشام بن عبد الرحمن الداخل : ٩٤
هشام بن عبد الملك : ٤٥ ، ٤٧ ،
٢١٨
هشام بن مرة : ٣٥٨

(و)

الوليد بن جابر : ١٢٤
الوليد بن طريف : ٤٠٣
الوليد بن عبد الملك : ٤١
الوليد بن يزيد : ٢٢٦
وهم بن عمرو : ١٠١

معد (قبيلة) : ٣٨٣

معن بن زائدة : ٢٤٣ ، ٢٤٥
معن بن عطية المذحجي : ٣٥٤
المغيرة بن شعبة : ١٢٧
المغيرة بن نوفل : ٣٩٥
المفضل الضبي : ٢٥٨ ، ٤٠٨
ملاعب الأسنة : ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١١
المنذر بن ماء السماء : ٣٨٣
المنصور (الخليفة العباسي) : ٦١ ، ٥٩
٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣
المهدي (الخليفة العباسي) : ٧٤ ، ٧٦
٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ١٦١
مهلهل بن ربيعة : ٣٦٤ ، ٣٦٦
موسى بن عيسى : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣

(ن)

نصيب بن رباح : ١٨٧ ، ١٩٣
النعمان بن بشير : ١٣٨
النعمان بن مقرن : ٤٢٥
النعمان بن المنذر : ١٠٠ ، ١١١ ، ١١٦ ،
٣٧٦ ، ٣٨٠
نمير المدني : ٦٥

يزيد بن مزيد الشيباني : ٢٨١ ،

٤٤٦ ، ٤٠٣

يزيد بن معاوية : ٢٧ ، ٢٨ ،

١٣٧ ، ٢٩

يزيد بن المقفع : ٣٠

يزيد بن المهلب : ١٧٩

يوسف بن عمر : ٢١٨

(ى)

يحيى بن أكنم : ٨١

يحيى بن سعيد : ١٦٢

يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ٩ ،

٤٢٩

يزيد بن عبد المدان : ١٠٣

يزيد بن عبد الملك : ٥٠ ، ٥٦ ،

٢١٨ ، ٢١٥

فهرس الأماكن

(ق)	(ر)	(ا)
قديد : ١٩٣	الرقّة : ٢٨١، ٨٧	أتاية العرج : ٣٠١
القسطنطينية : ٢٠	الروحاء : ١٩٣	الأحص : ٣٥٧
قيسارية : ٤٣٣، ٤٢٧	(س)	أشبونة : ٣٣٨
(م)	السغد : ٢٦٦	أفقرّة : ٣٧٥
المدينة : ١٥٥	السند : ٢٩٩	(ب)
مصر : ٨	سلعوس : ٢٨٦	البحرين : ٩
مكة : ٣٤٨	(ش)	البشر : ٤٠٢
مسكن : ٤٠٣	شبيب : ٣٥٧	بطن الجريب : ٣٥٧
(ن)	(ط)	(ت)
النحيلة : ٣٩٣	الطائف : ١٧١	تبالة : ٣٧٢
نهاوند : ٤٢٥	(ع)	تهامة : ٣٦٧
النهروان : ٣٩٣	العراق : ٣٩٨، ٣٤	تياء : ٣٧٣، ١٦٧
(ه)	العرج : ١٩٣	(ح)
هرقلة : ٤٤٦	عسيب : ٣٧٤	حصص : ١٤
(و)	عيسا باذ : ٢٥٨	(د)
واسط : ١٧٦	عمورية : ٤٤٩	دمون : ٣٧٠
ودان : ١٩٣	عين اباغ : ٤٨٣	دهلاك : ٢٠٥
(ى)	(غ)	(ذ)
اليرموك : ٤٢٠	غزة : ٤٢٧	الذئاب : ٣٥٧

مراجع هذا الجزء

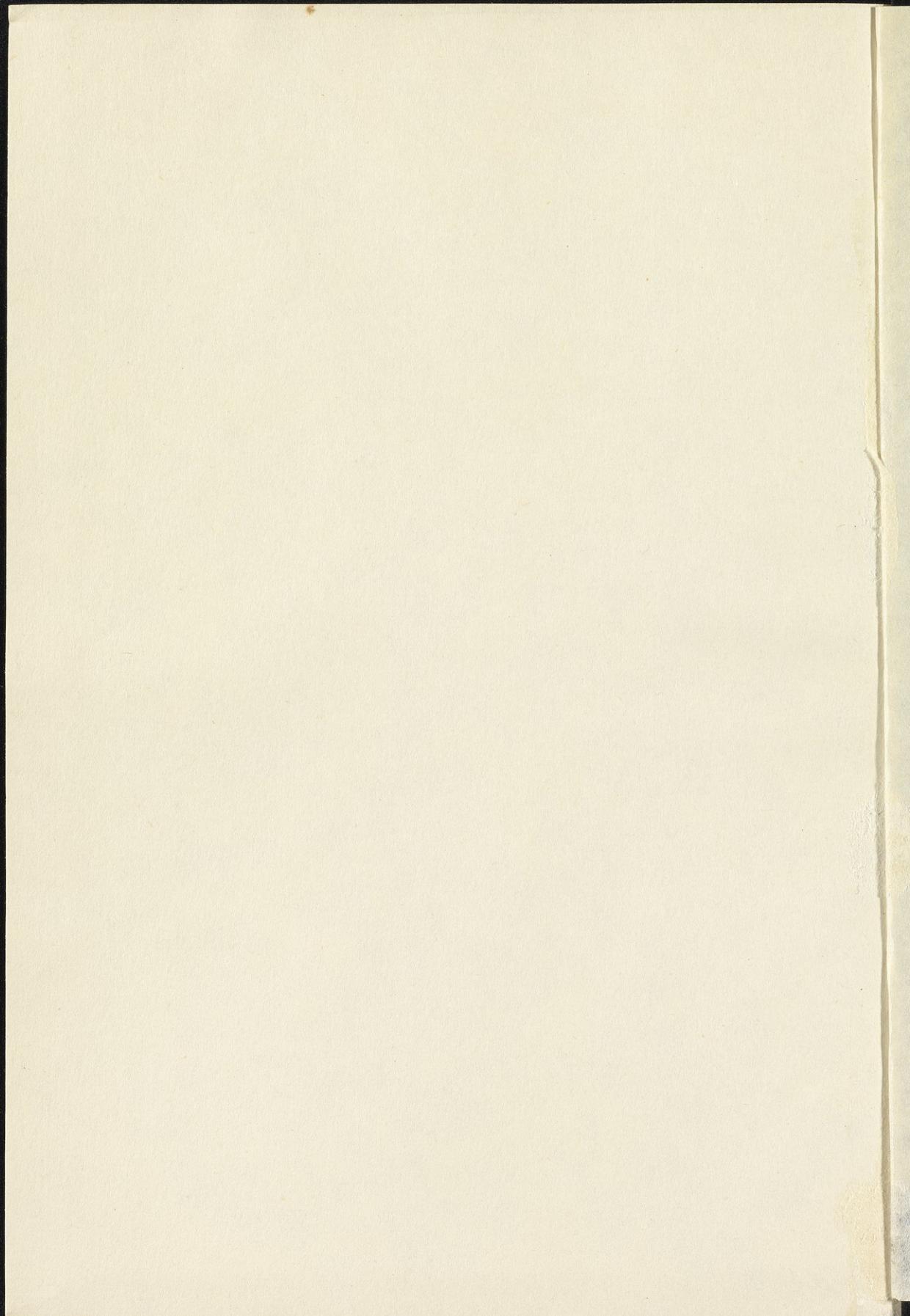
الأغانى	: لأبى الفرج الأصفهاني
الأمالى	: للقالى
الأمالى	: للمرتضى
بدائع البدائنه	: لعلى بن ظافر الأزدي
بلوغ الأرب	: للألوسى
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
تزيين الأسواق	: لداود الأنطاكي
ثمرات الأوراق	: للحموى
الحيوان	: للجاحظ
خزانة الأدب	: للبيهداى
ذيل الأمالى	: لأبى على القالى
ذيل زهر الآداب	: للحصرى
رغبة الآمل	: للمرصفي
زهر الآداب	: للحصرى

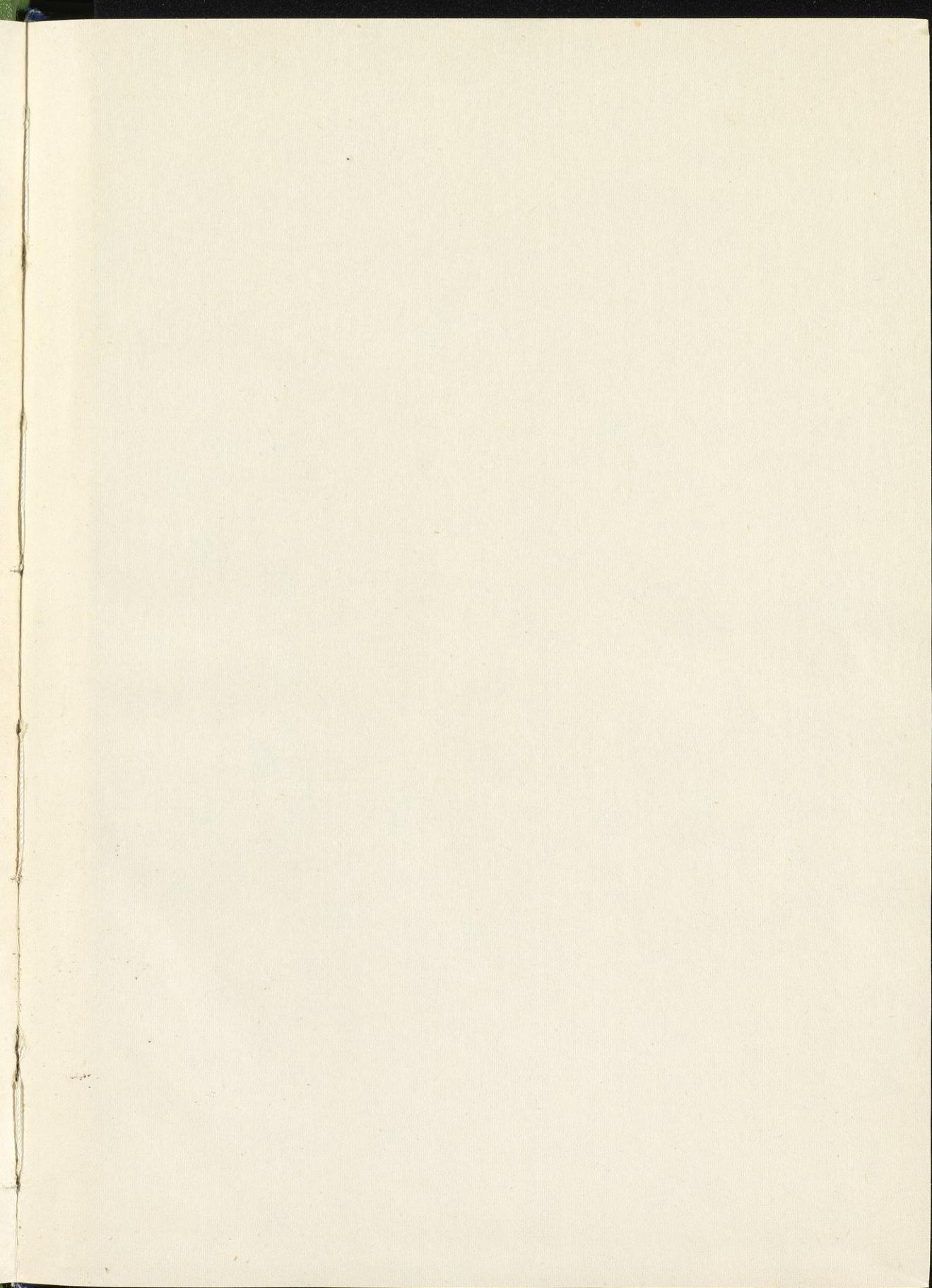
سيرة عمر بن عبد العزيز	: لابن عبد الحكم
شرح نهج البلاغة	: لابن أبي الحديد
صبح الأعشى	: للقلقشندى
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعى
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
العقد الفريد	: للملك السعيد
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصاص الواضحة	: لأبى إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة	: للتنوخى
الكامل فى الأدب	: للمبرد
الكامل فى التاريخ	: لابن الأثير
مجمع الأمثال	: للميدانى
المحاسن والأضداد	: للجاحظ
المحاسن والمساوى	: للبيهقى
محاضرات الأبرار	: لابن عربى
المختار من نوادر الأخبار (مخطوط)	: لحمد بن أحمد الأنبارى
مروج الذهب	: للمسعودى
المستطرف فى كل فن مستظرف	: للأبشيهى

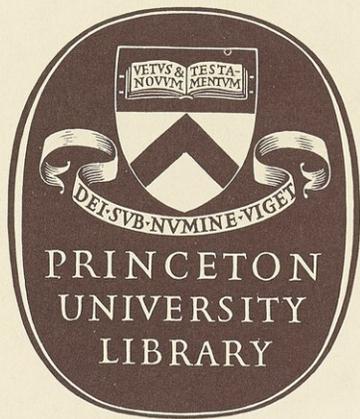
: لياقوت الحموى	معجم الأدباء
: لياقوت الحموى	معجم البلدان
: لبدر الدين العباسى	معاهد التنصيص
: للخضرى بك	مهذب الأغانى
: للمقرى	نفتح الطيب
: للنويرى	نهاية الأرب

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

للزخشرى :	أساس البلاغه
للزكلى :	الأعلام
لجورجى زيدان :	تاريخ آداب اللغة العربية
للخضرى بك :	تاريخ الأمم الإسلامية
لأبى هلال العسكرى :	جمهرة أمثال العرب
للرصنى :	رغبة الأمل
للرصنى :	شرح ديوان الحماسة
للبسكرى :	شرح الأمال
لابن سلام :	طبقات الشعراء
لابن قتيبة :	طبقات الشعراء
للضبى :	الفاخر فى الأمثال
لأمير بك واصف :	فهرس خريطة الممالىك الإسلامية
للفيروز أباذى :	القاموس الحيط
لابن منظور :	لسان العرب
لابن قتيبة :	المعارف
لابن هشام :	مغنى اللبيب
لابن خلكان :	وفيات الأعيان







PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

